الرحلة المدرسيّة

والمدرسة السيّارة

في

نهج الهدى

تأليف
العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي

فهرس المطالب

- كلمة الناشر
- بيان الإشارات الواقعة في أجزاء هذا الكتاب إلى ما في العهدين

الجزء الأول

- جمعية الهداية والتوراة
- عدن – والدجلة – والفرات
- القرآن ميزان الحق
- الله ليس بجسم ولا يخفى عليه شئ
- الله هو القادر الواحد القهار
- القرآن ميزان الحق
- سر نديب وآدم
- عمانوئيل والكتب
- قصة ولدي آدم، والتوراة وخللها، وتراجمها وتحريفها
- جمعية كتاب الهداية – والصدق – والأمانة
- حديث بابل – والبلبلة
- نار نمرود في بابل – وإبراهيم النبي
- اضطراب نسخ التوراة والأناجيل في النسب
- إجتماع مع واحد من علماء النجف
- السامري في العربية شمروني في العرانية وغيرها
- التوراة – وهارون – والعجل
- سليمان والعهد القديم
- كتاب ثروة الأماني للنصارى
- خرافة الفرانيق
- الجمعية – هاشم العربي – الغريب ابن العجيب

خطاب الله لإبراهيم ع – واختلاف العهدين

- شك إبراهيم في التوراة – والكلام المشوش
- إيمان إبراهيم والحجة الواضحة في القرآن
- الملاك – والله – والتوراة
- إبراهيم والله والملائكة في التوراة
- كرامة القرآن
- الختان في التوراة والعهد الجديد
- عبد المسيح في كتابه – والختان
- من هو ابن إبراهيم الوحيد
- التوراة وبركة يعقوب وما جرى فيها
- إرسال الله لموسى والتوراة
- حاشا جلال الله من التعليم بالكذب
- لا خلف في وعد الله جل شأنه
- كتب العهد القديم وجلال الله تعالى عما يصفون
- إختلاف التراجم وتحريف بعضها
- الله ليس جسما مرئيا
- القرآن ميزان الحقيقة
- من الغلط في التوراة العربانية
- القرآن المجيد ونبيه (ص)
- جلال الله وقدس أنبيائه وأقوال العهدين
- جرأة وسوء أدب
- ذبح النساء والأطفال في التوراة
- رحلات بني إسرائيل والتوراة
- النبي الموعود به في التوراة
- المسيح والأناجيل
- راكب الجمل وتحريف المترجمين
- من أنباء الغيب في القرآن

القرآن – والمسيح – والتثليث

- التوراة ومن يقول لم أجد لزوجتي بكارة
- التوراة والطلاق
- زوجة الأخ والتوراة
- العمل بالتوراة
- فداء المسيح من لعنة الناموس
- كيف يكون المسيح هو الله
- غفران الله ورحمته
- القرآن والتوبة والغفران
- عود إلى سر الفداء
- حفلة – وظريفة
- العهد الجديد يعيب العهد القديم
- تمجيد العهد القديم للشريعة النصرانية
- توبيخ على سوء البحث
- خلو التوراة من ذكر يوم القيمة
- هل يمكن أن لا تكون التوراة محرفة
- الشواهد الداخلية من التوراة على تحريفها
- هل يساعد التاريخ على إمكان تحريف التوراة
- تاريخ بني إسرائيل من كتب العهد القديم وغيرها
- دعوى حلقيا إنه عثر على التوراة
- بعض شواهد التحريف
- عود إلى دراسة الكتب
- سفر يشوع – يوشع
- من كتب الأناجيل – ومتى كتبت
- من هو وما هو متى؟ ومن هو وما هو يوحنا؟
- أحوال التلاميذ الاثني عشر
- من هو مرقس ومن هو لوقا وما هما

صحة الأناجيل خطر على قدس المسيح

- الاحتجاج لأحوال القيامة
- الاحتجاج للقيامة
- من احتجاج القرآن على القيامة
- إحتجاج في الانجيل عن المسيح
- إنجيل لوقا والمسيح
- الأناجيل وقدس المسيح
- الأمثال
- تعليم الانجيل وضرورة المدنية والاجتماع
- العفو ونظام الاجتماع والقرآن
- نسب المسيح
- إنجيل متي والعهد القديم
- هل يكون في كتب الوحي انتهاب
- سيد سيدعى ناصريا
- لا يغلط كتاب الوحي
- متى صورت صراخ وخلله
- إعتماد المسيح وحال إبليس معه
- من الاختلاف
- من الاختلاف
- الناموس والمسيح
- نقض الناموس وتوهينه والاختلاف
- منقولات العهد الجديد عن العهد القديم والاختلاف
- الأناجيل والعهد القديم والاختلاف
- كتاب أعمال الرسل واختلافه مع العهد القديم
- تصوف التراجم
- رسالة رومية واختلافها مع العهد القديم
- رسالة كورنتوش الأولى والعهد القديم والاختلاف

كورنتوش الثانية والعهد القديم والاختلاف

- رسالة غلاطية والعهد القديم والاختلاف
- رسالة العبرانيين والعهد القديم والاختلاف
- نتيجة أمر العهد الجديد
- أحوال بولس.
- أحوال برنابا
- إنجيل برنابا
- تعاليم النصرانية بعد المسيح
- إخوة المسيح في العهد الجديد
- الاختلاف في التعليم
- رسائل بولس
- لماذا ساد التعليم المنسوب إلى بولس بإبطال الشريعة

الجزء الثاني

- دين الاسلام والقرآن
- ملخص تاريخ الاسلام
- دعوة الاسلام
- حروب رسول الاسلام
- حرب بدر – وأسبابها
- غزوة بني القينقاع
- حرب أحد
- تأكيد العهد مع اليهود وجلاء بني النضير
- حرب الأحزاب
- غزوة بني قريضة
- حرب بني المصطلق
- صلح الحديبية
- حرب خيبر

- فتح مكة
- حرب هوازن
- حرب مؤتة . وحرب تبوك
- سراياه وتجريداته
- سيرة محمد في دفاعه
- دعوة المسيح
- إستعداد المسيح للدفاع بالسيف
- خلاصة الكلام في دفاع الاسلام
- الاسلام والمسيح
- النظر في دين الاسلام ورسالته وقرآنه
- مثلنا الشيخ (محمد علي) عن ناحية القرآن والاسلام
- بر المسيح بوالدته المقدسة والأناجيل
- ما هو معنى كون القرآن مصدقا لما مع أهل الكتاب
- القرآن مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه
- ما معنى كون القرآن مهيمنا على ما بين يديه من الكتاب
- لا مبدل لكلمات الله
- التوراة فيها حكم الله
- ما هو الذكر الذي يحفظه الله
- تعليم القرآن بالأخلاق الفاضلة
- مذهب داروين في أصل الأنواع
- الانتخاب الطبيعي
- داروين والتنازع في البقاء لحفظ الصفوف العالية
- مذهب داروين ونزاعم الأعضاء الأثرية
- الزوائد الدودية في المعاء الأعور للانسان
- أثداء الذكور
- الآلات الحجرية الصوانية
- دلالة المصنوعات على إرادة صانعها وعلمه بالغايات وقصده لها

مقدمات احتجاج القرآن على وجود الخالق العليم

- المقدمة الثانية
- المقدمة الثالثة
- المقدمة الرابعة
- المقدمة الخامسة
- المقدمة السادسة
- بطلان فرض التسلسل والدور
- حدوث المادة مهما كانت
- الوجود بعد العدم
- عبد الله الإباحي
- كلمات عصري وجوابها
- رمزي وعمانوئيل
- الوجوب والامكان والامتناع
- لا يوقف بالتعليل إلا على واجب الوجود
- الجواهر الفردة لا تكون واجبة الوجود
- الأثير لا يكون واجب الوجود
- موجد هذا الكون المنتظم عالم بغاياته
- كرامة القرآن في حججه
- ومن حجج القرآن الكريم
- النظام الأرضي وعجائب غاياته
- البحار وعجائب غاياتها
- الأرض اليابسة
- إحتجاج القرآن الكريم
- العلة الأولية الأزلية الفاعلة للإيجاد
- كرامة القرآن في حجته
- واجب الوجود العالم
- إمتناع تجسد الإله

إمتناع الحلول والاتحاد

- الإله لا يلد
- كرامة القرآن في حججه وتعليمه
- العقول العشرة – والفلاسفة
- واجب الوجود خالق الكائنات بقدرته وإرادته

الجزء الثالث

- التأويلات الموهومة
- الصورة والمادة ونزاعم الجواهر الفردة
- القرآن الكريم ونزاعم المادة وخيالاتها
- تتمة في احتجاج القرآن على الإلهية
- كرامة العقل وتسويلات الالحاد
- تسويلات أبيقورس
- الآلام والأوجاع
- من فوائد خلق الانسان والحيوان على هذا النظام
- خلاصة الكلام
- شبهة الجبر
- متشابهات القرآن وشبهة الجبر ومحكماته وإيضاحها
- في الحسن والقبيح العقليين
- التشكيكات في الحسن والقبح العقليين
- في النبوة العامة وإرسال الله للرسل
- في الشريعة
- التشريع البشري
- الرسالة العامة في القرآن الكريم
- الرسالة في أقطار الأرض
- تنبيهات
- صفات الرسول في القرآن الكريم

- دعوى النبوة والرسالة حيث ترد بدلائل كذبها
- دعوى النبوة والرسالة المسموعة وحجتها
- في المعجز حجة النبوة والرسالة
- تنوع المعجز بحسب الحكمة
- في ماهية النفس وإمكان بقائها بعد الموت
- الماديات والحقائق الروحية والتعليل
- الآراء المادية في النفس ونقدها
- مناجاة الأرواح
- تشبيه النفس ومعارضته
- ما هذا التناقض
- كلام العلماء النفسيين – وغرضهم منه
- النفس تثبت مزيتها واستقلالها في بعض أعمالها
- إرادة النفس ونزعاتها
- أعمال النفس تثبت وجودها المستقل ومزيتها الخاصة
- إدراكها ما ينقسم وما لا ينقسم
- دود الحرير وأعمال النفس فيه
- استدلال المتكلمين في النفس
- أعمال النفس تثبت وجودها المستقل ومزيتها الخاصة
- في المعاد الجسماني
- الأديان والكتب والقيامة
- العهد الجديد والقيامة
- الإنجيل والبرزخ
- المعاد الجسماني في العهدين
- لماذا كان المعاد جسمانيا لا روحانيا فقط
- بعض وجوه الحكمة في كون المعاد جسمانيا
- النعيمان الجسماني والروحاني
- المغالطات في المعاد الجسماني وجهنم

المغالطات في المعاد ومسؤولية النفس

- في النفس والعقل
- في تعليل الأعمال والأفعال
- المزاج وأعوانه
- السحنة ودلالتها الطبيعية
- أوهام التعليل بالحاجة والبيئة
- أوهام التعليل بالبيئة أو المحيط
- من تجتمع فيه التعليلات الموهومة
- الأخلاق والتفكير
- تأثير التفكير في الوجدان
- إحداث التفكير للوجدان
- قدرة الانسان على تغيير أفكاره وتعديلها وصرف النفس عن نزعاتها الجسدية
- تعليم القرآن الكريم
- من المغالطات في المعاد
- من المغالطات الكاذبة
- ضعف الإرادة وقوتها
- مقاومة التجريب والاغواء
- مخادعات الأهواء
- العقاب في المعاد
- في المعاد
- في المعراج وصعود البشر إلى السماء
- الاسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى
- في الحج في دين الاسلام
- مكة وتاريخها وحجة القرآن له

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين.

قال تعالى في كتابه الكريم: بسم الله الرحمن الرحيم **(قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)** . سورة آل عمران، الآية: 64.

منذ ما يزيد على نصف قرن، استوحى المرحوم العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي هذه الآية الكريمة، ووضع كتابه (الرحلة المدرسية، والمدرسة السيارة في نهج الهدى)، وقد صدر في ثلاثة أجزاء.

وقد اتبع العلامة البلاغي (ولد سنة 1282 هـ وتوفي سنة 1352 هـ) فيه طريقة جديدة مبتكرة في علم المناظرة، لا شك ستنال إعجاب القارئ، وتأخذ بيده إلى حقائق ناصعة، إذ توضح بعض ما وقع في التوراة والانجيل من تحريف وتبديل، وذلك اعتمادا على استدلالات مستمدة من القرآن الكريم الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) (سورة فصلت، الآية: 46).

كما يبين الكتاب ويرد على افتراءات ومغالطات عدد من المبشرين الضالين المضلين، المشوهين للحقائق، كما عالج العلامة البلاغي قضايا فكرية تنير سبل المؤمنين وتزيدهم تمسكا بالدين القويم.

وما إن أصدرت دار الزهراء الكتاب بطبعته الثانية المصورة حتى نفدت الطبعة، وازداد إلحاح القراء على طلبه. وتحقيقا لرغبة القارئ الكريم، وحرصا منها على نشر كل مفيد، فقد عمدت دار الزهراء إلى إصدار الكتاب في طبعة جديدة مصححة ومنقحة، – والتي بين يديك عزيزنا القارئ – آملين أن ترضي قراءنا الكرام، وأن يحقق هذا الكتاب ما أراده مؤلفه المرحوم العلامة البلاغي من نشر لنهج الهدى، وهداية إلى الصراط المستقيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

دار الزهراء

بيان الإشارات الواقعة في أجزاء هذا الكتاب إلى ما في العهدين

تك: إشارة لسفر التكوين. وهو الأول من أسفار التوراة.

خر: لسفر الخروج. وهو الثاني منها.

لا لسفر اللاويين. وهو الثالث منها.

عد لسفر العدد. وهو الرابع.

تث لسفر التثنية. وهو الخامس.

مز للمزامير. أي زبور داود.

مت: لإنجيل متي.

مر: لإنجيل مرقس.

لو: لإنجيل لوقا.

يو: لإنجيل يوحنا.

أع: للكتاب المسمى أعمال الرسل. أي بعد المسيح.

وكل واحد من هذه الكتب مشتمل على فصول يذكر عددها في عنوانها.

وعلى فقرات فصوله بأعدادها بالرقم فإذا أردنا الإشارة إلى فقرة من الكتاب ذكرنا الإشارة إلى اسم الكتاب على ما كتبناه ههنا.

ثم أشرنا إلى الفصل بعدده بالرقم، ثم وضعنا بعد رقم الفصل نقطتين إحداهما فوق الأخرى.

ثم رسمنا بعد النقطتين عدد الفقرة المقصودة بالإشارة.

مثلا أردنا أن نشير إلى الفقرة الثالثة عشرة من الفصل الثالث والعشرين من سفر الخروج رسمنا هكذا.

خر 23: 13 وإلى الفقرة التاسعة والثلاثين من الفصل الثاني والثلاثين من سفر التثنية فهكذا تث 32: 29 وإذا جعلنا خطا عرضيا بعد الرقم الأخير فالخط بمعنى إلى. والنهاية هو الرقم الذي بعد الخط، كما إذا أردنا أن نشير إلى عدة فقرات من كل واحد من الأناجيل رسمنا هكذا. يو 10: 33 - 37 ومت 22: 42 - 46 ومر 12: 25 - 38 ولو 20: 41 - 45.

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله بارئ الخلق الهادي إلى الحق الموفق للصواب نحمده ونشكره ونوحده ونستعين به ونسأله النجاة من زلل الأهواء وتيه الضلال وعمى التقليد. وبعد فهذه سوانح موسومة " بالرحلة المدرسية: والمدرسة السيارة "رسمت فوائدها تذكرة للمدكر: خيلت فيها أني " عمانوئيل [1] ابن اليعازر [2] وقد علينا " قس " فاعددت قدومه غنيمة لتنوير فكري في المعارف، ورفع الشبهات

التي تختلج في ذهني السيار في سياحة الحقائق. فقلت له يا سيدي هل يمكن أن تمنحني من فوائد روحانيتك، وتروضني في ميدان الحق، وتسمح لي بالعفو في أسئلتي واللطف والإرشاد في أجوبتك: التسمية بالأب عند النصارى

القس: يا بني هذه وظيفة إرساليتي ولأجلها سهرت الليالي وبها نلت الرواتب والمراتب الدنيوية: ومنها أرجو الجلوس على مائدة المسيح في اليوم الأخير.

---

1 ـ عمانوئيل: لفظة عبرانية تفسيرها (معنا لله).

2 . اليعازر عبرانية تفسيرها (الله عون). (*)

عمانوئيل: شكرا لك يا سيدي، وأرجو من لطفك سعة الصدر وحسن التحمل لما يصادف في أسئلتي مما يثقل على سمعك.

القس: سل يا عمانوئيل: وقل كل ما هو ضروري في بيان الشبهة وموضوع السؤال، ولا تتعد إلى هرأة الأهواء والمبادئ الفاسدة.

عمانوئيل: بارك علي يا سيدي بروحانيتك لئلا تحملني الأهواء على هرأة الضلال ومعاداة الحق.

القس: روح القدس يحل عليك يا بني ويأخذ بيدك إلى الصواب ويلهمك الحق.

اليعازر: يا بني مالك لا تهوي على رسوم الآداب وحقوق الخطاب. أسفا على تعبي في تعليمك.

عمانوئيل: لقد أدهشتني يا والدي في هذا التوابيخ، وإني لا أحس من نفسي تقصيرا لأنك قد هوبتني في أحوالي وعرفت أني حسب استطاعتي ومبلغ توفيقي ومعرفتي لا أظلم أحدا حقه ولا أحيد عن جادة الآداب فكيف اقصر في احترام سيدي القس! فأنقذني يا والدي من ورطة القصور.

اليعازر: يا ولدي مثل هذا الرجل الكبير لا يليق بمقام روحانيته إلا أن تخاطبه بقولك " أيها الأب " كما هو الرسم الجاري عند المسيحيين، أفلا تنظر في الجرائد والمجلات والكتب قولهم " الأب فلان. الأب فلان، الآباء اليسوعيون ". ولك العذر فإن جلوسك مع المسلمين قد ضيع عليك رسوم الديانة المسيحية وآدابها.

عمانوئيل: يا والدي الرؤوف الحريص على نجاتي وتقواي.

إنك لازلت تأمرني بالتمسك بالكتاب المقدس وآداب الانجيل، فهل ترضى لديانتي وتقواي أن أخالف الانجيل والمسيح وأرتكب أمرا نهى عنه المسيح كنهيه عن الشرك بالله.

اليعازر. ما هذا يا ولدي فهل عندك شئ جديد خفي على أجيال المسيحيين مع أنك تستند له بالإنجيل، إن هذا شئ عجيب غريب.

عمانوئيل. أيها الوالد الرؤوف قد جاء في العدد التاسع من الإصحاح الثالث والعشرين من إنجيل متى في خطاب المسيح للجموع وتلاميذه.

قوله " لا تدعوا لكم على الأرض أبا فإن أباكم واحد وهو الذي في السموات ".

اليعازر: ما تقول أنت أيها الأب فيما أتى به عمانوئيل من الغرائب في الدين المسيحي. القس: يا اليعازر قد فتح نجلك الموفق عمانوئيل كنز هذه الحقيقة التي اضطهدها قومنا بالإخفاء رغما على هتاف الكتاب المقدس بها.

وإني لازلت أتوجع من هذا الخطاب غصص الأذى، ويمنعني من النهي عنه خوفي من إخواني الروحانيين لأجل حرصهم على فخفخة هذا اللقب الذي أبان الانجيل ضلاله السلي من عوائد الأمم الوثنية، وقد ألجأتني معرفة نجلك الموفق وحريته من أسر التقليد الأعمى إلى أن أوح لك بسوي، فلا تخاطبني يا اليعازر بعد هذا بقولك " أيها الأب ".

اليعازر: يا سيدي إذا كنت ترى في ولدي معرفة وحرية ضمير فتلطف علي وعليه بتعليمه وإرشاده فيما يسأل ولك بذلك عظيم الأجر وقد وهبته لخدمة روحانيتك.

عمانوئيل: لازال القس يبتدئني بالتعليم ويجاملني بالجواب فجرى يوما في مجلس حافل ذكر تاريخ العالم والخليقة، فأخذ فيه كل واحد طرفا حسبما سمعه من الأهواء الجديدة، فصعب على ذلك في ديانتي، وقلت اسمحوا لي أيها السادة بالاستفسار عن هذه الأمور حسب أصولنا المعقولة المحكمة عند الإلهيين.

وأما الذي تخوضون فيه فإنه يحتاج إلى تمهيد أصول معقولة على أساس رصين لا يرجع إلى تقليد وطرة وراء الأهواء المعرقلة عن الوصول إلى الحقائق المزهة.

الحاضرون: حقا تقول. فاستفسر كيف شئت.

عمانوئيل يا سيدنا القس أفدنا شيئا من تاريخ الكتاب المقدس في الخليقة.

القس: هل عندك نسخة من التوراة أو نسخ متعددة.

عمانوئيل: نعم عندي نسخ عبرانية وعربية وغير ذلك.

القس: أحضرها واقرأ من أول التوراة في سفر التكوين.

عمانوئيل: فقرأت حتى بلغت الفصل الثاني من سفر التكوين فوجدت في العدد الثاني والثالث منه إن الله جل شأنه (استراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل. وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه استراح فيه من جميع عمله الذي عمله. فقلت: يا سيدي

القس: هل يتعب الله في خلقه لكي يستريح إذا فرغ. فما بال التوراة لا تراعي جلال الله وتتجنب التعبير السخيف في نسبة الاستراحة إلى الله.

القس: هذا تسامح في التعبير ليس فيه كبير ضرر. وإنك ستلاقي من التوراة شيئا كثيرا مما هو أوحش من هذه العبارة.

فإن كنت تضجر من مثل هذا فما حالك إذا قرأت الكثير مما هو أوحش وأوحش يا عمانوئيل روض ذهنك على التحمل

وعدم النفوة.

جمعية الهداية والتوراة

عمانوئيل: سمعا لأمرك يا سيدي.

ولكن عندي سؤال آخر يرتبط بقول التوراة "وبارك الله اليوم السابع وقدسه "وهو أن جمعية كتاب الهداية المطبوع بمعرفة المرسلين الأمريكان قد كتبت في الجزء الرابع في صحيفة 174 في سطر 4 أن الله لم يقل في التوراة (وبارك الله اليوم السابع وقدسه) فكيف يكون هذا الانكار من جماعة من المرسلين المبشرين الداعين إلى الهدى واجتناب الكذب؟ وكيف يكتبون هذا ويطبعونه وينشرونه في العالم؟ هل يظنون أن الناس لا ينظرون في العدد الثالث من الفصل الثاني من سفر التكوين.

أما إنهم جنوا على روحانية المسيحيين جناية عظيمة.

القس: لا يغرك اسم الجمعية الرسولية.

فإنا من ههنا أتينا: إقرأ:

عدن – والدجلة – والفرات

عمانوئيل. فقرأت في العدد الثامن إلى الخامس عشر وحاصل ما قرأته هو أن الله خلق آدم وغرس جنة بعدن شرقا ووضع آدم فيها وأنبت في وسطها شجرة الحياة وشجرة معرفة الحسن والقبيح وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة وينقسم إلى أربعة أنهر: فيشون وجيحون وحداقل " أي الدجلة "والفرات. فقلت: يا سيدي القس هل تسمح لي بأن أسألك عن هذا المكتوب.

القس: سل ما تشاء.

عمانوئيل: عدن المذكورة هنا، وفي كتاب أشعيا في العدد الثالث من الإصحاح الحادي والخمسين، وفي كتاب حزقيال في العدد التاسع من الإصحاح الحادي والثلاثين، وفي كتاب يوئيل في العدد الثالث من الإصحاح الثاني هل هي عدن المعروفة في أرض اليمن على بوغاز باب المندب.

القس: الظاهر أنها هي.

عمانوئيل: يا سيدي الدجلة التي تخرج من جبال أرمينية وتصب في خليج فارس قريب البصرة.

والفرات الذي يخرج من بلاد " ارضروم "ويصب في خليج فارس أيضا.

كيف يصح أن يقال: إنهما يخرجان من عدن.

وكيف يتجه ذلك في المحسوس من جغرافية البلاد والأنهار المذكورة.

القس: حقا تقول ولكن لا بد من إعمال النظر والفكر لحل هذا المشكل.

وكيف نقدر أن نقول إن هذا المذكور في التوراة غلط.ولا نقدر أن نقول إنه صحيح.

إقرأ يا عزيزي: نهي آدم عن الشجرة والكذب والحية والصدق

عمانوئيل: فقرأت من حيث انتهيت حتى وصلت إلى العدد الثامن من الفصل الثالث من سفر التكوين وإذا فيه ما حاصله إن الله جعل آدم في جنة عدن وقال له من جميع شجر الجنة تأكل وأما شجرة معرفة الحسن والقبيح فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتا تموت.

ثم خلق الله من آدم امرأته " حوا "وكانا عريانين وهما لا يخجلان لأنه ليس لهما شعور معرفة الحسن والقبيح. وكانت الحية أحيل حيوانات البرية فقالت لحوا أحقا قال الله: لا تأكلا من كل شجر الجنة؟ فقالت حوا: من شجر الجنة نأكل وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله: لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا فقالت الحية للمرأة لا تموتان، بل إن الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفي الحسن والقبيح.

فلما أكلا منه انفتحت أعينهما " أي حصل لهما شعورا المعرفة " "وعرفنا أنهما عريانان فصنعا لأنفسهما مآزر ".

ولما انتهيت إلى هنا أطبقت التوراة متضجرا ووضعتها على الأرض مبهوتا قد أخذتني الحيرة التي كانت تعتريني كلما قرأت هذه الكلمات المهولة.

القس: مالك يا عزيزي لا تقرأ. مالي أراك مبهوتا.

عمانوئيل: هل تسمح لي أن أسأل بحرية مطلقة فإني أعد حضوري بحضرتك غنيمة لاستفاداتي ولمداواة علل الشكوك التي شغلت فكري وأتعبته منذ زمان طويل.

إني بحسب ديانتي اعتبر هذه التوراة كتاب الله الذي جاء به رسوله موسى عليه السلام وحينما يقع نظري فيها على كثير من مضامينها المقلقة تقوم قيامتي في الحيرة.

اليعازر: يا قليل الإيمان هل يكون في كتاب الله شك وحيرة. أسفا على أني تركتك تجالس بعض المسلمين وتنظر في كتبهم، فإن هذا هو الذي كدر عليك موارد الإيمان التي صفاها لك السلف.

عمانوئيل: أيها السيد الوالد إني كنت في طفولتي أتثاقل من الذهاب إلى المكتب فكنت أنت توبخني على التثاقل وتقول لي: ويلك أتريد أن تبقى غبيا.

فلو أنك يا والدي تركتني على حالي لكي أعيش على بسيط الإيمان وتقليد السلف، لا أعرف ما في الكتب ولا أدرس من العلم شيئا، أو تركتني أذهب إلى مكاتب الطبيعيات فلا ألتفت إلى الدين ومعارفه.

وأما إذا انفتحت عيني فاسمح لي يا والدي الرؤوف بأن أتبصر في الحقائق.

القس: يا عزيزي اليعازر إن الشكوك لا يحسن أن تقابلها بالتوبيخ. بل الواجب مداواتها بالبيان الشافي وإزاحة علتها بالبحث عن الحقيقة. فدع عمانوئيل يبحث عن الحقائق ليكون إيمانه على أساس ثابت تقر به عيناك.

عمانوئيل: أيها الوالد إن توبيخك لي يبين أنك قد أحسست قبلي أن فيما قرأناه معركة شكوك.

فشاركني يا والدي في استيضاح الحقائق فإن الحقيقة بنت البحث.

اليعازر: تكلم يا ولدي بما تريد وإياك واللجاج في العناد.

هل عند الله جل شأنه كذب وغش؟؟

عمانوئيل: هل عند الله جل شأنه كذب وغش وخداع؟؟

القس: حاشا وكلا.

عمانوئيل. كيف يقول الله لآدم: وأما شجرة معرفة الحسن والقبيح فلا تأكل منها لأنك بيوم تأكل منها موتا تموت.

وقد أكل آدم من الشجرة فلم يمت. وكيف لا يكون هذا الكلام من التوراة كذبا على الله وافتراء.

فهل يرضى سيدي القس وسيدي الوالد أن تكون الحية أصدق من الله فإن التوراة تقول إن الحية قالت لحوا: لا تموتان بل يعلم الله إنه بيوم أكلكما من الشجرة تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفي الحسن والقبيح.

والتوراة أيضا تبين صدق الحية وحسن نصيحتها وتقول لما أكل آدم وحوا من الشجرة انفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان. يا سادتي فماذا نقول لمن يقول لنا: إن توراتكم تنسب إلى الله منقصة الكذب والخديعة وتنسب إلى الحية فضيلة النصيحة والصدق.

يا سادتي وإن رؤيا يوحنا تذكر في العدد التاسع من الأصحاح الثاني عشر أن الحية القديمة هو المدعو إبليس والشيطان الذي يضل العالم.

فوافضيحتاه يا سادتي.

القس: الموت الذي خوف الله به آدم ليس هو الموت الجسماني بل هو الموت الروحي فإن آدم لما تعدى الوصية استوجب سخط خالقه وهذا هو الموت الروحي.

عمانوئيل: يا سيدي قدرأيت هذا الكلام في كتاب جمعية الهداية المطبوع بمعرفة المرسلين الأمريكان في الجزء الثاني صحيفة 131 ولكن نفس التوراة تبين غلط هذا الاعتذار البارد. فإنها تقول: إن آدم قبل أكله من الشجرة كان لا يعرف الحسن والقبيح حتى إنه لا يميز أنه عريان ولا يخجل.

فليس له حينئذ حياة روحية بل إن ذلك همجية وموت روحي. وإن من يكون على مثل هذا الحال لا يدرك قبح المخالفة ولا يصح السخط عليه. وكيف يصح السخط على من لا يعرف الحسن لكي يعرف حسن الطاعة ويرغب فيها. ولا يعرف القبيح والشر لكي يعرف قبح المخالفة للوصية. يا سيدي بل مقتضى التوراة أن أكل آدم من الشجرة أوجب له الحياة الروحية حيث صار كالله عارف الحسن والقبيح والخير والشر، وصار قابلا بمعرفته لأن يشرق في قلبه نور العرفان والإيمان والرغبة في الطاعة – فالعفو يا سيدي – من هذا الجواب الساقط. وإني واثق بأنك تعرف غلطه ولكن لك في ذكره غرض لم أعرفه عاجلا. ويا ليتني عرفته.

القس: حقا تقول ولكن يمكن أن يكون معنى قوله " موتا تموت " إنه يصير ممن يعرض عليه الموت ولا يبقى خالدا وإن أكله من الشجرة يغرس في جسمه بذور الموت ويجعله مستعدا لأسباب الفناء. ومثل هذا التعبير جائز في الكلام.

عمانوئيل: يا سيدي وهذا الجواب أيضا لجمعية كتاب الهداية وإن نفس التوراة أيضا تبين غلطه فإنها توضح أن آدم لم يخلق للبقاء بل قد وقعت المحاذرة والتدابير الاحتياطية لئلا يأكل من شجرة الحياة فيعيش إلى الأبد ولأجل ذلك طرد من الجنة وأقيمت الحراسة على شجرة الحياة خوفا من أن يأكل آدم فتدوم حياته. كما ستسمعه. فالتوراة تقول. إن آدم من يوم خلق قد غرس التقدير في جسمه بذور الفناء.

والموت التقديري لازم له ومقدر على استعداد طبيعته قبل أكله من الشجرة.

القرآن ميزان الحق

القس: إن قرآن المسلمين يذكر بعض قصص التوراة فهل هو يذكر في قصة آدم مثل ما ذكرته التوراة.

عمانوئيل: يا سيدي إن القرآن قد كرر ذكر هذه القصة على حسب الدواعي لذكرها فلم يذكر أن الشجرة هي شجرة معرفة الحسن والقبيح ولم يذكر أن آدم قبل أكله منها كان لا يعقل الحسن والقبيح ولم يذكر أن الله خوفه بالموت. بل تذكر سورة طه المكية في الآية 115 وما بعدها أن الله حذره من إبليس وخوفه بالخروج من نعيم الجنة والوقوع في شقاء العيش فإن الجنة له دار نعيم وراحة لا يجوع فيها ولا يعرى ولا يظمأ ولا يضحى. بخلاف ما إذا خرج منها 118 فوسوس إليه الشيطان فقال (يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى). وفي سورة الأعراف المكية الآية (20) وسوس لهما إبليس (وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين)، (فدلاهما بغرور) الآية (22) وخداع وكذب.

ولم يذكر القرآن أن آدم وامرأته كانا قبل ذلك عريانين وهما لا يعلمان ولا يخجلان لأنهما ليس لهما شعور يعرفان به الحسن والقبيح. بل ذكر في سورة الأعراف الآية 26 أنهما قبل ذلك كان عليهما لباس فنزع عنهما لباسهما وبدت لهما سوآتهما. فالقرآن في هذه القصة على ضد التوراة ينسب الكذب والخداع إلى الشيطان وأخرج من القصة كل خرافة.

القس: قد رأيت هذا كله في القرآن وعرفته.

اليعازر: يا سيدي إذن فماذا تقول في هذا الاختلاف بين التوراة والقرآن.

القس: ما عليك سما أقول دعه كامنا في قلبي ولعلما أعرف في بعض الأوقات صفاء أفكارنا فأتكلم. إقرأ يا عمانوئيل من حيث انتهيت.

الله ليس بجسم ولا يخفى عليه شئ

عمانوئيل: فقرأت في الفصل الثالث من التكوين من العدد (الثامن إلى الثاني عشر فوجدت ما حاصله أن آدم وحوا سمعا صوت الإله متمشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ عن الله في شجر الجنة. فنادى الله آدم: أين أنت؟ فقال آدم سمعت صوتك فاختبأت لأني عريان.

فقال الله: من أعلمك أنك عريان. هل أكلت من الشجرة.. وحين قرأت هذا أخذتني الحمرة أيضا وسكت مطرقا.

اليعازر. رأك قد عاودتك الوساوس الشيطانية يا عمانوئيل. أسفا على إيمانك.

القس: دع هذا الكلام يا اليعازر واترك ولدك يحقق بحريته. وماذا يفيده توبيخك وأسفك إذا بقي يتجرع غصص الشكوك. فدعه يبوح بما عنده فلعلما يرتاح من علل الشكوك. تكلم يا عمانوئيل. عمانوئيل. يا سيدي ألا تسمع كلام التوراة يقول: إن الله

جسم يتمشى وله صوت، ويختبئ عنه آدم، ويقول لآدم: أين أنت من أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة؟

القس: يا بني هذا كلام نبوي يتسامح فيه ولعلما أبين لك أمره في وقت آخر.

عمانوئيل: يا سيدي هل وظيفة الكلام النبوي أن يجري على المضامين الخرافية السخيفة، وعلى غير المعقول. فهل من اللائق بالعلم والأدب وجلال الله وشرف النبوة أن نسامح الكلام النبوي فيما لا نسامح فيه كلام الآدميين.

القس: إقرأ من حيث انتهيت يا عمانوئيل. فلعلما ترتاح بعد هذا من نفس قرائتك لكتاب الله وترتفع شكوكك ويشرق في قلبك نور الإيمان.

الله هو القادر الواحد القهار

عمانوئيل: فقرأت في الفصل الثالث من العدد الثاني والعشرين إلى الرابع والعشرين. وفيه: إن آدم لما أكل من الشجرة قال الله " جل شأنه ": هو ذا آدم صار كواحد منا عارف الحسن والقبيح والآن يمد يده فيأخذ من شجرة الحياة أيضا فيأكل ويعيش إلى الأبد. فأخرجه الله من الجنة وأقام شرقيها لهيب سيف متقلب لحراسة طريق الشجرة. فلما انتهيت إلى هنا وضعت التوراة على الكرسي وقمت متضجرا قائلا واويلاه حتى متى أغيظ سيدي الوالد بالكلام. بل أسكت وليغل قلبي بنيرانه. يا ليتني لم أكن قرأت.

القس. دع عنك يا عمانوئيل الضجر وتكلم بما عندك فأنا ضامن لك رضا سيدك الوالد فإنه لا يريد منك الإيمان بالتقليد الأعمى. ولكنه لأجل اشتغاله بالتجارة وقلة ممارسته العلوم وقلة قراءته الكتاب المقدس لم يلتفت إلى مواقع سؤالاتك العلمية. ويحق له بما هو فيه أن يستكثر هذه الاعتراضات الكبيرة على فصلين صغيرين من التوراة هات ما عندك.

عمانوئيل: اسمحا لي بالعذر يا سيدي القس ويا سيدي الوالد فإني منذ صرت أتلو التوراة بتفهم وتعقل صرت أتجرع غصص الإشكالات المهولة ولا أجد من يشفي علتي. ولما سعدت بلقاء سيدي القس رجوت أن يكشف عني غمامة الشكوك. فإذا أصغى إلي بسمعه برهة من الزمان فقد صفا لي الوقت لاستيضاح الحقائق على ناموس الحرية والصواب. ولكن سيدي الوالد يريد أن يكدر علي هذا الصفاء وأنا لا أريد أن أغيظه فما هي حيلتي.

اليعازر: هل تظن يا ولدي أنه يهون علي أن تتجرع الغصص وتعاني الكروب. ولكني أخشى أن تكون شكوكك هذه من ضلال الأوهام. بيد أني واثق بمراقبة حضرة القس لك لكي يردعك عن شطحات الكلام وزيغ البحث فتكلم.

عمانوئيل: ما هو المعنى المعقول اللائق بجلال الله في التوراة عن قول الله " هو ذا آدم صار كواحد منا في معرفة الحسن والقبيح " ومن هم الجماعة الذين يعنيهم الله بقوله منا. فهل ترى التوراة تعلم بتعدد الآلهة. أفلا يقلقني هذا الكلام مع قول الأصل العبراني ههنا " ويأمر يهوه الوهيم " أي آلهة. فإن الياء والميم في اللغة العبرانية علامة الجمع. وإن مضمون الكلام

الذي قرأته من التوراة هو أن الله جلت عظمته قد خاف من عاقبة آدم إذ صار كواحد من الآلهة. فصار الله يحاذر منه على الجمهورية واستقلالها بالسياسة حتى أعمل الاحتياطات اللازمة لئلا يغلبه آدم على شجرة الحياة فيزيد الخطر والتهديد على المملكة.

يا سيدي كيف لا أخرج وهذا حال التوراة التي نعتبرها كلام الله لرسوله موسى.

القس: مهلا يا عمانوئيل لا تتكلم بحرارة فإن الله سينور ضميرك بنور الهدى، ولعلما تحل هذه العقدة من قلبك بسماع كلمتين من الحقيقة حينما يسمح الوقت ببيانهما.

عمانوئيل: يا والدي أسألك بحنوك الأبوي لو كنت أنت لا تدري بوجود هذه الأمور في التوراة وجئتك أنا وقلت لك إن بعض الكتب تنسب إلى جلال الله هذه الأمور التي ذكرناها في قصة آدم. أفلست تقول إن هذا كفر من ضلالات الوثنية.

القرآن ميزان الحق

اليعازر: نعم. ولكني مقتنع بأن التوراة كلام الله فاللازم علي أن أغض النظر عن هذه الأمور. يا عمانوئيل أنظر في قرآن المسلمين، هل تجد فيه ذكرا لهذه الأمور التي اعترضت بها.

عمانوئيل: قد تصفحته مرارا فوجدته مزها عنها وعن أمثالها. وها هو حاضر في الوجود لكل من يقرأه.

اليعازر: إن هذا يكثر منه عجبي.

سر نديب وآدم

عمانوئيل. رأيت في كتب الجغرافيا والتاريخ أن في جزيرة سرنديب " سيلان " جبلا يسمى بالإنكليزية " أدمس بيك "وأيضا بين الجزيرة وقارة آسيا صخور عظيمة منتظمة في البحر يتعسر عبور السفائن مما بينها تسمى بالإنكليزية " أدمس بريدج " فما شأن آدم في ذلك.

القس: إن المسلمين يذكرون عن تقاليدهم أن آدم أهبط من الجنة في جزيرة سرنديب وعبر منها إلى قارة آسيا. واسم الجبل والجسر تذكار تاريخي متسلسل شاهد لما يقوله المسلمون.

عمانوئيل: يا سيدي إذا لم يطابق ما يقوله، المسلمون مع ما تذكره التوراة فهل يسوغ لي أن أقول إن أقوال المسلمين خرافية.

القس: لا. لا يسوغ ولا تقل.

اليعازر: قم يا ولدي إلى غرفتك وأرح فكرك.

عمانوئيل: قمت متفكرا فيما قاله القس أخيرا وجلست بحيث أسمع مكالمة والدي مع غبطة القس. فقال يا سيدنا القس إن حال عمانوئيل يقلقني وأمره يريبني فإنه زيادة على مجالسته للمسلمين وجدته يوما وعنده كتاب يسمى " إظهار الحق "وهو يطالعه بالإمعان والرغبة فسألته عنه فقال: هو كتاب لعالم كبير من المسلمين فساءني ذلك. وذاكرت بعض الأخوة فقال: اشتر له كتاب هاشم العربي ترجمة مقالات جرجيس سايل مع التذييلات وكتاب " الهداية " للجمعية المصرية المسيحية المطبوع بمعرفة المرسلين الأمريكان وكتاب الرحلة الحجازية للشيخ غريب ابن الشيخ عجيب فاشتريتها له وأمرته بمطالعتها. ورصدت أترصد حاله بمطالعتها فلم أجد منه ابتهاجا بها. بل وجدته عند مطالعتها يولول ويدمدم في نفسه.

القس: لم يكن من الصالح شراؤك له هذه الكتب فإن فيها من التعصب، ومخالفة الواقع، وعدم المعرفة بما في الكتب المقدسة شيئا كثيرا يزعج صاحب المعرفة والشعور الحر، ويجعل الديانة المسيحية على خطر.

اليعازر: ثم بعد أيام وجدت عنده كتبا يطالعها بارتياح وابتهاج.

ولما سألته عنها قال لي: ما كنت أحسب أنه يكون في المسلمين عالم هكذا عارف بالكتب المقدسة جميل المباحثة طيب المكالمة. وها أنا ذا واثق بأنه لا يوجد في أخبار اليهود وروحانية المسيحيين مثل هذا الرجل في علمه بالكتب المقدسة. فقلت له دعنا من هذا التمجيد الفارغ. ما هي الكتب ولمن هي؟ وفي أي موضوع تبحث؟ فقال: هي كتاب " الهدى " جزء آن، و " رسالة التوحيد والتثليث " الجميع لكاتب الهدى النجفي. في الرد على هاشم العربي. وجمعية الهداية. وعبد المسيح الكندي.. والآن يا سيدي ما أدري ماذا أصنع مع ولدي الوحيد عمانوئيل. وها هو كما تراه. وكأني عن قريب قد خسرت ديانته المسيحية بانقلابه إلى الديانة الإسلامية الوحشية الوثنية.

عمانوئيل: فسمعت القس يقول. لا. لا. يا اليعازر إن الديانة الإسلامية لا يمكن لأحد أن يقول. إنها وحشية وثنية. فأطرق والدي ثم قال: والآن ماذا أصنع يا سيدي مع ولدي عمانوئيل.

القس: يا اليعازر إن أفكار ولدك راقية وتنبهاته جيدة يتكلم على أساسات متقنة بحجة معقولة لم يقيد نفسه التعصب وتقليد الأوائل، ولم يتسرع بهملجة العصريين إلى حب الجديد والاقتناع بالتخمينات الوهمية، ومخالفات العقل. فليس من الصالح أن تضرب على أفكار ولدك فتضطره الشكوك في الديانة الخاصة إلى الطفرة إلى مبادئ الإلحاد كما عم هذا الداء في أوربا وأمريكا. إذ صرنا كعاصمة الإلحاد بعد أن كانتا زاهيتين زاهرتين بالديانة الإلهية. فإن التدين بالإلهية على الحقيقة والحجة القويمة هو المهم الأولي والتدين الأساسي. وأما التدين بالنبوات الخصوصية فهو أمر ثانوي، تتجلى حقيقته بالاستضاءة بأنوار الأساسيات الحقيقة في الإلهية.

والآن أرى الدواء الناجح لولدك أمرين: أحدهما: أن يتلمذ على روحاني واسع العلم، حسن الاطلاع، جيد الانصاف، شريف المكالمة، لين العريكة، حر الضمير، عارف بفلسفة التعليم، بريئ من التعصب لم يستعبده الهوى، ولا تأخذه في الحق لومة لائم،

ولا طمع في رتبة أو راتب. وثانيهما: أن توضع على ولدك يد بركة وقداسة لكي يحل عليه روح القدس فيفهمه الحق بالتوفيق والتسديد.

اليعازر: ها أنا ذا أقول قولا لا تحسبه يا سيدي تمجيدا تمليقا لحضرتك بل أقوله عن اعتقاد صميمي وهو: إن الواء الناجح الذي تذكره لولدي لا أراه موجودا إلا عند روحانيتك وقداستك. فأرجو التوحم علي وعلى ولدي بالإقامة لأجلنا، بل لأجل الديانة المسيحية إذ تقوم بنجاح كبير بالتبشير في هذا القطر العظيم. فإني أرجو أن يكون لك نجاح كبير في اجتلاب المسلمين إلى المسيحية.

القس: يا اليعازر ما سمعت لموسل مسيحي نجاحا يذكر في تبشره بين المسلمين. ومن المدهش أني لم أجد بين الهندوس مبشرا مسلما. ومع ذلك أرى الهندوس يتقاطرون على الديانة الاسلامية على رغم كثرة المبشرين فيهم من المسيحيين وملاطفاتهم بالعنايات الصحية ونشر الكتب المقدسة بلغاتهم وموافقتنا لهم في أمر الثالوث والأقانيم وتجسد الإله. مع تأييد ذلك بسلطة السياسة.. وهكذا يبلغني عن سودان " إفريقيا) بمصادر وثيقة. أفليس هذا من العجيب.

اليعازر: ما هو السبب والسر في ذلك.

القس: إن كنا لا نعرفه فدعنا لا نعرفه حالا.

عمانوئيل: لم أزل مصغيا إلى كلمات والدي وغبطة القس وكانت كل كلمة من كلمات القس تغوص في ضميري غوصا صالحا آمل أن أجتني ثمره الطيب في وقت قريب.

القس: إقرأ يا عمانوئيل من حيث انتهيت.

قصة ولدي آدم، والتوراة وخللها، وتراجمها وتحريفها

عمانوئيل: فقرأت حتى وصلت إلى العدد الثامن من الفصل الرابع من سفر التكوين وفي أوله بالترجمة الحرفية " وقال قاين إلى هابيل أخيه وكان بكونهما في الحقل. وقام قاين إلى هابيل أخيه وقتله ". فقلت يا سيدي هذا كلام مبتور المعنى مختل النظام ظاهر النقيصة والسقط. فماذا قال قاين لأخيه؟ وماذا كان بكونهما في الحقل؟

القس. أنظر في الأصل العبراني المطبوع. والكتاب المقدس

عند اليهود وطابقهما مع ما ذكرت فربما كان التغيير من الترجمة.

عمانوئيل: نظرت في الأصل العبراني فكان ما ذكرناه من الترجمة ترجمة حرفية بتمام المطابقة. القس. أنظر يا عمانوئيل في الحواشي.

عمانوئيل: ليس في الحواشي إشارة إلى هذا العدد الثامن إلا قولها " بلا پاسوقا " يا سيدي وماذا تنفع الحواشي. فهل ندم الله على إنزال التوراة على موسى ناقصة فأنزلها بعد ذلك تامة على كاتب الحواشي.

القس: إقرأ الأصل العبراني.

عمانوئيل: فقرأت "ويأمر قاين ال هابيل أخيو. ويهى بهيوتم بشدة. ويقم قاين أل هابيل أخيو ويهرجو ".

القس: ماذا عندك من التراجم.

عمانوئيل: عشر نسخ: 1 – عربية طبع وليم واطس في لندن سنة 1857 على النسخة المطبوعة في روميه سنة 1671. 2 – أخرى توافقها في الترجمة سقطت ورقتها الأولى أظنها طبع بيروت. 3 – عربية فرغ من اصطناع صفائحها في بيروت في تموز سنة 1870. 4 – الطبعة الثامنة في المطبعة الأميركانية في بيروت سنة 1897. 5 – الطبعة الثانية عشر سنة 1905. 6 – طبع دي سلا هو جسون سنة 1811. 7 – فارسية طبع رچلد واطس في لندن سنة 1839. 8 – طبع وليم واطس في لندن سنة 1856. 9 – طبع تومس كنستبل في أدن فرغ سنة 1845. 10 – ترجمة بروس طبع لندن سنة 1901.

القس: أنظر في هذه التراجم ماذا تقول وماذا تذكر. " عمانوئيل " في النسخة الأولى والثانية "وقال قاين لهابيل أخيه لنخرج إلى الحقل ولما صاروا في الحقل قام قاين على هابيل أخيه وقتله ". ونقل إظهار الحق عن التراجم العربية المطبوعة سنة 1831 و 1848 م أنها تقول "وقال قاين لهابيل أخيه تعال نخرج إلى الحقل. إلى آخره ". فزادت هذه التراجم من عندها قولها " لنخرج إلى الحقل: تعال نخرج إلى الحقل "وحرفت فيما بقي لتجعل الكلام له شئ من الفائدة. وقد أتولت توراة جديدة بزيادة وتحريف.. وفي النسخة الثالثة والرابعة والخامسة "وكلم قاين هابيل وحدث إذ كانا في الحقل أن قاين قام على هابيل أخيه فقتله "وعلى نهجها جرت النسخة الثامنة والتاسعة والعاشرة وهذه التراجم الثلاثة حرفت وبدلت.

فإن الأصل العبراني "ويامر "وترجمته "وقال "وأما قولهم "وكلم " فأصله في اللغة العبرانية "ويدبر "وزادوا قولهم " إن " تعديلا للكلام وهي زيادة تحريفية. والترجمة السادسة رأت أنها إن قالت في الترجمة "وكلم " كان تحريفا فاضحا، وإن قالت: "وقال " كان الكلام ناقصا مبترا بالمرة. فقالت وقاول قاين هابيل أخاه " فوقعت باشد التحريف وبقي الكلام مبترا. فإنه يقال لهذه النسخة على ماذا قاول قاين هابيل هل قاوله على تحريف التوراة؟! والنسخة السابعة قالت: "وقاين وادر خورا كفت كه بيا " فزادت قولها " كه بيا "وحرفت في الباقي. يا سيدي وإن هذا التلاعب والتحريف في التراجم مما يشهد بأنهم رأوا خلل الأصل العبراني فأرادوا أن يؤلفوا توراة جديدة. لكن يا سيدي إن التراجم التي زادت على العبراني قولها: " لنخرج إلى الحقل. تعال نخرج إلى الحقل " قد اتبعت بهذه الزيادة للنسخة السامرية والنسخة اليونانية. أفلا يكون هذا عذرا لها.

القس: هل ندم الله على إنزال التوراة ناقصة على موسى فأنزلها بعد ذلك تامة على كاتب السامرية واليونانية.

عمانوئيل: ما هو السبب في خلل الأصل العبراني ونقصانه حتى صار ملعبة للمترجمين.

القس: ما أرى عاجلا ماذا أقول لك ولكن اقرأ وليسمع اليعازر.

جمعية كتاب الهداية – والصدق – والأمانة

عمانوئيل: يا سيدي هذا المقام قد ذكرني شيئا أضحكني كثيرا فإني رأيت في كتاب جمعية الهداية المطبوع بمعرفة المرسلين الأمريكان في الجزء الثاني صحيفة 42 من الطبعة الثانية.

إن هذه الجمعية الرسولية التبشيرية المقدسة الناهضة للتهاجم على المسلمين وقرآنهم قد قالت ما هذا نصه، " ثم إن مراعاة القرآن للسجع مقدمة عنده على الحقائق. فقال قابيل: لأنه على وزن. هابيل " ثم أخذوا بالانتقاد على ذلك. وربما اغتررت بادئ بدء بسمعة مجدهم لكن الحقيقة كشفت عن أنه لا يوجد في القرآن لفظ قابيل ولا لفظ هابيل أصلا. فضحكت يا سيدي من إيقاع التنوع والتعصب لهم في هذه الورطة الكبرى. ولكني خجلت كثيرا يا سيدي من رجوع هذا الوبال على مجد روحانيتنا ورسالية المسيحيين.

القس: إن التعصب يورط بأكثر من هذا. ولتكن غيرتك لمجد الحق والصدق لا للفخفخة القومية. إقرأ يا بني.

حديث بابل – والبلبلة

عمانوئيل: فقرأت حتى بلغت الفصل الحادي عشر من سفر التكوين فوجدت في العدد الرابع منه إلى الثامن ما حاصله " إن بني آدم اجتمعوا بعد الطوفان لكي يبنوا لهم مدينة حصينة عالية لئلا يتبددوا فنزل الله لينظر المدينة. وقال الله. هذا شعب واحد ولسان واحد وهذا ابتدائهم بالعمل والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه. تعالوا ننزل ونبلبل لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض ". فأطبقت التوراة متبسما ناظرا إلى وجهي والدي والقس أنتظر ابتدائهما بالكلام.

اليعازر: يا ولدي أرى من سيماء عينيك أن صدرك مملوء كلاما. تكلم يا ولدي بكل حرية من جانبي من هذا اليوم وما بعده.

عمانوئيل: يا سيدي كيف يحتاج الله في علمه إلى النزول لكي ينظر المدينة؟ وكيف يحتاج في قدرته إلى النزول لكي يبلبل؟ وما حاجته في قدرته إلى الاستعانة؟ ومن أين يقول وإلى أين يقول؟ ولمن قال: تعالوا ننزل؟ وبمن يستعين على حياطة مملكته من التهديد؟ أفلا تعجبون من هذه المضامين السخيفة.

القس: مثل هذا في الكتاب المقدس كثير فلا تضطرب منه.

عمانوئيل: عجبا يا سيدي هل كثرة المشكلات ترفع الحيرة من المشكل. وكأنك لا تريد أن تعاجلني ببيان الحقيقة. وإلى متى أصبر. وكأني بسيدي عنده بيان كبير ثقيل على التعصب صعب على الأهواء ينتظر به الفرصة وسماحة الوقت.

القس: لعل الأمر كما تظن فلا تعجني بالاستعجال.

نار نمرود في بابل –وإبراهيم النبي

عمانوئيل: يقول المسلمون: إن في أرض بابل أضرم الوثنيون نارا عظيمة لإحراق إبراهيم الخليل، وألقوه فيها، فأنجاه الله منها،

وجعلها عليه بردا وسلاما. كما يذكره قرآنهم في سورة الأنبياء في الآية الثامنة والستين إلى السبعين، وفي سورة الصافات في الآية الخامسة والتسعين والسادسة والتسعين. وها هي التوراة لا تذكر من ذلك شيئا مع أن ذكر ذلك من الأمور المهمة في تاريخ إبراهيم وبيان آيات الله.

والمجد النبوي وعناية الله بأوليائه. فلأجل خلو التوراة من حكاية النار هل يمكن أن تقول إنها حكاية خرافية.

القس: لا. لا يمكن ويكفي عاجلا أن العهد الجديد المقدس يوضح لنا أن التوراة قد أهملت كثيرا من الأمور المهمة في التاريخ النبوي وخصوص تاريخ إبراهيم. فمن ذلك إن التوراة لم تذكر أن موسى ارتعد عندما كلمه الله أول الأمر في عليقة النار. والعدد الثاني والثلاثون من الفصل السابع من كتاب أعمال الرسل يذكر أن موسى ارتعد. ولم تذكر التوراة أن موسى قال في التكليم الثاني في جبل سينا. أنا مرتعب ومرتعد "والعدد الحادي والعشرون من الفصل الثاني عشر من رسالة العبرانيين يذكر ذلك مع أن ارتعاد موسى وارتعابه في تلك الأحوال مما يلزم أن تذكره التوراة في تاريخ النبوة ومجد الله.. ولم تذكر التوراة أن موسى جعل في تابوت العهد كنزا من ذهب فيه المن وعصا هرون التي أفرخت لوزا.

مع أن هذا من أهم الأمور في تاريخ النبوة وآثارها. والعدد الرابع من الفصل التاسع من رسالة العبرانيين يذكر ذلك... وفي العدد الثامن عشر إلى الثاني والعشرين من الفصل الخامس من سفر التكوين ذكرت التوراة " حنوك " بالعبرانية "وأخنوخ " في الترجمة ولم تذكر نبوته ولا شيئا من أقواله النبوية مع أنها أهم أحواله بالذكر. وذكر ذلك في العدد الرابع عشرين من رسالة يهودا... هذا وإن التوراة لم تذكر أهم أحوال إبراهيم وهو تاريخ حياته ونبوته وإيمانه، في وطنه فيما بين النهرين " والمظنون أنه في الجنوب الشرقي للسماوة "وإنما ابتدأت التوراة بذكر خطاب الله لإبراهيم في حران.

وأمره بالخروج منها. مع أن العدد الثاني إلى الخامس من الفصل السابع من كتاب أعمال الرسل ذكر نبوة إبراهيم فيما بين النهرين وخطاب الله له هناك وأمره بالخروج من هناك – يا عمانوئيل – وأدهى من هذا كله أن التوراة أطالت كلامها مع نبي إسرائيل في الوعظ والترهيب والترغيب والبشرى والتخويف. ولم تذكر يوم المعاد وحشر العباد للجزاء، ولا الجنة المعدة للأتقياء ولا جهنم المعدة للأشرار، ولم تطر ذكرا لشئ من ذلك لا في هذه المقامات ولا في مقام المعارف والتعليم الديني – بل غاية ما رغبت فيه للطاعة هو كثرة الحنطة والخمر وبركة المعجنة.

وغاية ما خوفت منه هو قلة الحنطة والخمر. وإن الرجل يتزوج امرأة ويطأها غيره. يا عمانوئيل إن توراتنا العزيزة مشغولة عن بعض الحقائق بما قرأته وتحيرت فيه وبما ستقرأه وتتحير فيه لا أنت وحدك بل كثير من الناس. فلتوراتنا العذر الكبير. ويا للأسف. ودع الشيخ " غريب " المتمسلم يقول في رحلته الحجازية صحيفة 48 إن التوراة لم تترك صغيرة ولا

كبيرة من أعمال وأحوال إبراهيم إلا وحكته مفصلا. دعه وخطأه.

عمانوئيل: يا سيدي وما هو عذر التوراة عن غفلتها عن ذكر نار إبراهيم المهمة في تاريخ النبوة وكرامتها.

القس: الذي أقوله عاجلا على سبيل الاجمال هو عذرها عن غفلتها عن الأمور التي استتركها عليها العهد الجديد. مع أنها أمور مهمة في النبوات.

ولا أحب أن أجاهر وأكاشفك عاجلا بهذه الأعذار حتى تكون أنت تجاهر وتكاشفني. وإنك قد تدرجت في معرفة العذر باعتراضاتك المتقدمة.

عمانوئيل: يا سيدي تركتني برموزك هذه معلقا بين السماء والأرض. فترحم علي بالصراحة المريحة.

القس: سوف تستقر قدماك على اليقين الثابت فلا تعجل. عمانوئيل. يا سيدي وهل من المعقول ما يذكره القرآن في شأن إبراهيم والنار.

القس. عجبا. وإنك مثل كثير من أصحابنا تعترض ولا تدري بما في كتب ديانتك. ألم تقرأ في كتاب دانيال في الفصل الثالث أن بختنصر ألقى شدرخ، وميشخ، وعبد نغو، في النار التي قتلت بحرها جماعة ممن ألقى هؤلاء الثلاثة فيها. وأنجى الله هؤلاء الثلاثة في وسط النار المتوقدة وخرجوا منها بعد مدة ولم تكن للنار قوة على أجسادهم وشعرة من رؤسهم لم تحترق وسراويلهم لم تتغير. يا عمانوئيل وإن كتب اليهود لتذكر نار إبراهيم ونجاته منها. ولهذه الحادثة آثار تاريخية قديمة تمثل واقعة النار مع إبراهيم. فإن في نواحي بابل مدينة " بورسيبا " التي تسمى الآن " برس "وهي قديمة جدا ويستدل من الآثار والتقليد البابلي القديم أن فيها كانت بلبلة الألسن. بل إن كلمة بورسيبا معناها في اللغة الاشورية " برج اللغات "

بل يعرف من كتابه بختنصر التي وجدت سنة 1845 في أخربة برج بورسيبا أن بانيه أول الملوك وأن بينه وبين بختنصر اثنين وأربعين زمنا. يا عمانوئيل وإلى الآن في بورسيبا آثار قديمة جدا تعرف إبراهيم في النار الخليل وقبة في الموضع الذي يذكر أن نمرود طرح فيه إبراهيم في النار والقبة على تل كبير أسود رمادي إنه رماد بال بمر الدهور الطويلة. فهذه الآثار كافية في تحقيق نار نمرود وإبراهيم تحقيقا علميا وتاريخيا.

عمانوئيل: لماذا لا يكون هذا التل الرمادي من آثار بركان هاج في زمان ثم انطفى.

القس: البركان لا بد من أن يكون مخرجه جبل أو تلعة أرضية ولا يوجد لذلك أثر إلا التل الذي هو رماد عارض على الأرض. وثانيا لو كان هذا البركان قبل الطوفان لانمحى أثره بالطوفان وعمران بورسيبا. ولو كان بعد الطوفان لذكر في التاريخ. وأيضا ليس بين الطوفان وعمران بورسيبا إلا زمان قليل فكيف تعمر بورسيبا وهياكلها حول البركان. ولو أنه كان منطفيا لما أبقى العمران آثاره. نعم أبقى البابليون الرماد من آثار النار أمام هياكل الأصنام تذكارا لخدمتهم للأصنام وعنايتهم بحياطة العبادة الأصنامية – يا عمانوئيل اقرأ من حيث انتهيت.

اضطراب نسخ التوراة والأناجيل في النسب

عمانوئيل: فقرأت حتى بلغت العدد الثاني عشر من الفصل الحادي عشر من التكوين. فقلت يا سيدي: إن إنجيل لوقا قد ذكر " قينان " واسطة في التوالد بين " أرفكشاد وشالح " وقال في الفصل الثالث: " شالح بن قينان بن أرفكشاد " وكذا التوراة السبعينية حتى إنها نصت على مقدار عمر قينان قبل ولادة شالح وبعدها. وهذه التوراة العبرانية وتراجمها ذكرت سلسلة التوالد من " سام " ابن نوح إلى إبراهيم فذكرت أن " سام " ولد أرفكشاد وعاش أرفكشاد خمسا وثلاثين سنة وولد شالح. يا سيدي فهل غلط النقصان من العبرانية وتراجمها. أم غلط الزيادة من إنجيل لوقا والتوراة السبعينية واليونانية. يا سيدي والكل يرجع وباله علينا.

القس: قد ذكرت الاعتذار عن هذا الاختلاف جمعية كتاب الهداية في الجزء الثالث صحيفة 212.

عمانوئيل: يا سيدي قد باحثهم في ذلك صاحب كتاب " الهدى " في الجزء الثاني صحيفة 36 – 38 فهل رأيت كتاب الهدى في هذا المقام أما أن اعتراضاته ميزان الحقيقة. أصحيح هذا القول مني يا سيدي؟

القس: نظر إلي متبسما وقال: رأيت اعتراضاته بإمعان. ولكن لا يسمح لي الوقت بأن أقول ما تقوله أنت. ولا عليك من تمجيد الكتاب وانظر إلى مجد المكتوب في العلم والشرف.

إجتماع مع واحد من علماء النجف

عمانوئيل: إجتمعنا مع شيخ من علماء النجف. الشيخ: أيها القس هل ينظر الروحانيون من النصارى في كتب العهد القديم التي ينسبها اليهود والنصارى إلى وحي الله. وفي كتب العهد الجديد التي ينسبها النصارى إلى الوحي وهل ينظرون في العهد القديم باللغة العبرانية لغته الأصلية. القس: لا بد لهم من هذا. هل يمكن لعلمائكم أيها المسلمون أن لا تنظروا في القرآن وهل يمكن لعلمائكم من العجم والترك والهند أن لا ينظروا في القرآن بلغته العربية. الشيخ: عجبا فإني وجدت كثيرا من روحانييكم كأنهم لم يقرأوا العهد القديم لا عربيه ولا عبرانيه.

القس: كمن هؤلاء من روحانيينا، فإن هذا شئ لا ينبغي أن يكون من الروحانيين. الشيخ: الذين اطلعنا عليهم من هؤلاء هاشم العربي. وجمعية كتاب الهداية. والمرسلون الأمريكان بمصر.

القس: كيف يكون ذلك. وهؤلاء علماء كتبة. تجردوا للدعوة والتبشير والكتابة في مقابلة المسلمين. وقد احتفل المسيحيون بكتاباتهم الراقية في هذا الموضوع وحيوهم بالاستحسان العام. الشيخ: أترى أن هؤلاء العلماء الكثيرين لم يقرأوا في توراتهم في العدد الثالث عشر من الفصل السادس والأربعين من سفر التكوين أن أحد أولاد يساكر بن يعقوب اسمه " شمرون ". ولم يقرأوا في العدد الثالث والعشرين من الفصل السادس والعشرين من سفر العدد أن من أولاد شمرون بن يساكر كان مع موسى عشيرة الشمرونيين وهم عدد كثير يبلغون الألوف.

القس: لا بد لهم من أن يقرأوا هذا في التوراة ويعرفوه منها.

السامري في العربية شمروني في العرانية وغيرها

الشيخ: إذن فلماذا لا يفهمون أن " السامري " المذكور في القرآن الكريم هو واحد من عشيرة الشمرونيين الذين كانوا مع موسى. فإن " سامري " في اللغة العربية تعريب " شمروني ".

القس: إنهم لا يعرفون أن سامري تعريب شمروني وإنما يعرفون أن " سامري " هو المنسوب إلى أرض السامرة المسماة باسم البلدة التي بناها " عمري " ملك إسرائيل بعد أيام سليمان بأكثر من خمسين سنة وسماها سامرة. فيكون بناؤها وحدوث النسبة إليها بعد واقعة العجل بنحو خمسمائة وسبعين سنة. فلأجل ذلك لا يمكن أن يكون سامري في أيام موسى، ولذا قالت جمعية كتاب الهداية في الجزء الأول صحيفة 37 : " إن ذكر السامري يدل على جهل تام بالتاريخ ويعلم توقيع البلدان ولا نعلم من أين أتى هذا السامري هل نزل من السماء أو طلع من الأرض – ولم يكن للسامرة في زمان موسى اسم ولا رسم " وقالت في الجزء الثاني صحيفة 55 : " لم يكن في عصر موسى شئ يقال له سامرة أو سامري فهو من التخيلات البعيدة المستحيلة كما يدل عليه تاريخ بني إسرائيل بل تواريخ العالم قاطبة). وقال هاشم العربي في تذييلاته المستقلة صحيفة 55: " لا يمكن أن يكون في بني إسرائيل على عهد موسى سامري وإن هذا المنعت لم ينعت به إلا بعد جلاء بابل ".. نعم يا شيخ إذا ثبت أن لفظ سامري هو تعريب شمروني فلا بد من أن نقول: إن السامري المذكور في القرآن هو من عشيرة الشمرونيين الذين كانوا مع موسى. فيسقط اعتراض أصحابنا.

الشيخ: عجبا أيها القس وأنت تقول هذا أيضا أفلا ترى أن المدينة التي تسمى باللغة العربية سامرة قد ذكرت في أسفار الملوك الأول، والثاني، وأشعيا، وأرميا، وعاموس، وميخا، وعزرا، ونحميا، أكثر من ستين مرة فلم تسميها في الأصل العراني إلا " شمرون " وكذا في التراجم اليونانية والانكليزية والفرنسوية بل في كل ترجمة ما عدا أغلب العربية والفارسية وكذا في تراجم إنجيل لوقا، ويوحنا، وأعمال الرسل. وذكر لفظا السامري والسامرية والسامريين في أناجيل متي ولوقا ويوحنا في نحو تسعة مواضع وكل ترجمة مما عدا العربية والفارسية تذكرها بلفظ شمروني ونحوه، انظر التراجم العرانية واليونانية والانكليزية والفرنسوية وغيرها. فلا ينبغي لمن يدعى العلم أن يجهل أن " سامري " تعريب " شمروني " وأنه ليس في الدنيا بلدة أو محل أو نسبة يقال لها في العرانية: سامرة أو سامري. فالسامري الذي في القرآن الكريم هو الشمروني المنسوب إلى شمرون بن يساكر لا إلى شمرون التي بناها عمري..ولا ينبغي للجاهل أن يفتح فمه ويجري قلمه بالجرأة القبيحة على القرآن الكريم. فإن الجاهل لا يستهزئ إلا بنفسه.

القس: إني أعرف ما تقوله من قبل ذلك وهذا الذي تذكره أنت قد وجدته أنا في العهدين في اللغة العرانية وسائر اللغات المختلفة ما عدا بعض النسخ العربية والفارسية، بل إن النسخ الفارسية بترجمة " وليم كلن " لم تذكر سامرة بل إنما ذكرت شمرون، وكذا في بعض التراجم العربية القديمة فمن الواضح وضوح الشمس أن سامري تعريب " شمروني " وأن السامري

الذي يذكره القرآن هو الشمروني من عشيرة الشمرونيين الذين تذكرهم التوراة في جند موسى. يا شيخ بعض صفات الانسان تفعل به وتفعل. فلا تتزعج من جرأة الجمعية والعربية على مجد قرآنكم. عمانوئيل. يا شيخ هل تسمح لي بأن أتكلم شيئا في هذا المقام بحرية تامة.

الشيخ: تكلم يا عمانوئيل بحرية من عبودية التعصب والتقليد الأعمى.

التوراة – وهارون – والعجل

عمانوئيل: إن القرآن يقول: إن الذي صنع العجل الذهبي الوثني ودعا بني إسرائيل لعبادته هو السامري " الشمروني "وهو من سبط يساكر ابن يعقوب. والتوراة تقول في الفصل الثاني والثلاثين من سفر الخروج ما ملخصه: إن بني إسرائيل قالوا لهرون. إجعل لنا آلهة يسيرون أمامنا فقال لهم: إنزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وأطفالكم وآتوني بها فأتوا بها إلى هرون فأخذ ذلك وصوره عجلا مسبوكا، فقالوا. هذه آلهتك يا إسرائيل، فلما نظر هرون بنى مذبحا أمام العجل " لإجراء رسوم عبادته الوثنية وتقديم قرابين العبادة له ". ونادى هرون غدا حج للرب. فاصعدوا في الغد على المذبح الذي بناه هرون محرقات وقدموا ذبايح سلامة فأجروا رسوم العبادة والحج للعجل كما أمرهم هرون.. يا شيخ وهرون هو أخو موسى من سبط " لاوي " لا من سبط يساكر. فكيف يصح ما في القرآن مع مخالفته للتوراة. الشيخ: لا أقابلك الآن بما في توراتك الموجودة من الخلل الداخلي والخارجي.. ولكن أقول لك: إن هرون أخا موسى إذا كان هو المؤسس في بني إسرائيل لضلال الشرك بالله. والعبادة الوثنية للعجل الذي صنعه كما تزعمون. فكيف يختاره الله نبيا ويكلمه بالشرايع بعد واقعة العجل كما تقول توراتكم. تارة، مع موسى كما في الفصل الحادي عشر والرابع عشر من سفر اللاويين والثاني والرابع والتاسع عشر من سفر العدد. وتارة، منفردا كما تكرر في الفصل الثامن عشر من سفر العدد..

وكيف يختاره الله لكرامة الكهنوت والامامة في الدين والشريعة ويخصه بالكرامات الكبيرة قبل واقعة العجل وبعدها. بل إن توراتكم تقول: إنه حينما كان هرون يصنع العجل ويدعو لعبادته والشرك بالله كان الله يكلم موسى في اختيار هرون للكهنوت والإمامة. وفي تقديسه وتمجيده في تفصيل ثيابه للكهنوت المقدس بكلام طويل ذكرته توراتكم في الفصل الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من سفر الخروج. يا عمانوئيل إن بين المكان الذي كلم الله فيه موسى في تقديس هرون وبين المكان الذي صنع فيه هرون العجل ودعا إلى عبادته لم يكن إلا مسافة ميل أو ميلين. فإذا قلت: إن الله جل شأنه لا يعلم بما صنع هرون. قلنا: إذن فلماذا دام بعد أن علم على تقديس هرون وتكليمه بالشريعة مع موسى ومنفردا. وإذا قلت. إن الله كان يعلم. قلنا: فكيف يختاره ويقدسه حينما كان هرون يؤسس العبادة الشركية الوثنية ويدعو إليها، وكيف دام الله على تقديسه واختياره وتكليمه.

سليمان والعهد القديم

عمانوئيل: كان الله حينئذ يعلم بعمل هرون وهو الذي أعلم موسى أن شعبه فسدوا وعملوا لهم عجلا وسجدوا له ودعوه إلها. كما نص على ذلك نفس الفصل الثاني والثلاثين من سفر الخروج. ولكن يا شيخ هذا لا يضر. فإن كتب وحينا المقدسة تذكر أن الله اختار سليمان ابن داود نبيا وأوحى إليه أسفار الحكمة. والجامعة. ونشيد الانشاد. وكرمه بأن جعل بناء بيت المقدس على يديه دون أبيه داود الذي كان يريد ذلك. وأظهر الله مجده بأن قال لداود كما في العدد السادس من الفصل الثامن والعشرين من سفر الأيام الأول: سليمان ابنك هو يبني بيتي وديباري لأني اخترته لي ابنا وأنا أكون له أبا " ونحوه من الفصل الثاني والعشرين من السفر المذكور. وفي السابع من سفر صموئيل الثاني.

هذا مع أن كتب وحينا المقدسة تقول كما في الفصل الحادي عشر من سفر الملوك الأول. إن سليمان خالف الشريعة وتزوج بالنساء المشركات فأمال قلبه وراء آلهة أخرى فذهب سليمان وراء عشتاروت آلهة الصيدونيين، وملكوم رجس العمونيين، وبنى مرتفعة لكموش رجس الموابيين، ولمولك رجس بني عمون، وعمل لسائر نسائه المشركات مثل ذلك. وكررت " كتبنا نسبة هذا العمل الإشراكي لسليمان في العدد الثالث عشر من الفصل الثالث والعشرين من سفر الملوك الثاني – يا شيخ فمقتضى كتب وحينا المقدسة أن الله يختار للنبوة والقداسة من يعلم أنه يشرك ويدعو إلى عبادة الأوثان ويبني لها مشاعر العبادة.

فحال هرون مع الله كحال سليمان. الشيخ: يا عمانوئيل لا تتزعج من المثال الذي أضربه لك. فإن الأمور تبينها أمثالها. إذا أراد واحد من الناس أن يجعل في بيته وكيلا مؤدبا ورقيبا على أزواجه وبناته وأخواته لكي يؤدبهن على الحياء والعفة ويمنع عنهن إفساد المفسدين والتهتك بالفحشاء. فهل يوكل عليهن امرأة يعلم أنها تكون زانية تغري نساءه على الزناء ودوامه. وهل يبقى على اختيارها وتمجيدها حتى إذا رأى تأثيرها في إغواء نساءه على الزنا. وحتى إذا رآها ناصبة على بيته راية القيادة للزنا لكي ترغب نساءه على تكرار الزنا ودوامه.

عمانوئيل: يا شيخ لقد أزعجتني من هذا المثال وقد اضطربت روحي من مجرد سماعه. الشيخ: هذا مثال ما في كتبكم التي تنسبونها إلى الوحي. هل أنت والناس أكمل من الله القدوس العزيز الحكيم. إذن فكيف ترضى أن يقال في جلال الله أنه يختار لإنقاذ عباده من الشرك والفساد رجلا يعلم أنه يشرك ويدعو إلى العبادة الوثنية ويعمل أوثانها ويبني مشاعر عبادتها؟ عمانوئيل: حقا تقول في كل ما ذكرت وأنا واثق بأن الكلام الذي يذكر هذه المتناقضات في شأن هروت وسليمان لا يمكن أن يكون من وحي الله والكتاب المقدس النبوي ولا من كتابة مؤمن عارف بجلال الله.

اليعازر: يا شيخ إن قرآنكم يذكر نبوة هرون ويقول. إنه عبد العجل حينما كان أخوه موسى على الجبل.

عمانوئيل: يا سيدي الوالد أين يقول القرآن ذلك، أما أن القرآن يبرئ هارون من ذلك فإنه يقول في الآية الثاني والتسعين والحادية والتسعين من سورة طه المكية (ولقد قال لهم هارون يا قوم إنما فتنتم به) يعني العجل (وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري * قالوا لن نبرح عليه عاكفين) في الآية المائة والخمسين من سورة الأعراف المكية عن قول هارون لموسى: إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء) الذين نهيتهم عن عبادة العجل (لا تجعلني مع القوم الظالمين).

فأين يا والدي قول القرآن: إن هارون عبد العجل.

كتاب ثورة الأماني للنصارى

اليعازر: أنا مارأيت القرآن ولكني اعتمدت في نقلي على كتاب ثورة الأماني في اهتداء كامل العيتاني المطوع بالمطبعة الانكليزية الأمريكانية بولاق مصر سنة 1911 وقد ذكر ذلك صحيفة 79.

عمانوئيل: يا والدي إنيرأيت هذا الكتاب والأقرب عندي أنه رواية من بعض المبشرين وقد افترى هذا الكتاب فيما ينقله على القرآن. كما افترى صحيفة 78 بقوله: إنا نقرأ في القرآن أن داود أخذ نعجة أخيه،وإن إبراهيم كان عابد وثن. يا والدي ها هو القرآن يذكر مسألة النعجة بين الخصمين الذين اختصما إلى داود فانظر إلى الآية الثانية والعشرين والثالثة والعشرين من سورة ص المكية: ويذكر أن إبراهيم ما كان من المشركين كما في سورة البقرة الآية 129 وآل عمران 60 و 89 والأنعام 162 والنحل 121 و 124.

اليعازر: كيف تقول: إن كتاب ثورة الأماني هو رواية لبعض المبشرين مع أنهم نصوا في الكتاب على أنه قصة حقيقة وكتبوا على ظهر الكتاب " الحق أغرب من رواية ".

عمانوئيل: يا والدي هذا الحق الغريب لماذا يكذب على القرآن ثلاث مرات كما ذكرناه. سامحنا مضادته للقرآن. ولكن لماذا يكذب على التوراة وينسب إليها النهي عن تكرار اسم الله في عباداته بذكره. انظر صحيفة 83 و 84 يا والدي إذا قالت التوراة في العدد السابع من الفصل العشرين من سفر الخروج. وفي العدد الحادي عشر من الفصل الخامس من سفر التثنية في الأصل العبراني " لا تشأ أت شم يهوه الاهيك لشو أكى لا ينقه يهوه أت أشير يشأ أت شمو لشوأ " فهل يا والدي تنهي بذلك عن عبادة الله بذكر اسمه العظيم. ألا وإن التراجم قد اضطربت في ترجمة هذا الكلام أشد الاضطراب. ففي جملة منها " لا تحلف باسم الرب إلهك كاذبا لأنه لا يزكي الرب من حلف باسمه كاذبا " وفي بعضها ما نقله كتاب ثورة الأماني " لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا لأن الرب لا يبري من نطق باسمه باطلا " يا والدي هب أن هذا هو الترجمة الصحيحة فهل يقول ذو شعور بأنه نهى عن تكرار اسم الله في عبادة الذكر والتسبيح. مع أن الترجمة الحقيقية هكذا " لا تعتمد اسم الله إلهك لسوء لأن الله لا يبرئ الذي يعتمد اسمه لسوء " يا والدي هل ترى الكاتب لهذا الكتاب والطابع له لم ينظروا في مزامير داود لكي يعرفا فضل تسبيح الله وإدمان ذكره: ألم يقرأ فيها أقلا: اهتفوا أيها الصديقون بالرب. لساني يلهج بعدلك اليوم كله بحمدك. يا سيد افتح شفتي فيخبر فمي بتسبيحك. رنموا بمجد اسمه. باسمك يبتهجون اليوم كله. إدعوا باسمه. إفتخروا باسمه القدوس.

إرحمني كحق محبي اسمك. إنما الصديقون يحمدون اسمك أبارك اسمك إلى الدهر وإلى الأبد. أسبح الرب في حياتي وأرنم لا إله ما دمت موجودا. سبحوه حسب كثرة عظمته.. يا والدي. أما إني إلى الآن ما سمعت أحداولارأيت كاتبا يعترض على كثرة ذكر اسم الله في عبادته وذكره جل اسمه إلا شبلي شميل في أواخر الجزء الثاني من كتابه. يا والدي وإن كتاب ثورة الأماني يعيب على المسلمين إدمانهم لذكر الله وتسبيحه وعلى الخصوص قولهم لا إله إلا الله فصار يستهزئ بهم في ذلك فدعه

يستهزئ ويكره ذكر اسم الله وتسبيحه وتوحيده. ولكن لماذا يكذب على التوراة. يا والدي أما أن الطابعين لهذا الكتاب وأمثاله قد جنوا علينا جناية كبيرة بطبع هذه الكتب ونشرها. وما عرفت صدقا في هذا الكتاب إلا قوله في صحيفة 87 بأن سر التثليث فوق عقولنا وأنا لا نستطيع فهمه. ولكن الكاتب كأنه لم يجد بركة في الصواب، فعد مما هو من وراء الاوراك. يوم الدين. ووجود ذات الله. وإزليته. وأنه علة كل علة.

وعلمه بكل شئ. وخلقه السموات والأرض. فيا للأسف على الشعور الديني. يا والدي لما سمعت بهذا الكتاب اشتقت إليه كثيرا وقلت في نفسي كتاب يكتب في اهتداء مسلم إلى النصرانية وينشره المبشرون لا بد من أن يكون فيه من الدلائل التي اهتدى بها كامل شئ رغم المسلمين على التنصر. ولما نظرت فيه وجدته مشتملا على الأكاذيب التي سمعتها. وإن كاملا دخل المكاتب وسافر في السفائن في سواحل اليمن وعمان ووصل إلى البصرة وباع نسخا من العهدين. ولم يتعد هذه الخطة. فأسفت على شوقي إليه واغتراري باسمه وصرفي وقتا في مطالعته. وكل هذا أهون من خجلي من المسلمين من أجله. الشيخ: يا عمانوئيل كيف وجدت مقدمة المؤلف للكتاب المذكور وتعريضه بالقرآن ورسوله صحيفة 3 ، يا عمانوئيل هل في القرآن ودين الاسلام أمور صبيانية وخرافات وضلالات منسدلة على أصل التوحيد وملتفة عليه منذ اثني عشر قرنا كما يقول كاتبكم هذا. هلموا واحضروا العهد القديم والجديد ونحضر القرآن ونجعل التوحيد الحقيقي حكما وننظر الخرافات الصبيانية والضلالات الوثنية أين تكون.

عمانوئيل: يا شيخ إن خجلي من هذا السؤال كثير وإن بعض الأخلاق تفعل بالانسان وتفعل. العفو يا شيخ أرجوا الاعراض عن هذا المسلك الذي قطع به السيد الوالد كلامنا. ولنعد إلى كلامنا الأول وسامحني في سؤالي.

خرافة الغرانيق

الشيخ: سل واستوضح لكي ترفع عن طريق عرفانك كل حجر عثرة.

عمانوئيل: إن نبيكم لم قرأ في مكة بمحضر المشركين سورة (النجم الآيتان: 18 و 19) وتلا قوله: (أرأيت اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى) قال على الأثر: " تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى " فكيف يا شيخ يبعث الله رسولا لدعوة الإيمان بالله وتوحيده وهو يعلم أنه يمجد الأوثان بمحضر المشركين ويقدسها بالصفات السامية. الشيخ: هل رأيت حكاية الغرانيق في القرآن. هل وجدتها في الأحاديث المتواترة. هل وجدت روايتها متصلة السند بالرجال الثقات إلى من شاهد الواقعة. هل وجدتها في جوامع المسلمين الصحاح أو الحسان. هل وجدت المسلمين يعترفون بها. هل وجدت رواتها مرضيين بالاتقان والديانة عند عموم المسلمين.

عمانوئيل: لم أجد شيئا من ذلك. بل وجدت جميع الشيعة من المسلمين يعدونها خرافة كفرية.

ومن أهل السنة يقول النسفي إن القول بها غير مرضي. ويقول البيضاوي إن القول بها مردود عند المحققين. ويقول الخازن في تفسيره: إن العلماء وهنوا أصل الفقه وذلك أنه لم يروها أحد من أهل الصحة ولا أسندها ثقة بسند صحيح أو سليم

متصل وإنما رواها المفسرون والمؤرخون " أي بعضهم " المولعون بكل غريب، الملفقون من الصحف كل صحيح وسقيم. والذي يدل على ضعف هذه القصة اضطراب روايتها وانقطاع سندها. وأنكرها القاضي عياض وقال نحو قول الخازن. وفي السيرة الحلبية إن هذه القصة طعن فيها جمع وقالوا إنها باطلة وضعها الزنادقة. وقال الرازي في تفسير هذه القصة باطلة موضوعة لا يجوز القول بها. وقال البيهقي: رواة رواة هذه القصة كلهم مطعون فيهم. وقال النووي نقلا عنه: وأما ما يرويه الإخباريون والمفسرون أن سبب سجود المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وآله هو ما جرى على لسانه من الثناء على آلهتهم فباطل لا يصح منه شئ لا من جهة النقل ولا من جهة العقل. وفي سيرة السيد أحمد دحلان أن قصة الغرانيق أثبتها بعض المحدثين والمفسرين ونفاها آخرون وقالوا إنها كذب لا أصل لها. والذين أثبتوها اختلفوا فيها والمحققون على أنها ليست من كلام النبي (ص) بل من كلام الشيطان ألقاها إلى أسماع المشركين ولم يسمعها المسلمون.

وقيل إن بعض المشركين نطق بتلك الكلمات في خلال قراءة النبي (ص). " يا شيخ "وإن من المفسرين من يريد أن يبين سعة اطلاعه ومعرفته بأسباب نزول القرآن فيتشبث لذلك حتى بالواهيات فذكروا قصة الغرانيق سببا لنزول قول القرآن في مكة في الآية الثانية والخمسين من سورة الحج مكية نزلت في مساء واقعة الغرانيق في السنة الخامسة من البعثة بالنبوة. مع أن سورة الحج مدنية بأجمعها كما هي رواية ابن عباس وابن الزبير وقتادة والضحاك وغيرهم. دع عنك الرواية ولكن سورة الحج لا يمكن أن تكون مكية فإن فيها ذكر الصد عن المسجد الحرام ولم يكن ذلك إلا بعد الهجرة. وفيها الأمر بالأذان بالناس في الحج وأنهم يأتون رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق.

ولم يكن ذلك إلا بعد الهجرة بسنين. وفيها الإذن بالقتال ولم يكن ذلك إلا بعد الهجرة. وفيها الأمر بالجهاد ولم يكن ذلك إلا بعد الهجرة. " يا شيخ " وقد رأيت ما ذكره من اضطراب هذه الحكاية وتناقض نقولها في الجزء الأول من كتاب الهدى صحيفة 124 إلى 128 وذكرت ما ذكرته هنا إضافته لذلك. الشيخ: يا عمانوئيل إذن كيف تقول: إن نبيكم قال: تلك الغرانيق العلى.

عمانوئيل: سامحني يا سيدي فإني في أول الأمر وجدت ذلك في كتاب جمعية " الهداية " المطوع بمعرفة المرسلين الأمريكان في الجزء الأول صحيفة 62 وقد أبدوها بصورة الحقيقة الواضحة حيث قالوا: قال ابن عباس وجميع المفسرين سواء كانوا متقدمين أو متأخرين. وساقوا الحكاية. ووجدت الحكاية أيضا في الرحلة الحجازية للشيخ غريب ابن الشيخ عجيب. وقال فيها قال المفسرون. فحسبت من ذلك اعتمادا على أمانتهم أن المفسرين والمسلمين قد أجمعوا على صحة هذه الحكاية. ولكن بعض الأمور نبهتني على أنه لا ينبغي الاعتماد على كل ناقل فتتبعت الحكاية فوجدتها خرافة باطلة كما شرحته لك.

وزيادة على ذلك وجدت كتب السير تصرح بأنها تروي الضعيف والسقيم والمنقطع والمعضل كما قاله الحلبي في أول سيرته، وقال في عيون الأثر: سيرة الحافظ والذي ذهب إليه كثير من أهل العلم التوخص أي التساهل في الرقائق أي أخبار المغازي والحكايات. وقال الزين العراقي:

وليعلم الطالب أن السوا تجمع ما صح وما قد أنكوا

الشيخ: يا عمانوئيل ما هو الذي نبهتك على عدم الاعتماد على نقل أصحابك.

الجمعية – هاشم العوبي – الغويب ابن العجيب

عمانوئيل: الذي نبهني هو ما ذكرناه صحيفة 5 و 6 من أن جمعية كتاب الهداية قالت: لم يقل الله في التوراة "وبارك الله في اليوم السابع وقدسه " مع أن هذا الكلام بعينه موجود في التوراة. وما ذكرناه صحيفة 21 من دعوى الجمعية المذكورة أن القرآن ذكر لفظ قابيل لأنه على وزن هابيل: مع أن هذين الاسمين لا وجود لهما في القرآن أصلا. ورأيت هاشم العوبي في الصحيفة الحادية عشر من الطبعة الأولى لتذييله لتعويب مقالة " سايل "والغويب ابن العجيب في رحلته صحيفة 97 يقولان: " وأيضا ورد في التكوين أن إسماعيل لما مات أبوه إبراهيم أتى فدفنه "وقدزادا من عندهما على التوراة لفظة " أتى "زيادة واضحة لأجل غرض فاسد، مع أنه لا توجد لفظة " أتى "ولا ما في معناها لا في الأصل العواني ولا في التراجم بأقسامها. وإنما الموجود في العدد الثامن والتاسع من الفصل الخامس والعشرين من سفر التكوين أن إبراهيم مات بشيبة صالحة شيخا وشبعان وانضم إلى قومه ودفنه إسحاق وإسماعيل ابناه في مغارة المكفلية. " الشيخ " إن تراجمكم تقول: " شيخا وشعبان أياما " فلماذا أسقطت أنت لفظة " أياما ".

عمانوئيل: يا شيخ هل تريد أن أكون مثل المترجمين أزيد على التوراة ما ليس فيها، أما أنه لا توجد في الأصل العواني لفظة " أياما "ولا معناها. ونص الأصل العواني هكذا " ويكت إبرهام بشيبة طوب زقن وشبع ويأسف أل عميو " ومعنى الكلام " شيخا وشبعان " أي غنيا. الشيخ: هل يوجد أيضا في التراجم زيادة اتفقت عليها مثل هذه الزيادة على الأصل العواني.

عمانوئيل: نعم يوجد ي خصوص أسفار التوراة الخمسة أكثر من ستين كلمة. قد أشرت إليها النسخة الثالثة المذكورة في صحيفة 19 فطبعت هذه الزيادات في أثناء التوراة بحرف صغير. ولكن هذه الزيادات منها ما هو تصحيح لنقصان عبارة التوراة. ومنها ما هو زيادة من عند المترجمين.

القس: عد إلى قراءتك يا عمانوئيل من حيث انتهيت.

خطاب الله لإبراهيم ع – واختلاف العهدين

عمانوئيل: قرأت حتى انتهيت إلى العدد الحادي والثلاثين وما بعده من الفصل الحادي عشر من سفر التكوين. فقلت: يا سيدي إن التوراة إلى الآن لم تذكر أحوال إبراهيم وإيمانه وتوحيده ونبوته وكلام الله معه حينما كان في بلاده فيما بين النهرين " الفرات والدجلة " ولم تذكر من أحواله إلا أن " تارح " أخذ إبراهيم ابنه ولوطا ابن ابنه وسارة امرأة إبراهيم فخرجوا من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان فأتوا إلى حاران وأقاموا هناك ومات تارح في حاران، ثم قالت في الفصل الثاني عشر ما ملخصه: وقال الله: لإبراهيم أخرج من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك.

فذهب إبراهيم وذهب معه لوطا وكان إبراهيم ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران فأخذ إبراهيم سارة ولوطا وكل مقتنياتهما والنفوس التي امتلكا في حاران، يا سيدي والعهد الحديد يقول في أوائل الفصل السابع من أعمال الرسل " ظهر إله المجد لإبراهيم وهو فيما بين النهرين قبلما سكن في حاران وقال له: أخرج من أرضك ومن عشيرتك إلى الأرض التي أريك، فخرج حينئذ من أرض الكلدانيين وسكن في حاران ".

يا سيدي هل كان الله خاطب إبراهيم فيما بين النهرين وأهملته التوراة وحولته إلى الخطاب في حاران؟ أم كان هذا الخطاب في حاران وحوله العهد الجديد إلى ما بين النهرين. لكن يا سيدي نفس الخطاب يبين أنه كان بين النهرين أرض إبراهيم ومحل عشيرته وبيت أبيه. فإن حاران ليست أرض إبراهيم ولا فيها له عشيرة ولا بيت أبيه بل كان هو وأبوه ولوط وسارة في حاران غرباء. يا سيدي فلماذا يكون مثل هذه في التوراة.

القس: يا عمانوئيل قد وقع ما لا تحب فاقرأ.

شك إبراهيم في التوراة – والكلام المشوش

عمانوئيل: قرأت حتى انتهيت إلى الفصل الخامس عشر وقرأت فيه من العدد الثامن إلى الثاني عشر وفيها " إن الله قال لإبراهيم: أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها، فقال: أيها السيد الرب. بماذا أعلم أني أرثها، فقال له: خذ لي عجلة ثلثية وعنزة ثلثية وكبشا ثلثيا ويمامة وحمامة. فأخذ هذه كلها وشقها من الوسط وجعل شق كل واحد منها مقابل الآخر وأما الطير فلم يشقه فنزلت الجوارح على الجثث وكان إبراهيم يزجرها ". فقلت: يا سيدي إن أعطاه الأرض من أناس لآخرين من الأمور العادية في الدنيا والله يقول له: أعطيك هذه الأرض لترثها فكيف يشك إبراهيم بوعد الله ويقول له: بماذا أعلم أني أرثها. أفلا يفيده وعد الله علما.

ألم يكن مؤمنا. هل جاءت الحية الصادقة الناصحة لإبراهيم كما جاءت لحوا وقالت له: لا ترثها بل إن هذا القول كالقول لآدم بأنه يوم يأكل من الشجر موتا يموت. يا سيدي دعنا من هذا.

ولكن ما هو محصل هذه العلامة التي أعطاها الله. " بقول التوراة " لإبراهيم لكي يحصل له العلم بصدق الوعد. أفلا ترى أن كلام العلامة هو دمدمة وكلام مبتور لا محصل لهولا فائدةولاربط. ولم يقل الله لإبراهيم: شق هذه الحيوانات ما عدا الطير فلماذا فعل إبراهيم ذلك. أهكذا يكون كلام اللهوالتوراة الحقيقية؟ حاشا الله ولكتبهولأنبيائه.

إيمان إبراهيم والحجة الواضحة في القرآن

القس: يخطر في بالي أنه جاء في القرآن في حديث إبراهيم مثل هذا الكلام فاقرأ ذلك من أواخر سورة البقرة.

عمانوئيل: فقرأت الآية 260 (وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا).

القس: كيف ترى هذا الكلام يا عمانوئيل.

عمانوئيل: أراه كلاما منتظم البيان تام الفائدة عظيم الحجة جاريا في مهم المعارف يحقق إيمان ويبين مجده بطلب الاطمئنان بتأييده المعلوم بالحسن. فإن إحياء الموتى أمر كبير يحتاج الاطمئنان في الإيمان به إلى التأييدات الحسية.

لكن يا سيدي كيف يذكر القرآن هذا والتوراة تذكر غيره على ما سمعته. مع أن اليهود والنصارى يقولون إن القرآن يأخذ قصصه من التوراة. فما هو سبب الاختلاف:

القس: السبب هو أن أحد الكتابين يكتب وحي الله الحقيقي فاجعل عقلك ميزانك. واقرأ.

الملاك – والله – والتوراة

عمانوئيل: فقرأت حتى بلغت العدد السابع إلى الرابع عشر من الفصل السادس عشر من التكوين في قصة " هاجر " وبشرى الملاك لها بإسماعيل وخطابه معها فقالت التوراة: "ووجدها ملاك الرب... فقال لها ملاك الرب ". وقال لها ملاك الرب مكررا وفي الأثناء "وقال لها ملاك الرب تكثرا أكثر نسلك ". فقلت: يا سيدي هذا القول لا يكون من الملاك فإن المكثر للنسل إنما هو الله لا الملاك فكيف تنسبه التوراة إلى الملاك. دع هذا ولكن التوراة تقول بتكرارها: إن الذي تكلم مع هاجر هو ملاك الله فكيف تقول بعد ذلك " فدعت اسم الله الذي تكلم معها " فما بال توراتنا لا تميز بين اللهوالملاك.

لقس: سترى في التوراة من مثل هذا كثيرا.

عمانوئيل: هل كثرة المشكلات تحل المشكل وهو كثرة الخطأ تجعله صوابا.

القس: لا. واقرأ من حيث انتهيت.

عمانوئيل: فقرأت إلى أن قرأت الفصل الثامن عشر والتاسع عشر والقس يسمع ويبتسم فتأملت في المضامين فتناقضت على زيادة على أني لم أقدر أن أدرجها في المعقول. فقلت: يا سيدي أنقذني بإفادتك. فإنك تسمع أن التوراة تقول كلاما ملخصة: " وظهر لإبراهيم يهوه (الله) فرفع إبراهيم عينيه وإذا ثلاثة أناسين؟ وقال إبراهيم: يا سيدي إن كنت وجدت نعمة في عينك فلا تتجاوز عبدك؟ ليؤخذ قليل ماء فاغسلوا أرجلكم فأخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم؟ وعمل لهم طعاما فأكلوا؟ وبشروا سارة بالولد فضحكت لأنها كانت عجوزا.

فقال الله لإبراهيم: لماذا ضحكت سارة؟ هل يعسر على الله شئ في الميعاد أرجع إليك ويكون لسارة ابن؟ ثم قام الأناسين نحو سدوم وكان إبراهيم ماشيا معهم؟ فقال الله: هل أخفي على إبراهيم شيئا. وقال الله: إن صرخة سدوم وعمورة كثرت، أنزل وأرى هل فعلوا حسب صراخها الآتي إلي وإلا فاعلم؟، فذهب الأناسين نحو سدوم؟ وإبراهيم بعد واقف أمام الله؟ " وذكرت خطاب إبراهيم مع الله في ذلك الموقف وخطاب الله معه إلى أن قالت: وذهب الله عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم.

ثم قالت في الفصل التاسع عشر: وجاء الملاكان الاثنان إلى سدوم. فاستقبلهما لوط وقال: ميلا إلى بيتي واغسلا أرجلكما فصنع لهما خبزا فطيرا فأكلا. وقال الأناسين للوط: "وأخبروه بإهلاك البلدة " ولما طلع الفجر كان الملائكة يعجلون لوطا. وتوانى فأمسك الأناسين بيده وأخرجوهم وكان لما أخرجوهم. قال: اهرب لحياتك. وقال لوط لهم: لا يا سيدي ها أنا عبدك وجدت نعمة في عينك. قد رفعت وجهك لا اقلب لا أقدر أن أفعل شيئا حتى تجئ إلى هناك؟؟ يا سيدي القس كيف يكون ظهور الله برؤية إبراهيم لثلاث أناسين؟

وكيف يخاطبهم إبراهيم بخطاب الواحد ويقول لهم: يا سيدي في عينك لا تجاوز عبدك؟ ثم يعود إبراهيم يخاطبهم خطاب الجماعة، أغسلوا أرجلكم. تسندون قلوبكم، وتقول التوراة: " أكلوا " يا سيدي من هم الذين أكلوا؟ هم بشر. أم ملائكة. أم هم الله جل شأنه. بدليل قول التوراة: " فقال الله لماذا ضحكت. في الميعاد أرجع إليك. وقال الله: هل أخفي. وقال الله: إن صرخة سدوم ". يا سيدي ما حاجة الله إلى النزول لكي يرى ولكي يعلم. أتراه لا يرى ولا يعلم إذا لم ينزل. فهو يسمع الصرخة ولكنه لا يرى ولا يعلم إلا أن ينزل. وأين هو لكي ينزل.

وأين ذهب الله بعد ما كلم إبراهيم. يا سيدي الأناسين الثلاثة كيف صاروا ملاكين اثنين. وكيف أكل الملاكان من ضيافة لوط. وكيف صاروا واحدا. وكيف يخاطبهم لوط بعد ذلك بقوله. يا سيدي. عبدك. عينك. ومن هو الذي يخاطبه لوط. ومن هو الذي يقول للوط رفعت وجهك. لا أقلب. لا أقدر أن أفعل شيئا. هل هو الله؟ وكيف لا يقدر.

القس: إن أصحابنا يقولون إن الأناسين الثلاثة هم أقانيم الله. فالله ظهر لإبراهيم بأقانيمه الثلاثة والله واحد ذو أقانيم ثلاثة. فإبراهيم يخاطب الله بخطاب الواحد لأن الله واحد، ويخاطبه بخطاب الجماعة باعتبار أقانيمه الثلاثة. عمانوئيل. لا أقول لهم عاجلا كيف يكون الله واحدا ثلاثة. فإنهم يقولون: أسكت يا عديم الإيمان هذا أمر وراء العقل والمعقول. وإني أؤخر الكلام في

هذا، ولكن أقول عاجلا: هل لأن إبراهيم يعلم بأن الله ظهر له بأقانيمه الثلاثة قال للأقانيم الذين هم الله: اغسلوا أرجلكم. تسندون قلوبكم. وأكرمهم بعمل الطعام.

وهل لأنهم أقانيم الله أكلوا من طعام إبراهيم. هل الله يأكل؟ ثم إن الأقانيم الثلاثة كيف صاروا عند لوط ملاكين اثنين. أين صار الاقنوم الثالث. أليس الثلاثة غير الاثنين والأقانيم غير الملائكة؟ هل من المعقول أن يكون الله أو أقانيمه أو الملائكة يأكلون؟

كرامة القرآن

يا سيدي إن التوراة التي نؤمن بأنها كلام الله أوردت القصة بهذه المتناقضات والأمور الخارجة عن حد المعقول – والقرآن الذي لا يؤمن به غير المسلمين أورد هذه القصة على النحو المعقول السالم من التناقض ومن كل ما يخالف العقل. كما تراه من الآية التاسعة والستين إلى الثالثة والثمانين من سورة هود المكية. وفي الآية الرابعة والعشرين إلى الآية السابعة والثلاثين من سورة الذاريات المكية.

فقد أوضح فيها أن الذين جاؤا إلى إبراهيم هم رسل الله من الملائكة وأنهم لم يأكلوا.

القس: قال وهو مبتسم: إن أصحابنا يقولون. إن " محمدا " أخذ قصص القرآن من التوراة بتعليم اليهود وغيرهم لأنه كان لا يقرأ ولا يكتب.

عمانوئيل: " محمد " إنما هو من عرب متوحشين وثنيين لا يميزون في الإلهيات بين المعقول وغير المعقول بل إن عبادتهم للأوثان جارية على غير المعقول فلو كان " محمد " يأخذ قصص القرآن من التوراة وتعليم اليهود لجاء بهذه القصة وغيرها على ما في التوراة من التناقض وغير المعقول وزاد عليها بالاضطراب ومخالفة المعقول حسبما تقتضيه وحشية قومه ووثنيتهم وقصورهم في المعارف. ألا.

وإني تتبعت قصص القرآن التي يقول اليهود وأصحابنا: إن محمدا أخذها من التوراة والانجيل وباقي كتب العهدين فوجدت قصص القرآن كأنها تصحيح لأغلاط قصص العهدين وتهذيب لها من مخالفة المعقول وتصفية لها من الخرافيات. أفليس هذا من العجيب المدهش. هذه كتب العهدين يؤمن أصحابنا بأنها كلام الله المقدس وهي مملوءة بما يزعج العقل والاستقامة. وهذا القرآن لا يؤمن أصحابنا بأنه كلام الله وهو الوحيد في موافقة العقل والاستقامة العظمى. وليت اليهود والنصارى لم يقولوا أن قصص القرآن أخذها " محمد ص " من العهدين، فإن هذا القول يحرك ويبعث على المقابلة بين قصص القرآن وقصص العهدين فيظهر مجد القرآن ظهور الشمس ونبقى نحن نتجرع غصص الخجل فهل تسمح لي بأن أقابل بحضرتك بين قصص القرآن وقصص العهدين.

القس: قد قابلت في درسك في قصة آدم والشجرة وإبليس. وفي قصة إبراهيم والطيور وفي هذه القصة.

ولعلما تجري المقابلة إذا استمر درسك. كن يا عمانوئيل إنك تتكلم بأمور كبيرة يسخطها عليك قومك.

عمانوئيل: قومي أهل الحق وحوية الضمير فما بالك يا سيدي لا تشفي نفسي بالبيان. تقوب الماء إلى فمي ثم تمسكه عني.

القس: أريد أن تقوب إلى الحق بسيرك لكي يسهل علي إرشادك. فاكتب كل ما مضى من درسك في دفتر قلبك لكي تكون أنت الذي تصفي حساب الحقيقة وإنك كالمعاون والله خير معين.

عمانوئيل. كتبت ما مضى في قلبي وأكتب بعون الله ما يأتي وأكتب كلماتك الذهبية في رأس الصحيفة بكتابة. ثابتة كالنقش في الحجر. ومع ذلك فإني أكتبه بقلم التحرير لكي يكون نموذجا للوائي وعوة... لكن بقي شئ وهو أن الفصل التاسع عشر يذكر في أواخره أنه لما قلب الله سدوم وعمورة وأنجى لوطا كان معه ابنتاه فسكن معهما في مغارة الجبل فتشاورت ابنتاه واتفقتا على أن تسقيا أباهما خمرا.

لكي تضطجعا معه ويواقعهما، فسقتاه خمرا واضطجعت معه الكبرة فواقعها وهو لا يعلم، وسقتاه في الليلة الثانية واضطجعت معه الصغيرة فواقعها وهو لا يعلم، فحبلت البنتان من أبيهما وولدتا. يا سيدي هل يمكن أن يكون مثل هذا من لوط البار وهل يذكر القرآن مثل هذه القصة للوط.

القس: توراتنا تقول قد كان ذلك،ولا أدري ماذا يقول وجدانك. والقرآن لا يذكر أمثال هذا. فاقرأ.

الختان في التوراة والعهد الجديد

عمانوئيل: فقرأت إلى العدد التاسع فقرأته إلى العدد الخامس عشر من الفصل السابع عشر وقلت ليس من الصحيح أن نتجاوز هذا المقام بدون أن تفيدني تحقيق الحال فيه. فإن هذا المقام يحقق أن الختان هو عهد الله مع إبراهيم ونسله ومتعلقيه، وإن الذكر الذي لا يختن يقطع من شعبه لأنه نكث عهد الله. يا سيدي فهل هذا خاص بإبراهيم ونسله وأتباعه. أم هو شريعة عامة وعهد الله مع جميع المؤمنين.

القس: هو عهد الإيمان وشريعة المؤمنين. ولأجل انحصار المؤمنين في ذلك الوقت بإبراهيم وأتباعه صدر الحكم لهم. وقد قررته شريعة موسى تقريرا مؤكدا وجعلته شرطا في عمل الفصح والأكل منه للدخيل في بني إسرائيل ومولود الأرض والعبد المبتاع شريعة واحدة. فانظر في الفصل الثاني عشر من سفر الخروج والثاني عشر من سفر اللاويين.

ودامت عليه الأنبياء والمؤمنون إلى ما بعد ميلاد المسيح بنحو خمسين سنة. و " بولس " الرسول نفسه يشهد في رسالة رومية في العدد الحادي عشر في الفصل الرابع بأن إبراهيم أخذه علامة أي ميرا وتسجيلا لبر الإيمان الذي كان في الغرلة.

عمانوئيل: إذن فما هو الذي أوجب رفع هذه الشريعة التي هي عهد الله وعلامة الإيمان.

القس: كتب العهد الجديد تقول أبطلها الرسل وبولس فيما بعد المسيح بنحو سبع عشرة سنة. أفلم تنظر إلى الفصل الخامس عشر من أعمال الرسل والكلمات المذكورة في الرسائل المنسوبة إلى بولس.

عمانوئيل: نظرت في الخامس عشر من الأعمال فوجدته لم يكتف بإبطال الختان فقط بل إبطال عامة الشريعة الموسوية التي أوصى المسيح في الانجيل بحفظها وكان مواظبا عليها يا سيدي ولم يستندوا في إبطالها إلى أمر إلهي.

بل استندوا إلى مجرد الاستحسان والتوهين لموسى وشريعته والتسهيل على الأمم. وأما الكلام الوارد في الرسائل المنسوبة إلى بولس في رفع الختان والشريعة فلم أجد فيه إلا دمدمة متناقضة وعيبا لشريعة موسى ولا يجد الانسان في ذلك أقل مقنع.

عبد المسيح في كتابه – والختان

القس. قال بعض أصحابنا: إن الله لما كان يريد أن يدخل من أولاد إبراهيم بني إسرائيل إلى مصر وهو يعلم أن الهوى يحملهم على ارتكاب الفواحش فجعل لهم الختان لكي تكون المرأة المصرية إذا نظرت إلى هذه العلامة والتشويه في جسده امتنعت عن زناه بها. إذن فلا حاجة إلى شريعة الختان بعد خروجهم من مصر.

عمانوئيل: هذا كلام عبد المسيح الكندي في الرسالة المكتوبة في زمان المأمون على ما يقال يريد بها الاعتذار عن إبطال الختان. ولو لم يعتذر لكان خوا لاحترامه لجلال الله وقدس أنبيائه.

أفلا يقال لعبد المسيح. إذا كان لا حاجة إلى شريعة الختان بعد الخروج من مصر فلماذا أكد الله شريعته في برية سينا بعد خروجهم من مصر بأكثر من سنة فكلم الله موسى بأن الذكر في اليوم الثامن من ولادته يختن في لحم غرلته كما في الفصل الثاني عشر من سفر اللاويين. ولماذا أمر الله يوشع، أن يختن بني إسرائيل الذين لم يختتوا في البرية فختنهم في " الجلجال " بين الأعداء وعرضهم لخطر الهجوم عليهم وقال الله: " اليوم قد دحرجت عنكم عار مصر "وهي " غرلة الشرك " كما في الفصل الخامس من كتاب يوشع وكان ذلك بعد خروجهم من مصر بأكثر من أربعين سنة.

ولماذا دام الأنبياء والمسيح ورسل المسيح على شريعة الختان إلى ما بعد المسيح بنحو سبعة عشر سنة فدامت شريعة الختان بعد الخروج من مصر بنحو ألف وأربعمائة وأربعين سنة. ولماذا لا يعتذر التلاميذ وبولس في رفع شريعة الختان بمثل ما اعتذر به عبد المسيح.. يا سيدي هذا أمر دبر بليل.

القس. إقرأ من حيث انتهيت يا عمانوئيل.

من هو ابن إبراهيم الوحيد

عمانوئيل: فقرأت حتى انتهيت إلى الفصل الثاني والعشرين وقرأت قصة امتحان الله لإبراهيم بذبح ولده. فقلت: يا سيدي إن التوراة ذكرت خطاب الله لإبراهيم ثلاث مرات بقوله: ابنك وحيدك وصرحت بأنه إسحاق. يا سيدي وهذا من المتناقض فإن إسحاق لم يكن الولد الوحيد بل كان أخوه إسماعيل موجودا معه وهو أكبر من إسحاق بنحو خمس عشرة سنة ولا يصدق لفظ الوحيد إلا في إسماعيل حينما لم يكن إسحاق مولودا.

القس: إن المسلمين يقولون: إن الله امتحن إبراهيم بذبح ولده إسماعيل وهو الوحيد.

عمانوئيل: أفلا نقول: إن المسلمين حولوا هذه القصة لإسماعيل لكي يحولوا فخرها بالتسليم لأمر الله وبالفداء لإسماعيل جد نبيهم وجد كثير منهم.

القس: إن التناقض الذي ذكرته في التوراة ووصف الولد بالوحيد يؤيد مزاعم المسلمين.

عمانوئيل: إن التوراة تصرح بأن الابن الوحيد هو إسحاق.

القس: إن سؤالك الأول يرجع إلى أن التوراة أخطأت بواحد من أمرين. أما أن تكون أخطأت بوصف الابن بالوحيد. وأما أن تكون أخطأت بتسميته إسحاق.

عمانوئيل: كيف يقع مثل هذا في التوراة.

القس: قد وقع. فإن التوراة لما تعرضت في الفصل السابع والثلاثين من التكوين لذكر الذين اشتروا يوسف من أخوته وباعوه في مصر. قالت في العدد 25 وإذا قافلة إسماعيليين مقبلة ليتوارا إلى مصر 27 فقال يهوذا تعالوا نبيعه للإسماعيليين 28 واجتاز رجال مديانيون تجار وباعوا يوسف للإسماعيليين فأتوا به إلى مصر 36 وأما المدانيون "وصححته التراجم. " المدانيون " فباعوه في مصر " لفوطيفار " خصي فرعون. قالت التوراة في الفصل التاسع والثلاثين. وأما يوسف فأنزل إلى مصر واشتراه فيها فوطيفار من يد الإسماعيليين الذين أنزلوه إلى هناك.

يا عمانوئيل فالتوراة سمتهم تارة: إسماعيليين، أي من أولاد إسماعيل بن إبراهيم من هاجر. وتارة: مديانيين، أي من أولاد مديان ابن إبراهيم من قطورة. وتارة: مدانيين. أي من أولاد مدان بن إبراهيم من قطورة أيضا. ثم سمتهم إسماعيليين. يا عمانوئيل هذا حال توراتنا. اقرأ من حيث انتهيت.

التوراة وبركة يعقوب وما جرى فيها

عمانوئيل: فقرأت حتى بلغت الفصل السابع والعشرين إلى العدد الأربعين ثم سكت. فتبسم القس وقال: كيف أنت لماذا سكت؟ فقلت لماذا سيدي أليس قد شاركني في التعجب؟ فقال

القس: لا عليك يا عمانوئيل. قل ما عندك: عمانوئيل: يا سيدي إن إسحاق النبي أراد أن يبارك " عيسو " ابنه البكر. ولا علينا أن ذلك بأمر الله ورضاه أو ليس كذلك. ولكن ما هو الداعي لأن يقول يعقوب لعيسو: " إذهب وصد صيدا واصنع لي منه أطعمة كما أحب حتى تبارك نفسي قبل أن أموت " وما هي الحاجة لأن يؤخر البركة إلى الشبع من الصيد. هل البركة لا تكون على الجوع؟ أو أنها لا تكون إلا برشوة. هذا هين.

ولكن التوراة تقول: إن " يعقوب " أخذ جديين من المعز وصنع منهما أطعمة، ولبس ثياب عيسو، وزور ملاسة يديه وعنقه

بأن جعل عليها جلد جدي لكي يكون مشعرا كعيسو. وقال لابيه إسحاق. أنا عيسو بكرك فعلت كما كلمتني، كل من صيدي. فقال إسحاق: هل أنت ابني عيسو فقال يعقوب: أنا هو. فأكل إسحاق من الصيد وشرب خمرا ثم بارك يعقوب ببركة الثروة القومية الروحانية.

فجاء عيسو إلى أبيه يطلب البركة التي وعده بها. فلما عرف إسحاق المكر من يعقوب ارتعد ارتعادا عظيما، وقال: من هو الذي بارکته نعم ويكون مبارکا. فصرخ عيسو وقال لأبيه: بم ارکني أنا أيضا. فقال: جاء أخوك بمكر وأخذ برکتك. فقال عيسو: أما بقيت لي برکة. فقال إسحاق: إني قد جعلته سيدا لك ودفعت إليه جميع أخوته عبيدا.

وعضدته بحنطة وخمر. فماذا أصنع، إليك يا بني. يا سيدي القس!. التوراة تقول: إن يعقوب خادع أباه وزور عليه، وكذب عليه بلسانه أربع مرات. فقل لي، هذه البركة هل هي مربوطة بمجرد كلام إسحاق وشبعه من الصيد والخمر وإن كانت على خلاف مقصوده وإن كان مخدوعا مغرورا. وليس لله في هذه البركة إرادة ولا حكمة، ولا نظر إلى لياقة. بل ينظر الله في بركته إلى لسان إسحاق وشبع بطنه من الصيد والخمر وإن جعلها إسحاق لخداع كذوب على ما تقول التوراة.

القس: لعل تحويل البركة إلى يعقوب كان بإرادة الله.

عمانوئيل: التوراة تقول: إن الله أوحى لموسى في التوراة قصص لوط وابنتيه. ودينة بنت يعقوب، وثامار كنة يهوذا، ومصارعة يعقوب مع الله. وأطال الكلام مع موسى في تفصيل ثياب هرون، وتلوينها، وأجراسها حينما كان هرون زعم التوراة يدعو إلى عبادة العجل. ودع عنك غير ذلك مما في العهدين من الفضول الفارغة. وفضائع الأنبياء وعائلات الأنبياء. أفلم يكن من الممكن أن يأتي الوحي إلى إسحاق من أول الأمر بأن يجعل البركة ليعقوب، ولا يترك يعقوب يكون مزورا كذابا، ولا تكون الأمور الإلهية والنبوية عرضة للاستهزاء. حاشا التوراة الحقيقية من أمثال هذا.

القس: وما عسى أن أقول لك عاجلا – إقرأ.

عمانوئيل: فقرأت حتى بلغت الفصل الثاني والثلاثين. وقرأت فيه العدد الرابع والعشرين إلى أن بلغت الحادي والثلاثين. هذا والقس، تارة يتبسم، وتارة ينتفض ى مزعجا. فقلت: ها هي التوراة تقول: إن يعقوب صارعه إنسان إلى طلوع الفجر. ولما رأى أنه لا يقدر على يعقوب ضرب على فخذه فانخلع. وقال الانسان ليعقوب أطلقني. قال. لا أطلقك إن لم تبارکني. فقال ليعقوب: لا يدعى اسمك يعقوب بل " يسرائيل " أي " يجاهد الله " لأنك جاهدت مع الله ومع الناس وقدرت. وسأله يعقوب عن اسمه فقال: لماذا تسأل عن اسمي وبارکه هناك. فدعا يعقوب اسم المكان " فنيئل " أي وجه الله. قائلا: لأني رأيت الإله وجها لوجه ونجيت نفسي. يا سيدي فالتوراة تصرح بأن الانسان الذي صارع يعقوب ولم يقدر على يعقوب هو الله الذي لم يطلقه يعقوب حتى أخذ البركة منه بالقوة والشجاعة كما أخذها من أبيه إسحاق بالمكر والكذب ولذا أعطاه الله وسام الشرف والغلبة بلقب " يسرائيل ". يا سيدي هل هذا من المعقول. ألا ترى هذه الكلمات تجعلنا معاشر الإلهيين الموحدين سخرية ومضحكة استهزاء للماديين والوثنيين. أفهكذا تكون الأمور الإلهية والنبوية. وهكذا يذكر كتاب الله.

القس: أمارأيتني عند قراءتك لهذه الكلمات تارة أتبسم وتارة أتوجع، اصبر الآن.

عمانوئيل: يا سيدي وأيضا إن الأصل العبراني يكتب "وجوها لوجوه" بالجمع والمترجمون يكتبونه "وجها لوجه" فهل ذلك لأجل أن كاتب العبراني غلط بإلحاق علامة الجمع وهي الميم إذ يكتب "فنيم أل فنيم".

القس: حقق في الكلمة التي قبل هذا في الأصل العبراني. عمانوئيل. فنظرت في الأصل العبراني وإذا الموجود فيه "كى رايتي الوهيم فنيم أل فنيم" أي لأنه رأيت الآلهة وجوها لوجوه – فقلت. يا سيدي كأنك تقول: ليس الغلط كتبيا بل هو غلط وثني إشراكي.

فتبسم القس وقال: أنت قلت: ذلك. إقرأ ولا تعجل. عمانوئيل. فقرأت وقرأت في الفصل الخامس والثلاثين قول التوراة: فظهر الله ليعقوب إلى قولها: وصعد الله عنه في المكان الذي تكلم معه – وسمى يعقوب ذلك المكان "بيت أيل" أي بيت الله – فقلت: يا سيدي ما بال التوراة تنسب إلى الله الصعود والنزول وهل الله جسم يصعد ويترل.

القس. وهل الله جسم يتمشى في الجنة ويسمع آدم صوت تمشيه – وهل الله جسم يصارع يعقوب ولا يقدر أن يتخلص من يعقوب؟

فلا تعجل بالسؤال. واقرأ. عمانوئيل. فقرأت في الفصل الثامن والثلاثين قصة زنا يهوذا بن يعقوب بكنته ثامار زوجة بكره "عير" حيث تعرضت لزناه بها فولدت منه ولدين "فارص وزارخ". فقلت: يا سيدي ما حاجة الوحي وكتاب الله إلى ذكر هذه الشناعة وتوهين بيت النبوة وشعب الله. والطعن ولادة الأنبياء الصالحين. كداود، وسليمان، والمسيح المولودين من ذرية فارص. وأيضا يا سيدي إن نفس التوراة في العدد الثاني من الفصل الثالث والعشرين من سفر التثنية تقول: "فكيف دخل داود في جماعة الرب مع أنه الجيل العاشر وكيف صار نبيا مقربا أوحى الله إليه الزبور.

القس: لا تعترض على كتاب الوحي بمثل هذا الاعتراض. فإن كتب وحينا تذكر أن "أمنون" بن داود عشق أخته ثامار بنت داود حتى زنا بها. وكان المرشد إلى طريقة الزنا "يوناداب" ابن أخي داود وقد سمع داود بذلك فلم يعامل أمنون بحدود الشريعة. بل إن النسخة السبعينية في ترجمة هذا المقام "وهو الفصل الثالث عشر من. كتاب صموئيل الثاني تقول. ولم يحزن داود روح أمنون ابنه لأنه أحبه لأنه بكره" ولما سمع داود أن أبشالوم شقيق ثامار قتل أمنون بكى بكاء عظيما وناح عليه كل الأيام. وتقول كتب وحينا: إن أبشالوم بن داود زنا بسراري أبيه ونسائه على السطح بمنظر بني إسرائيل ولما مات بكى عليه داود كثيرا بصراخ قائلا، من يجعل موتي أنا عوضا عنك يا أبشالوم ابني يا إبني. فانظر في سفر صموئيل الثاني في الفصل الثالث عشر.

والسادس عشر والثامن عشر. يا عمانوئيل وأما ما ذكرته كتب وحينا في قدس داود وما نسبته إليه من القصة الزنائية مع امرأة أوريا. والكيد مع أوريا وحكاية الحمل من الزنا فذلك مما تقشعر منه الجلود ولا يصدر من أكثر الفساق المتهتكين الخائنين. إلى الفصل الحادي عشر من صموئيل الثاني. فإني أحتشم قدس الأنبياء من مثل هذه الشفاعة. عمانوئيل. يا سيدي

كأنك تكذب ما نسبته كتب وحينا لداود. فهل عندك ما يكذب هذه النسبة لقدس داود.

القس: أفلا يكفي في تكذيبها أنها خلاف المعقول. كيف تنسى ما قاله الشيخ وما ذكره من التمثيل صحيفة 33 إن من يفعل مثل هذه الشنيعة كيف يكون نبيا يختاره الله لإرشاد عباده وزجرهم عن مثل هذه الأفعال وما دونها. هل يريد الله أن يجعل نبوته عرضة للاستهزاء. فيخالف مجده وحكمته على خط مستقيم.

عمانوئيل: يا سيدي هل عندك غير هذا.

القس: إن الزبور وحي الله يقول: في المزمور التاسع عشر بعد المائة عن لسان داود في خطاب الله " عن شريعتك لم أمل، أما أنا فلم أترك وصاياك، من كل طريق شر منعت رجلي لكي أحفظ كلامك، عن أحكامك لم أمل لأنك أنت علمتني، أما وصاياك فلم أضل عنها ". وإن إنجيل لوقا يقول: عن وحي الله لأم المسيح في تمجيد مستقبله: إنه يجلس على كرسي داود أبيه.. ولا بد من أن يزاد كرسي داود في التقوى والمقام القدسي. وهل يخفى عليك أن من تنسب إليه هذه الأفعال الشنيعة لا ينبغي أن يكون له كرسي مع كراسي الأتقياء. بل أن كرسيه مع كراسي الأشرار. فهل بمثل هذا الكرسي يمجد الله المسيح. حاشا.

عمانوئيل: ماذا يقول المسلمون وقرآنهم في هذا المقام فتبسم

القس: وقال ما أنت وهذا. فقلت: ماذا يضر. أوليس فيه معرفة تاريخية.

القس: يقول القرآن في شأن داود في سورة ص. (إنه أواب وإن له لزلفى وحسن مآب). نعم ذكرت هذه السورة مخاصمة الخصمين في حكاية النعاج فقط. ولكن بعض المسلمين يذكرون ما في كتبنا من القصة الزنائية أخذا لها من ألسنة اليهود لكن الشيعة والسنة يروون عن علي وزير نبيهم قوله: " من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهي حد الفرية على الأنبياء " فهذا علي إمام المسلمين يسمي هذه الحكاية: فرية. ومن خرافات القصاص، وجاء مثل هذا أيضا عن جعفر بن محمد وهو الإمام السادس من أهل البيت، وإن المسلمين يجعلون أمثال هذه القصة في شأن النبي من المخالف للمعقول، ويعيبون بها وبأمثالها على كتب وحينا. انظر إلى الجزء الأول من كتاب الهدى ص 102 إلى 105.

عمانوئيل: ثم استمررت في القراءة مغضيا عن أمور كثيرة حرصا على اغتنام الأمور المهمة في العاجل. فأتممت سفر التكوين، وشرعت في سفر الخروج وهو الثاني في التوراة.

إرسال الله لموسى والتوراة

فانتهيت إلى الفصل الثالث فقرأت فيه ما حاصله " إن موسى كان يرعى الغنم فجاء بها إلى حوريب. وظهر ملاك الله له بلهبة نار من وسط عليقة. وإذا العليقة تتوقد ولا تحترق. فمال موسى لينظر فلما رآه الله مال ناداه الإله من وسط العليقة. وقال له: أنا إله أبيك إله إبراهيم إله إسحاق إله يعقوب. فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الإله ".. يا سيدي ملاك الله الذي ظهر. هل هو الله والإله. أم غيره.

القس: ملاك الله غير الله. وكأنك تقول. إن التوراة تخلط وتخبط

بين الله والملاك. يا عمانوئيل أليس من الممكن أن نقول: إن الذي ظهر لموسى هو ملاك الله. والذي كلمه هو الله.

عمانوئيل. إذن فما معنى قول: التوراة. خاف أن ينظر إلى الإله.. فهل الإله جسم منظور.

القس: لا. الإله ليس بجسم ولا مرئي.

حاشا جلال الله من التعليم بالكذب

عمانوئيل: ثم قرأت أن الله قال: لموسى " إذهب واجمع شيوخ بني إسرائيل وقل لهم. الله إله آبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب ظهر لي قائلا: إني افتقدتكم وما صنع بكم. فقلت: أصعدكم من مذلة مصر إلى أرض الكنعانيين والحثيين والأموريين إلى أرض تفيض عسلا ولبنا ".. فقلت: يا سيدي القس إذن فقرار الله في وعده مع شيوخ بني إسرائيل بواسطة تبليغ موسى. هو أن يصعدهم من مذلة المصريين إلى فلسطين وشرقي الأردن.

ولكن يا سيدي ها هي التوراة تقول: على الأثر " فإذا سمعوا لقولك تدخل أنت وشيوخ بني إسرائيل إلى ملك مصر وتقولون له الله إله العبرانيين التقانا فالآن نمضي طريق ثلاثة أيام في البرية ونذبح للرب إلهنا ".. يا سيدي فإذا كان قوار الوعد مع موسى والشيوخ هو أن يصعد بني إسرائيل إلى بلاد فلسطين وشرقي الأردن فكيف يصح يا سيدي أن يأمر الله موسى وشيوخ إسرائيل بأن يقولوا لفرعون إن الله إله العبرانيين التقانا، والآن نمضي طريق ثلاثة أيام في البرية ونذبح لله ألهنا.. من ذا الذي التقى شيوخ إسرائيل ومتى التقاهم الله؟

وإنما كلم الله موسى وحده في حوريب وأمره بتبليغ بني إسرائيل. كيف يا سيدي يعلم الله بالكذب. وكيف يفتتح رسالته بهذا العمل الفاسد؟ والتوراة أيضا تقول في العدد الثالث من الفصل الخامس: إن موسى وهرون عملا بهذا الكذب.. يا سيدي وإن أقرب الموارد من فلسطين إلى "رعمسيس) منزل بني إسرائيل في مصر يزيد على مائتي ميل، وإن شرقي الأردن يبعد أكثر من مائتين وسبعين ميلا. وإن برية سينا تبعد أيضا بنحو مائتي ميل. فأين يكون طريق الثلاثة أيام لثقل العيال والأطفال المشاة والغنم والبقر.

القس. لا أعالجك بالجواب في هذا. فاقرأ.

لا خلف في وعد الله جل شأنه

عمانوئيل: فأتممت قراءتي الفصل الثالث وقرأت الفصل الرابع فإذا في التوراة ما ملخصه إن الله وعد موسى أن يمد يده ويضرب مصر بكل عجائبه وبعد ذلك يطلقهم فرعون. وإنه يسخر المصريين فيعيرونهم أمتعة الذهب والفضة والثياب فيسلبهم الإسرائيليون. وإنه يكون مع موسى وهرون ويعلمهما ماذا يقولان. وإن موسى ينظر جميع العجائب التي جعلها الله في يده ويضعها الله قدام فرعون. – وتقول التوراة: بعد ذلك أن موسى عند ذهابه إلى مصر بأمر الله ومواعيده أن الله التقاه وطلب أن يقتله فأخذت صفورة زوجة موسى صوانة وقطعت غرلة ابنها ومست رجل موسى بالدم فانفك الله عنه.. يا سيدي فأين مضت تلك المواعيد حتى أراد الله قتل موسى. وكيف فكه بمخادعة صفورة.

وتقول التوراة في الفصل الرابع أيضا ما حاصله: إن الله أرى موسى أيات العصا واليد البيضاء وأرسله إلى فرعون فاعتذر موسى من الرسالة بثقل لسانه فوعظه الله ووعده بأن يكون مع فمه ويعلمه ما يتكلم به. ومع هذا كله يقول موسى لله: أيها السيد أرسل بيد من ترسل. أفليس معنى هذا الكلام من موسى إني لا أثق بهذه المواعيد ولا أقبل الرسالة فانظر لك رسولا غيري.. يا سيدي فهل يكون رسول الله يكلم الله بهذه الخشونة وسوء الأدب.. والداهية الكبرى أن التوراة تقول هنا: إن الله قال لموسى: إن هرون يكون لك فما وأنت تكون له ألها.

وتقول أيضا في أول الفصل السابع: إن الله يقول لموسى. أنت تكون إلها لفرعون وهرون يكون نبيك.. فأين يكون ما سيأتي في التوراة من تعليم الله لموسى وبني إسرائيل أن لا يذكروا اسم آلهة أخرى غير الله ولا يسمع من فمهم.. فهل أقضي عمري في غصص هذه التواهي الموجودة في التوراة.

القس: يا عزيزي إن مجد الله وجلاله يلزم أن يعطي حقه من الوجوه المعقولة من دون ركون أعمى ولا تسرع بطرات الجهل المركب. وهذه التوراة ينبغي أن يوزن ما جاء فيها بميزان كتب العهد القديم فإن هذه الكتب يفسر بعضا فإن كتاب " أرميا " النبي يعده اليهود والنصارى في أجيالهم كتاب وحي ألهي وقد جاء فيه في الفصل الرابع في العدد العاشر ما نصه: " فقلت. آه يا سيدي الله حقا خداعا خادعت أنت الشعب هذا وأورشليم قائلا. سلام يكون لكم وقد بلغ السيف النفس ". وإن سفر الملوك الأول. وسفر الأيام الثاني يعتوهما اليهود والنصارى من كتب الوحي الإلهي. وقد جاء في الفصل الثاني والعشرين من الأول، والثاني عشر من الثاني ما حاصله إن النبي ميخا بن يملة قال: لا خاب الملك، إسمع كلام الله.

رأيت الله جالسا على كرسيه وكل جند السماء وقوف على يمينه وشماله. فقال الله. من يغوي أخاب. فقال هذا هكذا وقال: هذا هكذا وخرج الروح ووقف أمام الله وقال: أنا أغويه. فقال الله: بماذا. قال: أخرج وأكون روح كذب بفم كل أنبيائه. فقال الله. إنك تغويه وتقدر، اخرج وأفعل هكذا. يا عمانوئيل هذه كتب الوحي وإن أردت أن تزنها بالمعقول فذلك حقك وحق الحقائق. ولكن لا تعجل. وأيضا إن التوراة تقول في الفصل الثالث عشر من العدد: إن موسى (عليه السلام) كان حليما جدا أكثر من جميع الناس.

ولكنه بمقتضى نقل التوراة أيضا إنه قد يغلط كلامه مع الله ويبلغ سوء الأدب لوجه ليس من اللازم أن تزنه بالمعقول. فإن التوراة تذكر في العدد الثاني والعشرين من خامس الخروج أن موسى (عليه السلام) قال لله.

سيدي لماذا أسأت للشعب لماذا أرسلتني؟ وتذكر في العدد الثاني والثلاثين من الفصل الثاني والثلاثين من الخروج. لما عبد بنو إسرائيل العجل أن موسى (عليه السلام) قال لله: "والآن إن غفرت خطيئتهم وإلا فامحني من كتابك الذي كتبت ". وفي الفصل الحادي عشر من سفر العدد. إن موسى قال لله:

لماذا أسأت إلى عبدك. ولما وعده الله بأن يشبع بني إسرائيل من اللحم شهرا قال لله: ستمائة ألف هو الشعب وأنت قلت: أنا أعطيهم لحما ليأكلوا شهرا. أيذبح غنم وبقر ليكفيهم أم يجمع لهم سمك البحر ليكفيهم. حتى إن المزمور السادس بعد المائة يقول: إن موسى فرط بشفتيه.

عمانوئيل: يا سيدي إني سألتك سؤال المتحير فأجبتني بأمور زادت حيرتي وألقت على نارى حطبا. فليتك أوضحت لي مرادك من كلامك هذا.

القس. أين ذكاؤك. فاقرأ الآن عسى الله أن يفتح عليك.

عمانوئيل: فقرأت في سفر الخروج إلى الفصل الثاني عشر وإذا فيه. إن الله أمر بني إسرائيل أن يذبحوا الفصح ويلطخوا العتبة العليا والقائمتين من أبوابهم بالدم. لأن الله يختار ليضرب المصريين فحين الدم يعبر عن الباب. فقلت يا سيدي هل تقول: إن الله لا يعرف دور بني إسرائيل. بل يحتاج إلى علامة الدم لكيلا يشتبه. وكيف يجتاز الله وكيف يعبر.

القس: أكتب هذا الكلام مع أمثاله في دفترك.

إختلاف التراجم وتحريف بعضها

عمانوئيل: فقرأت حتى بلغت العدد السابع والعشرين من الفصل الثاني والعشرين. فقلت: يا سيدي إن الأصل العبراني يقول هنا: " الهيم لا تقلل ونسئ بعمك لاتأر " وترجمته: الإله لا تسب ورئيسا بشعبك لا تلعن.. ولكن التراجم تلاعبت هنا ما شاءت فاليونانية ذكرت بدل " لا تلعن " لا تقل سوءا واختلف ما عندنا من النسخ والتراجم التي عددناها صحيفة 19 و 20 ففي 3 و 4 و 5 لا تسب الله ولا تلعن رئيس قوم ونحوها النسخة 10 وفي النسخة 1 و 2 : لا تسب القضاء ورأس شعبك لا تعلنه، ونحوهما النسخة 7 و 8 و 9 .. يا سيدي كيف يترجم الروحانيون لفظة " الهيم " بالقضاء. ومن أين جاءت هذه الترجمة. نعم من يريد أن يؤله يتعمد هذا التحريف في ترجمته. يا سيدي إن التوراة العبرانية تقول في العدد الثامن والعشرين من هذا الفصل: " ملئتك ودمعك لا تأخر " ولكن التراجم كتبت هنا توراة جديدة بأشكال مختلفة تعرف بالمراجعة. لماذا يكون هذا؟

القس: قل أنت إلى الآن لم تعرف إجمالا لماذا يكون هذا. فلماذا تسأل. اقرأ.

الله ليس جسما مرئيا

عمانوئيل: فقرأت حتى بلغت العدد 9 و 10 و 11 من الفصل الرابع والعشرين وفيها " وصعد موسى وهرون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل فرأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العتيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة لكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا ". فقلت: يا سيدي القس هل الله جسم مرئي. وهل له رجلان كما وصفت التوراة.

القس: حاشا لله أن يكون جسما ومرئيا. ولكن يا عمانوئيل ربما يخطر ببالي أن هذه الحكاية موجودة في قرآن المسلمين.

القرآن ميزان الحقيقة

عمانوئيل: جاء في الآية الثانية والخمسين بعد المائة من سورة النساء: (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا: أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم) فإن إنزال الكتاب من السماء كبير في العادة وإن كان ممكنا عقلا. ولكن طلبهم لرؤية الله جهرة أكبر من ذلك لأن رؤية الله ممتنعة عقلا لأنه جل شأنه ليس بجسم ولا مرئي. وجاء في الآية الخامسة والخمسين من سورة البقرة في توبيخ بني إسرائيل. (وإذا قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون) أي تطلبون الرؤية أو تنظرون إلى الصاعقة. والآية 56 : (ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) فالقرآن يسفه القول برؤية الله.

القس: نعم يا عمانوئيل فاقرأ:

من الغلط في التوراة العوانية

عمانوئيل. فقرأت مغضيا عن أمور كثيرة والغم والضجرة والملل قد كدرت أوقاتي حتى وصلت إلى الفصل الحادي عشر من سفر اللاويين وإذا في العدد الحادي والعشرين. " إلا هذا تأكلونه من دبيب الطير الماشي على أربع الذي له كراعان فوق رجليه يثب بهما على الأرض ". فقلت: يا سيدي إن التوراة العوانية تقول. الذي لا كراعان على رجليه. وهذه عبارة العوانية " أشير لا كرعيم ممعل لرجليو " فكيف ترجموه بقولهم له كراعان. ولو كان كذلك في العوانية لقالت. أشير لو كرعيم.

القس: هذا الغلط متكرر في التوراة. ففي العدد الثلاثين من الفصل الخامس والعشرين من سفر اللاويين في حكم البلد المسور ما لفظه في التراجم العربية "وجب البيت الذي له سور " ونحو ذلك في باقي التراجم. ولكن التوراة العوانية كتبت " لا " غلطا عوض " لو " التي هي بمعنى له. فإنها تقول. "وقام هبيت أشير بعير لاحمه "..وأيضا في العدد الثامن من الحادي والعشرين من الخروج جاء في التراجم " الذي له خطبها " وفي العوانية " أشير لا يعده " أي الذي لم يخطبها. وفي جميع هذه الموارد قد صححت حواشي العوانية هذا الغلط وكتبت " لو " مكان " لا "وعلى هذا التصحيح جرت القراءة والتراجم. أنظر إلى حواشي التوراة العوانية فكم ترى فيها تصحيحا لغلط الأصل بتبديل حرف أو زيادة حرف أو نقصان حرف بمقدار يزيد على المائة مورد وعلى هذه التصحيحات جرت القراءة والتراجم.

عمانوئيل: كيف يكون هذا الغلط في كتاب الله بكتابة رسوله موسى. ومن أين جاء هذا الغلط الكثير الكبير. ومتى جاء. أوضح لي يا سيدي. حتى متى أصبر. تقول. أكتب في الدفتر، أكتب في الدفتر. كم ذا أكتب في الدفتر، ضاع الحساب.

القس. لا تعجل " ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا " إن صبرت وتحققت فأنا ضامن لك بأن الحقيقة ستكشف لك عن وجهها الواضح. من جد وجد. والقرآن يقول. (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا). سورة العنكبوت، الآية: 69.

عمانوئيل: عجبا يا سيدي أراك تتمثل بالقرآن.

القرآن المجيد ونبيه (ص)

القس: لماذا لا أتمثل بكتاب قد تكفيل ببيان الحكم، وفلسفة الحقائق، وحقائق الارشاد.

عمانوئيل: يا سيدي أراك تمجد القرآن كثيرا فهل تقول. بإنه وحي الله.

القس. لا أمجده من نفسي وإنما هو مجيد، قد أخذ بأطراف المجد، ولا علي أن أقول: لك إنه وحي الله. هو كتاب حكيم عليم، كتاب فائق بالحكمة، لا يدخل في باب إلا جلا حقائقه بأحسن جلوة. وإن كان صاحبه " محمد " نبي المسلمين من عرب وثنيين وحشيين ليس لهم أدنى حظ في الفلسفة والمعارف وآداب المدنية والاجتماع. " عمانوئيل " إذن فأين درس محمد العلوم جميعا، وإلى أية كلية هاجر حتى وعى في علومه وفلسفته.

القس: إن التاريخ يحقق أن محمدا كان أميا لا يقرأ ولا يكتب. ولم يبارح وطنه وقومه المتوحشين إلا بسنوات مع قومه إلى الشام للتجارة بأيام قليلة كما نشاهده في هبوط البدو من نجد إلى العراق للتجارة في أيام يسيرة فلم تكن لمحمد دراسة في العلوم.

عمانوئيل: يا سيدي قد ملأت قلبي من هذا البيان بأمر عظيم. ولكن يا للأسف إنك لا تسمح لي بالبيان الصريح،ولا تريحني بالمجاهرة في الكشف عن الحقيقة.

القس: ما عليك من هذا. اقرأ بكتاب التوراة واستوف دراستك فيها.

عمانوئيل: يا سيدي اقرأ في التوراة ولا أخطو خطوة في الدرس إلا وعثرت فيها على كفر أو خرافة،وأرى القرآن كما تقول، لا يدخل

في باب إلا جلا حقائقه بأحسن جلوة. فهل من المعقول أن يقول. إن التوراة كتاب الله،وإن القرآن كتاب بشر نشأ بين أناس وحشيين وثنيين لم يدرس من العلوم شيئا فجاء بكتابه بأعلى مراقي المجد في كل فن يخوض فيه الفيلسوف الإلهي. والمصلح الديني، والمصلح السياسي، والمصلح الاجتماعي، والحكيم البارع.

" القس " متبسما يا عمانوئيل ألم تقرأ في العهد الجديد المقدس في الفصل الأول في العدد 21 و 25 من الرسالة الأولى لأهل كورنتوش. إستحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة، أو بحماقة الكرازة، لأن جهالة الله أو حماقة الله أحكم من الناس.

عمانوئيل: يا سيدي إذا أعترض علي المسلم بمثل سؤالي لحضرتك فهل ترضى أن أجيبه بمثل جوابك هذا.

القس: هل ترضى أنت يا عمانوئيل.

عمانوئيل: لا يا سيدي.

القس: أجل فاجعل يا بني ميزانك عقلك واقرأ الآن عسى أن يفتح الله عليك.

جلال الله وقدس أنبيائه وأقوال العهدين

عمانوئيل: فقرأت حتى بلغت العدد الثاني عشر من الفصل العشرين من سفر العدد وإذا فيه. فقال الله: لموسى وهرون من أجل إنكما لم تؤمنا بي. فقلت: يا سيدي القس هل تسمع ما تقول توراتنا: تقول: إن موسى وهرون لم يؤمنا بالله. هل هكذا يا سيدي حال الأنبياء.

القس: وتقول التوراة أيضا في العدد الرابع عشر من الفصل السابع والعشرين من سفر العدد: إن الله قال لموسى وهرون في هذا المقام: "وعصيتما قولي ". وفي العدد الحادي والخمسين من الفصل الثاني والثلاثين إن الله قال لهما: "وخنتماني " ويقول الزبور في العدد الثالث والثلاثين من المزمور السادس بعد المائة. حتى إن موسى فرط بشفتيه. يا بني وإن أحد قسيسينا

وهو وليم أسمت قد ذكر في كتابه طريق الأولياء ما نسبته التوراة إلى الأنبياء من مثل هذه النقائص ونسب إليهم زلل الإيمان وقال يا أسفا إنه لا يوجد كمال في واحد من بني آدم غير الواحد العديم النظير – ويا أسفا إن هؤلاء المقربين عند الله يحتاجون إلى الوعظ قال. ذلك عند ذكر إسحاق حيث نسبت له التوراة الكذب.

عمانوئيل: يا سيدي القس إن وليم أسمت قد فاته شئ كبير فإن التوراة كما مر في قراءتنا فيها قد نسبت الكذب إلى الله جل شأنه في قصة نهيه لآدم عن الأكل من الشجرة وذكرت صدق الحية ونصيحتها وإنها أظهرت الصدق من الكذب. ونسبت إلى الله جل شأنه أنه افتتح إرساله لموسى بأن أمره أن يكذب هو وشيوخ بني إسرائيل على فرعون. يا سيدي وإن في العدد العاشر من الفصل الرابع من كتاب أرميا يقول. وقلت: آه يا سيدي الله حقا خداعا خادعت الشعب وأورشليم قائلا: سلام يكون لكم وقد بلغ السيف النفس. يا سيدي وقد تكرر في وحينا كما ذكرناه صحيفة 63 إن الله جل شأنه استعان بعد المشورة بروح الكذب واستعمله في الكذب والاغواء.. فكتبنا المقدسة تؤكد نسبة الكذب والاغواء والتعليم بالكذب إلى جلال الله. فأين وليم أسمت عن مثل هذا وأين موعظته وأين شعوره. يا سيدي ومن هو الكامل الوحيد العديم النظر. المذكور في كلام وليم أسمت.

القس: أليس هو المسيح عيسى.

عمانوئيل: إن إنجيل يوحنا يقول في الفصل السابع: إن المسيح لما قال له أخوته: اصعد إلى هذا العيد قال لهم: أنا لست أصعد بعد إلى هذا العيد ثم صعد إلى ذلك العيد بالخفاء. يا سيدي أليس هذا من الكذب ولو أن أناجيلنا اقتصرت على هذا لهان ولكنها نسبت إلى قدس المسيح أمورا عظيمة قد أحصاها علينا الجزء الأول من كتاب الهدى صحيفة 197 إلى 234 فأين وليم أسمت عن وعظ المسيح.

اليعازر: إني بكل فكرتي متوجه إلى ما تتأونه في توراتنا من الأول إلى الآن وبكل فكرتي متوجه إلى ما تتذاكرون به وقد ذكرتم أمورا عظيمة لا أقدر أن أنكر وجودها في توراتنا ولا يرضى وجداني بأن يكون مثلها في كتاب الله. يا سيدي القس فهل لنا مخرج من هذه الأمور العظيمة.

" القس " يا اليعازر إن ولدك المحروس الموفق عمانوئيل يبحث عن المخرج بنور الهدى وسيوفقه الله للصواب. أيا اليعازر ولا أريد أن تعتمد في الهدى على قولنا أو قول غيرنا: بل أريد أن تصغي إلى مذاكراتنا وتراجع وجدانك وتتبع هدى عقلك وإن عرض لك شك في مذاكرتنا فاستوضح الحال بالسؤال.

جرأة وسوء أدب

عمانوئيل: يا سيدي نشرت الصحافة أنه قد وجد كتاب مطبوع في يد تلميذ من تلامذة " الغزير " في صيدا ترجمه كتاب اسمه في الفرنساوية " مختصر تاريخ فرنسه " مؤلفوه جماعة من الأساتذة. يطلب من المكتبة الكاثوليكية في " ليون " و " پاريس ". وفيه كلام وحشي. ها هي ترجمته الحرفية. " العرب أصلهم من البلاد العربية اعتنقوا دين محمد الكاذب الذي فرض على أتباعه واجبا مقدسا وهو نشر دينه بقوة السلاح. الذين اتبعوا تعاليم نبيهم – الكاذب استولوا على قسم من آسيا وشمالي

أفريقيا واستولوا على إسبانيا. واخترقوا جبال البيرنية واجتاحوا غوليا ". يا سيدي هؤلاء الكاتبون لماذا لم يتأدبوا بأدب أناجيلهم أقلا؟ لماذا ضيعوا شرف الانسانية؟ لماذا يجاهرون بسب نبي المسلمين؟ ويسمونه " الكاذب " أين. ما يقول الانجيل: " وباركوا لاعنيكم " أين الأخلاق الأدبية يا سيدي إن نبي المسلمين بلغ أربعين سنة من عمره وجميع من يعرفه يسميه " الصادق الأمين " ولم يكذبه الناس إلا في دعوة التوحيد والاصلاح. بل إنه قضى عمره ولم يكذبه أحد من الوثنيين الوحشيين إلا في ذلك. فكيف يتجرأون على هذا الرجل العظيم والمصلح الكبير بهذا الشتم الذي يسخطه الدين والانسانية.

القس: ما أدري ما أقول في هؤلاء. ولكن عندي كلمة تلقيتها من معلومات التاريخ. وهي أن نبي المسلمين لم ينشر دينه بالسيف بل نشره

بلطف الدعوة. ولكنه لأجل شدة اضطهاد الوثنيين الوحشيين للموحدين المصلحين ذلك الاضطهاد الوحشي القاسي صار هو وأصحابه يدافعون عن توحيدهم وإصلاحهم حسبما توجبه حماية الحقوق فلم تكن حروبه إلا دفاعا على شروط الحكمة والمدنية وكرم العواطف ولم يكن في حروبه تهاجم ابتدائي عدواني ولم يكن في سلطته قسوة وحشية: يجنح للسلم ويرغب فيه ويرعي عهده. " اليعازر " يا ولدي لا تتزعج من قول هؤلاء فإنك قرأت قريبا أن كتب العهدين تنسب الكذب والتعليم بالكذب إلى الله جل جلاله وتنسب الكذب إلى الأنبياء والمسيح فهؤلاء الكاتبون قد اقتنوا بكتب وحيهم. ولنبي المسلمين أسوة بالله وأنبيائه ومسيحه. سواء كان الكذب مجدا أو نقصا.

القس: لا تتزعج يا عمانوئيل، ليس في هذا أهمية. إقرأ من حيث انتهيت.

ذبح النساء والأطفال في التوراة

عمانوئيل: فقرأت حتى بلغت الفصل الحادي والثلاثين من سفر العدد فوجدت أنه لما تغلب بنو إسرائيل على المديانيين وسبوا نساءهم وأطفالهم أمرهم موسى أن يقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة ثيبة أما الأطفال من النساء اللواتي لم يقربهن ذكر فإنهن يبقين حيات لهم وقد كن اثنين وثلاثين ألفا. فقلت: أيها السيد القس وأيها السيد الوالد هل سمعتما ما قرأته قالا نعم. قلت: إذا كان الأطفال من النساء اثنين وثلاثين ألفا فكم قتلوا من النساء والأطفال الذكور. يا سيدي القس قتل الأطفال والنساء هل هو شريعة من الله.

القس: يا عمانوئيل إن توراتنا تذكر في الفصل الثاني من سفر التثنية أن موسى عند ذكر استيلائه على الأموريين قال وحرمنا من كل مدينة الرجال والنساء والأطفال لم نبق شاردا. وعند ذكر استيلائهم على مملكة عوج إنهم حرموا كل مدينة الرجال والنساء والأطفال. ويفهم من العدد الرابع والعشرين من الفصل الحادي والعشرين أن عملهم هذا بأمر الله. وأيضا فإن توراتنا تصرح في الفصل العشرين من سفر التثنية أن الله أمر بني إسرائيل أن يحرموا مدن الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين واليبوسيين ولا يبقوا منها نسمة أصلا من البشر أو من البهائم.

وعلى ذلك جرى يوشع بن نون في حروبه كما تراه في سفر يوشع وأن المقتولين من الأطفال والنساء يزيدون على مئات الألوف.

عمانوئيل: يا سيدي إن هذه الشريعة تضحكني. بحماقتها بقتل البهائم وتبكيني بقساوتها بقتل الأطفال والنساء. يا سيدي الوالد هل يقبل وجدانك أن قتل الألوف الكثيرة من الأطفال يكون من شريعة الله.

اليعازر. حاشا لله أن تكون شريعته بهذه القسوة والفضاضة والوحشية ولكن ماذا أقول: وسيدي القس حاضر يسمع ولكن ليسمح السيد القس ببيان السبب الذي لأجله وقع هذا في توراتنا المقدسة.

القس. يا اليعازر كأنك نسيت الذي قرأناه وتحيرنا من وجوده في توراتنا فلماذا تسأل عن سبب هذا وحده. " اليعازر " قد نبهتني يا سيدي إذن فإني أسأل عن سبب الجميع.

القس: صبرا يا اليعازر فستكون أنت الذي يبين السبب. والساعات مرهونة بأوقاتها، أقرأ يا حبيبي يا عمانوئيل.

رحلات بني إسرائيل والتوراة

عمانوئيل: فقرأت حتى بلغت الفصل الثالث والثلاثين من سفر العدد في ذكر منازل بني إسرائيل على الترتيب من مصر إلى عبر الأردن حيث مات موسى عليه السلام فقلت: يا سيدي القس اسمع. إن التوراة تذكر أنه كان لبني إسرائيل من طور سينا إلى موسير خمسة عشر منزلا ومنازلهم بعد مسروت أبار بني يعقان ثم هور الجدجاد ثم يطباث ثم عبرونه ثم عصيون جابر ثم برية صين ثم قادش ثم جبل هور الذي مات فيه هرون ومن بعد جبل هور صلمونه ثم فونون ثم أوبوت ثم خربات عبريم ثم بعد المنزل الرابع منها نزلوا على أردن أريحا. وتقول التوراة: إن الله أفرز سبط لاوي لخدمة خيمة الاجتماع في منازلهم عند طور سينا كما في الثالث والرابع والثامن والسادس عشر من سفر العدد. ولا شك في أن كتابة لوحي العهد وإعطائهما لموسى في المرة الأولى والثانية كانت في طور سينا قبل ارتحالهم من ذلك المنزل.

القس. ما هو غرضك بهذا الكلام يا عمانوئيل.

عمانوئيل: سيعرف سيدي القس غرضي من هذا التمهيد ثم قرأت حتى بلغت الفصل العاشر من سفر التثنية وفيه أن موسى كان يتكلم في كتاب اللوحين في المرة الثانية وصعوده للجبل وصيامه أربعين يوما كالمرة الأولى. فقال في أثناء الكلام والقصة بلا ربط ولا سياق: " وبنو إسرائيل ارتحلوا من أبار بني يعقان إلى موسيرا هناك مات هرون وهناك دفن فكهن " اليعازر " ابنه عوضا عنه. من هناك ارتحلوا إلى الجدجود ومن الجدجود إلى يطباث أرض أنهار ماء ".

يا سيدي دع عنك التناقض في المنزل ولكن كيف تذكر التوراة أن هرون مات في جبل هور وكيف تذكر أنه مات في موسيرا قبل جبل هور بثمان منازل وما هو ربط هذه الكلمات بقصة اللوحين وإفراز سبط لاوي للخدمة عند جبل سينا. يا سيدي قد قدر على بني إسرائيل لأجل تمردهم أن يتيهوا في البرية فهل قدر أيضا على توراتنا أن تتيه في ربط الكلام وأسلوبه وترتيب المنازل والمحل الذي مات فيه هرون.

القس: حقا تقول: يا عمانوئيل إن في هذا المقام تشويشا ومناقضة كبيرة لما تقدمه. ولكن ماذا نصنع.

عمانوئيل: من الطرائف يا سيدي أن الترجمة المطبوعة سنة 1811 كتبت في هذا المقام توراتا جديدة فقال: وزاد في توراته حسبما شاء "ولما شفعني في هرون أقام إلى أن رحل بنو إسرائيل من بايروت بني ياعقان وموسيرا " إلى آخر الكلام.

وزاد على الأصل العبراني وسائر التراجم قوله: "ولما شفعني في هرون أقام إلى أن "ومع هذه الزيادة الأهوائية لم يصلح خللا. ولم يحصل ربطا للكلام. لماذا يصنع أصحابنا هكذا؟

القس: قد وقع ما تكره. فاقرأ.

النبي الموعود به في التوراة

عمانوئيل: فقرأت حتى بلغت الفصل الثامن عشر من سفر التثنية فوجدت فيه. " نبيا من وسطك من أخوتك مثلي يقيم لك الله إلهك له تسمعون ككل ما سألت من الله إلهك بحوريب بيوم الاجتماع قائلا: لا أعود أسمع صوت الله إلهي والنار العظيمة هذه لا أراها بعد ولا أموت، قال الله لي: أحسنوا الذي تكلموا، نبيا أقيم لهم من وسط أخوتهم مثلك وأعطي كلامي بفمه ويكلمهم كل الذي أوصيه ويكون الانسان الذي لا يسمع كلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه أما النبي الذي يطغي ويتكلم باسمي الكلام الذي لم أوصه أن يتكلمه والذي يتكلم باسم آلهة أخرى يموت النبي هو. وإن قلت بقلبك كيف أعرف الكلام الذي لم يتكلم به الله. الذي يتكلم به النبي باسم الله ولا يكون ولا يجئ هو ذلك الكلام الذي لم يتكلم به الله. بل بطغيان تكلم به النبي لا تخف منه ".

فقلت: يا سيدي القس إن في هذا الكلام علما كبيرا فهل يمكن لنا أن نعرف هذا النبي الذي أشارت إليه التوراة.

القس: يا بني إن العهد الجديد يخبر أنه المسيح. وقد أحتج بطرس بكلام التوراة على نبوة المسيح وإنه هو النبي المشار إليه كما في الفصل الثالث من أعمال الرسل في العدد الثاني والعشرين والثالث والعشرين. وكذا استفانوس كما في العدد السابع والثلاثين من الفصل السابع من أعمال الرسل فهل أنت يا عمانوئيل لا تصدق بذلك.

المسيح والأناجيل

عمانوئيل. إن أناجيلنا المقدسة لا تدعني أصدق بذلك: يا سيدي إن أنجيل متي يذكر 12: 40 عن قول المسيح: إنه يبقى في بطن الأرض بعد صلبه ثلاثة أيام وثلاث ليال. مع أن الأناجيل الأربعة تذكر أنه لم يبق في القبر إلا آخر نهار الجمعة وليلة السبت ويوم السبت وبعض ليلة الأحد فإن النساء جئن إلى القبر ليلة الأحد قبل الفجر فلم يجدنه في القبر وأخبرهن الملك بأنه قام من الأموات. يا سيدي: إذن فهذه أناجيلنا تقول: إن المسيح تكلم باسم الله بكلام ولم يكن ذلك الكلام ولم يجئ بل ظهر كذبه. وهذا علامة الله في التوراة للنبي الكاذب الذي يلزم أن يقتل. إذن فالمسيح يقول.

إنجيلنا هو غير النبي الذي وعد الله به. يا سيدي وأيضا إن أناجيلنا تقول: إن المسيح تكلم باسم آلهة أخرى. فإن إنجيل يوحنا يقول في الفصل العاشر: إن اليهود قالوا للمسيح: " إنك وأنت إنسان تجعل نفسك آلها. أجابهم أليس مكتوبا في ناموسكم أنا قلت: إنكم آلهة. إن قال: آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله ولا يمكن أن ينقض المكتوب ". يا سيدي وإن الانجيل بهذا الكلام نسب إلى المسيح القول: بتعدد الآلهة ودلنا باستشهاده بالمكتوب بالناموس أن هذا المستشهد لم يعقل كلام الناموس ولم يفهمه بل افترى عليه. فإن الناظر إلى المزمور الثاني والثمانين يعرف أن قوله: أنا قلت: إنكم آلهة إنما هو ورد مورد الانكار والتوبيخ على المتكبرين على الله برياستهم بين الناس بصورة الرياسة الروحانية..

يا سيدي وأيضا إن الأناجيل تنسب إلى المسيح القول: بتعدد الأرباب. ففي الفصل الثاني والعشرين من إنجيل متى والثاني

عشر من إنجيل مرقس والعشرين من إنجيل لوقا المسيح أنكر على اليهود قولهم إن المسيح ابن داود واحتج عليهم بأن داود يدعو المسيح بالروح ربا حيث قال في المزامير: قال. الرب لربي أجلس عن يميني فإذا كان داود يدعوه بالروح ربا فكيف يكون ابنه.

يا سيدي وإن الكتاب لهذه الكلمات لم يكتف بالكفر بالقول. بتعدد الأرباب بل حرف وافترى على المزامير فإن في أول المزمور العاشر بعد المائة في الأصل العواني. " نأم يهوه لادناي شب ليميني ".

وترجمته أوحى الله لسيدي اجلس ليميني فلم يقل لربي بل قال لسيدي: والسيد يجوز أن يكون من البشر وأين معنى السيد وأين معنى الرب، وإذا كان هذا التحريف هينا فما هو التحريف القبيح. يا سيدي القس فأناجيلنا تبين لنا أن المسيح ليس هو النبي الصالح الموعود به في التوراة بل مقتضاها وحاشا المسيح أنه هو ضد ذلك النبي الصالح. يا سيدي وهل يكون صالحا من يقول: بتعدد الآلهة والأرباب ويحرف الكتب المقدسة ويحمل ما فيها على غير معناه فيتقول عليها لكي يموه احتجاجه الإشراكي الواهي.

يا سيدي التوراة تقول: إن بني إسرائيل ارتعبوا من سماع كلام الله وما صادفوه في ذلك من أهوال العظمة والآيات والنار العظيمة وطلبوا من الله أن يكون كلامه بغير هذا النحو فأجابهم إلى ذلك وقال: إجعل كلامي في فم ذلك النبي. يا سيدي وبمقتضى العهد القديم والعهد الجديد إن المسيح ومن قبله من الأنبياء لم يجعل الله كلامه في فمهم كما كان يتكلم من الشجرة والجبل بل كان المسيح والذين قبله من الأنبياء يتكلمون بكلامهم المستند إلى الإلهام.

يا سيدي وكلام الله في التوراة يقول: إن ذلك النبي من أخوة بني إسرائيل لا من بني إسرائيل والمسيح باعتبار ولادته من أمه يكون من بني إسرائيل ولأولادهم لا من أخوتهم.

القس: يا عمانوئيل وماذا تصنع بقول: التوراة لبني إسرائيل من وسطك فإنه يقتضي أن يكون ذلك النبي من شعب بني إسرائيل ومن وسطهم.

عمانوئيل: يا سيدي الموجود في الأصل " مقربك " ولفظ الوسط يعبر عنه في الأصل العواني بلفظ " توك " ويكفينا صراحة التوراة المتكرر بكون ذلك النبي من أخوة بني إسرائيل.

القس: يا عمانوئيل إن تراجمنا المقدسة قد ترجمت قول التوراة: " مقربك " بقولها من وسطك ومن شعبك.

راكب الجمل وتحريف المترجمين

عمانوئيل: يا سيدي إن تراجمنا المقدسة ومترجمينا المقدسين قد وجدنا الأغراض تدفعهم إلى التحريف الواضح الفاضح. فمن ذلك يا سيدي ما ذكرناه من قولهم قال: الرب لربي ومن ذلك تحريفهم للعدد السابع من الفصل الحادي والعشرين من كتاب أشعيا في الوحي من جهة برية البحر فعمدوا إلى قوله. " زوج فرسان راكب حمار وراكب جمل " فحرفوه إلى قولهم: (أزواج فرسان ركاب حمير وركاب جمال " مع أن الأصل العواني يقول هكذا: " ورأه ركب صمد ركب حمور وركب جمل " فإن

لفظركاب بالعوانية "ركبيم "ومع الاضافة "ركبي " أنظر أقلا سفر القضاء في الأصل العواني 5: 10 و 10: 4 و 12: 14 ولفظ جمال " جمليم " أنظر أقلا سفر التكوين 12: 16 و 24: 30 و 31 و 35 ولفظ الحمير " حموريم " أنظر أقلا. تك 24: 35 وعد 31: 28 و 30 و 4 و 39 ولفظ حمار " حمور " أنظر أقلا. خر 22: 8 و 9 ولفظ الجمل " جمل " أنظر أقلا. لا 11: 4 وتث 14: 7.

القس. يا عمانوئيل هذا التحريف شئ عجيب وفي أي ترجمة وجدته.

عمانوئيل: يا سيدي في جملة من التراجم المطبوعة في بيروت وغيرها منها النسخة 3 و 4 و 5 من المذكورات صحيفة 20 نعم سلمت النسخة 8 و 9 من هذا التحريف.

القس: هل تظن السبب في إقدام هؤلاء المحرفين على هذا التحريف الفاضح.

عمانوئيل: يا سيدي إن هذا الكلام في كتاب أشعيا يشير إلى نبوة فائقة ورياسة دينية فكان المسلمون يقولون إن راكب الحمار هو عيسى المسيح وراكب الجمل هو محمد بني المسلمين فأبى بعض قومنا أن يكون للمسلمين مثل هذا التشبث فحرفوه إلى قولهم ركاب جمال. هذا الذي أظنه يا سيدي.

القس: يا بني يا عمانوئيل هذا التحريف لا يضر المسلمين بل ينفعهم. يا عمانوئيل دع هذا ولكن ما الذي عندك في معرفة النبي الذي أشارت إليه التوراة وقالت: إنه يقيمه الله موسى وما عندك من الحجة.

عمانوئيل: التفت أنا إلى والدي ثم قلت يا سيدي القس ما أنا وهذا إن كانت الحقيقة بنت البحث. ولكن المسلمين يجادلوننا بتوراتنا ويقولون إنها تشير إلى نبينا محمد.

يا سيدي ولما قلت لهم: إنها تشير إلى المسيح اعترضوا علي بما ذكرته لحضرتك ولم أجد لهم جوابا بل أبدوا زعمهم بأن نبيهم من أخوة بني إسرائيل لأنه من ولد إسماعيل بن إبراهيم كما يحفظه تاريخ العرب بين الملايين في أجيال متعددة ويؤيده إذعان القحطانيين بذلك.

ولو كان فيه أدنى شك لما اعترف القحطانيون بهذا الفخر للعدنانيين. وأيضا فإن محمدا هو الذي تكلم الله بفمه بالقرآن فإنه كله خطاب الله وكلامه نحو كلام الله لموسى وإسرائيل في جبل سينا وليس هو من نحو تكليم محمد لقومه كما زاه في تكليم الأنبياء لقومهم في كتب العهدين.

من أنباء الغيب في القرآن

وأيضا فإنه تكلم باسم الله في القرآن بأمور غيبية: كبرة فوقعت وجاءت على ما قال. " منها " عن قول الله تعالى في الآية الخامسة والتسعين من سورة الحجر المكية في أول الدعوة (إن كفيناك المستهزئين) فكفاه الله شرهم بأشرف الكفاية. " ومنها "

عن قول الله في الآية التاسعة من سورة الصف المكية: (ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) وكذا في الآية الثالثة والثلاثين من سورة براءة (التوبة) قبل فتح مكة – فأظهره الله على الدين كله أشرف إظهار –. "ومنها " عن قوله تعالى في سورة تبت في شأن أبي لهب وامرأته: الآيتان: 3 و 4 : (سيصلي نارا ذات لهب * وامرأته حمالة الحطب) فماتا على الشرك الموجب لدخول النار ولم يوفقا لتوحيد الاسلام المنجي من النار. والحاصل أنه لم يخبر في القرآن بشئ ولم يقع ذلك الشئ.

القس: يا عمانوئيل هل تنحصر حجة المسلمين بإشارة التوراة إلى النبي الذي يقيمه الله.

عمانوئيل: لا. يا سيدي. إن لهم الحجج الكبيرة الجلية. ولكنهم يجادلون اليهود والنصارى بما ذكرته التوراة.

اليعازر: أيها. يا عمانوئيل أراك تتكلم كمسلم متعصب.

ماذا تقول: يا سيدي القس أما تسمع عمانوئيل يقدح بنبوة المسيح وقدسه.

عمانوئيل: يا سيدي الوالد ما أنا والمسلمين وإنما أسعى لتثبيت ديني على الحق يا والدي وإن التعصب يكون بالكلام الكاذب الواهي. فهل ترى ذلك في كلامي. تجسس علي يا والدي بمراجعة كتب العهدين ونسخها. يا سيدي الوالد الرؤوف هل أنا تجرأت بالقدح بنبوة المسيح وقدسه أم هذه الأناجيل المقدسة هي التي اجترأت عليه وعلى نبوته وقدسه.

ما خفي عليك منها يا والدي أعظم وأعظم.

اليعازر: يا بني إنك تلقنت القدح بنبوة المسيح وقدسه من المسلمين والقرآن فماذا أصنع بعد.

القرآن – والمسيح – والتثليث

عمانوئيل: العفو يا سيدي الوالد ما أنا والمسلمين والقرآن. ولكن الحق يقال والانصاف جمال الانسان وشرفه. إن القرآن هو الذي يمجد المسيح ورسالته من الله بأحسن التمجيد ولم يلوث قدسه بشئ مما لوثته به الأناجيل وكأنه صحح أغلاط الأناجيل في شأن المسيح. نعم ينتقد القرآن على النصارى عقيدة التثليث الوهمي البوذي الروماني ويبرئ المسيح من التلوث بهذا التثليث.

اليعازر: إن كان ما تقول: حقا فالقرآن إذن شريف المكالمة إذ يحترم قدس السيد المسيح. وأما عقيدة التثليث فإن وجداني لا يقبلها منذ حداثتي. ولكن ساداتنا القسوس يعلموننا بأن نؤمن بها إيمانا أعمى ولا يرضون لنا أن نراجع وجداننا فيها وترنها بالمعقول فآمنا بها إيمانا بسيطا.

العفو يا سيدي القس فإني لا أتعقل أن يكون الله واحدا ذا ثلاث أقانيم الأب السماء، والابن الإله المتجسد في الأرض يجوع ويعطش

ويحزن ويكتئب ويقتل. والروح القدس يصعد وينزل وينقسم على التلاميذ. وإن هذه الثلاثة واحد والواحد ثلاثة. العفو يا سيدي القس أنا تاجر أعرف أبواب الحساب فكيف أذعن بأن الواحد الحقيقي ثلاثة والثلاثة المختلفة في الصفات والآثار تكون واحدا حقيقيا. يا سيدي على أني من عوام الناس لا أتعقل معنى صحيحا لتجسد الإله. فهل من الممكن يا سيدي أن تفهمني هذه

الأمور لكي أؤمن بها إيمانا عن بصيرة وتعقل.

القس: يا عزيزي اليعازر لو كان ما طلبته من الممكن لفهمك به قسوسنا القديسون ولم يأمروك بأن تؤمن بهذه الأمور إيمانا بسيطا.

اليعازر: يا سيدي هل تأذن لي أن أبقى على هذا الإيمان البسيط.

القس: يا عزيزي يا اليعازر لماذا تستأذن مني وأنا مخلوق مثلك ولكن استأذن من إله الحق بدلالة عقلك ووجدانك وحبك لنجاة نفسك من الهلكة. صوا يا اليعازر.

اليعازر: يا سيدي كم أصبر أنا تاجر إذا استحق سندي على المديون لا أصبر عليه فكيف أصبر في ديني الذي به نجاتي.

القس: يا عزيزي يا اليعازر إذا قال: لك المديون يا أبا عمانوئيل الوقت ليل مظلم وأنت في كسل النوم والطريق مغشوش. وهواهمك معي ولكن اصبر إلى ضوء الصباح وصحوك من الكسل لكي تتقد هواهمك تعرف الصحيح من المغشوش وتتقن حسابها وها أنا معك إلى الصباح لا أفارقك حتى أعطيك تماما فهل تشكر هذا المديون أم تذمه.

اليعازر: يا سيدي أشكره على نصيحته ومعرفته أحسن الشكر.

القس: إذن يا اليعازر أمهلني واستمع إلى مكالمة ولدك عمانوئيل معي.

عمانوئيل: إن كلام القس مع والدي قد أنعشني وأفادني روح حياة واطمئنان بسلامته عن التعصب ولكنه أضرم بقلبي نار الشوق إلى طي المراحل بالبحث، فلعلي أصل إلى الحقيقة بوقت قريب.

القس: اقرأ يا بني يا عمانوئيل من حيث انتهيت. واسمع أنت يا عزيزي اليعازر.

التوراة ومن يقول لم أجد لزوجتي بكارة

عمانوئيل: فقرأت حتى بلغت الفصل الثاني والعشرين وإذا فيه إذا تزوج الرجل فتاة وقال: لم أجد لها عذرة يأخذ الفتاة أبوها وأمها ويخرجان علامة عذرتها إلى شيوخ المدينة ويبسطان الشملة أمامهم فيؤدب شيوخ المدينة ذلك الرجل ويغرمونه مائة من الفضة لأبي الفتاة وتكون له زوجة لا يقدر أن يطلقها كل أيامه. وإن كان الأمر صحيحا لم توجد عذرة للفتاة يرجمونها بالحجارة حتى تموت لأنها عملت قباحة بزناها.

القس. هل تجد يا عمانوئيل في هذه الشريعة شيئا تبحث فيه.

اليعازر: يا سيدي القس أنا وأنا من العوام أعرف أن هذه الشرايع الجائرة لا تكون من الله. يا سيدي ما هي علامة العذرة التي يخرجها أبو الفتاة أليست هي قليل دم على الشملة. فهل يعسر يا سيدي على أم الفتاة وأبيها أن يأتي بشملة عليها شئ من دم عصفور ونحوه ليرفعا عنهما العار ويكسبا مائة من الفضة ويلقيا بنتهما طوق بلاء في عنق الرجل إلى آخر أيامه.

فهل يجعل الله ميزان أحكامه مثل هذه العلامة الفاسدة؟ يا سيدي وهب أنه لم توجد للفتاة عذرة لماذا تزجم بالحجارة إلى أن تموت؟ ولماذا تعتبر زانية أليست العذرة غشاء رقيقا في الفرج تخرقه الطفرة الشديدة والحركة العنيفة ودم الحيض المصرف لها، وكثير من العوارض. فكيف يحكم على البريئة المسكينة بأنها زانية وترجم حتى تموت بمجرد أنها لم توجد لها عذرة. يا سيدي كيف يرتب الله هذه الشرائع القاسية على ميزان غير معقول.

القس: يا اليعازر أراك تعترض على التوراة التي ينبغي أن تمجدها وتحترمها.

اليعازر: يا سيدي القس إنما يلزمني أن أمجد الله وشريعة الحق ومن ذلك يلزمني أن أعترض على ما ينافي مجد الله وعدله وحكمته. يا سيدي أنا عبد الله لا عبد الأوراق المكتوبة التي تعارض مجد الله.

التوراة والطلاق

القس: يا بني يا عمانوئيل اقرأ من حيث انتهيت فقرأت حتى بلغت الفصل الرابع والعشرين. فقلت يا سيدي القس ها هي التوراة تقول: " إن الرجل إذا تزوج امرأة ولم تجد نعمة في عينيه لأنه وجد بها عيب شئ أو كلام وكتب لها كتاب طلاق وأخرجها من بيته. يا سيدي فما بالنا معاشر النصارى نحرم الطلاق ونقبحه.

القس: يا بني يا عمانوئيل إن أناجيلنا تذكر أن سيدنا المسيح نهى عنه وقبحه واحتج على تقبيحه وإن أردت أن تتكلم في هذا فدع الكلام إلى أن تصل إلى قراءة الأناجيل، فاقرأ يا بني في التوراة.

زوجة الأخ والتوراة

عمانوئيل: فقرأت حتى بلغت الفصل الخامس والعشرين فقرأت ما حاصله أنه إذا سكن أخوة معا ومات واحد منهم وليس له ولد فإن امرأته يتزوجها أخوه. والبكر الذي تلده يقوم باسم أخيه الميت ويحسب له ولدا. وإن لم يرض الرجل أن يأخذ امرأة أخيه تشتكي عليه المرأة عند شيوخ بني إسرائيل فإن أصر على الامتناع تتقدم أمام أعين الشيوخ وتخلع نعله من رجله وتتفل في وجهه، ويدعى اسمه في إسرائيل بيت مخلوع النعل.

اليعازر: الحمد الله الذي لم يجعلني يهوديا ذا أخوة كثيرة. وإلا كنت أخاطر أن يكون وجهي غريق التفلات من النساء الصلفات العديمات الحياء.

عمانوئيل. يا سيدي القس ما هذه العادة الوحشية الفظة الشنيعة الهاتكة لناموس الأدب والحياء والشرف، الواسمة بالعار مع أنها لا فائدة فيها إلا زور وكذب لا مساس له بالحقيقة. وكيف يكون البكر من هذه المرأة يقوم باسم الميت. وإن مثل هذا الابقاء لاسم الميت يقوم بتزوير آخر فلا ضرورة إلى جعل الرجل بين خطرين. وأما الشناعة وانهدام شرفه بالمرأة القبيحة من امرأة متهتكة. وأما التقييد بامرأة لا يريدها، وربما كان يتمنى خلاص بيتهم منها ولو بموت أخيه. يا سيدي حاشا الله وحاشا موسى

وحاشا التوراة من هذه الشريعة التافهة السخيفة المشبهة للعوائد الهمجية.

القس: يا عمانوئيل لا تطل لسانك هكذا على توراتنا المقدسة.

اليعازر: العفو يا سيدي فإن هذه التوراة هي التي تطيل اللسان وتقهر الانسان على مثل هذا الكلام وليتك لم تحضوني عند القراءة.

القس: سيفتح الله عليك يا اليعازر.

عمانوئيل: يا سيدي هل لهذه الشريعة أثر فيما قبل التورية.

القس: أما التفلة في الوجه وخلع النعل فلا أعرف لهما أثرا. ولكن تزوج الرجل بامرأة أخيه ليقيم لأخيه نسلا. تذكر التوراة أن له أثرا يرضاه الله ويسخط مخالفته قد كان من زمان يعقوب ويهوذا ابنه. ففي الفصل الثامن والثلاثين من التكوين أن " عير " ابن يهوذا مات فقال يهوذا: لابنه الآخر " أونان " أدخل على امرأة أخيك وأدخل بها وأقم نسلا لأخيك.

فعلم أونان أن النسل لا يكون له فصار عند مجامعتها تزل على الأرض فقبح بعين الله ما فعله.

عمانوئيل: هل هذا في زمان يعقوب شريعة إلهية.

القس: ما كل ما هو موجود في التوراة تسألني عن صحته. ألم تقرأ في سفر التكوين ما يؤدي إلى أن الله كذب على آدم وأن الحية صدقت وبينت هذا الكذب كما مر في صحيفة 7 و 9.

عمانوئيل: يا سيدي هل كانت شريعة إلهية قبل شريعة التوراة.

القس: متبسما، صرح بعض أصحابنا ومنهم جمعية الهداية المطوع بمعرفة المرسلين الأمريكان فقالوا في الجزء الرابع صحيفة 167 و 168 و 169 ما حاصله أن القدماء من آدم وإبراهيم كانوا يجرون على العوائد ولم تنزل عليهم شريعة ثم نسخها موسى بل اصطلحوا على عادات للجريان عليها في هذه الدنيا.

عمانوئيل: يا سيدي هل رأيت كتاب الهدى ص 242 و 243.

القس: نعم ويا للخجل ويا للأسف من جهل أصحابنا بكتبهم أو من شدة تعصبهم فإنه يكفي في توبيخهم ما ذكره العدد الخامس من الفصل السادس والعشرين من التكوين عن قول الله لإسحاق: " من أجل أن إبراهيم سمع لقولي وحفظ ما يحفظ لي أوامري وفرائضي وشرايعي. وفي الأصل العبراني " ويشمر مشمرتي مصورتي حقوتي وتورتي ".

عمانوئيل: يا سيدي ما هو الذي أقحم أصحابنا في هذه الورطة الكبرة.

القس: لما كان بعض شرايع القرآن ينسخ شرائع التوراة والشرايع المنسوبة إلى الرسل وبولس فحاول أصحابنا أن يدعوا أن نسخ الشرايع الإلهية من المستحيل لكي يسقطوا شرايع القرآن بكونها من المستحيل في الديانة. ويا ليتهم لم يقتحموا هذه الواهيات.

عمانوئيل: يا سيدي هل رأيت كتاب إظهار الحق وكتاب الهدى صحيفة 235 إلى 321.

القس:رأيته فكثر أسفي على ورطات أصحابنا.

عمانوئيل: إذا كان نسخ الشريعة مستحيلا في الدين فماذا يوجد عند النصارى من شريعة التوراة التي ثبتها المسيح والانجيل وأوصانا بحفظها. ولماذا أبطلها كتاب أعمال الرسل والرسائل المنسوبة إلى بولس بلسان الاستهزاء.

القس: اسألهم عن ذلك ولا تسألني.

اليعازر: هذا أمر كبير وبحث مفيد فلماذا لا نتعرض له فإن فائدته في الدين عظيمة مهمة. عمانوئيل. ستسمع شيئا من ذلك ولعلك تسمعه تفصيلا حينما نتعرض لحال أعمال الرسل والرسائل المنسوبة إلى بولس.

العمل بالتوراة

عمانوئيل: فقرأت إلى الفصل الثالث والثلاثين فقلت يا سيدي إن موسى يشدد بالعمل بجميع كلمات هذه التوراة أنظر أقلا تث 31: 12 و 32: 46 وحفظ الوصايا والفرائض المكتوبة في سفر الشريعة وإن الذي لا يعمل بها تأتي عليه جميع اللعنات تث 28: 15 .وإن من لا يقيم كلمات الناموس ليعمل بها ملعون تث 27: 26 ونحوه تث 11: 28. يا سيدي وإنا نؤمن بأن التوراة كتاب الله فما لنا لا نعمل بفرائضها وأحكامها أصلا مع أن الانجيل يصرح عن قول المسيح بأنه ما جاء لينقض الناموس بل ليكمل وأن من نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السموات مت 5: 18 – 20 كما يعرف من صراحة الأناجيل أن المسيح كان عاملا بالشريعة الموسوية إلى حادثة الصليب. يا سيدي فكيف خلاصنا من هذه اللعنات.

فداء المسيح من لعنة الناموس

القس: وهو متبسم يا بني يا عمانوئيل ويا عزيزي اليعازر اسمعا ولا تتوعجا إن في عهدنا الجديد الإلهامي المقدس بشرى كبيرة بخلاصنا من هذه اللعنات. فإن في العدد الثالث عشر من الفصل الثالث من الرسالة المنسوبة للرسول بولس إلى أهل غلاطية ما نصه " المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة ".

اليعازر: هل هذا الكلام في عهدنا الجديد المقدس من الرسول بولس؟ إذن فامضي إلى الملاعب واحضر الغناء ورقص الراقصات. وهذا أقل إثما من سماع هذه الكلمات القبيحة في شأن المسيح.

القس: لا يا اليعازر الملاعب ورقص النساء في محافل الرجال من عادات الوثنيين.

اليعازر: يا سيدي وهل هذا الكلام القبيح في شأن المسيح من عبادات المؤمنين القدسيين: يا سيدي لا أقدر أن أسمع عن كتبنا المقدسة ما تذكرونه في مكالمتكم وقراءتكم فإني قد أزعجتني الآلام من ذلك.

القس: يا اليعازر إن من كان به داء الفتق لا بد أن يصبر على آلام العمليات.

اليعازر: إن آلام العمليات تدفع بالبنج المغطي على الحس والشعور.

القس: العمليات الروحية لا يمكن أن تكون مع فقد الشعور كيف وإن الشعور أكبر وأحسن آلاتها وهو الذي يعين الطبيب بالنجاح فاصبر واستمع يا اليعازر واستضئ بنور شعورك واطلب نجاتك. لا عمانوئيل: يا سيدي الوالد إن هذا الكلام لم يقتصر على الجرأة على قدس المسيح بل اجترأ على جلال الله وعدله وقدسه جرأة عظيمة واجتراء بالكذب والتحريف والتمويه.

اليعازر: يا ولدي عوفني جرأته بالكذب والتحريف والتمويه.

عمانوئيل: يا سيدي الوالد إن هذا الكاتب يريد بالمكتوب ما جاء في العدد الثاني والعشرين والثالث والعشرين من الفصل الحادي والعشرين من التثنية وهذا نصه "وإذا يكون على إنسان خطيئة شريعتها وقضؤها القتل فقتل وعلقته على خشبة لا تبت جثته على الخشبة بل دفنا تدفنونه بيومه لأن المعلق لعنات الله إلهنا فلا تنجس أرضك ". يا سيدي الوالد فكلام التوراة إنما هو الخاطي المستحق للصلب بخطيئته وهذا الخاطي المصلوب هو لعنات الله وهو الذي ينجس الأرض ببقائه مصلوبا.

ولم تقل التوراة ولم يكتب فيها ملعون كل من علق على الخشبة. يا سيدي فانظر كيف توى الكذب والتحريف والتمويه.

مسلم كان حاضرا بالقرب منا. فقال: أيها الأصحاب هل تسمحون لي بسؤال واحد.

اليعازر: سل ما عندك. المسلم: إن كتاب إلهامكم من العهد الجديد جعل الرسول المقدس المسيح (ع) لعنة وملعونا. واستغفر الله. وإثم هذا الكلام عليكم. ولكن سؤالي فوق هذا. وهو إن الروحانيين منكم يكتبون في كتبكم وعليه عموم ديانتكم ويقولون " إن المسيح إله متجسد وإن المسيح هو الله لبس ثوب الناسوت "وعلى هذا فبالنتيجة من هو الذي يكون لعنة وملعونا: غفرانك اللهم. فإني أردت بكلامي هذا تنبيه عبادك من غفلة الضلال.

عمانوئيل: أحسنت يا صاحبنا في سؤالك وإنا في ميدان البحث وطلب الحق لا في حفرة التقليد وعمى التعصب. المسلم. إن كنتم في ميدان البحث الصادق بالنية الخالصة فإن الله يوفقكم أستودعكم الله وسامحوني. فلعلي أزعجتكم بهذا السؤال.

اليعازر: يا عمانوئيل هل يوجد في عهدنا الجديد ما نستنكره مثل هذا الكلام ومثل ما مر من التوراة.

عمانوئيل: اسأل حضره القس.

القس: أتمنى أن لا يكون فيه ولكن " ما كل سا يتمنى المرء بدركه " إنا سنقرأ في عهدنا الجديد ونرى ما فيه.

اليعازر: كيف يكون المسيح افتدانا من لعنة الناموس.

عمانوئيل: لا يحسن أن أتكلم في هذا الموضوع. بمحضر القس حتى نسمع كلامه فوائده. فإن هذا المقام أمر كبير.

القس: يا اليعازر إن أصحابنا يقولون: إن الانسان لا ينفك عن الخطيئة. وعقاب الخطيئة هو الموت في جهنم النار إلى الأبد. لأن المولى سبحانه وتعالى قدوس طاهر وعدله يستلزم عقاب الخطيئة بهذه الكيفية.

فالمسيح احتمل في جسده ما كنا نستوجبه من العقاب ووفى ما كان علينا من الدين. فإن الكلمة الأزلية ابن الله بموته وفى للعدل الإلهي حقه. إن الله سبحانه وتعالى حكم في كتابه العزيز بأن كل نفس تخطئ موتا تموت في جهنم النار إلى الأبد. لأن عدله يستلزم هذا القصاص لقداسته التي لا تحد ولبغضه للخطيئة بغضا شديدا. فلا يمكن أن يغض الطرف عن قصاص الخاطئ.

وإن الله أظهر رحمته ومحبته بتجسد الكلمة الأزلية فلبس هذا الجسد وكان يلزم أن يكون الفادي قدوسا منزها عن النقص

حتى يفي للعدل الإلهي حقه. فالمسيح احتمل ما علينا ووفى للعدل الإلهي حقه.

عمانوئيل: يا سيدي من هو الكلمة الأزلية الذي لبس هذا الجسد وما هو ابن الله.

كيف يكون المسيح هو الله

القس: يا عمانوئيل إن أصحابنا يقولون. إن المسيح هو الكلمة الأزلية. وإن الكلمة الأزلية هو الله.

وإنجيل يوحنا يقول في أوله: " وكانت الكلمة الله "وأما ابن الله فهو أقنوم الله وهو والله واحد.

عمانوئيل: يا سيدي إن هذا الكلام يقضي بأن المسيح هو الكلمة الأزلية والكلمة الأزلية هو الله. وابن الله هو أقنوم الله الذي هو الله فالمسيح هو الكلمة الأزلية المتجسدة وهو الله الذي لبس هذا الجسد. أليس هكذا يا سيدي.

القس: نعم هكذا.

عمانوئيل: يا سيدي إذن فيكون حاصل الكلام أن الله احتمل في جسده ما كنا نستوجبه من العقاب في جهنم النار إلى الأبد. أهكذا يا سيدي. هل يمكن للعاقل أن يتصور هذا أو يتفوه به.

القس: هذا الكلام ينبغي أن تعطيه حقه من التفهم ولا تتسرع إليه بالانتقاد. بل من الواجب أن تنظر في جميع، أطرافه ولا توجه نظرك إلى مفردات كلماته.

عمانوئيل: يا سيدي لو اقتصرنا على النظر إلى مفردات هذا الكلام لهان أمره في الجملة ولكن البلية على العقل والمعقول تأتي من النظر إلى مجموعه. يا سيدي إن كتاب الهداية المؤلف بنظر جمعية من علمائنا القديسين بمعرفة المرسلين الأمريكان يذكر في السطر الرابع من الصحيفة الثامنة والثلاثين من الجزء الثاني ما نصه. " إن الكلمة الأزلية هو الله ".

ويذكر في الصحيفة الخامسة والثمانين بعد المئتين من الجزء الرابع ما نصه. (إن المسيح هو الله ". ويذكر في الصحيفة الحادية والسبعين بعد المائة من الجزء الثالث ما نصه " المسيحيون يعتقدون بأن الذات العلية والكلمة الأزلية والروح القدس هم الله الواحد الأحد " فهل هذا كله يا سيدي هو اعتقاد المسيحيين.

القس: نعم يا عمانوئيل. وقد قلت ذلك لك وذكرت لك أن أول إنجيل يوحنا يقول: " وكان الكلمة الله " فلماذا تسأل ثانيا ولماذا تطلب التكرار.

اليعازر: يا سيدي القس إنك بقداستك قد سمحت لخادمك ولدي عمانوئيل أن يبحث عن الحقايق بكل إتقان. وأنت الذي دربته على التحقيق وحرية الضمير. وهذه أمور يلزم التثبت فيها. وإني وأنا عامي أعرف أن هذه الأمور لا ينبغي للانسان أن ينظر فيها نظرا سطحيا.

وإني قد وجدت في قداستك من حسن الخلق وسعة الصدر ما لم أجده في غيرك. فلماذا يا سيدي تضجر من استفسار عمانوئيل. وإني أجد أن في هذا المقام أمورا عظيمة. وأظن أن سيدنا القس

يريد الحياد في هذه المسألة. ولكن يا سيدي أنت فتحت الباب لولدي عمانوئيل وأمرته بالدخول في البحث فكيف لغلق الباب في وجهه عند النتيجة.

القس: يا اليعازر من الأمور ما أضجر من مرورها في خيالي. فكيف لا أضجر من تكرار الكلام فيها ومع ذلك فإني أرجو من نجلك الموفق عمانوئيل أن يسامحني من هذا الضجر.

عمانوئيل: يا سيدي إن الطبيب لا ينبغي أن يشمئز من النظر إلى الجراحة في القرحة ولا رائحتها. بل الواجب عليه أن يفحص عن مادتها ومخزنها ويخرجها وينقي القرحة منها ولو بيده وثوبه. وإن كان ممن يشمئز منها فليس بطبيب ولا يعطى الشهادة.

اليعازر: يا سيدي قد كان يخطر في بالي سر الفداء على ما يقوله المسيحيون ويشرحه الروحانيون فتعتريني في ذلك شبهات كنت أظنها نشأت من مخالطة المسلمين. ولكن يا سيدي إذا ذهبت إلى الروحانيين لكي يجلوا عني غبار الشبهة لم أجد منهم في الجواب إلا قولهم: (أسكت يا عديم الإيمان) أو (زل إيمانك يا مسكين) لا أو (هذا كلام تجديف) أو (لا تنجو ولا تفوز ببركة الفداء إلا بالايمان البسيط) أو (يا بني إن هذا فوق عقولنا ولكنه موافق للعقل) والآن يا سيدي نرجو من قداستك وروحانيتك أن تجاهرنا في البيان عن هذه العقيدة المهمة ليثبت إيماننا بها ونكون على بصيرة من أمرنا. فإني كولدي عمانوئيل لا أختار الإيمان بالبساطة.

القس: مرحبا بكما وقد أبهجني عتابكما لي لأنه ناشئ عن طلب الحقيقة وعدم الانقياد إلى عصبية الإلفة – فاجر يا بني يا عمانوئيل في سؤالك واصغ واسمع أنت يا عزيزي يا اليعازر.

عمانوئيل: يا سيدي لماذا يكون غفران الله للخطيئة برحمته خلاف العدل. وهل تكون الرحمة بالغفران ظلما. ولمن يكون الغفران ظلما. فكيف يقولون إن عدل الله يستلزم عقاب الخطيئة بالموت في جهنم النار إلى الأبد. فهل يمتنع على الله الغفران.

غفران الله ورحمته

القس: لا. يا عمانوئيل إن كتبنا المقدسة تمجد الله بالرحمة والرأفة والغفران وتقول: إن الله إله رحيم ورؤوف غافر الإثم والمعصية والخطيئة خر 43: 6 و 7 وعد 14: 18 وغفور وكثير الرحمة لكل الداعين إليه مز 86: 5 والذي يغفر جميع ذنوبك مز 103: 3 ومن هو إله مثلك غافر الإثم وصافح عن الذنب مي 7: 18 وفي كتاب أشعيا في الفصل الثالث والأربعين في العدد الخامس والعشرين. أنا أنا هو الماحي ذنوبك لنفسي وخطاياك لا أذكرها. ومثل هذا في كتبنا المقدسة كثير جدا.

عمانوئيل: يا سيدي إنا نعلم أن الله قدوس طاهر يمقت الخطيئة مقتا شديدا.

لكن يا سيدي إن اللازم لقدسه ومقته للخطيئة أن لا يرضى بالخطيئة ولا يلجأ إليها.

وليس اللازم لقدسه أن لا يغفر للتائب المنيب إلى طاعة ربه. وأين يذهب العبد هل له ملجأ غير مولاه الرحيم؟ فكيف لا يمكن أن يغض الطرف عن عقاب الخاطئ إذا تاب وأناب؟. هل الله جل شأنه محتاج إلى التشفي وتبريد القلب بعقاب التائب. يا

سيدي إنا نستحسن العفو من البشر المحتاج إلى التشفي وتمويه القلب فكيف لا يمكن العفو عن التائب من الله الغني القدوس؟؟

القس: حقا تقول يا عمانوئيل وبه تنطق كتبنا المقدسة. ففي الفصل الثامن من كتاب حزقيال عن قول الله: فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التي فعلها وحفظ كل فرائضي وفعل حقا وعدلا فحياة يحيا لا يموت. كل معاصيه التي فعلها لا تذكر عليه. هل مسرة أسر بموت الشرير يقول السيد الله: ألا برجوعه من طرقه يحيا: وفي الفصل الثالث والثلاثين عن قول الله لحزقيال: (وأنت يا ابن آدم كلم بيت إسرائيل وقل أنتم تتكلمون هكذا أقائلين إن معاصينا وخطايانا علينا وبها نحن فانون فكيف نحيا قل لهم حي أنا يقول السيد الله: إني لا أسر بموت الشرير بل بأن يرجع الشرير عن طرقه ويحيا ارجعوا ارجعوا عن طرقكم الردية فلماذا تموتون " وفي الثالث من رسالة بطرس الثانية " لا يريد الله أن يهلك أناس بل أن يقبل الجميع إلى التوبة " ومثل هذا في كتبنا كثير جدا.

القرآن والتوبة والغفران

عمانوئيل: العفو يا سيدي أسألك مسألة تاريخية لا تظن بي بسببها شيئا. هل يوجد في القرآن ذكر للتوبة والغفران.

القس: يا عمانوئيل إن القرآن كنز للأمور الإلهية وذكر المغفرة والتوبة فيه كثير. ويكفي منه قوله في الآية الثانية والثمانين من سورة " طه " المكية: (وإني غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى).

اليعازر: يا سيدي أراك تمجد القرآن تمجيدا كبيرا وهذا شئ مدهش.

القس: يا اليعازر إنك طلبت مني تدريس ولدك عمانوئيل في الحقايق. وهل تطلب مني أن أظلم الحقيقة إذا جرى ذكرها. وأتدنس برذيلة التعصب. فإن كنت تندهش من قول: الحق فإني مفارقكم يا اليعازر.. أما إني أرضى بما عندك من التمييز فخذ القرآن واقرأه من أوله إلى آخره فهل تجد فيه شيئا يخالف المعقول وهل تجد فيه شيئا مثل الذي اعترضت به أنت وولدك عمانوئيل على التوراة؟

اليعازر: العفو يا سيدي. أخطأت أنا فسامحني يا سيدي. داء جهلي هو الذي صدر منه ما سمعه سيدي. فكيف يضجر منه سيدي وهو – الطبيب لداء الجهل والعارف بفلتات هذا الداء الرديء. فالعفو يا سيدي وأسأل الله أن لا يحرمني البركة بملازمة خدمتك فلا تصدع يا سيدي قلوبنا بقولك " إني مفارقكم ".

عمانوئيل: يا سيدي لاتم سيدي الوالد فإن المسموع قد يشوش ذهن الانسان.

وإن أصحابنا النصارى هداهم الله يجعلون القرآن كلام رجل أمي وحشي خال من المعارف والفضيلة. قد شحن بالعوائد الوثنية وخشونة العرب وغلظة الوحشيين والأغلاط التاريخية والجغرافية والاجتماعية. يا سيدي فإذا كان قد سمع هذا الذم للقرآن مع أنه يعتقد التوراة كلام الله القدوس وقد شاركنا في ما تقدم من الاعتراضات الباهضة عليها فلا تلمه يا سيدي إذا ساء

ظنه بالقرآن واستوحش من تمجيده. فالواجب على لطف سيدي القس إزالة المعاثر عن طريق سيدي الوالد. يا سيدي الوالد. ألم تنظر إلى سيدنا القس منذ قرأنا عليه التوراة وصرنا نعترض على ما نقرأه بمخالفته للمعقول كيف يحيد عن المعاجلة بالجواب ويروض أفكارنا بالأماني. كل ذلك حذرا من هيجان العصبية. وها هو يتجرع الغصص من أمرنا. وها أنت يا سيدي الوالد قد اندهشت من كلمة واحدة من فوائد سيدنا القس. فكيف ترجو منه بيان ما عنده من الحقائق.

عود إلى سر الفداء

القس: يا بني يا عمانوئيل عد إلى سؤالك عن سر الفداء وليسمع عزيزي اليعازر.

عمانوئيل: يا سيدي إن قومنا قالوا: إن الله قدوس لا يمكن أن يغض النظر عن عقاب الخاطئ بالموت في جهنم النار إلى الأبد. فلنغض النظر عن اعتراضاتنا السابقة على هذا الكلام ولكن نقول لهم الله القدوس مبغض الخطيئة كيف غض النظر عن عقاب الخاطئ وتحول إلى الفداء وأقنع به عدله وقدسه كما تقولون. وكيف تنازل عدله عن عقاب خطاة العالم في أجيالهم إلى موت شخص واحد يوما وليلتين وأي حاجة إلى هذا التنازل الفاحش: قد سمعنا أن التاجر إذا انكسر وأراد أن يختلس من أموال التجارة يأتي إلى بعض المديونين له خفيا ويتنازل معهم في الوفاء أو يتنازل ببيع بعض الأموال خفيا بأقل من قيمتها. ولكنه مهما كان عديم الشرف والذمة والعدل والصدق فإنه لا يتنازل بمثل هذا التنازل الفاحش الذي لا يمكننا أن نحده.

يا سيدي وهب أن المسيح الفادي مات ونزل إلى الجحيم كما هو مكتوب ومطوع في كتاب صلوة البروتستنت. ولكن ما يكون في جنب قصاص خطاة العالم وعقابهم بالموت في جهنم النار إلى الأبد. ولماذا انخدع العدل الإلهي بهذه الخديعة العظيمة. يا سيدي ألم يكن واحد من الملائكة أو جند من السماء ممن يعرف الحساب والمقايسة لكي ينبه العدل الإلهي ويقول له: إن هذا تنازل غير محدود ولا هو مرضي للعقل فلا تخدع به. أين كانت الحية الصادقة الناصحة العالمة زعم التوراة الرائحة؟ وهي حية " حوا " كما تقدم صحيفة 7 و 9 يا سيدي كن أنت وكيلا محاميا عن جانب العدل الإلهي. وأكون أنا وكيلا محاميا من جانب الرحمة الإلهية فبماذا تجيبني يا سيدي في محكمة العقل والوجدان إذا قلت لحضرتك: إن الرحمة الإلهية تقول: أيها العدل الإلهي الذي يستلزم عقاب الخاطئ بالموت في جهنم النار إلى الأبد ولا يمكن أن يغض الطرف عن ذلك. إسمع. هب أني لا أتداخل بوظيفتك ولا أعترض عليك بمخالفتك لقانونك ولا أقول لك كيف انفصمت عروة استلزامك لعقاب الخاطئ بجهنم إلى الأبد. ولا أقول لك من ذا. وماذا فصمها وحل عقدتها. ولا أقول لماذا تنازلت هذا التنازل الذي يضيع فيه الحساب. ولا أقول لك يا عدل الإله القدوس كيف حملت عقاب الخاطئ على البار.

إن القدس الإلهي هو الذي يسألك عن ذلك. ولكني أطالبك بوظائف الرحمة الإلهية وأقول لك: إن المسيح الذي قدمته للفداء وحمل القصاص قد حزن وبكى واكتأب واندهش وضعف واستعفى من هذا القصاص وطلب من الله أن تعبر عنه كأسه وساعته وكان يصلي لأجل ذلك بأشد لجاجة وقال إلهي لماذا تركتني. وشاهدي على هذا صراحة الأناجيل المقدسة كما في الفصل السادس والعشرين من متى في عدد 38 و 39 والفصل الرابع عشر من مرقس في عدد 35 و 36 والفصل الثاني

والعشرين من لوقا في عدد 41 و 42 و 43 . أيها العدل الإلهي إن كنت أنت خالفت وظيفتك أو تنازلت فيها.

فإني الرحمة الإلهية لا أتنازل عن وظيفتي المقدسة ولا أتنازل عنها ولا أحمل المسؤولية في ذلك. فإن كنت وأنا الرحمة لا أغيث المسيح البار عند حزنه وبكائه واستقالته من قصاص الفداء فما هي آثار وظيفتي؟؟

اليعازر: يا سيدنا القس إني أكون وكيلا ومحاميا متطوعا عن العدل الإلهي وأقول للروحانيين لماذا تلصقون بقدس العدل الإلهي آثار الجور البشري، الوحشي.. سامحنا قداستكم إذ غفلتم عن الأمور الواضحة عند العقل والوجدان.

ومن جملة هذه الأمور سؤالات ولدي عمانوئيل التي تقدمت. ومن جملتها مخالفة ما تقولونه لمعنى العدل وحقيقته. ومن جملتها مضادة ما تقولون لقدس الله وجلاله وغناه، فإن الذي تذكرونه يكون من جائر محب للخطيئة ينادي بحرية الخاطئين في خطاياهم الفاحشة ويؤمنهم في سبيل الخطايا بحمل قصاصهم على البار. ويضم صوته إلى أصوات الشهوات وينادي " يا محبي الخطيئة هنيئا لكم الفداء.

فافعلوا ما شاء الهوى والظلم ": ولكن أيها الروحانيون لا نسامحكم في غفلة قداستكم عما هو موجود متكرر في كتبنا المقدسة. أليس في الفصل الثامن عشر من كتاب حزقيال من العدد الرابع إلى آخر الفصل صراحة متكررة بأن النفس التي تخطئ هي تموت وإن بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون وإن الله يجازي كل واحد حسب أعماله وليس عنده محاباة كما في المزمور الثاني والستين. والفصل السابع عشر والثاني والثلاثين من كتاب أرميا. والفصل السابع والثالث والثلاثين من كتاب حزقيال. والفصل السادس عشر من متى. والثاني من رومية. والأول من كورنتوس الأولى. والخامس من كورنتوس الثانية. والسادس من أفسس. والثالث من كولوسي. والأول من رسالة بطرس الأولى.

القس: مرحبا بمعرفتك يا اليعازر ومرحبا باطلاعك على ما في الكتب المقدسة ولكن لا تتكلم بحدة وسر في طلب الحقيقة على رسلك. والله الموفق.

عمانوئيل: يا سيدي بقيت لي كلمة فليسمح لي سيدي بأن أقولها وإن كانت تكرارا.

وإن كان سيدي القس يتألم من مرور أمثالها على خياله. ولكن المسير إلى الحق يوجب تحمل المشقات في رفع المعاثر من طريقه. يا سيدي قد قلت: حضرتك إن الروحانيين المسيحيين يقولون: إن المسيح عيسى هو الكلمة الأزلية والكلمة الأزلية هو الله والمسيح ابن الله واقنوم الله الذي هو الله والمسيح هو الكلمة الأزلية المتجسدة وهو الله الذي ليس هذا الجسد. يا سيدي فحاصل أمر الفداء أن الله القدوس العادل مبغض الخطيئة حكم بقصاص الخاطئين بالموت في جهنم النار إلى الأبد. ولكن لأجل بغضه للخطيئة والخاطئ ولأجل قداسته التي لا تحد غضب فاحتمل في جسده قصاص الخاطئين ساعة أو ثلاثة أيام. يا سيدي لو فعل هذا أحد البشر ألم نعده من الحمقاء؟ يا سيدي لو أن إنسانا تمرد عليه عبيده وفعلوا الظلم والفحشاء وهو قادر على عقابهم ولكنه خرج بين الناس ينادي " إني عادل مقدس وعدلي يستلزم عقاب الخاطئ بأشد العقاب ولا يمكن أن أغض الطرف عنه كيف وأنا القدوس العادل " ثم رفع يده وضرب ولده أو ضرب نفسه وقال. ها، إن عدلي قد استوفى حقه ووفيت ما على

الخاطئين من الدين. يا كتابي اكتبوا أن السيد افتدانا من لعنة قانون الشرف والصلاح إذ صار لعنة لأجلنا – يا خاطئين اعملوا ما شئتم – يا سيدي هل تقول: لهذا الرجل موحبا بك وبعدلك وقداستك وبغضك للخطيئة وموحبا وألف موحبا بعقلك؟ هل يقول له أحد ذلك؟؟

القس: يا بني لا تتكلم بحدة فإن الروحانيين يقولون لا شئ من الدينونة على الذين في المسيح. فإنه ينسب إلينا بر المسيح بالإيمان به. فالمسيح حفظ الشريعة فبالإيمان به ينسب إلينا حفظها فيكون الله عادلا في تبريرنا لأن عدله استوفى حقه.

عمانوئيل: يا سيدي قدرأيت هذا الكلام لجمعية كتاب الهداية المطبوع بمعرفة المرسلين الأمريكان في الجلد الرابع صحيفة 280 . ولكن يا سيدي إن المسيح قد أمرنا بحفظ الشريعة ففي الفصل الخامس من إنجيل متى عن قول المسيح 17 لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأن أكمل – 19 فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السموات. وفي أول الفصل الثالث والعشرين " حينئذ خاطب الجموع وتلاميذه قائلا على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون فكل ماقالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه " – يا سيدي فإذا ضيعنا الشريعة على رغم تعليم المسيح لنا بحفظها فكيف ينسب إلينا حفظ المسيح لها. وكيف ونحن العصاة لله وللمسيح في تضييع الشريعة ينسب إلينا بر المسيح.

يا سيدي هب أن الله يغفر لنا عصياننا بتضييع الشريعة ويسامحنا في ذلك. ولكن كيف نكون أبرارا وكيف ينطبق ذلك على عدل الله وكيف ينطبق على المعقول.

وأيضا فإن العهد القديم يقول في الفصل الرابع والثلاثين في سفر الخروج والرابع عشر من سفر العدد والفصل الأول من كتاب ناحوم " إن الله يغفر الإثم والخطيئة ولكن لا يبرأ إبراء.

اليعازر: التفت أنا إلى حالة سيدنا القس عند كلام ولدي عمانوئيل فرأيته مطرقا متحيرا قد استولى عليه الحزن والتألم وهو يخط الأرض بإصبعه ويقول: " ماذا أقول " فرحمت حالته وأحببت أن ألاطفه ببعض الظرائف المؤنسة وأريح فكره من هذه الأمور العظيمة فقلت. هل يأذن لي سيدي القس بأن نعرض عن هذا الكلام ونتكلم بما نروح به نفوسنا.

القس: تكلم يا اليعازر.

حفلة – وظريفة

اليعازر: يا سيدي حضرت حفلة للمسلمين في ليالي شهر رمضان الشهر الذي يصومون فيه. فجاء رجل محترم وجلس وصار يعلم القوم بالحلال والحرام وشرايع التجارة. ثم أخذ يبين الأخلاق الفاضلة ويبين أمر الشريعة بالتزين بها. ويبين الأخلاق الرذيلة ويبين زجر الشريعة عن التدنس بها.

ثم أخذ يؤكد بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. ثم أخذ في فضل الصوم وفوائده وشروط قبوله من مكارم الأخلاق.

ثم صار الكلام مجلسيا وجعلوا يتذاكرون أحوال العصاة الذين لا يصومون وكيف ينخدعون لغواية الشيطان فقال رجل

يحكي: إن رجلا مسافرا دخل في شهر رمضان بلدة من أطراف بلاد المسلمين قد موه الغواة على أهلها، فعطلوا فيها بالتدليس رسوم الشريعة الإسلامية، فرأى أهلها كلهم غير صائمين بل يأكلون علنا من غير مبالاة. فقال لهم هل: أنتم مسلمون. قالوا. نعم. قال هل هذا شهر رمضان. قالوا نعم. قال فما لكم جميعا لا تصومون. فقالوا إنا مسلمون مطيعون لأوامر الله في الشريعة. ولكن شيخنا ومرشدنا هو يصوم بدلا عنا جميعا ويفي ما علينا من التكليف والدين. قال الرجل فأحببت أن أنظر إلى هذا الأمر الغريب المضحك، فقلت دلوني على هذا المرشد الكبير، فدلوني على محله فقصدته ودخلت عليه وقت الضحى فوجدت حضرة المرشد جالسا يتغدى والناس يهدون له أنواع الطعام النفيس. وهو يأكل أكلا كثيرا.

فسلمت عليه وقلت له: هل أنت مرشد هذه البلدة. قال: نعم. فقلت: هل أنت صائم بدلا عنهم جميعا. قال: نعم. فقلت له إذن فكيف تأكل في نهار شهر رمضان. فقال: عجبا عجبا منك. ألا تشعر بأن الذي يكون فاديا يصوم بدلا عن عشرة آلاف نفس كيف يكفيه في النهار ألف أكلة فكيف تستكثر علي أكلة أو أكلتين في النهار؟: يا سيدي وبعد أن ضحكت من القوم. فكرت في نفسي وقلت: ماذا أقول لهؤلاء المسلمين إذا قالوا يا اليعازر الفداء مثل فداءكم. يا سيدي ولم أجد في نفسي جوابا أرد به.

عمانوئيل: يا والدي وماذا تقول أنت لهم. هب أنهم أغمضوا عن سخافة القول بالفداء وما عرفته أنت من وجوه السخافة فيما يقوله الروحانيون في أمر الفداء. ولكن ماذا تقول لهم إذا قالوا لك إن كتبكم التي تقدسونها تبين أنه لم يكن لهذا الفداء عين ولا أثر لا في زمان المسيح ولا إلى ما يزيد على عشرين سنة من حادثة الصليب بل كان كل المؤمنين بالمسيح عاملين بالناموس ملتزمين بشريعة التوراة. ثم بعد ذلك جاءت بدعة الفداء وترك شريعة التوراة في تاريخ مجهول تنسبه كتبكم إلى تلاميذ المسيح وبولس بزمان متأخر عن زمان المسيح بنحو عشرين سنة فما فوق. بل إن أكثر الذي جاء في كتب العهد الجديد في:

العهد الجديد يعيب العهد القديم

إبطال الشريعة لم يذكر فيه أنه لأجل الفداء من لعنة الناموس – بل كان كله بنحو العيب للشريعة والاستهزاء ففي الفصل الخامس عشر من أعمال الرسل أن بطرس جاء كثيرا فوقعت عليه غيبة كشفت له عن جميع الحيوانات التي حرمتها التوراة ونجستها. ولم تكن الإباحة بعنوان النسخ لحكم التوراة. بل بعنوان إن تلك الحيوانات طاهرة عند الله وأن تدنيسها بشري فاسد يعارض تطهير الله لها. وفي الفصل الخامس عشر من أعمال الرسل صراحة واضحة بأن إبطال الختان وشريعة موسى كان لمحض استجلاب الأمم إلى الخضوع إلى الرياسة حيث إن العمل بالختان والشريعة ثقيل على الأمم فقرروا أن يرسل إلى الأمم أنه ليس عليهم إلا أن يمتنعوا عما يذبح للأصنام والزنا والمخنوق والدم. وعللوا ذلك بأن موسى منذ أجيال قديمة له في كل مدينة من يكرز به. إذ يقرأ في المجامع في كل سبت – يا والدي وحاصل هذا الكلام أن موسى البطل يكفيه نفوذ سياسته ورياسته في هذه المدة.

وجاءت الرسائل المنسوبة إلى بولس فجاءت بما تريد. ففي الفصل الرابع عشر من رومية " إني عالم ومتيقن أن ليس شئ

نجسا لذاته إلا من يحسب شيئا نجسا فله هو نجس "وفي الفصل الأول من " تيطس " لا يصغون إلى خرافات يهودية ووصايا أناس مرتدين عن الحق. كل شئ طاهر الطاهرين. وفي الفصل الثاني من كولوسي " تفوض عليكم فرائض لا تمس. لا تذق. لا تجس. التي هي جميعها للفناء حسب وصايا وتعليم الناس "وفيه أيضا " لا يحكم عليكم أحد في أكل ولا شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت.

وفي الفصل الرابع من غلاطية في صرف أنظار الغلاطيين عن الناموس " كيف ترجعون أيضا إلى الأركان الضعيفة الفقيرة أتحفظون أياما وشهورا وأوقاتا وسنين أخاف عليكم أن أكون تعبت فيكم عبثا ". وفي الفصل السابع من رسالة العبرانيين " فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها إذ الناموس لم يكمل شيئا ". وفي " الثامن " " لو كان الأول بلا عيب لما طلب موضع لثان " – يا والدي وماذا نقول إذا قال المسلمون: إن من أساس الديانة

تمجيد العهد القديم للشريعة النصرانية

هو الاعتقاد بأن التوراة الرائجة كلام الله ووحيه لموسى. والمزامير وحي الله لداود. وباقي كتب العهد القديم كتب وحي الله لأنبياء كرام. وقد جاء في الفصل الثامن عشر من سفر اللاويين عن كلام الله قوله " فتحفظون فرائضي وأحكامي التي إذا فعلها الانسان يحيا بها ". وفي المزمور التاسع عشر " ناموس الرب كامل ". وفي المزمور التاسع عشر بعد المائة " قريب أنت يا رب وكل وصاياك حق وفي كل شئ مستقيمة ". وفي العشرين من حزقيال عن قول الله تعالى: "وأعطيتهم فرائضي وعرفتهم أحكامي التي إذا عملها الانسان يحيا بها " وقد تكرر هذا المعنى في هذا الفصل المذكور فانظر فيه من العدد الحادي عشر إلى الثاني والعشرين.

وفي الفصل الثاني من كتاب ملاخي عن قول الله تعالى: " إن وصيته وعهده مع موسى للسلام والحياة والتقوى وشريعة الحق كانت في فيه ". وفي الفصل الخامس من إنجيل متى عن قول المسيح " لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس ما جئت لأنقض بل لأكمل فمن نقض أحد هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السموات ". وفي الثالث والعشرين من إنجيل متى أن المسيح أمر الجميع بأن يحفظوا ويعملوا بما يقوله الكتبة والفريسيون لأنهم جلسوا على كرسي موسى.

يا والدي فماذا نصنع فيه هذا التناقض والمثاوة بين فريق العهد القديم والانجيل. وبين فريق رسائلنا المنسوبة إلى الرسل. وماذا نصنع في ملاشاة العهد الجديد للشريعة الموسوية بمجرد التوهين والاستهزاء وقوله: المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا – فهل نؤيد هذا بقولنا: إن المسيح هو الكلمة الأزلية وهي الله والمسيح هو الله وأقنوم الله والإله المتجسد وهو الله واحد.. يا والدي وجاء بعد ذلك في رسالة عبد المسيح.

وترجمة المقالات التمهيدية لجرجيس سايل قولهما: " إن الله تساهل مع اليهود فأعطاهم أحكاما غير صالحة وفرائض لا يحيون بها ". يا والدي أفلا ترى هذا الكلام ردا على التوراة وكتاب حزقيال والمزامير وكتاب ملاخي وتكذيبا لها في تمجيدها

لفرائض التوراة، وأحكامها للسلام والحياة وأن العامل بها يحي. يا والدي وجاء " لوطر " مصلح البروتستنت وقال: إن معلمي الخطيئة يضايقوننا بموسى فلا نريد أن نسمع موسى ولا نراه لأنه أعطى لليهود ولم يعط لنا نحن الأمم والمسيحيون فعندنا إنجيلنا فهم يريدون أن يهددونا بموسى وهيهات.

وقد نقل هذا الكلام في الجزء الثالث من كتاب الهداية في الصحيفة 109.

توبيخ على سوء البحث

القس: يا عمانوئيل لازلت في هذه المدة تبحث بشرف التحقيق والاستقامة فما بالك الآن زغت زيغ الخابطين. يا عمانوئيل إن من يريد أن يتكلم في الديانة الخاصة ويبحث فيها بحثا شريفا. فإن الواجب عليه أن يقتصر في بحثه على ما هو مسلم ومتفق عليه عند جميع أهل تلك الديانة إلا إنه يقبح ممن له شرف وأمانة أن يعترض على الديانة بقول واحد أو حكاية ينفرد بها واحد من سائر من ينتسب إلى تلك الديانة فلماذا تعترض بقول " عبد المسيح " " سايل " " لوطر " يا عمانوئيل اعترض على كل واحد من هؤلاء بكلامه عند بحثك معه فيما يخصه.

ولا تحمل أقوالهم وحكاياتهم على عاتق الديانة. هل تريد أن تكون مثل " غريب ابن عجيب " كاتب الرحلة الحجازية. فإنه لما أراد أن يعترض على دين الاسلام لم يجد سبيلا إلا أن يعترض على بعض روايات الرجال التي لا عناية للجامعة الإسلامية بها فيقول قال الأزرقي، ابن جريج، مجاهد، نافع، ابن إسحاق، ابن الورد ثم يخبط خبط التائه في اعتراضاته – حتى إن بعض كتابنا إذا رأى قولا مرفوضا أو رواية شاذة لبعض من تقحم على تفسير القرآن ووجد في ذلك القول أو تلك الرواية شبهة اعتراض على الاسلام فإنه يقول في ترويج زيوجه " قال الإمام السيوطي في الإتقان وهو أكبر المفسرين قال فلان وهو من أئمة الحديث روى فلان وهو من رجال البخاري ". – يا بني يا عمانوئيل فإذا أردت أن تكون شريف البحث شريف الكلام فلا تجادل في الأديان إلا بما هو مسلم في جامعتها وإياك أن تعترض على جامعة النصرانية بقول. لوطر. عبد المسيح. سايل. هذا من الوهن والشطط.

عمانوئيل: العفو يا سيدي فإني لم أعترض على الديانة النصرانية بقول لوطر وسايل وعبد المسيح ولكني ذكرت لحضرتك توهين عهدنا الجديد لشريعة موسى كما ذكرته لحضرتك من كتاب أعمال الرسل والرسائل المنسوبة إلى بولس.

وإن بعض الروحانيين جاهروا بذلك فوقعنا في التناقض في الديانة.

والآن أسألك يا سيدي. هل أقول إن شريعة موسى هي شريعة الله وفرائضه الصالحة وهي حق وكاملة ومستقيمة للسلام والحياة وإذا عمل بها

الانسان يحيا ومن لم يعمل بالصغرى منها يكون الأصغر في ملكوت السموات.

القس: نعم يا عمانوئيل هذا هو الصواب. كما ذكرت صواحته من التوراة والانجيل والمزامير وكتاب حزقيال وكتاب ناحوم.

عمانوئيل: يا سيدي إذن فماذا أصنع وماذا أقول فيما جاء في كتاب أعمال الرسل ورسائل بولس من إبطال أحكام التوراة وعيبها وتضعيفها وإنها خرافات يهودية وللفناء.

القس: يا عمانوئيل لا تصغ إلى هذا الكلام.

عمانوئيل: يا سيدي كيف لا أصغي لكتاب أعمال الرسل ورسائل بولس مع أن الديانة النصرانية وجامعتها تسلم وتعترف بأن هذه الكتب كتب وحي إلهي لا ينبغي الريب فيها. وقد ترك جميع النصارى العمل بشريعة التوراة على رغم أمر المسيح بالإنجيل وأخذوا بتعليم بولس في إبطالها ولسان الحال والمقال من كل منهم يقول المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا.

القس. يا عمانوئيل قد كنت تقرأ في التوراة، فلماذا طفرت إلى العهد الجديد.

عمانوئيل: يا سيدي إنك تقول لي: إن الكتاب يقول عن الوحي الإلهي: المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون ملعون من علق على خشبة. يا سيدي ومع ذلك تلومني على الاستفسار عن هذا الكلام وما يتعلق به.

القس: يا عمانوئيل أنت ووالدك المحترم قد كشفتما عن هذا الكلام ستار الخداع أفلا يكفيكما ذلك.

عمانوئيل: يا سيدي ولماذا لا تقول أنت ما عندك وتريح نفوسنا بفوائدك.

القس: يا عمانوئيل لا يطيب أكل الثمرة حتى تنضج بأوانها – فعد يا عمانوئيل إلى درسك في التوراة.

خلو التوراة من ذكر يوم القيمة

عمانوئيل: يا سيدي إن التوراة قد سبرناها بالاستقصاء وهي كتاب كبير الحجم كثير الكلام وقد تكلمت في أمور كثيرة بكلام طويل وقد تعرضت لأمور لا حاجة إليها في إصلاح البشر. بل إنها تعرضت لأمور لا يليق بالكتاب الإلهي أن يذكرها. فذكرتها بالشرح الطويل المزعج. ومن ذلك حكايتها الطويلة في أن لوطا زنا بابنتيه. وأن يعقوب خادع إسحاق في أخذ البركة وكذب عليه مرارا.

وإن روابين زنا بامرأة أبيه يعقوب. وأن الفلسطيني فعل كذا مع " دينة " بنت يعقوب وأن يهوذا بن يعقوب زنا بكنته ثامار وغير ذلك من الأمور الفارغة. يا سيدي فما لها لم تذكر يوم القيامة وثوابه وعقابه. مع أنها سلكت مع بني إسرائيل مسلك الترغيب والتخويف.

ولكنها رغبتهم للطاعة بكثرة الحنطة والخمر والزيت وبركة السلة والمعجنة. وخوفتهم بالمرض وقلة الحنطة والخمر وإن الرجل يتزوج امرأة ويزني الآخر بها. يا سيدي فلماذا أعرضت عن ذكر القيامة وثوابها وعقابها. يا سيدي إن أمر القيامة حقيقة دينية عرفانية. والالتفات إليها يتكفل بصلاح البشر وتهذيب أخلاقهم وانتظار اجتماعهم. فكيف يليق بالكتاب الإلهي المتزل الاصلاح وكشف الحقايق أن يهمل هذا الأمر الكبير المهم ويجعله نسيا منسيا؟. يا سيدي هل يصح أن يكون مثل هذا في الكتاب الإلهي؟

القس: يا عمانوئيل هل تظن أن الله وموسى نبيه يهملون ذكر يوم القيامة في مثل التوراة التي هي كلام الله ووحيه. وكيف يتمحض الوحي الإلهي وكلام الله للسفاسف التي ذكرتها. ولمخالفات المعقول التي مرت في مكالماتنا في شؤون آدم وإبراهيم ويعقوب وهرون وغير ذلك؟

عمانوئيل: يا سيدي وإن قداستك قد ذكرت في صحيفة 23 و 24 أن العهد الجديد يبين أن التوراة قد غفلت عن ذكر أمور كثيرة من الأمور النبوية المهمة.

القس: يا عمانوئيل وقد انتقدت في تلك المكالمة على غفلة التوراة الموجودة عن ذكر القيامة فلماذا تنسى وتغفل أنت أيضا؟

اليعازر: عجبا يا سيدي أو لست تؤمن بأن التوراة كلام الله.

القس: أنا أؤمن بأن التوراة كلام الله ولكن لا يلزم أن أؤمن أن هذا المكتوب الذي بأيدي الناس هو التوراة التي كتبها موسى من كلام الله.

اليعازر: إن اليهود والنصارى في جميع أجيالهم يقولون إن هذه التوراة هي بعينها توراة موسى وكلام الله قد حفظها تاريخ الإيمان بها بعناية التواتر اليقيني. فكيف نكذب هؤلاء وفيهم ملايين عديدة من العلماء والروحانيين الأبرار. كيف نكذبهم.

هل يمكن أن لا تكون التوراة محرفة

القس: يا اليعازر أشتهي أن ألاطفك بأمثال معروفة – يقال: إن الغزال إذا رأى شيئا يخيفه ولم يشم رائحته من بعيد لم يصدق بصوه ولا يهرب منه عندما يراه بل ينتظر أن يشم رائحته. ولأجل ذلك يظفر به الصيادون – ومن هذا يضرب المثل بأن فلانا مثل الغزال يكذب عينه ويصدق أنفه. ومعناه أنه يكذب علمه ووجدانه ويصدق جهله. وأيضا يحكى أن رجلا لقي رجلا من أصحابه. فأظهر له الحزن والأسف وقال له.

قد أخبرني جماعة صادقون بأنك مت ويا للأسف وأسأل الله أن يحفظ أيتامك ويبارك فيهم ويرحمك الله ويؤنس وحشتك في

قبرك. فقال له: ها إنك تراني والحمد لله حيا أخاطبك وأمشي على وجه الأرض.

فقال منتحبا: لا ويا للأسف والحزن إن الذين أخبروني بأنك مت هم أصدق منك فواحزناه على موتك يا أخي.

عمانوئيل: يا سيدي الوالد إني أجد سيدي القس من أول درسنا في التوراة إلى الآن لا يحب أن يجاهرنا ببيان الحقيقة. بل يريد أن نسير إليها بأنفسنا ونراها بعين الوجدان ونتناولها بيد الدرس الصحيح والعلم اليقين. يا والدي فلا تطلب من سيدنا القس أن يعاجلنا بالبيان فتجعله عصبيتنا كالخصم المدعي.

فتقابله أهوائنا وتقليدنا الأعمى بالجحود والتنفر من قداسته. ويكون نصيبنا الحرمان من بركات الحق ونجاة الإيمان الصحيح. يا سيدي الوالد هل تأذن لي أن أكون أنا المتكلم في هذا الموضوع بمقدار ما حصلته من درسي مع حضرة سيدي القس بمحضرك وسماعك وتصديق وجدانك. يا سيدي والآن إن أذنت لي فإني أكلمك ويكون وجدانك وسيدنا القس رقيبين علي.

اليعازر: تكلم يا ولدي بما عندك.

الشواهد الداخلية من التوراة على تحريفها

عمانوئيل: يا سيدي الوالد. ها هي نسخ التوراة الرائجة بين أيدينا. بالأصل العبراني الخطي المجرد عن الحواشي والمقدس عند اليهود بمراقبة أخبارهم. وبالأصل العبراني الخطي المزين بالحواشي والمتداول عند اليهود وأخبارهم أيضا. والأصل العبراني المزين بالحواشي المطبوع بمراقبة أخبارهم بمطابع متعددة. والتراجم الكثيرة باللغات المتعددة المطبوعة بمطابع الشرق والغرب بكثرة لا تخفى. وها هي بأجمعها قد اتفقت على الأمور التي جرت فيها مكالمتنا من أول التوراة إلى حيث بلغنا. وهي أمور لا يرضاها العقل. بل يجب أن نرأ كتاب الله عنها – وها أنا ذا أعيد عليك الإشارة إليها في هذا المطبوع بحسب الصحائف فراجعها مكررا واستأنف التعجب.

وانظر إلى كلماتك الذهبية هناك. وأنظر صحيفة 7 و 9 كيف اجترأت التوراة الموجودة على جلال الله في شأن آدم والشجرة. و 12 في خرافة التمشي والاختباء. و 13 و 14 في خرافة المحاورة من آدم. و 22 في خرافة برج بابل. و 53 في خرافة مصارعة يعقوب. و 57 و 58 و 59 في خرافة التعليم بالكذب. وخلف الوعد ومخادعة صفورة.

وأن موسى يكون إلها. و 62 في خرافة التجسيم. و 69 في خرافة الشريعة القاسية بذبح النساء والأطفال. و 79 في خرافة شريعة العزرة " البكرة ". 81 في شريعة التفلة وكيف اجترأت على جلال الله بتوهين أنبياءه وما نسبته إليهم كما ذكرناه صحيفة 42 في شك إبراهيم، والعلامة. و 52 و 53 في بركة يعقوب وما جرى فيها. و 59 و 60 في كلام موسى (عليه السلام) مع الله. و 66 و 67 في القدح بإيمان موسى وهرون. و 30 في نسبة عمل العجل والدعوة للشرك بالله إلى هرون.

وانظر ما ذكرناه صحيفة 6 في خلل التوراة الموجودة في ذكر عدن والدجلة والفرات. و 19 و 20 و 21 في خللها في قصة ولدي آدم، واضطراب تراجمها في تمويه ذلك الخلل. و 26 في خللها في النسب. و 42 في العلامة لإبراهيم. و 50 و 51 في اضطرابها في ابن إبراهيم الوحيد وإسحاق. وفي الذين باعوا يوسف في مصر. و 70 و 71 في اضطرابها في منزل بني إسرائيل. و 43 إلى 45 في خبطها واضطرابها في شأن الله جل وعلا والملائكة، والذين جاؤا إلى. إبراهيم وإلى لوط وماذا قالت فيهم وفي عددهم وخطاب إبراهيم ولوط لهم وكلامهم وأكلهم. و 57 في خبطها في الذي كلم موسى وخاف موسى أن ينظر إليه.

وما ذكرناه في صحيفة 63 و 64 من الغلط الكبير الذي اتفقت الحواشي والتراجم على بيان خطأه بتصحيحه – ودع ما أشرنا إلى بعضه من إهمالها لأهم الأمور بالذكر وإكثارها الكلام بالفضول الفارغة والقصص الزنائية الهاتكة لشرف الأنبياء وعائلاتهم كما مر في صحيفة 23 و 24 و 41 و 47 و 55 وأغمضنا عن جملة منها ذكره سفر التكوين في تاريخ يعقوب. يا سيدي.

هذا الكتاب المشتمل على مثل هذه الأمور هل يمكن أن يقال فيه أنه هو الكتاب الذي أوحاه الله إلى موسى وكتبه موسى بيده. يا والدي إن العقل والشعور، وجلال الله وقدسه، وكرامة الرسول وقدس الرسالة وشرف النبوة كلها تنادي " حاشا الله ولجلاله أن يكون ذلك، وحاشا للحقائق الإلهية من هذه الأمور الفاضحة. يا سيدي ها هي الحواشي على التوراة العبرانية قد ذكرت غلطها بنقصان الحرف في أحد عشر موضعا. وأشارت إلى ذلك برسم الحرف الناقص ولفظ " حسر ". وذكرت غلطها بزيادة الحرف في أربعة مواضع. وأشارت إلى ذلك برسم الحرف الزائد ولفظ " يتير ". – وذكرت غلطها من حيث التذكير والتأنيث. والإفراد والجمع. وإبدال بعض الحروف غلطا. وسقوط بعض الحروف.

وتقديم بعضها على بعض غلطا. ونصت على ذلك في نحو ثمانين موضعا. وذكرت الصحيح ولفظ " ق " أو " قرى " – ولأجل وضوح هذه الأغلاط جر التراجم على طبق الحواشي إلا نادرا. يا والدي أفلا تكون هذه الأغلاط واعتراف اليهود والنصارى بها في أجيالهم شهادة قاطعة بأن هذه التوراة المغلطة ليست مطابقة للتوراة التي كتبها موسى. فأين تكون دعوى التواتر الفاسدة يا سيدي.

هل يساعد التاريخ على إمكان تحريف التوراة

اليعازر. يا ولدي يا عمانوئيل إنك تتكلم بفهم وتحقيق – ولكن هل لك أن تكشف لي من جهة التاريخ عن فساد دعوى اليهود والنصارى لتواتر هذه التوراة التي بأيدينا وكونها منقولة بالتواتر حرفيا عن التوراة التي كتبها موسى.

عمانوئيل: يا والدي إن التوراة والكتب المنسوبة إلى الالهام لم تظهر لعموم الناس إلا بعد الاصلاح البروتستنتي وكثرة المطابع. وأما قبل الاصلاح البروتستنتي فقد كانت رؤيتها مختصة بالروحانيين من اليهود والنصارى وأما قبل المسيح فقد كانت محجوبة بسيطرة الكتبة والربانيين.

يا والدي والمعلوم من التاريخ العمومي أن نبوخذناصر " بخت نصر " قد سبى جميع الكتبة والربانيين وعموم بني إسرائيل ما عدا الصعاليك وأحرق بيت الله. وخربه ونهب أورشليم وأحرق بيوت أعيانها.

فلاشى بذلك صورة الأمة الإسرائيلية ومقدساتها. ومكثوا على ذلك نحو سبعين سنة حتى أطلقهم كورش ملك فارس.

وبعد إطلاقهم من السبي تجرد عزرا الكاتب وحده لإظهار التوراة لبني إسرائيل. يا والدي فالتاريخ يقول: إن توراتنا العزيزة هي بنت عزرا ومولودة أمانته. يا والدي فأين التواتر مع هذا الحال.

وأيضا يا والدي إن اليهود والنصارى متفقون في أجيالهم على أن كتب العهد القديم متواترة كتواتر التوراة.

يا والدي وفلسفة التاريخ تقتضي أن تكون كتب العهد القديم أقرب إلى صحة النقل من التوراة لكون زمانها أقرب من زمان التوراة.

مع أنها لا تضطهد الأهواء الإشتراكية والعوائد الوثنية كما تضطهدها التوراة الحقيقية فلا تكون هذه الكتب هدفا لسهام الأهواء كما صارت التوراة الحقيقية.

وأيضا إن تواريخ العهد القديم موصودة بالتواريخ العمومية فلا يمكن أن تقبل عند العموم وهي كاذبة.

اليعازر: إذن يا بني يقر لعيني أن تذكر لي من كتبنا المقدسة تاريخا متسلسلا لديانة بني إسرائيل.

عمانوئيل: يا سيدي الوالد. هذا التاريخ المتسلسل قد أخرجه كتاب الهدى في الجزء الأول في المقدمة الخامسة صحيفة 19 إلى 30 وأشار إلى موارد ذكره من العهد القديم فأنا أذكره لك مختصرا وراجع أنت كتاب الهدى.

اليعازر: يا بني دعنا من النظر إلى كتاب الهدى.

القس: يا اليعازر إن كاتب الهدى قد أخرج هذا التاريخ المتسلسل من كتب العهد القديم بكل أمانة وكل ثقة وقد أشار في كل تاريخ إلى مصدره من كتب العهدين فراجع أنت كتاب الهدى وطابقه مع المصادر التي أشار إليها. فإن وجدت منه خيانة فاذكرها لكي تعلن بها للعموم فإنه أخجلنا في كتابه ببيان ما صدر من كتابنا الروحانيين من الخلل في النقل عن الكتب المقدسة – ومن جملتهم جمعية كتاب الهداية، والمرسلين الأمريكان، وجرجيس سايل، وعبد المسيح، وهاشم العربي، والغريب ابن العجيب. كما ذكرنا صحيفة 5 و 6 و 21 و 39 . يا اليعازر أنت تتكلم في طلب الحق وتستحثني على تعجيل ما عندي من بيان الحقيقة. وأنت لم تطهر قلبك من دنس العصبية – ها أنت قد نفرت من عمانوئيل حين ذكر لك كتاب كاتب باحث من المسلمين شريف الكتابة شريف البحث شريف المكالمة قد تخرج في أدب بحثه وشرف مكالمته وأمانته على أكابر المصلحين " نبيه. وقرآنه. وشريعته ".

يا اليعازر فكيف بك إذا سمعت منا في بيان الحقيقة أمورا كبيرة.

اليعازر. العفو يا سيدي لا تتوعج من جهلي فإني أقول: إن كاتب الهدى رجل مسلم. من أين تكون له الخبرة بالعهدين.

القس: لو تصفحت كتاب الهدى ورسالة التوحيد والتثليث لرأيت هذا الكاتب كأنه قضى عمرا طويلا في دراسة العهدين بكل إمعان وتحقيق.

اليعازر: شكرا لك يا سيدي على تأديبك لي وإرشادك إلى الصواب فالعفو يا سيدي – وأمر عمانوئيل أن يذكر لي التاريخ.

القس: يا عمانوئيل أذكر التاريخ لوالدك فإنه حر الضمير ولكن فيه شئ من العجلة ووباء الألفة والتقليد.

تاريخ بني إسرائيل من كتب العهد القديم وغيرها

عمانوئيل: يا والدي إن بني إسرائيل خرجوا من مصر إلى برية سينا وآيات الله ودلائل رسالة موسى تتتابع عليهم ليلا ونهارا وقد تكرر عليهم الأمر بالتوحيد والنهي عن عبادة الأوثان والشرك. ومع ذلك صنعوا العجل الذهبي وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من مصر وسجدوا للعجل وذبحوا. ولما أقاموا مع موسى في شطيم وزنوا ببنات مواب دعونهم إلى ذبائح آلهتهن فسجدوا لآلهتهن وتعلقوا ببعل فغور.

ولم تمض مدة كثيرة من موت يوشع حتى تركوا الله وساروا وراء آلهة أخرى وعبدوا البعل وعشتاروت.

ولم يزالوا يعاودون عمل الشر. وبعد موت جدعون رجعوا إلى شركهم وراء البعليم وجعلوا لهم بعل بريث إلها. وبعد موت يائير عبدوا البعليم والعشتاروت وآلهة آرام وإله صيدون وآلهة مواب وآلهة عمون وآلهة الفلسطينيين وتركوا الله ولم يعبدوه. وقالت النوامير عنهم إنهم اختلطوا بالمشركين وعبدوا أصنامهم وذبحوا بنيهم وبناتهم للأوثان.

ولما مات سليمان تبع رحبعام ابنه سبطا يهوذا وبنيامين وانعزل عنه باقي الأسباط فملكوا عليهم يربعام فعمل عجل ذهب لكي تعبدهما رعيته وهم عشرة أسباط من بني إسرائيل.

وقال هذه آلهتك يا إسرائيل واستمر هؤلاء الأسباط على عبادة عجول الذهب.

حتى إذا ملك " أخاب " شاعت في أيامه عبادة البعل واستمروا على خطيئتهم إلى أن ملك عليهم هوشع ابن أيله وفي أيامه سباهم ملك أشور وأسكن في ديارهم غيرهم وقد كانوا سلكوا حسب فرائض المشركين وعبدوا الأصنام ورفضوا فرائض الله وصاروا باطلا وعبدوا البعل.

وأما سبطا يهوذا وبنيامين فإنه لما تثبتت مملكة رحبعام بن سليمان ترك توراة الله هو وكل إسرائيل معه.

وعمل يهوذا الشر أكثر من جميع ما عمل آباؤهم،، وبنوا لأنفسهم آثار الشرك على كل تل مرتفع وتحت كل شجرة خضراء حتى صار منهم مأبونون ينذرون أنفسهم للأوثان لكي يلاط بهم. وفي السنة الخامسة لملك رحبعام نهب " شوشق " ملك مصر خزائن بيت الله وخزائن بيت الملك وأخذ كل شئ.

ثم ملك أبيا بن رحبعام وسار في جميع خطايا أبيه ولما ملك أسا ابن أبيا زال أثار الشرك.

ولكن المرتفعات للأصنام لم تزل. ولإسرائيل أيام كثيرة بلا إله حق وبلا كاهن معلم وبلا توراة: ثم ملك يهوشافاط بن آسا وعمل المستقيم ولكن مرتفعات الأصنام لم تزل. ثم ملك بعده يهورام ابنه وبعده ابنه أخزيا وعملا شر الشرك على نهج بيت أخاب.

وبعد أخزيا ملكت أمه المشركة عثليا بنت عمري وهدم بنوها بيت الله وجعلوا كل أقداس بيت الله للبعليم – إلى أن قتلوا عثليا ونهض " يواش الملك " و " يهوياداع " الكاهن مجدد أبناء بيت الله وأقاموه على رسمه ومقداره.

ولما مات يهوياداع الكاهن جاء رؤساء يهوذا وسجدوا للملك يواش فسمع لهم وتركوا بيت الله إلههم وعبدوا السواري والأصنام ورجموا "زكريا " بن يهوياداع لأجل دعوته إلى الإيمان ونهيه عن الشرك ورجموه بأمر الملك وقتلوه في دار بيت الله وتركوا الله إلههم. ثم ملك " أمصيا " بن يواش وأتى بآلهة ساعير وسجد لها.

وفي أيامه جاء يواش المشرك ملك إسرائيل ونهب كل الذهب والفضة وجميع الآنية الموجودة في بيت الله.

ثم ملك بعد أمصيا ابنه عزيا وبعده ابنه يوثام وكانا مستقيمين ولكن كان شعب اليهود يفسدون.

ثم ملك " أحاز " وسار في طريق المشركين وعمل تماثيل مسبوكة للبعليم وترك يهوذا الرب إلههم وقطع أحاز آنية بيت الله وأغلق أبواب بيت الله وغلقوا أيضا أبواب الرواق وأطفأوا السرج ولم يوقدوا بخورا ولم يصعدوا محرقة. ولما ملك " حزقيا " فتح أبواب بيت الله ودخل الكهنة إلى داخله وأخرجوا كل النجاسة التي وجدوها في الهيكل واستمروا في تطهير بيت الله ثمانية أيام.

ولما ملك " منسى " بن حزقيا عمل برجسات المشركين وبنى مرتفعات الأوثان وبنى مذابحها في دارى بيت الله. ولما ذاق وبال أمره من ملك أشور رجع إلى الله فلما أنقذه الله زال الأصنام والأوثان من بيت الله وأمر يهوذا أن يعبد الله إلههم.

ولما ملك ابنه " أمون " عمل كلما عمله أبوه في أول الأمر من إشاعة الشرك، ولم يرجع إلى الله كما رجع أبوه في آخر الأمر.

يا سيدي الوالد ومع هذا التقلب في الشرك في بلاد هي عاصمة التوحيد والشريعة الموسوية والتوراة وفي شعب لا يوجد للتوحيد والتوراة والشريعة فيه أثر. قل فهل يمكن في هذا الشعب المتقلب في الشرك والعداوة لمقدسات الله أن يبقي للتوراة الحقيقية تواتر، أو أثر صحيح خصوصا مع الصراحة بأنهم تركوا التوراة وكانت لهم أيام كثيرة بلا إله حق ولا توراة.

وكيف يبقي للتوراة أثر إذا تركوا الله إلههم وجعلوا بيت الله بيتا لأصنام الشرك بل أغلقوه وأطفأوا سرجه ونجسوه بحيث احتاج تطهيره وإخراج النجاسة منه إلى ثمانية أيام مع الاستمرار على العمل بالاستعجال الملوكي وهمة جمعية الكهنة.

يا والدي إن عداوة الشرك والمشركين للتوراة الحقيقية أشد من عداوتهم لبيت الله لأن التوراة تضاد ضلالهم وتوبخهم

بلسانها وبيت الله ليس له كلام يعارض أهوائهم. وها هم قد هدموه مرارا فهل يبقون أثرا للتوراة.

يا والدي هذا الشعب المشرك الذي يشيع فيه من العوائد الوثنية أن ينذروا أنفسهما للأصنام لكي يلاط بهم ويسمونهم قدسيم حتى بنوا لفحشائهم بيوتا حول بيت الله، هل يترك هذا الشعب للتوراة أثرا. يا والدي واسمع تأكيد ما أقوله وتحقيقه فيما أذكره من أمر " يوشيا ".

دعوى حلقيا إنه عثر على التوراة

ثم ملك بعد أمون ابنه " يوشيا " وكان مؤمنا وفي السنة الثانية عشر من ملكه ابتدء يطهر يهوذا وأورشليم من معابد الشرك السواري والمرتفعات والمسبوكات وقطع تماثيل الشمس وهدم بيوت المأبونين التي عند بيت الله وبعد ما طهر الأرض وبيت الله توجه لترميم البيت وتسقيف البيوت التي أخربها يهوذا منه. وعند إخراجهم الفضة المدخلة إلى بيت الله قال حلقيا الكاهن لشافان الكاتب قد وجدت سفر التوراة في بيت الله فقال شافان للملك:

قد أعطاني حلقيا سفرا وقرأ فيه شافان أمام الملك فلما سمع الملك كلام التوراة مزق ثيابه وأمر جماعة من خواصه قائلا: إذهبوا سألوا الله من أجلي وأجل من بقي من يهوذا وإسرائيل على كلام السفر الذي وجد، فإن آبائنا لم يحفظوا الله ليعملوا حسب كل ما هو مكتوب في هذا السفر.

وجمع الملك كل رجال يهوذا وكل الشعب من الصغير إلى الكبير والكهنة والأنبياء إلى بيت الله ووقف على منبره وقطع عهدا مع الله على عبادته وحفظ وصاياه وفرائضه. حسب كلام العهد المكتوب في هذا السفر.

يا والدي وهذا الكلام ينادي بالصراحة إن يوشيا لما رأى السفر الذي ادعى حلقيا إنه وجده في بيث الله وسمعا فيه، رأى شيئا لم ير مثله وسمع ما لم يكن مسموعا. وعد يوشيا والمؤمنون من يهوذ هذا السفر من الحقايق التي غفلت عنها حوادث الأيام، وأخفتها عن نواهيها زوايا الخمول حتى مزق الملك ثيابه واضطرب من أجل جهلهم لكتاب الله وما فيه، وبذل العناية التامة في الاحتفال وقراءته على جميع يهوذا والشعب لكي يطلعوا على ما أضاعه منهم الضلال ويردوا إلى العمل بالشريعة التي لم يكونوا يعرفونها ولا يجدون كتابها.

اليعازر: عجبا كيف قبلوا من حلقيا دعواه إن هذا سفر التوراة وأنه وجده في بيت الله ولماذا لم يقولوا له يا حلقيا لماذا لم توجد هذه التوراة عند تطهير بيت الله. ولماذا لم توجد عند إدخال الفضة إلى بيت الله. وكيف اعتمدوا على أمانة حلقيا.

عمانوئيل: إن بني إسرائيل كانوا ملتفتين كما شهدت لهم التجارب إلى أن انتظام جامعتهم القومية وجامعتهم السياسية. واستقلالهم السياسي.

وشرف جامعتهم ورياساتهم إنما تكون بانضمامهم إلى الديانة الموسوية وكتاب التوراة. لكن كثيرا ما تأخذهم سكرة الأهواء وضلال الشرك فيسحقون الديانة الموسوية وكتاب التوراة. وأما إذا أفاقوا من هذه السكرة لم يكن لهم بد من أن يجعلوا صورة الديانة الموسوية واسم التوراة وساما رسميا لقوميتهم وشرفهم وسياستهم. وكانوا في أيام يوشيا في حال إفاقة من سكراتهم الطويلة.

ولكن سلفهم لم يبقوا لهم ذلك الوسام الرسمي الكريم.

ولما سمعوا باسم ذلك الوسام أغفلهم الشرق إليه عن كل اعتراض. وصدق لهم سريعا على أمانة حلقيا. فاكتسب ذلك السفر صفة الرسمية الثابتة. ألا ترى يا والدي أن اليهود والنصارى يعترفون بأن الأصل العبراني المقدس في مقدسات اليهود فيه غلط كثير أشرنا إلى بعضه فيما تقدم وفي خصوص صحيفة 63 و 64 وستأتي قريبا إشارتنا إلى الباقي فصححوه بأجمعهم في الحواشي وأبقوا ذلك الغلط مقدسا لا سلطة عليه في المتن لحقيقة التصحيح. كل ذلك لأن النسخة المغلوطة اكتسبت يوما من الأيام صفة الرسمية فلا يحكم عليها حاكم الصواب بعد ذلك.

يا والدي وربما يغالطهم في تصديق حلقيا مضافا إلى ما تقدم ما يجدون في بعض سفره من الموافقة لبعض ما بقي عند كهنتهم وشيوخهم من رسوم الشريعة والكلمات المحفوظة بنقل الآباء عن الأسلاف عن التوراة الفقيدة.

فإني أرى كثيرا من الكاتبين الروحانيين يستشهدون لصحة كتب العهد الجديد بوجود فقرة فيها تشبه بعض الفقرات الموجودة في كتابات الأسلاف القدماء.

القس. يا عمانوئيل أفلا تظن أن احتفال يوشيا بتوراة حلقيا لأجل أنها التوراة التي كتبها موسى بيده ووضعها في التابوت أو أمامه وأمر أن تجعل مع التابوت في قدس الأقداس من خيمة الاجتماع أو بيت المقدس.

فليس ذلك الاحتفال لأجل أنها نسخة وحيدة لا يوجد غيرها من نسخ التوراة.

عمانوئيل: لا يا سيدي لا يمكن أن يظن ما تقوله ولا يرضى به التاريخ.

القس: لماذا يا عمانوئيل..

عمانوئيل: يا سيدي لأن الكلام الذي ذكرناه من حلقيا ويوشيا ينادي بأن ذلك الاحتفال بتوراة حلقيا إنما كان لأجل أنها

النسخة الوحيدة في بني إسرائيل وزمانها والمسماة باسم توراتهم الفقيدة العزيزة.

ولا بد من أن سيدي القس اطلع على أصل ما نقلناه في حال يوشيا وتوراة حلقيا في الفصل الثاني والعشرين والثالث والعشرين من سفر الملوك الثاني وفي الفصل الرابع والثلاثين من سفر أخبار الأيام الثاني ولا بد أن يكون سيدي القس نظر إلى ذلك في أصله العرواني وتراجمه.

وأيضا يا سيدي إن التورية التي كتبها موسى لا يمكن أن تبقى موجودة في قدس الأقداس إلى زمان يوشيا. ويشهد بذلك التاريخ المقدس من ارتدادات بني إسرائيل وأنهم مكثوا أياما كثيرة بلا إله حق ولا توراة.

مع تكرار الخراب والنهب لبيت الله وقدس الأقداس وتنجيسهما وجعلهما بيوتا للأصنام. وكيف يسمحون لها بالبقاء وهي أشد الأعداء لهم في مضادة شركهم ولعنهم وتوبيخهم بل هي لواء مصادمتهم يا سيدي لا يمكن في العادة أن يبقى لها أثر.

وأيضا يا سيدي إن الفلسطينيين بعد موسى بنحو ثلاث مائة وعشر سنين نهبوا التابوت ولم يرد إلى مكانه في خيمة الاجتماع إلا في زمان داود بعد مائة سنة. ولما بنى سليمان الهيكل ونقل إليه التابوت لم يكن فيه إلا لوحا العهد ولم يجر في كل هذه الأحوال ذكر للتوراة التي بخط موسى حتى في نقل سليمان لأثوات الخيمة إلى الهيكل مع الأواني. فهل كانت الأواني أهم بالذكر من التوراة التي بخط موسى.

لا يا سيدي إن ارتدادات بني إسرائيل إلى الشرك في زمن القضاة لا تترك أثرا للتوراة التي بخط موسى.

فكيف بارتداداتهم بعد ذلك.

عمانوئيل: يا سيدي الوالد. ثم ملك بعد يوشيا إلى سبي بابل " يهواحاز " و " يهوياقيم " و " يهوياكين " وعملوا الشر.

وأما يهوذا في أيام هؤلاء الملوك فقد تكرر في الفصل السابع والثامن والتاسع والحادي عشر والثاني عشر والسادس عشر من كتاب إرميا النبي توبيخهم على سلوكهم وراء البعليم وسيرهم وراء إلهة أخرى حتى صارت آلهتهم بعدد مدنهم وبعدد شوارع أورشليم.

بعض شواهد التحريف

يا والدي وهذا النبي إرميا في كتابه الذي يعتبره اليهود والنصارى كتاب وحي إلهي.

ها هو يشهد بالصراحة على اليهود بتحريفهم للتوراة فإنه يقول في العدد السادس والثلاثين من الفصل الثالث والعشرين: " ووحي الله لا تذكروا بعد لأن وحي الله للرجل كلامه وقد حرمتم كلام الإله الحي رب الجنود إلهنا ". وأيضا في العدد الثامن من الفصل الثامن من إرميا: كيف تقولون حكماء نحن وتوراة الله معنا لكن هوذا للكذب عملها قلم كذب الكتبة.

يا سيدي الوالد وأما حادثة سبي بابل فقد ذكرت لحضرتك في صحيفة 108 أن نبوخذراصر " بختنصر " أحرق بيت

المقدس وخربه ولاشى المقدسات والأمة بالسبي والقتل ولما أطلقهم كورش بعد سبعين سنة وتوجهوا إلى عبادة الله والشريعة.

يقول كتاب نحميا في الفصل الثامن " إجتمع كل الشعب وقالوا لعزرا الكاتب أن يأتي بسفر توراة موسى التي أمر بها الرب فأتى عزرا بالتوراة أمام الجماعة من الرجال والنساء وكل فاهم ما يسمع ويقرأ فيه وبكى جميع الشعب حين سمعوا كلام التوراة.

يا والدي ولو كانوا يعرفون التوراة أو عندهم منها نسخ لما استولى عليهم البكاء. وفي اليوم الثاني اجتمع رؤساء آباء الشعب والكهنة واللاويون إلى عزرا ليتلو عليهم كلام التوراة فوجدوا مكتوبا فيه " إسرائيل يسكنون في مظال في العيد في الشهر السابع " فأخذوا في عمل المظال ".

يا والدي إن الكهنة هم حملة التوراة ولهم سيطرة الشريعة بمقتضى الوظيفة الشرعية فلماذا احتاج الكهنة إلى السماع من عزرا، ولماذا لم يعرفوا قبل ذلك شريعة المظال – نح 13: 1 و 3 وقرأ أيضا ووجد مكتوبا: إن عمونيا وموابيا لا يدخل في جماعة الرب. ففرزوا كل اللفيف.. ولماذا لم يعرفوا ولم يجدوا هذا الكلام قبل ذلك اليوم لو كان عندهم نسخ أو نسخة واحدة من التوراة – يا والدي ويا ليت توراة عزرا سلمت بعد ذلك.

اليعازر: وماذا جرى بعد سبي بابل على اليهود وتوراتهم.

عمانوئيل: يا سيدي إن كتابي المقابين تعتوهما فوقة الكاثوليك من الكتب القانونية المقدسة. وهما وإن كانا عند البروتستنت ليسا من الكتب القانونية المقدسة لكنهما لا يقصران عن أن يكونا كتابي تاريخ معتبر. وقد ذكر في الفصل الأول من السفر الأول. أن " أنطوخيوس " الامبراطور لما فتح أورشليم أحرق جميع نسخ الكتب المقدسة التي حصلت له من أي مكان. وأمر بأن من يوجد عنده نسخة منها أو يؤدي رسم الشريعة يقتل. وكان التحقيق " التفتيش " على هذا يجري في كل شهر فيقتل من وجدت عنده نسخة أو أدى رسوم الشريعة. وتعدم تلك النسخة. ودام هذا الحال ثلاث سنين.

يا والدي والتواريخ أيضا تشهد بذلك. ومنها تاريخ " يوسيفوس " اليهودي. وهذا " جان ملز " كما تلك في صحيفة 115 من كتابه المطبوع سنة 1843 يقول اتفق أهل العلم على أن نسخة التوراة ونسخ العهد العتيق ضاعت من أيدي عسكر نبوخذ راصر " بختنصر " ولما ظهرت نقولها الصحيحة بواسطة عزرا ضاعت تلك النقول أيضا في حادثة انطوخيوس، ثم قال فلم تكن شهادة لصحة هذه الكتب ما لم يشهد المسيح والحواريون..

اليعازر: يا عمانوئيل. لماذا تقابل الأمة اليهودية والأمة المسيحية بقول: " جان ملز " أما إنك قد صرت مثل أصحابنا المبشرين؟

إذ يقابلون المسلمين بقول: " فلان المفسر " يا عمانوئيل هذا من الغلط.

عمانوئيل: إني ذكرت عن جان ملز قوله التاريخي لكي يتأيد به تواريخ المقابيين. ويوسيفوس، وباقي المؤرخين، ولم أستند إلى كلامه وحده.

اليعازر: إن حادثة انطوخيوس كانت قبل التاريخ المسيحي بنحو مائة وتسعة وستين سنة.

الصفحة 118

والترجمة السبعينية صدرت قبل حادثة انطوخيوس بنحو مائة وعشر سنين وانتشرت في أقطار العالم.

فهب أن حادثة أنطوخيوس أعدمت النسخة العبرانية. ففي بقاء النسخة السبعينية كفاية.

عمانوئيل: إن ولادة النسخة السبعينية كانت في مصر.

ومن أين لك أنها انتشرت في أقطار العالم قبل حادثة انطوخيوس. وهبها انتشرت في مصر وفلسطين. ولكن جيش أنطوخيوس المعادي لكتاب العهد القديم قد دخل مصر فاتحا قبل البلاد اليهودية. فلا بد من أن تكون عداوته قد أعدمت العهد القديم في مصر كما أعدمته في البلاد اليهودية.

وإن التواريخ تقول: إنها تطلب إعدام نسخ العهد القديم من كل مكان.

يا والدي وكيف كان فإن النسخة السبعينية تشهد بنقصان النسخة العبرانية نقصانا مخلا في أربعة عشر موردا، وبزيادتها في موردين، وبغلطها في ثمانية موارد. وقد أحصى ذلك الجزء الثاني من كتاب الهدى صحيفة 18 والحاصل أن كلا من النسخة العبرانية والنسخة السبعينية هو كما قال الشاعر.

وكل يدعي وصلا بليلى وليلى لا تقر له بذاكا

الصفحة 119

اليعازر: فهل تقول: إن كل التوراة الموجودة هي مخالفة لتوراة موسى بجميع كلامها وجميع عرفانها وجميع تاريخها وجميع شرايعها.

عمانوئيل: لا يا والدي بل لا بد بحسب العادة أن يبقى أثر وشئ من منقولات السلف للخلف عن محفوظات التوراة الحقيقية.

ولكنه يضيع بين الدخيل والمحرف ويشتبه الأمر. نعم لا يشتبه الأمر في مقامين: أحدهما: ما نعلم أنه لا يمكن أن يكون من التوراة الحقيقية ولا من كلام الله ولا وحيه. وهو ما ذكرناه في أثناء مكالمتنا واعترضنا عليه بمخالفته للمعقول.

وثانيهما: ما صدقته نبوة حقيقية ونصت على تصديقه بذاته لا بالاسم الذي يلتصق كل يوم بمسمى جديد. لكن النتيجة يا والدي إنا فاقدون لتوراتنا الحقيقية. فإن هذه الموجودة لا يمكن الاعتماد على فترة منها.

ومن المضحك والمخجل أن جماعة من الكتبة مثل المتسمى هاشم العربي، والغريب ابن العجيب يعترضون على بعض ما يذكره القرآن من التواريخ، وبعض ما يذكره العرب في تاريخ " مكة " المسماة في التوراة " مسا " وتاريخ جدهم إسماعيل بن إبراهيم.

وغاية اعتراضهم هو أن ما يذكره القرآن والعرب غير موجود في التوراة.. أفلا يشعر هؤلاء المعترضون بما في توراتهم من أسباب الخلل.

القس: يا عمانوئيل. ما عليك من فلان المبشر، وفلان الكاتب، أفلا تذكر ما تقدم في صحيفة 5 و 6 من إنكار جماعة لذكر التوراة لليوم السابع وتقديسه. وفي صحيفة 21 من أن جماعة ادعوا على القرآن أنه يقول: " قابيل وهابيل ". وفي صحيفة 33 و 34 من أن بعض الناس ادعوا على القرآن أنه يقول: إن هرون عبد العجل حينما كان موسى على الجبل، وإن داود أخذ نعجة أخيه، وإن إبراهيم كان عابد وثن.. وفي صحيفة 40 من أن بعض الناس لبعض الأغراض زادوا على التوراة لفظ " أتى ". يا والدي.

أما إن الكاتبين لكتاب عبد المسيح، وكتاب جمعية الهداية، وكتاب هاشم العربي، وكتاب ثمرة الأماني، وكتاب رحلة الغريب ابن العجيب وغيرهم من المبشرين. هؤلاء كلهم قد جنوا على كتب العهدين وديانة قومهم جناية كبيرة، فإنهم تعرضوا لدين الاسلام، ورسوله، وقرآنه، ويا ليتهم لم يتعرضوا، أو تعرضوا بشرف علم وأدب. بل ألجؤا المسلمين إلى أن يتجرد منهم جماعة للتدقيق في دراسة كتب العهدين بلسانها الأصلي، ونسخها الخطية، وتراجمها وأصناف مطبوعاته، فصار الكاتبون من المسلمين، يخجلوننا باعتراضاتهم على كتبنا وكتبتنا والمترجمين، وبمقابلتهم بين العهدين وبين القرآن في المواضيع المشتركة بالذكر في العهدين والقرآن، ويوردون أضعاف الانتقادات التي ذكرناها في هذه الدراسة، وذلك مما جناه كتبتنا الغافلون.

عود إلى دراسة الكتب

القس: يا عمانوئيل. أما تحب أن تعود إلى دراسة الكتب العهدين.

اليعازر: إنا بدراسة عمانوئيل قد خسرنا التوراة الموجودة. فإني وأنا عامي شديد التمسك بالديانة أدفع كل اعتراض بقولي هذه وسوسة في الكتب المقدسة. وقد صرت في هذه الدراسة الحرة مقتنعا بأن التوراة الموجودة ليست توراة موسى الحقيقية.

عمانوئيل: يا والدي. وهل ندمت أنت على رضاك في أول الأمر بهذه الدراسة، وهل تكره أن يظهر لك الحق، وتكون على بصيرة من أمرك، وهل تكلم القس بما يثقل على هواك.

اليعازر: يا ولدي.

من ذا الذي يكره ظهور الحق، وهل يكره ذلك إلا من خسر حظه.

وحاشا لحكمة سيدنا القس أن يتكلم بشئ يثقل على الهوى ويهيج العصبية. حتى إني في أول الأمر كنت عاتبا على قداسته في حياده عن جوابك.

ومماطلته لنا بالآمال. ولكني الآن عرفت أن ذلك كان منه على حقيقة الحكمة.، فإنه لو تسرع بالبيان لفعلت العصبية

أفاعيلها الردية.

ولكنه بحكمته ترك عقولنا تخاصم أهوائنا.. فعد إلى دراستك يا ولدي أدام الله توفيقك ببركة سيدنا.

سفر يشوع – يوشع

القس: اقرأ يا عمانوئيل في سفر يشوع بن نون.

عمانوئيل: قد بقي شئ من التوراة أحب أن أسأل عنه. وهو أن الفصل الرابع والثلاثين من سفر التثنية من التوراة يذكر موت موسى ومناحة بني إسرائيل عليه ثلاثين يوما. فمن هو الكاتب لهذه الكلمات وكيف جعل هذا الفصل من التوراة التي أنزلت على موسى. يا سيدي وإن هذا الكاتب يقول: "ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم "وهذا يشير إلى أن هذه الكتابة كتبت بعد موت موسى بزمان طويل. ويقول: في الأصل العبراني "ويقبراتو " أي ودفنه. ولم يذكر من الذي كان مع موسى عند موته فدفنه.

القس: قد قيل إن الكاتب لهذا الفصل هو يشوع بن نون. وقيل غير ذلك. ولا حجة على شئ من هذه الأقاويل "ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر ".

لماذا لم يكتبه يشوع في أول الكتاب المنسوب إليه؟ لماذا يدس هذا في التوراة. ماذا ينفع التخمين البارد. اقرأ يا عمانوئيل.

عمانوئيل: إني قرأت سفر يشوع مرارا. وكلما قرأت فيه تكدر خاطري مما فيه الحروب القاسية التي دامت على ذبح الأطفال والنساء وإبادة كل نسمة في البلاد المفتوحة.

القس: إن هذا العمل هو شريعة التوراة في هؤلاء الأمم.

عمانوئيل: قد جرى ذكر هذا فيما قبل وكتبناه في صحيفة 69 و 70 . وقد ذكرنا لحضرتك أنا ووالدي أن وجداننا لا يقبل أن تكون مثل هذه القساوة الوحشية والفظاظة الهمجية من شريعة الله ووحيه. وكأنك صدقتنا فيما قلنا. فلا حاجة لي في سفر يشوع.

القس: اقرأ في سفر القضاء.

عمانوئيل: يا سيدي إن العمدة في أساسيات الديانة هي توراة سيدنا موسى وإنجيل سيدنا المسيح فإذا لم نقف في أمر هذين الكتابين على قدم ثابت فلا أهمية في باقي كتب العهدين.

القس: يا عمانوئيل إذا كان هذا رأيك فابدأ. بأي الأناجيل شئت وإن كان ترتيب الكتابة يقتضي أن تبتدئ بإنجيل متي.

من كتب الأناجيل – ومتى كتبت

عمانوئيل: يا سيدي هل كانت هذه الأناجيل الأربعة في زمان المسيح.

القس: لا، يا عمانوئيل. وإنما صنفت بالإلهام بعد زمان المسيح بمدة سنين عديدة.

عمانوئيل: من صنف هذه الأناجيل.

القس: يذكر أنهم أربعة رجال اثنان من تلاميذ المسيح الاثني عشر وهما متى ويوحنا. واثنان من أتباع التلاميذ وهما مرقس ولوقا.

عمانوئيل: بأي تاريخ صنفت هذه الأناجيل.

القس: يذكر أنه صنف إنجيل متى بعد تاريخ الميلاد سنة 32 أو 38 أو 41 أو 43 أو 48 أو 61 أو 62 أو 63 أو 64: وصنف إنجيل مرقس ما بين سنة 56 و 65 والأغلب أنه سنة 60 أو 63: وصف إنجيل لوقا سنة 53 أو 63 أو 64: وصنف إنجيل يوحنا سنة 68 أو 69 أو 70 أو 89 أو 98 . يا عمانوئيل وقد كان صلب المسيح على ما يقال في سنة التاسعة والعشرين من التاريخ المسيحي.

من هو وما هو متى؟ ومن هو وما هو يوحنا؟

عمانوئيل: هل يمكن معرفة " متى " و " يوحنا ".

القس: ذكر نفس متى في إنجيله 9: 9 أنه كان مستخدما في جباية اليونانيين ويسمى عشرا قال له المسيح اتبعني فتبعه.

وفي إنجيل مرقس 2: 14 سماه لاوي ابن حلفي كان جالسا عند مكان الجباية فقال له المسيح: اتبعني فتبعه. ونحوه في إنجيل لوقا 5: 27 و 28.

وأما يوحنا فهو ابن زبدي رآه المسيح وأخاه في السفينة مع أبيهما يصلحان شباكها فدعاهما فتركا السفينة وأباهما وتبعاه مت 4: 21 ومر 1: 19 وذكر لوقا 5: 10 أنهما كانا شريكي سمعان بطرس في صيد السمك من بحيرة طبرية. ويسمى يوحنا الحبيب أي حبيب المسيح لأنه هو الذي قال عنه في إنجيله في الفصل التاسع عشر، والعشرين، والحادي والعشرين، التلميذ الذي كان يسوع يحبه.

وقال عنه في الفصل الثالث عشر وكان متكئا في حضن يسوع واحد من تلاميذه كان يسوع يحبه فأومأ إليه سمعان بطرس أن يسأل من عسى أن يكون الذي قال عنه: فاتكأ ذاك على صدر يسوع وقال: يا سيدي من هو. وكرر ذلك في الفصل الحادي والعشرين.

عمانوئيل: يا سيدي القس كم كان عمر يوحنا حينما كان متكئا في حضن المسيح ويتكأ على صدره ويتغنج عليه.

هل كان يوحنا حينئذ ابن أربع سنين أو ثلاثة حتى لا يكون هذا العمل قبيحا.

القس: قد ذكرت لك عن الأناجيل الثلاثة أن يوحنا كان قبل الاتكاء في حضن المسيح بثلاث سنين يعمل في السفينة ويصيد السمك ويصلح الشباك ولا يمكن أن يكون عمره بحسب العادة حين الاتكاء أقل من أربعة عشر سنة.

عمانوئيل: يا سيدي إني لأخجل كثيرا من وجود هذا الكلام في إنجيلنا المقدس. فإن المسيح الذي جاء ليعلم الناس بأخلاق الأدب والعفاف كيف يترك الشاب يجلس في حضنه ويتكأ على صدره يا سيدي حاشا المسيح وحاشا الانجيل الحقيقي من ذلك.

يا سيدي وهل يمكن أن نعرف شيئا من أحوال متى ويوحنا.

أحوال التلاميذ الاثني عشر

القس: كانا من التلاميذ الاثنى عشر ولكن الأناجيل تذكر أن التلاميذ تشاجروا لأجل الرياسة الدنيوية فيمن يكون منهم الأكبر بعد المسيح لما أخبرهم بما يجري عليه وأنه ماض عنهم. فوبخهم المسيح على تشاجرهم ومناهم بما يرغبهم في الائتلاف " لو 22: 23 – 31 " ووبخهم المسيح على قلة إيمانهم " مت 16: 8 " وأنهم لا إيمان لهم " مر 4: 40 " وليس لهم من الإيمان مثل حبة خردل " مت 17: 20 " ووصفهم الانجيل بغلظ القلوب " مر 6: 52 " وأخبر المسيح بأنهم جميعا يشكون فيه ليلة هجوم اليهود عليه (مت 26: 31 " ويتفرقون عنه كل واحد إلى خاصته ويتركونه وحده " يو 16 – 32 " وطلب منهم أن يسهروا معه تلك الليلة فلم يفعلوا ولم يواسوه مع ما هو فيه من الدهشة والاكتئاب حتى وبخهم على ذلك مرارا ولما هجم عليه اليهود وتركوه كلهم وهربوا " مت 26: 36 – 57.

يا عمانوئيل ثم أنهم لم يصدقوا اللواتي أخبرنهم بقيام المسيح من الأموات وعدوا كلامهن كالهذيان " لو 24: 11 " حتى وبخهم المسيح على عدم إيمانهم وقسوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام " مر 16: 14 ".

يا عمانوئيل وهذا الحال منهم مدهش فإن المسيح كثيرا ما بين لهم أنه يتألم من اليهود وفي اليوم الثالث يقوم من القبر ومن الأموات " أنظر أقلا إلى مت 16: 21 و 17: 23 و 20: 19 و 26: 32 " ومثل ذلك في الأناجيل الأربعة كثير حتى إن اليهود كانوا يعلمون بكلامه هذا ويذكرونه ويخشون عاقبته (27: 63) فكيف نساه التلاميذ أو تناسوه فيا للأسف.

اليعازر: ما كنت أظن أن خاصة المسيح وتلاميذه الاثني عشر يكونون بهذا الانحطاط.

عمانوئيل: يا سيدي الوالد إن يهوذا الأصخريوطي كان واحدا من التلاميذ الاثني عشر وكان أمين المسيح على صندوق أموال الفقراء كما في الفصل الثاني عشر والثالث عشر من إنجيل يوحنا وقد كان يسرق من أموال الفقراء (يو 16: 6) وهو الذي سلم المسيح إلى أعدائه وباع دمه الشريف بقليل من الفضة كما صرحت به أواخر الأناجيل الأربعة وأول أعمال الرسل.

يا والدي والأمر العجيب أن القديس بطرس صار ينتهر المسيح حتى قال له المسيح: إذهب عني يا شيطان أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله بل بما للناس (مت 16: 22 و 23) وقد أنكر المسيح ليلة هجوم اليهود ثلاث مرات وابتدأ يلعن ويحلف أنه لا يعرفه " مت 26: 69 – 75) مع أن المسيح أنذره بذلك فوعد المسيح بأن لا ينكره ولو اضطر إلى الموت معه " مت 26: 35 ".

اليعازر: يا ليتني لم أسمع بهذا عن تلاميذ المسيح وخاصته إذن فكيف نطمئن بهم على الديانة المسيحية. أما إن هذه الأحوال واطمئناننا بهم على الديانة يجعلنا عارا عند الأمم.

القس: مهلا يا اليعازر فإن الأناجيل تقول: إن المسيح بعد قيامه من الأموات أرسلهم وقال لهم: إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به كما في آخر إنجيل متى. إذهبوا إلى العالم أجمع وعظوا بالإنجيل للخليقة كلها كما آخر إنجيل مرقس، وقال لهم: كما أرسلني الأب أرسلكم أنا " يو 20: 21) ولما صار يوم الخمسين امتلأوا مع التلاميذ من الروح القدس " 1 ع 2: 3 و 4).

اليعازر: الأناجيل التي تذكر هذا التمجيد للتلاميذ أليست هي الأناجيل التي نسبت إلى قدس المسيح وحاشاه أنه يقول: بتعدد الأرباب والآلهة بالحجة الواهية مع التحريف الكبير كما مر في صحيفة 77 و 78.

من هو مرقس ومن هو لوقا وما هما

عمانوئيل: يا سيدنا القس وهل يمكن أن نعرف شيئا من أحوال (مرقس) و (لوقا).

القس: يمكن أن نعرف بعض أحوالهما من الكتب المقدسة أما مرقس الذي اسمه يوحنا (1 ع 12: 12 و 15: 37) فقد كان ابن أخت برنابا (كو 4: 11) وكان خادما مع برنابا وبولس في سفرهما (1 ع 12: 25 و 13: 5) ورجع عنهما من بمفليه إلى أورشليم (1 ع 13: 13) ولما أراد السفر من انطاكية أراد برنابا أن يأخذاه معهما وامتنع بولس من أن يأخذاه لأنه رجع عنهما من بمفلية ولم يذهب للعمل فتشاجر لذلك برنابا وبولس وتفارقا فأخذ برنابا مرقس معه وسافر إلى قبرس (1 ع 15: 37 – 40) ثم بعد ذلك كتب بولس لتيموثاوس أن يأتيه ويحضر معه مرقس لأنه نافع للخدمة (2 تى 4: 11) وكان هو ومرقس مع بولس في روميه (كو 4: 10 و 14 وفل 26) وبما أن لوقا هو كاتب أعمال الرسل يعرف أنه كان يرافق بولس في سفره إلى مقدونية ورومية. لكن يا عمانوئيل لم يجئ نص من الكتب المقدسة على أن لوقا ومرقس كانا من المائة الذين حل عليهم الروح القدس (1 ع 1: 15 و 2: 4) ولا ذكر اسماهما في عداد الأنبياء الذين كانوا في كنيسة انطاكية (1 ع 13: 1).

عمانوئيل: يا سيدي القس هل تذكر كتبنا المقدسة أن مرقس ولوقا كانا نبيين وهل تذكر لهما شيئا من المعجزات.

القس: لا يا عمانوئيل لم أجد شيئا من ذلك في كتبنا المقدسة مع كمال الفحص.

عمانوئيل: إن جمعية كتاب الهداية المطوع بمعرفة المرسلين الأمريكان تقول في الجزء الثالث في صحيفة 95 قد كان لوقا البشير من السبعين تلميذا الذين أرسلهم المسيح ليكرزوا (يعظو) في اليهودية لو 10: 1 – 20.

القس: يا عمانوئيل اقرأ الفصل العاشر من إنجيل لوقا فإنك لا ترى فيه أسماء التلاميذ السبعين ولا اسم لوقا. فمن أين قالت جمعية الهداية إن لوقا من السبعين.

عمانوئيل: يا سيدي استدلت هذه الجمعية على هذه الدعوى هذه فقالت والدليل على ذلك اختصاص لوقا بذكر السبعين تلميذا.

القس: وأنت أيضا يا عمانوئيل تذكر هذا الكلام بفمك. هل كل من ينفرد ويختص بذكر قصة يلزم أن يكون صادقا فيها ومن رجالها.

لا يا عمانوئيل بل إن مثل هذه القصة المهمة من أعمال المسيح إذا لم تذكرها ثلاثة من الأناجيل المهتمة بتاريخ المسيح ودعوته فالأولى أن نتهم من ينفرد بها. يا عمانوئيل إن أصحاب المضحكات يذكرون أن مغفلا قال لأهله:

إن في دارنا سارقا قالت له: من أين علمت وما هو دليلك قال: إن الناس يقولون إن السارق إذا مشى في الدار لا يسمع صوته وها أنا الآن لا أسمع صوتا. يا عمانوئيل أترضى أن تكون حجتنا على نبوة لوقا هو أن الأناجيل لم تذكر قصة السبعين تلميذا.

عمانوئيل: يا سيدي وهل تسمح لي بأن أذكر لك بقية احتجاج جمعية الهداية على نبوة لوقا ملخصا.

القس: قل ما عندك وإن كنت لا أحب أن أسمعه.

عمانوئيل: يقولون إن لوقا رافق بولس إلى مقدونية وإلى رومية وإن الرسل كانوا يمنحون الروح القدس للمؤمنين وكان سيلا رفيق بولس نبيا وكان الأنبياء كثيرين وكان لفيلبس أربع بنات عذارى يتنبأن.

فينتج من كل ذلك أن لوقا كتب إنجيله بإلهام الروح القدس.

القس: هل ترضى لشرفك أن تحتج لهذه النتيجة بهذه المقدمات.

عمانوئيل: يا سيدي هل ادعى لوقا النبوة وهل ظهرت منه آية.

القس: لا يا عمانوئيل ليس لذلك أثر بل إنه افتتح إنجيله بصورة أنه مؤرخ ينقل التاريخ عن غيره من الناس فقال. (إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شئ بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس.

عمانوئيل: يا سيدي إن أصحابنا يقولون إن مرقس مختص ببطرس الرسول وكان معه في رومية.

ولوقا مختص ببولس ولا بد من أن يكون بطرس اطلع على إنجيل مرقس وصدق عليه ولا بد من أن يكون بولس اطلع على إنجيل لوقا وصدق عليه فيكون هذان الإنجيلان معصومين بسبب تصديق الرسولين بطرس وبولس عليهما.

القس. واخجلاه إذ رجع أمرنا إلى الدعاوى التخمينية الوهمية في مثل قولنا: لا بد من أن يكون بطرس وبولس اطلعا على إنجيلي مرقس ولوقا وصدقا عليهما. يا عمانوئيل من أين يحصل العلم بأن مرقس ولوقا كتبا إنجيليهما في حياة بطرس وبولس ومن أن أين نعلم أن بطرس وبولس اطلعا على إنجيلي مرقس ولوقا. ومن أين نعلم إن بطرس وبولس صدقا على هذين الإنجيلين. وأيضا يا عمانوئيل ستعرف الكلام في بولس وأن تصديقه لا يفيد شيئا.

يا عمانوئيل وهناك أمر كبير مما يحول بيننا وبين تصحيح هذه الأناجيل.

وهو أن نوصل هذه الأناجيل وكتاب أعمال الرسل بالسند الصحيح إلى متي ومرقس ولوقا ويوحنا. وغاية ما عند أصحابنا المسيحيين أنهم يتشبثون لصحة سندها بأن جماعة من الأساقفة القدماء أوردوا في كتبهم كلمات من الأناجيل فمن الجيل الأول الذين أدركوا زمان التلاميذ (أكليمندس) و (هرماس) و (غناتيوس) و (بوليكاربوس) ومن الجيل الثاني (باباياس) و (يوستين) و (ابر ينيوس) و (اثيناغوروس) ومن الجيل الثالث (أورجينيوس) و (ديونيسيوس) و (غريغورس) ومن الجيل الرابع (أوسابيوس) و (هيلاريس) وقد بذل أصحابنا جهدهم في جمع أسماء هؤلاء للاستشهاد بهم كما في الجزء الأول من كتاب الهداية صحيفة 155 – 157 والجزء الثالث صحيفة 123 و 124 وغاية ما تحصل من الاستشهاد بهؤلاء هو أنه قد ورد في كتبهم كلمات تشبه بعض كلمات الأناجيل من دون نص ولا إشارة إلى أنها مأخوذة من هذه الأناجيل الموجودة.

أنظر إلى الجزء الثالث من كتاب الهداية صحيفة 181 – 202.

عمانوئيل: يا سيدي وهل يثبت الكتاب الكبير بأجمعه ويكون قطعي السند ومتواترا بواسطة أنه توجد كلمات قليلة تشبه بعض كلماته في كتب ثلاثة رجال أو أربعة؟ يا سيدي ومن هؤلاء الرجال ومن أين علمنا إن الكتب المنسوبة لهم هي لهم حقيقة.

القس: يا عمانوئيل سل هذا السؤال من أصحابنا والعجب أنك تسأله مني.

اليعازر: يا سيدي إني أتأسف كثيرا لأنه لا يوجد لأناجيلنا الموجودة سند متصل لا ظني ولا قطعي.

عمانوئيل: يا سيدي الوالد مما يسرنا ويبهجنا ويقوي إيماننا برسالة سيدنا المسيح وقداسة تلاميذه هو أن هذه الكتب لا يصلح لها سند بحيث لا يتيسر لكل أحد أن يوصل لها سندا ظنيا إلى تلاميذ المسيح وإلى تعاليم المسيح وإني ليسوءني اضطراب أصحابنا في ذلك وتشبثهم بالواهيات بحيث يظهر فشلهم في دعواهم لكل باحث بحرية ضمير.

صحة الأناجيل خطر على قدس المسيح

يا سيدي الوالد ولو كانت لنسبة هذه الأناجيل صورة صحة لكنا على خطر في ادعائنا رسالة المسيح وقدسه.

اليعازر: كيف ذلك يا عمانوئيل فإنك تتكلم بشئ كبير جديد.

عمانوئيل: هل تسمح بالحرية في جوابك. وإن كنت لا تسمح لي فإني أسكت ولكن أرجو من مراحمك أن لا تسألني بعد ذلك ولا تكلمني في هذا الموضوع فتشعل في قلبي نارا لا تسمح لي أن أطفيها بالبيان.

اليعازر: تكلم يا حبيبي يا عمانوئيل بكل حرية فإني أعرفك حر الضمير بريئا من وبال التقليد ورذائل العصبية.

وقد أكد لي ذلك شهادة سيدي القس باستقامتك في سيرك في طريق الحق.

عمانوئيل: أسألك يا سيدي الوالد ماذا تقول وماذا نقول: إذا قال لنا اليهود من أهل الديانة التوحيدية: إن مسيحكم يسوع (وحاشاه) لا يمكن أن يكون نبيا ولا مقدسا في ديانة توحيدية بل ولا موحدا وذلك لأنه صح عنه في أناجيل متي ومرقس ولوقا أنه يقول ويعلم بتعدد الأرباب وقد حرف جهلا لفظ النواميس لكي يلفق له حجة على تعدد الأرباب وأيضا قد صح عنه في إنجيل يوحنا أنه يقول: ويعلم بتعدد الآلهة وقد غير جهلا معنى كلام النواميس لكي يلفق حجته على دعواه تعدد الآلهة وقد مر هذا كله في صحيفة 94 و 95.

يا والدي وماذا نقول لو قال لنا أهل جميع الديانات إن مسيحكم يسوع (وحاشاه) لا يمكن أن يكون مقدسا مطلقا لأنه محرف للكلام جهلا متناقض التعليم في الإلهية. فقد علم في الأناجيل بتعدد الآلهة والأرباب وحرف النواميس كما سمعت. وعلم أيضا بوحدة الرب والإله. ففي العدد التاسع والعشرين من الفصل الثاني عشر من إنجيل مرقس قال أول كل الوصايا (إسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد) وقال في العدد الثالث في الفصل السابع عشر من إنجيل يوحنا (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته).

يا سيدي هل يمكن لمن يؤمن بمجد المسيح وقدسه إلا أن يدافع عن قدسه بواعته من تلك الأمور الكاذبة، ويعترف بأن هذه الأناجيل لا صحة لسندها.

يا سيدي الوالد ولم تكتف أناجيلنا في تلويث قدس المسيح بما ذكرناه، بل إنها نسبت إليه أمورا لا يرضى ذو الشرف من سائر الناس أن تنسب إليهم.

فهل تسمح لي يا سيدي الوالد بأن أذكرها.

اليعازر: يا ولدي إني أحب الوقوف على الحقايق بالبحث الحر ولكني يصعب علي أن أحقق الخلل في أناجيلنا المقدسة.

القس: يا اليعازر إن حوادث الأيام وتلاعب الأهواء أخرجت أمر الأناجيل عن اختيارك والجريان على ما تحب. فإن ولدك الموفق عمانوئيل قد بين لك أنك إن صرحت على شرف الأناجيل وصحة سندها وصدقت نسبة تعاليمها إلى المسيح فقد خسرت شرف سيدنا المسيح وقدسه.

لأنها يتضح منها كونها تعاليم إنسان محرف للكلام في اللفظ والمعنى متناقض التعليم يعلم تارة بتوحيد الرب والإله ويعلم تارة أخرى بالشرك وتعدد الأرباب والآلهة بحجة واهية مزورة. وإذا خسرت شرف المسيح وقدسه فما هي حاجتك في صحة

نسبة الأناجيل إلى مثل هذا الانسان.

يا اليعازر إن هواء التعصب وبائي والسلامة إنما هي بأن تعترف بخلل نسبة الأناجيل إلى سيدنا المسيح وتحفظ شرفه وقدسه لإيمانك به.

اليعازر: يا عمانوئيل إن موعظة سيدنا القس قد فتحت عيني فقل ما عندك.

عمانوئيل: إن الأناجيل قد نسبت لسيدنا المسيح أمورا لا يليق أن تنسب لقدسه وكرامة نبوته.

لا أقول ذلك فقط بل لا أرضى أن تنسب لي ولأمثالي، لأنك أيضا بعد البيان لا ترضى أن تنسب إليك، أني أذكر لك من ذلك أمورا:

الأول: جاء في الفصل التاسع عشر من إنجيل متي: وجاء إليه الفريسيون ليجربوه قائلين هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب فأجاب وقال لهم: أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكرا وأنثى وقال لأجل ذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا إذا ليسا بعد اثنين بل جسد واحد فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان قالوا له: فلماذا أوصى موسى أن يعطي كتاب طلاق فتطلق قال لهم: إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم ولكن لم يكن من البدء هكذا وأقول: لكم من طلق امرأته إلا لسبب الزنا وتزوج بأخرى يزني وجاء نحوه في الفصل العاشر من إنجيل مرقس. يا والدي ما معنى قول هذا الكاتب إن الرجل وامرأته يصيران جسدا واحدا وأنهما ليسا بعد اثنين: هل نغالط حواسنا. وهل يصير نصف جسد من تموت امرأته أو يطلقها لسبب الزنا.

وأيضا ما معنى قوله: ما جمعه الله لا يفرقه إنسان.

إذن فكيف يفرقه الانسان بسبب زنا المرأة وأيضا إن اليهود لم يقولوا. إن المجتمعين بعلقة الزواج الذي شرعه الله نحن نفرقهما على خلاف الشريعة. وتضطهد الشريعة بتفريقهما. بل يقولون: إن الله الذي شرع الزواج لمصالح النوع والاجتماع وجمع بين من الحكم فشرع الطلاق كما تقول أيها المسؤول: إن الله شرعه عند زنا الزوجة. وإنك تعترف بأن الطلاق شرعه الله بتبليغ موسى رسوله.

فما هذا الذي يبلغنا عنك في معارضة شريعته وحكمته العادلة الموجبة لاستراحة البشر، وانتفاعهم بمادة التناسل، وقطع الخصومات المقلقة والسلامة من سراية الأمراض المهلكة، والابتلاءات الشاقة.

وماذا تقول أنت: وما هي الحاجة إلى التشبثات الواهية التي لا معنى لها. فقل إني رسول الله كموسى وقد نسخ الله شريعة الطلاق. فانظروا في أمر رسالتي وحجتها وصدقي في دعواها. ولا تقل إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم.

فإنا نقول لك أين ذهبت القساوة، أما إنها تزداد يوما فيوما. هؤلاء تلاميذ المسيح الاثني عشر الذين يقول الانجيل فيهم عن

قول المسيح إنهم ملح الأرض ونور العالم (مت 5: 13 و 14) وها هي الأناجيل تصفهم عن قول المسيح بقسوة القلوب وغلظها. وقلة الإيمان. وعدمه حتى بمقدار حبة خردل.

وإنهم لا إيمان لهم [1].

ما تقول أيها الكاتب إذا كان الباعث على الطلاق رقة القلب ورحمته الصميمية. رجل عوف نفسه أنه عقيم. أو انعاب منه جهاز التناسل أو سقطت قوة التناسل منه بالكلية، أو عوض له العنن الدائم وعنده امرأة شابة ولود تحن إلى النسل وإلى قضاء الوطر من الشهوة الطبيعية، فرحمها ذلك الرجل وأراد برحمته ومروءته وعدله أن يطلقها برغبة منهما لكي تقر عينها بالنسب وحفظ النوع وتنال نصيبها في حياتها من اللذة، الطبيعية. رجل به مرض ردي سار وعنده امرأة شابة فأراد برحمته الزوجين بعلقة شرعية راعى أيضا حكمه العدل واستراحة المبتلي بقرين السوء.

ومصلحة التناسل عند عقم أحد الزوجين مثلا. وغير ذلك أن يحفظ صحتها بالطلاق لأنه لا يمكن انفصال المرأة عن الرجل على ما يقتضيه الحجر الصحي بدون وقوع المرأة في تعاسة العيش وانقطاع النسل واللذة.

رجل حكم عليه بالحبس الأبدي وعنده امرأة شابة تبقى بعده في تعاسة العيش والفقر وعدم الكافل وانقطاع النسل والحرمان من لذة الحياة فأراد برحمته ورقة قلبه أن يطلقها لكي ينقذها من هذه الابتلاءات الباهضة، ولذلك أمثال كثيرة. فماذا تقول أيها الكاتب في هذه الموارد.

هل تستثنيها من المنع عن الطلاق. أراك لم تستثن إلا زنا المرأة. فجعلت الوسيلة إلى الطلاق هتك الشرف والستر. أو يبقى الرجل مبتلى بامرأة كثيرة الزنا حيث لا يقدر أن يثبت زناها. وربما توصل الرجل إلى خلاصه من امرأته العفيفة بأن يرميها بالزنا

1 ـ ذكر حال التلاميذ صحيفة 127 و 128 وفي الجزء الأول من كتاب الهدى صحيفة 30 و 31 و 32. (*)

لكي يقبل منه طلاقها. كما يذكر التاريخ ذلك عن أحد مشاهير العالم لما رأى امرأته لا تلد. يا والدي هذا من أحوال الأناجيل مع سيدنا المسيح.

يا والدي ربما كان النزاع والشقاق بين الرجل وامرأته بمنزلة مرض الشقاق لوز في المجتمع الانساني والراحة العائلية في هذه الحياة.

فكيف لا تسوغ الشريعة فصل هذا المرض وقطع سريانه الوبئ. يا والدي وما معنى قوله: (ولم يكن من البدء هكذا: فهل كل ما لم يكن في البدء يلزم أن لا تجئ به شريعة. قد كانت أخلاق آدم وحوا ملتئمة فلم يرد طلاقها. وما يدريك أنه كان ممنوعا عن طلاقها شرعا لو أراده.

الاحتجاج لأحوال القيامة

الثاني: ذكر إنجيل لوقا في الفصل العشرين أن اليهود الصدوقيين المنكرين للقيامة سألوا المسيح إن المرأة إذا مات زوجها وتزوجها أخوه ثم مات وتزوجها الأخ الثالث وهكذا إلى الأخ السابع ثم مات وماتت المرأة فلأي واحد من السبعة تكون المرأة زوجة في يوم القيامة فأجاب المسيح بأن أبناء هذا الدهر يزوجون ويزوجون ولكن الذين حسبوا أهلا للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الأموات لا يزوجون ولا يزوجون إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضا لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله إذ هم أبناء القيامة.

يا والدي ما هو وجه الحجة على عدم الزواج في القيامة بأن القائمين من الموت لا يستطيعون أن يموتوا أيضا.

فهل يمتنع الزواج عقلا أو عادة على من لا يموت من نوع الانسان؟ وما معنى نسبة الموت إلى استطاعتهم؟ وما معنى كونهم مثل الملائكة؟

هل يريد أنهم حينئذ أرواح مجردة؟ يا والدي وهذا إنكار للقيامة من الأموات والمعاد الجسماني الذي عليه العهد الجديد. وما معنى كون أبناء القيامة أبناء الله؟ هل يريد أن غير الأبرار لا يقومون من الأموات؟ إذن فأين صراحة الأناجيل والعهد الجديد بأن الأشرار أيضا يقومون للدينونة.

وهل يريد أن الأبرار والأشرار يكونون أبناء الله؟ إذن فأين ما تذكره الأناجيل والعهد الجديد من دينونة الأشرار والجزاء حسب الأعمال وجهنم النار التي لا تطفى. يا والدي فهل يتكلم الرسول بمثل هذه الحجج الواهية.

اليعازر: إن إنجيل متى في الفصل الثاني والعشرين وإنجيل مرقس في الفصل الثاني عشر لم يذكرا في جواب المسيح للصدوقيين إلا قوله (لأنهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة السماء).

عمانوئيل: يا سيدي الوالد ماذا تريد أن تقول بهذا الكلام. هل تريد أن تقول: إن الزيادة التي في إنجيل لوقا ليست من كلام المسيح بل هي زيادة غلطية في الإنجيل وافتراء على تعليم المسيح. يا والدي إذن فلا ينبغي الاعتماد على إنجيل لوقا في شئ.

وهذا هو الذي نحن بصدده لكن يا والدي يبقى السؤال أيضا على إنجيل متى ومرقس بأنه ما معنى كون القائمين في القيامة كملائكة السماء.

الاحتجاج للقيامة

الأمر الثالث: ذكر إنجيل متى وإنجيل مرقس وإنجيل لوقا في الفصول المذكورة أن المسيح احتج للقيامة على الصدوقيين الذين ينكرونها فقال وأما من جهة أن الموتى يقومون أفما قرأتم في كتاب موسى في أمر العليقة كيف كلمه الله قائلا: أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب.

ليس هو إله أموات بل إله أحياء. وزاد في لوقا قوله: (لأن الجميع عنده أحياء) يا والدي ألا ترى أنه يتوجه على هذا الاحتجاج ردان كبيران يخجلان عوام الناس أما الرد الأول فنقول فيه: لماذا لا يكون الله إله الأموات أو ليس الله إله كل شئ سواء كان حيا أو فاقد الحياة. أليس في المزمور المائة والسابع والأربعين أن الله إله صهيون (مدينة داود) أليس من المزمور الخمسين أن الله إله الآلهة وفي الفصل الثاني من سفر دانيال والحادي عشر من رؤيا يوحنا إن الله إله السماء.

وفي الفصل الحادي عشر من إنجيل متى والعاشر من إنجيل لوقا أن الله رب السماء والأرض مع أن الأصنام والمريخ

والزهرة والمشتري والشمس والسماء والأرض جماد لا أرواح فيها. وأما الرد الثاني فنقول فيه متى كان إبراهيم وإسحاق ويعقوب قائمين من الموتى عند ما قال الله موسى: أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب. أليس من الضروري المعلوم أنهم في ذلك الوقت كانوا في قبورهم أمواتا. وإنما يقومون من الأموات في يوم القيامة يوم الجزاء والدينونة. فهل تكون الحجة القيامة من الأموات بمثل هذه الواهيات.

القس: يا عمانوئيل إذا أغمضنا النظر عن الرد الأول فإنه يمكن أن يريد من حياة إبراهيم وإسحاق ويعقوب بقاء نفوسهم بعد الموت لا قيامهم من الأموات.

عمانوئيل: يا سيدي إن الاحتجاج إنما هو للقيامة من الأموات لا لبقاء النفس بعد الموت فلماذا يذهل هذا المحتج عن وجه كلامه.

يا سيدي ولماذا نغمض النظر عن الرد الأول.

يا سيدي هل يكون احتجاج المسيح للقيامة من الأموات محتاجا إلى قوله: سامحوني في الرد الأول. وسامحوني في الذهول الثاني.

يا سيدي أخجل كثيرا إذا نظرت إلى نقل أناجيلنا لهذا الاحتجاج الواهي عن المسيح في أمر القيامة.

من احتجاج القرآن على القيامة

يا سيدي أنظر إلى احتجاج القرآن على القيامة بمثل قوله في سورة مريم المكية: (ويقول الانسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا * أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا). (الآيتان: 67 و 68). وقوله في سورة يس (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) (الآيتان: 78 – 79) هذا الاحتجاج الذي يمشي مع الفيلسوف في فلسفته. ومع العامي في وجدانه.

وها هو القرآن يخبر عن حال النفس أخبارا يسطع بالاحتجاج الكافي عفى بقاء النفس بعد الموت فإنه يقول في سورة الزمر المكية: (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) (الآية: 42) فنبهنا بذكر النوم العادي لكل البشر في كل الأيام إلى أن النفس يمكن بقاؤها مع اجتجاجها عن تصرفها المعتاد بالبدن كما في حالة النوم وبذلك يلفت أنظارنا إلى حالة الاغماء.

إحتجاج في الانجيل عن المسيح

الأمر الرابع: ذكر في الفصل الثامن من إنجيل يوحنا أن الفريسيين قالوا للمسيح أنت تشهد لنفسك وشهادتك ليست حقا فقال لهم: في ناموسكم مكتوب شهادة رجلين حق. أنا هو الشاهد لنفسي ويشهد لي الأب الذي أرسلني. يا والدي هل يوجد في الناموس أن المدعي يكون شاهدا لنفسه.

هل يوجد هذا في قضاء ملة من الملل.

هل يقول: هذا واحد من عوام الناس وأوباشهم. يا والدي وينضم إلى هذه الاحتجاجات الواهيات ما ذكرته الأناجيل من أن المسيح (وحاشاه) احتج عليه ربوبيته وألهيته وتعدد الأرباب والآلهة بتلك الاحتجاجات التحريفية الكذبية كما تقدم في صحيفة 89 و 90 . وما تقدم في صحيفة 148 من أن المسيح كان يجلس يوحنا الحبيب في حضنه ويتركه يتدلل عليه ويتكأ على صدره ويوحنا إذ ذاك في غضارة الشباب ونعومة الجسد.

أهكذا تكون عفة الرسل وتأديبهم لتلاميذهم وتعليمهم للناس العفة.

إنجيل لوقا والمسيح

وهذا إنجيل لوقا يذكر في الفصل السابع أن امرأة خاطئة جاءت إلى المسيح ووقفت عند قدميه باكية وابتدأت تقبل قدميه وتبلهما بالدموع وتمسحهما بشعر رأسها وتدهنهما بالطيب. حتى صاحب البيت أنكر هذا العمل من امرأة خاطئة مع شاب عمره نحو الثلاثين سنة ولكن المسيح (وحاشاه) صار يوبخه ويشكر محبتها الكثيرة. يا والدي هل هذا العمل من تعليم التوبة والقداسة والعفة أو كما يقال (إن الغرام لأهله فصاح).

الأناجيل وقدس المسيح

وهذا إنجيل يوحنا في الفصل السابع ينسب الكذب إلى المسيح (وحاشاه) حيث يذكر أن أخوة المسيح قالوا له اصعد إلى هذا العيد فقال: لا أصعد إلى هذا العيد ثم صعد متخفيا. يا والدي إنك كثيرا ما تنهاني عن شرب الخمر وتشرح لي مضرتها الكبيرة في الشرف والعفة والهدى والقداسة والوقار. وتذكر لي مذمة العهد القديم لشربها وتوبيخ شاربيها وتمجيد العهد الجديد ليوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) بأنه لا يشرب مسكرا.

إذن فما بال أناجيلنا تذكر أن المسيح (وحاشاه) كان شريب خمر وأنه قال فيها في آخر عمره قول العاشق المودع لها المتأسف على فراقها: أنظر يا والدي إلى الفصل الحادي عشر والسادس والعشرين من إنجيل متى والسابع والثاني والعشرين من إنجيل لوقا والرابع عشر من إنجيل مرقس.

يا والدي هل يسرك أن تكون أناجيلنا صادقة متصلة السند إلى الوحي والإلهام وهي تلوث قدس المسيح بهذه العظائم.

وأزيدك يا والدي إن العدد الحادي والثلاثين من الفصل الخامس من إنجيل يوحنا ينسب إلى المسيح قوله: إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقا وفي العدد الرابع من الفصل الثامن من نفس إنجيل يوحنا أيضا ينسب إلى المسيح قوله. إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق يا والدي أليس هذا من التناقض الذي لا يرضاه عوام الناس لأنفسهم.

القس: يا عمانوئيل هل رأيت كلام جمعية الهداية في هذا المقام صحيفة 241 و 242 من الجزء الأول.

عمانوئيل: يا سيدي وهل رأيت كتاب الهدى صحيفة 228 من الجزء الأول.

وهل كلام جمعية الهداية إلا من أسباب خجلنا أيضا إذ لم يكن فيه شئ من الربط ومعرفة وجه الكلام بل كان محشوا بالتناقض.

وأزيدك يا والدي إن العدد الثلاثين من الفصل الثاني عشر من إنجيل متى والعدد الثالث والعشرين من الفصل الحادي عشر من إنجيل لوقا ينسبان إلى المسيح قوله: (من ليس معي فهو علي ومن لا يجمع معي فهو يفوق).

يا والدي والعدد الأربعين من الفصل التاسع من إنجيل مرقس والعدد الخمسين من إنجيل لوقا ينسبان أيضا إلى المسيح قوله فيمن لم يتبعه ولم يؤمن به (من ليس علينا فهو معنا) ألا تنظر يا والدي إلى التناقض بين هذين الكلامين. وأيضا إن الفصل التاسع من إنجيل متى والعاشر من إنجيل مرقس والثامن عشر من إنجيل لوقا جاء فيها أن بعض الناس قالوا للمسيح أيها المعلم الصالح. فأنكر عليه ذلك.

الصفحة 148

وقال: لماذا تدعونني صالحا ليس أحد صالحا إلا واحد هو الله: وهذا مناقض لما يذكره الفصل الثاني عشر من إنجيل متى والسادس من إنجيل لوقا عن قول المسيح: (الانسان الصالح).

ومناقض أيضا لما يذكره الفصل العاشر من إنجيل يوحنا مكررا عن قول المسيح (أما أنا فإني الراعي الصالح).

يا والدي هل ترضى بأن يكون كلام المسيح متناقضا. لكن يا للأسف أرى أناجيلنا ترضى بذلك. وأيضا ذكر إنجيل لوقا في الفصل الثامن عشر من أوله إلى العدد الثامن أن المسيح علم تلاميذه بالصلاة كل حين ولا يمل وضرب لهم مثلا بقاض ظالم مع امرأة لا ينصفها من خصمها فأزعجته بالإلحاح فأنصفها لأجل إلحاحها. فالله ينصف سريعا مختاريه الصارخين إليه نهارا وليلا.

وضرب أيضا في الفصل الحادي عشر مثلا بمن يلج في الطلب ويعطى لأجل لجاجته.

وذكر في الفصل الحادي والعشرين أن المسيح أمر تلاميذه بالتضرع إلى الله كل حين. وقد نص في الفصل السادس والعشرين من إنجيل متى على أن المسيح في ليلة هجوم اليهود عليه قد عاود الصلاة لأنها تعبر عنه كأس المنية في ثلاثة مواقف.

الصفحة 149

ونص الفصل الرابع عشر من إنجيل مرقس على أنه عاودها أيضا. ونص في الثامن والعشرين من إنجيل لوقا على أن المسيح كان حينئذ يصلي لأجل أن تعبر عنه كأس المنية بأشد لجاجة ومقتضاه أنه كرر هذا الطلب في كل موقف مرارا كثيرة.

يا سيدي وهذا الذي ذكرته الأناجيل الثلاثة من تعليم المسيح وعمله مناقض لما ذكر في العدد السابع والثامن من الفصل السادس من إنجيل متى في بعض التراجم العربية عن تعليم المسيح وقوله: (وحينما تصلون لا تكرروا الكلام باطلا كالأمم فإنهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يستجاب لهم فلا تتشبهوا بهم لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه) وفي الترجمة التي

طبعها (وليم واطس) في لندن سنة 1857 على النسخة المطبوعة في رومية سنة 1671 هكذا: (وإذا صليتم فلا تكثروا الكلام مثل الوثنيين: إلى آخره. وفي ترجمة (هنري مارتن) في طبعات متعددة (هر كاه نماز ميكني مانند مردم قبائل كلمات زائدة مكوئيد إلى آخره).

يا والدي وهذا الكلام الأخير الذي ذكره إنجيل متى يستنتج منه أمور أربعة: أولها: إن تعليمه يناقض التعليم المتقدم عن إنجيل لوقا بالإلحاح بالصلاة وضرب الأمثال لذلك. ثانيها: إنه يناقض ما ذكرته الأناجيل من عمل المسيح ليلة هجوم اليهود عليه. ثالثها: فساد حجته وتعليله فإنه احتج وعلل منعه من تكرار الصلاة الكلامية بأن الله يعلم ما يحتاجون قبل أن يسألوه.

يا والدي وإنك لتعلم إن هذا التعليل يقتضي أن لا يتكلم أحد في الصلاة لحاجته لأن الله يعلم بضمير صاحب الحاجة وطلبته قبل أن يتكلم. بل يقتضي أن لا يصلي أحد لحاجة حتى في ضميره لأن الله يعلم ما يحتاجه قبل أن يسأله.

وإن هذا التعليل لو كان صحيحا معقولا في الأمور الدينية لوقف أمام المسيح نفسه في ليلة هجوم اليهود وقال له: لماذا هذا الجهاد واللجاجة في الصلاة لأجل النجاة من كأس المنية فإن الله يعلم ما تحتاج إليه قبل أن تسأله.

اليعازر: إني وكل متدين نعرف بالبداهة أن الصلاة والدعاء ليست لأجل تفهيم الله بالحاجة ولا لأجل تنبيهه ولا لأجل إسماعه فإنه العالم بما في النفوس ولكن الدين والعقل شرعا الصلاة في الحاجات لأجل أن تستحكم رابطة العبد مع مولاه في العبادة ومعرفة أنه مالك أمره وولي نفعه ودفع الضر عنه فتدوم له السعادة والشرف بمناجاة المولى العظيم. ولأجل انقطاعه إلى الله وعبادته بالدعاء يقضي الله حاجته.

عمانوئيل: إذن يا والدي فأنت تبين أن هذا التعليم الأخير وتعليله ليس بصحيح ولا يمكن أن يكون نبويا ووحيا إلهيا. وإنجيليا.

إن إنجيل متى يذكر أن المسيح لما علم بهذا التعليم ونهى عن تكرار الكلام في الصلاة علم بالصلاة الربانية.

وإن إنجيل لوقا يذكر في الفصل الحادي عشر أن المسيح لما علم تلاميذه الصلاة الربانية صار يضرب لهم المثل لاستجابة الصلاة بأنه إذا جاء إنسان إلى صديقه في نصف الليل وطلب منه حاجة فإن الصديق مهما تثاقل واعتذر فإنه يقوم ويقضي الحاجة من أجل لجاجة الطالب ثم قال: اسألوا تعطوا، إقرعوا يفتح لكم. فإنجيل متي يقول: إن المسيح حينما علم بالصلاة الربانية علم بالنهي عن اللجاجة وتكرار الكلام بالصلاة.

وإنجيل لوقا يقول. إن المسيح حينما علم بالصلاة الربانية علم باللجاجة وضرب مثلا مضمونه ومفهومه أنه يعلم باللجاجة في الصلاة وطلب الحاجة.

اليعازر: يا ولدي إن القاعدة الأدبية في ضرب المثل عند العوام والخواص أن يراعي مناسبة المثل لمورد التمثيل والتشبيه. ويعيبون المثل الذي لا يناسب ويعدونه من سوء الفهم وبساطة المغفلين القاصرين. ألا تسمع المثل الذي يضربه الناس لسوء الفهم وقلة الادراك وهو أن بعض المغفلين أراد أن يشهي ضيفه لأكل الرطب بمدح الرطب وبيان نضجه بشدة سواده فقال له:. كل هذه الرطبة فإنها مثل الخنفساء ألا ترى دبسها يكاد يسيل مثل المخاط.

يا ولدي فما بال إنجيل لوقا يريد أن يعرفنا رحمة الله ورأفته في استجابة الدعاء فيضرب له المثل مرة بقاض ظالم يقضي حاجة المرأة من أجل ضجره من لجاجتها. ومرة برجل متثاقل متضجر من حاجة صاحبه ولكنه يتكلف قضاءها من أجل ضجره من اللجاجة.

عمانوئيل: يا والدي إن أناجيلنا لم تقتصر في سوء التمثيل على هذا بل إن إنجيل متى في الفصل الحادي والعشرين وإنجيل مرقس في الفصل الثاني عشر وإنجيل لوقا في الفصل العشرين ذكرت من تعليم المسيح إشارته إلى حال الناس المتمردين ومعاملتهم مع المسيح ومن قبله من الرسل الذين أرسلهم الله لأجل تكميل العباد ودلالتهم على أسباب سعادتهم. فضرب المسيح لذلك مثلا حاصله: إن إنسانا غرس كرما وبنى حائطه ورجه ومعصرته وسلمه إلى كرامين وغاب عنهم فأرسل بعض عبيده ليأخذوا من ثمر الكرم فضربوهم وقتلوا، ثم أرسل آخرين ففعلوا بهم مثل ذلك فقال صاحب الكرم ماذا أفعل أرسل ابني الحبيب لعلهم يهابون فقتلوا ذلك الابن.

يا سيدي الوالد إن الله لم يرسل رسله ليأخذوا من ثمار النعم التي أنعم الله بها على عباده بل أرسل رسله ليكلموهم ويسعد العباد أنفسهم بثمار تلك النعم ولا يناسب جلال الله أن يضرب له المثل بقول صاحب الكرم قول المتحير: (ماذا أفعل) ولا بقول صاحب الكرم المتوهم (أرسل ابني الحبيب لعلهم يهابون) فيخيب رجاءه وينكشف وهمه ويسقط تدبره وتستمر حيرته.

لا يا والدي إن مثل الخنفساء والمخاط أقل قبحا من هذه الأمثال.

اليعازر: يا عمانوئيل إن أناجيلنا قد تضمنت الدعوة إلى الإيمان بالله وتوحيده وإلى التوبة وخوف الله وعبادته وعلمت كثيرا بحسن الأخلاق وحسن السلوك مع الناس والهدو والوداعة فلماذا لا تكون هذه التعاليم الصالحة شاهدة بأن الأناجيل كلها من وحي الله وتعاليم المسيح.

عمانوئيل: يا والدي إن الذي يريد أن يكتب كتابا ينسبه إلى تعاليم المسيح وكتابة تلاميذه الصالحين عن الوحي الإلهي لا بد من أن يكتب فيه شيئا صالحا يشبه أن يكون موافقا للمعروف والمسموع من تعليم المسيح والوحي الإلهي والديانة التي يريد الكاتب أن يكتب فيها.

ولا يمكن لمثل هذا الكاتب في خطأه وعمده أن يتمحض كتابه لغير التعاليم الصحيحة. ولكن بعض التأثيرات لا بد من أن تظهر ذاتها ومقدارها للشعور على قدر جودته وسلامته من العصبية الموروثة.

وها هي الأناجيل لا يزيد الواحد منها على مقدار مجلة شهرية أو أسبوعية وقد سمعت من كل واحد منها ما لوث به قدس

المسيح من التعليم بتعدد الأرباب وتعدد الآلهة والاحتجاج لذلك بالحجة الواهية ومن لوثت به قدسه من الاحتجاجات الساقطة. وسوء التمثيل، ومنافيات العقل والقداسة، وتناقض الكلام والتعليم، وإن الاستقصاء في الدرس ليكشف عن أكثر من ذلك.

الصفحة 153

هذا مع غض النظر عن اختلاف كتبة الأناجيل في ذكر الحوادث التاريخية والأقوال المنقولة اختلافا لم يقدر أصحابنا على أن يستروه بليت ولعل.

يا والدي دع عنك نسبة هذه الأناجيل إلى الالهام وتعاليم المسيح وما ذكرته من القدح بإيمان التلاميذ الأحد عشر فإنها مجتمعة ومنفودة تركتنا بحسب خللها الداخلي لا نقدر أن ننسبها لكتبة علرفين لقدس المسيح. علرفين للاحتجاج، علرفين لمواقع التمثيل، علرفين لآداب العفة وحقوق الوالدين.

القس: يا عمانوئيل إنك تتسوع في البيان وتهتك الحجاب دفعة واحدة. وربما لا يكون هذا صالحا في حكمة الإرشاد وكشف الحقيقة.

فإن الحالات الموروثة لا ينبغي أن تعالجها بالشدة وتتابع البيان.

وإن الضمير المقهور بالموروثات لا يتحمل هذه الأمور إذا ألقيت عليه دفعة واحدة. بل الواجب أن تلاطف النفوس بخفيف البيان التدريجي، وحسن الإشارة إلى الحقيقة، إلى أن تضع أقدامها في طريق الحقايق فتسير في طلبها سير المشتاقين، مراعية صفاء الوقت.

الصفحة 154

عمانوئيل. يا سيدي إني أتكلم لنفسي ولوالدي ولنجاتنا وتصفية معارفنا وأنا واثق بمقدار من تصفية ضمائرنا من أكدار الموروثات.

وإنك أنت الذي صفيتنا بحكمتك الفائقة ولطف إشارتك حتى ملأت قلوبنا من الشوق إلى الحقيقة وأوضحت لنا طريقها وهربتنا في جآدتها.

وحينئذ أفلا نجد في السير إلى المقصود المحبوب. وهل يتوانى العطشان عن السير إلى المورد البارد العذب؟

وما علي من الناس إذا كنت أسعى لنجاتي؟ ومن أين لي مثل صبرك. وإنك أن تصبر فلأجل أنك على بصيرة من أمرك، قد بلغت المقصود ووردت المنهل تنتظر فرصة الوقت في إظهار الحق وإرشاد الجاهلين. وإنا قد وثقنا الوقت من التمتع بالحرية العامة التامة.

فلماذا لا نتكلم متمتعا أيضا أنت بحرية قداستك يا سيدي.

الصفحة 155

القس: يا عمانوئيل ليس من الجيد أن تقول (ما علي من الناس إذا كنت أسعى لنجاتي) بل إن الدين يوجب عليك أن تحب لغيرك ما تحب لنفسك من النجاة. بل إن الدين والعقل يوجبان عليك نصر الحق والجهاد في سبيل سلطانه على البشر وتقدم

نفوذه في الأرض وسيادته على الأفكار.

عمانوئيل: العفو يا سيدي فإني قلت: (ما علي من الناس) حينما أسعى أنا ووالدي لأجل تبصرنا في معرفة الحق.

وخلاصنا من هلكات الأوهام بتثبيت معارفنا على أساس الحقيقة. وأما نظرنا إلى إرشاد الناس. فإنما يحسن منا بعد أن نحكم أساسياتنا في الدين.

القس: عد إلى كلامك يا عمانوئيل وفقك الله وسددك.

تعليم الانجيل وضرورة المدنية والاجتماع

عمانوئيل: وأما قولك يا والدي: (إن الأناجيل علمت كثيرا بحسن الأخلاق وحسن السلوك مع الناس والهدو والوداعة). فلا يخفى أن تعليم المسيح بذلك الذي نقله التلاميذ لا يمكن أن تكون حقيقته الفائقة كما هو مكتوب. فإن التعليم الصحيح من هذا ما يجري على حدود الحقيقة ولا يضيعها بالإفراط كما تضيع بالتفريط. وهذا إنجيل متى يذكر في الفصل الخامس عن المسيح أنه قال: (سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن وأما أنا فأقول لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا.

ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا) وذكر نحوه إنجيل لوقا في الفصل السادس. يا والدي وأنت ترى ما في هذا التعليم من المبالغة والافراط المضر بنظام الاجتماع. وهل يخفى على العارف أن الاجتماع لا ينتظم مع تمام الخضوع للشر والأشرار.

بل لا يستغني حسن الاجتماع عن شئ من مدافعة الشر والأشرار وإرهابهم بقانون القصاص والتأديب مع الوصية بفضيلة العفو وملاطفة العواطف بحيث يعطي كل مقام حقه من صالح الدفاع والسياسة وفضيلة العفو وجميل الصبر. فلا يصح في القانون الأساسي في النبوة العامة أن يعلم بمحض الصرامة والشدة في أعمال القصاص بدون إشارة إلى فضيلة العفو كما جرى في التوراة الرائجة حيث علمت بالقصاص كما في الفصل الحادي والعشرين من سفر الخروج والرابع والعشرين من سفر اللاويين والتاسع عشر من سفر التثنية ولم تشر إلى العفو ولا إلى فضيلته كما لا يصح أن يعلم بمثل ما ذكرناه في الانجيل الرائج من رفض شريعة التوراة في القصاص مع التعليم بهذا الخضوع الواهي والمسكنة السخيفة بهذه المبالغة.

العفو ونظام الاجتماع والقرآن

القس: يا عمانوئيل هل رأيت في كتب الوحي قانونا معقولا في هذا المقام.

عمانوئيل. يا سيدي هذا القرآن الذي ينسبه المسلمون إلى الوحي ويرفضه أصحابنا. ها هو قد حاز الفضيلة في هذا المقام. فقد شرع القصاص وأبان حكمته الفائقة في المدنية والاجتماع. وندب إلى فضيلة العفو والصبر بالنحو الصالح فقال في الآية السابعة والعشرين بعد المائة من سورة النحل المكية: (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) وقال في الآية التاسعة والسبعين بعد المائة من سورة البقرة: (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون) فإن قوله (حياة) يستلفت العقول الغافلة إلى حكمة القصاص وشريعته، وأنه وإن كان أيلاما للمعتدي لكنه أيلام بحق، وسبب لزجر الأشرار عن الجرأة على سفك الدماء البريئة والافساد في حياة البشر، فهو بهذه الحكمة حياة للبشر وروح لراحتهم في اجتماعهم.

فمن الهين أن يموت شخص المعتدي الظالم أو يتألم بشريعة القصاص كما يقطع العضو الفاسد حفظا لحياة الانسان من عدوى وباء دائه.

وقد جعل القرآن إيضاحه لهذه الحكمة الفائقة في شريعة القصاص بيانا لأن حسن العفو الخصوصي لا يصحح إبطال هذه الشريعة الراجعة إلى نظم المجتمع الانساني وحفظ حياته. وقال القرآن في سوره البقرة أيضا قبل الآية السابقة: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليك القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شئ فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم) فبين أن القصاص شرع مكتوب لكي يقوم بحكمته ولأجل الرحمة والتخفيف بالنحو الذي لا يبطل حكمة تشريعه سوغ لصاحب الحق تعليما بكرم الأخلاق أن يعفو عن الجاني مطلقا أو بالتنزل إلى الدية. وقد أكد القرآن ندبه للاحسان بالعفو وكظم الغيظ ولكن كله بالنحو المعقول. والطريقة المستقيمة.

فمن ذلك ذكر في أخلاق المتقين وإحسانهم قوله: (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين). (سورة آل عمران، الآية: 134).

اليعازر: يا عمانوئيل إني أحب أن تدرس الأناجيل من أولها على الترتيب بمحضر سيدنا القس.

وإنك وإن درست الآن كثيرا منها وذكرت من داخليتها ما فيه الكفاية ولكن درسها على الترتيب أتم في الفائدة.

عمانوئيل: وأنت ماذا تأمر يا سيدي

القس. أفلا يكفينا ما ذكرناه من أمرها.

القس: أطع أمر أبيك يا عمانوئيل فإنه يريد أن يزداد بصيرة.

نسب المسيح

عمانوئيل: فقرأت في أول إنجيل متى قوله: (كتاب ميلاد المسيح ابن داود ابن إبراهيم) ثم أخذ بذكر الآباء وتعدادهم من إبراهيم إلى يوسف النجار فقلت: يا سيدي القس أية مداخلة لنسب يوسف النجار في ميلاد المسيح من العذراء مريم وكيف يكون المسيح بهذا النسب ابن داود وابن إبراهيم.

هل يجحد متى عذراوية مريم وولادة المسيح من غير محل.

وهل يقول: إن المسيح متولد من يوسف النجار وبه يتصل نسبه إلى داود.

القس: لا يا عمانوئيل فإن متى يذكر في هذا المقام أن مريم حملت بالمسيح من الروح القدس قبل أن تجتمع مع خطيبها يوسف.

عمانوئيل: يا سيدي إذن فما ذكر هذا النسب إلا لغو من الكلام. وهل يكون في الوحي الإلهي لغو؟

ولماذا لم يذكر نسب المسيح الحقيقي من ناحية أمه إلى داود وإبراهيم؟ يا سيدي تركنا هذا ولكن متى لم يتعرض في هذا النسب لذكر الأمهات فلماذا تعرض لولادة فارص من (ثامار) وبوعز من (راحاب) وعوبيد من (راعوث) وسليمان من التي لاوريا.

القس: يقول بعض كتبتنا إن متي نص على هذه النساء الأربع لأنهن غريبات لسن من بني إسرائيل وإبراهيم.

عمانوئيل: يا سيدي إن سليمان ولدرحبعام من (نعمة) العمونية وهي غريبة أيضا فلماذا لم يذكرها إلهام الرسول متى عند ذكر رحبعام.

القس: فما عندك يا عمانوئيل في ذلك.

عمانوئيل. عجبا هل يكون سيدي القس لا يدري بما أشار إليه متى مما ذكره العهد القديم ومعاذ الله أن أشير إليه.

دعنا من هذا يا سيدي وأيضا يقول: متى (ويوشيا ولد يكنيا وإخوته عند سبي بابل وبعد سبي بابل يكنيا ولد شألتيئيل " مع أن صريح الفصل الثالث من سفر الأيام الأول أن يكنيا هو ابن يهوياقيم ابن يوشيا كما هو صريح الفصل السادس والثلاثين من أخبار الأيام الثاني وسماه يهوياكين وصريح الفصل الرابع والعشرين من الملوك الثاني والفصل الثاني والعشرين والسابع والعشرين من أرميا وسماه كنياهو والرابع والعشرين وسماه يكنيا وكانت ولادة يهوياكين يكنيا قبل سبي بابل بنحو ثمانية عشر سنة لا عند سبي بابل.

هذا وإذا طابقنا النسب الذي ذكره إنجيل متى مع النسب الذي ذكره إنجيل لوقا في الفصل الثالث وجدنا بينهما اختلافا كبيرا.

فإن إنجيل لوقا يقول: إن يوسف النجار هو ابن هالي وأوصل آبائه إلى ناثان ابن داود وعدهم أربعين أبا.

القس: إن بعض كتبتنا يقولون: إن (هالي) هو أبو مريم أم المسيح ولكن لوقا ذكره ليوسف ابن يعقوب باعتبار أن مريم كانت مخطوبة ليوسف.

عمانوئيل: يا سيدي هذا الكتاب كيف رأى هذا الطيف الذي لم يره الأسلاف من العلماء الذين لم يزالوا متحيرين في اختلاف إنجيلي لوقا ومتى في نسب يوسف النجار. ومن أين عرف هذا الكاتب أن أبا مريم اسمه هالي.؟

الصفحة 162

وأن النسب المذكور في لوقا هو نسب هالي؟وأي تاريخ معروف يذكر ذلك وكيف يخلط الوحي بمثل هذا في الأنساب فينسب يوسف إلى غير أبيه وغير نسبه. يا سيدي والذي يستنتج من الفصل الأول من إنجيل لوقا هو أن تكون مريم من نسل هرون من سبط (لاوي) لا من نسل داود من سبط يهوذا.

فإنه يصرح في العدد الخامس بأن اليصابات زوجة زكريا هي من نسل هرون.

ويصرح في العدد السادس والثلاثين بأن اليصابات نسيبة مريم فإن مشاركتها في النسب تقتضي أن تكون مريم من بنات هرون أي نسبا ويعضد ذلك أن " اكتساين " الذي هو من بني القرن الرابع للمسيح قال: إنه صرح في بعض الكتب التي كانت توجد في عهده أن مريم من قوم لاوي.

القس: إن الفصل الأول من إنجيل لوقا يصرح في العدد الثلاثين إلى الثالث والثلاثين بأن ملاك الله قال لمريم في شأن المسيح.

إن الله يعطيه كرسي داود أبيه وهذا يقتضي أن تكون مريم من بنات داود فإن انتساب يوسف النجار إلى داود لا ربط له بالمسيح.

الصفحة 163

عمانوئيل: قد تقدم في صحيفة 74 أن أناجيل متى ومرقس ولوقا قد اتفقت على أن المسيح أنكر على الناس والكتبة قولهم بأن المسيح الموعود به يكون من نسل داود. واستشهد بقول الزمامير وقال. إذا كان داود يدعوه بالروح ربا فكيف يكون ابنه.

القس. يا عمانوئيل ما أرى مادا أقول: فإن اختلاف أناجيلنا لا يدعنا نتكلم. إقرأ يا عمانوئيل.

إنجيل متي والعهد القديم

عمانوئيل: قرأت في أواخر الفصل الأول أن ملاك الله قال ليوسف) النجار في الحلم في شأن ولادة المسيح. وهذا كله لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا. فقلت: يا سيدي أين أجد هذا الكلام من كتب الأنبياء.

القس: تجده في العدد الرابع عشر من الفصل السابع من كتاب أشعيا فاقرأه وتأمل في سوقه ومورده.

الصفحة 164

فهل تراه يريد ولادة المسيح. والعمدة أن تنظر إلى الأصل العبراني.

عمانوئيل: أحضرت الأصل العبراني ونظرت في الفصل السابع من كتاب أشعيا وقلت: يا سيدي إني متتبع للعهد القديم في الأصل العبراني

وكل مقام يتعلق غرضه بخصوص العذراء يقول: (بتولة) كما في (تك 21: 3 و 13 و 14 وتث 22: 19 و 23 و 28 وقض 19: 24 و 21: 12 ومز 148 وار 31: 21 وحزا 1: 15 و 18 و 2: 10 و 13 وعا 8: 3 وغير ذلك. وها هو يقول في المقام من أشعيا (العلمه) ومعناها الفتاة والشابة ولم يقل بتوله فلماذا يجعلها إنجيل متى العذراء وأيضا يا سيدي ما سمعنا أحدا سمى المسيح عمانوئيل بل سمى (يسوع، فأين صدق الملاك وإنجيل متى.

وأيضا إن كلام أشعيا كان يخاطب به سبط يهوذا وملكهم (احاز) من أجل اتفاق ملك آرام وملك إسرائيل على محاربتهم فأعطاهم علامة بأن هذا المولود قبل أن يعرف أن يرفض الشر ويختار الخير تخلى الأرض التي يخافون من ملكها بسبب تسلط ملك أشور على آرام وإسرائيل ويبسط ملك أشور جناحيه ملء بلاد عمانوئيل كما ذكر أيضا في الفصل الثامن من أشعيا وبمقتضى الفصل السادس عشر والسابع عشر من سفر الملوك الثاني أن ملوك أشور سبوا دمشق والسامرة وأخلوهما بالسبي وقتلوا ملك آرام وسجنوا ملك إسرائيل.

يا سيدي وبالمناسبة أقول: أيضا ذكر إنجيل متى في الفصل الثاني (لأنه هكذا مكتوب بالنبي وأنت يا بيت لحم يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي إسرائيل) ولا يوجد في العهد القديم ما يشبه هذا الكلام إلا ما يوجد في العدد الأول من الأصل العبراني في الفصل الخامس من كتاب ميخا ولكن بين الكلامين مخالفة كبيرة فإن ترجمة كتاب ميخا حرفيا تكون هكذا (وأنت بيت لحم أفراتة صغير لكونك بألوف يهوذا منك لي يخرج ليكون متسلطا بإسرائيل) وهذه المخالفة تكون من التحريف فهل كان التحريف في كتاب ميخا أو في إنجيل متى – وذكر أيضا في هذا الفصل أن ملاك الرب أمر يوسف أن يأخذ المسيح إلى مصر وكان هناك إلى حين موت هيرودس لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل (من مصر دعوت ابني).

يا سيدي وهذا الكلام جاء في أول الفصل الحادي عشر من كتاب هوشع وقد كان قبل المسيح بما يزيد على سبعمائة سنة وأصل الكلام هكذا (لما كان إسرائيل غلاما أحببته ومن مصر دعوت ابني) ومن المعلوم أن المقصود من هذا الكلام إنقاذ بني إسرائيل من عبوديتهم في مصر كما يشهد له أيضا محتوى الكلام في هذا الفصل وقد جاء في العدد الثاني والعشرين والثالث والعشرين من الفصل الرابع من سفر الخروج أن الله أمر موسى أن يقول لفرعون: (هكذا يقول الرب إسرائيل ابني البكر فقلت لك أطلق ابني).

وذكر متى أيضا في هذا الفصل أن هيرودس قتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم وفي كل تخومها وحينئذ تم ما قيل بإرميا النبي القائل (صوت سمع في الرامة نوح وبكاء مر وعويل كثير راحيل تبكي على أبنائها ولا تريد أن تتعزى لأنهم

ليسوا موجودين) وهل يخفى على سيدي أن هذا الكلام جاء في العدد الخامس عشر من الفصل الحادي والثلاثين من كتاب إرميا.

ويا للعجب يا سيدي ما هي المناسبة بين الوامة التي هي في سهم سبط إفرايم بن يوسف بن يعقوب من راحيل وبين بيت لحم التي هي في سهم يهوذا وبين القريتين نحو ثلاثين ميلا وما هي المناسبة بين راحيل والذين في بيت لحم فإنهم من سبط يهوذا من أبناء ليئة ضرة راحيل.

مع أن العدد السادس عشر والسابع عشر من هذا الفصل من إرميا يقول على الأثر إن الله أخبر بأن هؤلاء الأبناء يرجعون من أرض العدو والسبي إلى أرضهم فما هي المناسبة مع الأولاد المقتولين.

يا سيدي فهل إنجيل متى مسلط على أن ينتهب الكلام من مورد إلى آخر.

هل يكون في كتب الوحي انتهاب

القس: يا عمانوئيل قد وقع مثل هذا الانتهاب في العدد الثالث والثلاثين من الفصل الثالث عشر من أعمال الرسل حيث ذكر عن قول بولس (أقام يسوع كما هو مكتوب في المزمور الثاني أنت ابني أنا اليوم ولدتك) ونحو ذلك في العدد الخامس من الفصل الخامس من رسالة العبرانيين.

وجاء أيضا في أول رسالة العبرانيين المنسوبة لبولس حيث احتج لفضل المسيح على الملائكة بأن الله قال فيه ما لم يقل في الملائكة فقال: (لمن من الملائكة قال قط أنت ابني أنا اليوم ولدتك. وأيضا أنا أكون له أبا وهو يكون لي ابنا).

يا عمانوئيل وإن القول المذكور في العدد السابع من المزمور الثاني لا يمكن أن ينطبق على يسوع المسيح لأن هذا القول أوحي لداود قبل ميلاد يسوع المسيح بأكثر من ألف سنة. فإن أرادولادة المسيح النبوية حين اعتماده من يوحنا (يحيى بن زكريا) فهذا القول متقدم عليها بأكثر من ألف وأربعين سنة. وإن أرادولادة المسيح الأزلية كما يقال فهي سابقة على اليوم الذي أوحي فيه هذا القول لداود بسبق الأزل.

وعلى كل تقدير ليس للمسيح في يوم هذا الوحي ولادة يصح أن يقول له: أنا اليوم ولدتك – فهذا القول. إنما هو لداود باعتبار ولادة الوحي فإن داود يقول في هذا المزمور: (أخبر الحق الرب قال لي أنت ابني أنا اليوم ولدتك) ولكن الغلاة والانتهاب لا تصعب على كثير من الناس.

عمانوئيل. يا سيدي إن هذا المزمور قد جرى فيه قبل هذا الكلام ذكر المسيح إذ يقول: (قام ملوك الأرض وتأمر الرؤساء معا على الرب ومسيحه) فما هو الوجه في ذلك. وهل يكون مسيح الرب غير سيدنا (يسوع).

القس: المراد من المسيح في هذا المزمور هو داود نفسه.

ويشهد لذلك أن داود سمى نفسه في المزامير مسيح الله كما في العدد الخمسين من المزمور الثامن عشر. والعدد العاشر من المزمور الحادي والثلاثين بعد المائة – والمسيح هو من يمسحونه بالزيت ملكا أو كاهنا – ألا ترى أن داود قد سمى شاول ملك إسرائيل (مسيح الرب) سبع مرات كما في الفصل الرابع والعشرين والسادس والعشرين من سفر صموئيل الأول والفصل الأول من صموئيل الثاني بل سماه بذلك صموئيل النبي مرتين كما في العدد الثالث والخامس من الفصل الثاني عشر من سفر صموئيل الأول.

وجاء في المزمور الخامس بعد المائة عن قول الله: (لا تمسحوا مسحائي) وفي أول الفصل الخامس والأربعين من كتاب أشعيا (هكذا قال الرب لمسيحه لكورش الذي أمسكت بيمينه) وأيضا في المزمور التاسع والثمانين 38 و 51 غضبت على مسيحك.

وأصحابنا يقولون: بأن داود قصد بالمسيح هنا نفسه لأنهم لا يرضون للمسيح أن يكون الله يغضب عليه وكيف يرضون بذلك وهو عندهم إله واقنوم الله.

يا عمانوئيل وأما قوله (أنا أكون له أبا وهو يكون لي ابنا) فقد جاء في العهد القديم في الفصل السابع من سفر صموئيل الثاني والسابع عشر من الأيام الأول في خطاب الله لناثان النبي في شأن ابن داود الذي يبني بيت الرب في أورشليم.

وفي الفصل الثاني والعشرين من الأيام الأول صرح داود لسليمان بأنه هو المقصود بهذا الكلام وأن الله سماه سليمان بالصراحة وأيضا أخبر عن الله في الفصل الثامن والعشرين بقوله (وقال سليمان ابنك هو يبني بيتي وديباري لأني اخترته لي ابنا وأنا أكون له أبا) فيا للأسف على كتب العهد الجديد إذ تغتصب الحقائق من الكلام. إقرأ يا عمانوئيل ودعنا نتجرع الغصص.

سيد سيدعى ناصريا

عمانوئيل: فقرأت آخر الفصل الثاني من متى قوله وأتى وسكن في مدينة يقال لها: ناصرة لكي يتم ما قيل بالأنبياء إنه سيدعى ناصريا. – فقلت: يا سيدي هل قيل في العهد القديم إن المسيح أو أحد الأنبياء أو المبشرين سيدعى ناصريا.

القس: ليس لهذا الكلام عين ولا أثر في العهد القديم – ولا تستغرب ذلك من إنجيل متى بعد ما رأيت ما رأيت.

لا يغلط كتاب الوحي

عمانوئيل: يا سيدي وبالمناسبة أذكر أنه ذكر في الفصل السابع والعشرين من إنجيل متى (حينئذ تم ما قيل بإرميا النبي القائل وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المثمن الذي ثمنوه من بني إسرائيل وأعطوها عن حقل الفخاري كما أمرني الرب) يا سيدي وهذا الكلام لا يوجد في كتاب أرميا أصلا.

ولكن يوجد ما يشبهه في بعض الألفاظ في الفصل الحادي عشر من كتاب زكريا وهو هذا (فقلت لهم أن حسن في أعينكم أعطوني أجرتي وإلا فامتنعوا فوزنوا أجرتي ثلاثين من الفضة فقال لي الرب: القها إلى الفخاري الثمن الكريم الذي ثمنوني به فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها إلى الفخاري في بيت الرب) وأنت إذا نظرت إلى العبارتين رأيت أن عبارة متى وعبارة زكريا متضادتان في المعنى متخالفتان في أكثر الألفاظ.

فكيف يكون مثل هذا الوحي والإلهام.

كيف لا يعرف الوحي أن الكلام الذي حرفت ألفاظه وبدل معناه لا يوجد في كتاب إرميا بل هو في كتاب زكريا.

الصفحة 170

القس. إقرأ يا عمانوئيل واسمع يا اليعازر وتبصر فيما يجري من الكلام.

القس: بقي عندي سؤال وهو أن إنجيل متى وإنجيل لوقا قد تعرضا لتاريخ أحوال المسيح من أول حمله وولادته وطفولته إلى آخر أمره، فلماذا ينفرد كل منهما بذكر شئ مهم في تاريخ المسيح والبشرى به على نحو المعجز.

فهذا متى ذكر زيارة المجوس للمسيح في طفولته واعترافهم به وطلب هيرودس لقتله وقتل الأطفال من أجل طلبه وأخذ يوسف وأمه له إلى مصر.

وهذا لوقا لم يذكر شيئا من هذا التاريخ الكبير المجيد.

وهذا إنجيل لوقا ذكر خطاب الملائكة للرعاة وبشراهم لهم بالمسيح وذكر كلام سمعان الذي كان عليه الروح القدس في البشرى بالمسيح. وكلام (حنه) النبية. مع أن متي لم يذكر شيئا من ذلك. فلماذا يكون هذا يا سيدي.

الصفحة 171

القس: يا عمانوئيل إن مثل هذا الاختلاف بين الأناجيل كثير. ولكن يا عمانوئيل إن الأناجيل كثيرا ما تتفق على نقل خبر واحد وتختلف في نقله اختلافا كبيرا يؤدي إلى التناقض. فهل يكون في الالهام تناقض؟

اليعازر: ها نحن قرأنا فصلين من إنجيل متي فاعترضتنا هذه الأمور المدهشة الكبيرة فكيف حالنا من البقية من الأناجيل وباقي العهد الجديد.

مع أني لا أزال في حسرة الأسف مما ذكرتموه من تلويث الأناجيل لقدس المسيح وتحريفها لكلام العهد القديم كما ذكر فيما مر ويزيد أسفي وحيرتي إذا أضفت إلى ذلك ما ذكرتموه من الاختلاف في استشهادات إنجيل متى بالعهد القديم في الفصلين الأولين منه.

القس: يا اليعازر أما أسفك فلا، ألومك عليه ولكن لا وجه لزيادة حيرتك فإن هذه الأمور ترفع الحيرة وتعرف الانسان رشده اقرأ يا عمانوئيل.

الصفحة 172

متى صورت صراخ وخلله

عمانوئيل: فقرأت في أول الأصحاح الثالث من إنجيل متى قوله: (في تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية بالتوبة فوجدت فيه أن يوحنا هو الذي قيل عنه باشعيا النبي صوت صراخ في البرية أعدوا طريق الرب أصنعوا سبله مستقيمة) فقلت: يا سيدنا القس ههنا سؤالان: السؤال الأول: إن (متى) كان يتكلم في آخر الفصل الثاني في أيام رجوع يوسف بالمسيح من مصر عند موت هيرودس الوالي على اليهودية وولاية ابنه ارخيلاوس وقد كان ذلك بعد ميلاد المسيح بنحو سنة وقد كان عمر يوحنا المعمدان عند ذلك نحو سنة لأنه كان حملا حينما كان المسيح حملا كما يصرح بذلك الفصل الأول من إنجيل لوقا. فهل جاء يوحنا يكرز في برية اليهودية وعمره نحو سنة، وهذا إنجيل لوقا يذكر في الفصل الثالث أن حلول كلمة الله على يوحنا وكرازته بالتوبة كانت في السنة الخامسة عشر من سلطنة طيبريوس قيصر بحيث يكون عمر يوحنا نحو ثلاثين سنة.

يا سيدي هل يكون كتاب الوحي يغلط في التاريخ هذا الغلط الكبير. أو إنه يقول: (في تلك الأيام) لفظا بلا معنى.

والسؤال الثاني: إن الكلام الموجود في العدد الثالث من الفصل الأربعين من كتاب أشعيا مخالف للكلام الذي نقله متي ففي كتاب أشعيا صوت صراخ في البرية أعدوا طريق الرب قوموا في القفر سبيلا لإلهنا.

فلم يقل اصنعوا سبله مستقيمة. فمن أين جاء هذا الاختلاف في كتب الوحي.

القس: يا عمانوئيل إن إنجيل مرقس في الفصل الأول وإنجيل لوقا في الفصل الثالث قد نقلا عن كتاب أشعيا مثل عبارة متى، فانظر إلى الأصل العبراني من كتاب أشعيا.

عمانوئيل: يا سيدي ها هو الأصل العبراني من أشعيا يقول: (قول قرأ بمدبر فنوا ترك يهوه يسروا بعربه مسله لالهينو).

القس: يا عمانوئيل هل رأيت تراجم العهدين في هذه المقامات.

عمانوئيل: يا سيدي قد رأيت كثيرا منها في الفارسية والعربية وغيرهما من طبعات متعددة فكانت الترجمة لكلام أشعيا موافقة له والترجمة لكلام متى ومرقس ولوقا موافقة لما نقلناه عنهم.

القس: إذن لا بد من وقوع التحريف إما في كتاب أشعيا وإما في أناجيلنا.

عمانوئيل: إذن قرت عيوننا بتحريف كتبنا، يا سيدي وما هو الجواب عن السؤال الأول.

القس: لا يلزمني أن أصرح بالحال أفلا تعرفه يا عمانوئيل. هل يخفى الخطأ؟

اليعازر: هل يمكنكم إلا أن تعترفوا بالغلط في إنجيل متى فلماذا يحيد سيدنا عن هذا الاعتراف.

إعتماد المسيح وحال إبليس معه

عمانوئيل: ثم قرأت في هذا الفصل ما مضمونه أن المسيح جاء من بلاد الجليل إلى الأردن ليعتمد من يوحنا بمعمودية التوبة لكي يكمل كل بر فلما اعتمد وصعد من الماء انفتحت له السماء ورأى روح الله نازلا وآتيا عليه مثل حمامة.

ثم أصعد المسيح إلى البرية من الروح ليجرب من إبليس وبعد ما صام أربعين نهارا وأربعين ليلة جاع فتقدم إليه المجرب وقال له: إن كنت أنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزا. فقال: مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله.

ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل. فقال. إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل. لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك فعلى أياديهم يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك. فقال يسوع مكتوب: أيضا لا تجرب الرب إلهك. ثم أخذه إبليس أيضا إلى جبل عال جدا وأراه جميع ممالك المسكونة ومجدها. وقال له: أعطيك هذه كلها إن سجدت لي. فقال يسوع: اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد ثم تركه إبليس وإذا ملائكة قد جاءت تخدمه.

من الاختلاف

اليعازر: هل يوجد هذا الكلام في إنجيل آخر.

عمانوئيل: نعم يوجد في الفصل الرابع من إنجيل لوقا مع اختلاف في الحكاية.

والمهم من هذا الاختلاف أمور ((1)) في لوقا (بكل كلمة من الله) ((2)) يعوف من لوقا أن أخذ إبليس للمسيح إلى جبل عال قبل أخذه له إلى جناح الهيكل على عكس ما يعوف من متى ((3)) لوقا يقول. إن إبليس فارق المسيح إلى حين.

الصفحة 176

وأما إنجيل مرقس فإنه بعد ما ذكر نزول الروح على المسيح قال: وللوقت أخرجه الروح إلى البرية وكان هناك في البرية أربعين يوما يجرب من الشيطان وكان مع الوحوش وصارت الملائكة تخدمه.

اليعازر: هل يوجد اختلاف في متى ولوقا مع نقل المكتوب من العهد القديم.

عمانوئيل. يا والدي في العدد الثالث من الفصل الثامن من سفر التثنية ما ترجمته الحرفية (لأنه لا على الخبز وحده يحيا الانسان لأنه على كل وصية فم الله يحيا الانسان). وهذا لا يطابقه ما في متى ولاما في لوقا. وفي العدد السادس عشر من الفصل السادس من التثنية، لا تجربوا الرب إلهكم " فلا يطابقه ما في متى ولا ما في لوقا. وفي سفر التثنية 6: 13 و 10: 20 للرب إلهك تسجد وإياه تعبد فليس فيها لفظ (وحده) كما ذكره متى ولوقا.

اليعازر. إنك شديد التتبع للعهدين.

عمانوئيل: يا والدي قد تتبعت منقولات العهد الجديد عن العهد القديم فلا أكاد أجد نقلا خاليا من المخالفة.

الصفحة 177

اليعازر: هل هذا لأن العهد القديم محرف. أو لأن العهد الجديد يحرف في نقله.

عمانوئيل: إن قلنا إن العهد القديم محرف خسرنا عهدنا القديم وإن قلنا إن العهد الجديد هو الذي يحرف فقد خسرنا عهدنا الجديد.

القس: إقرأ يا عمانوئيل.

عمانوئيل: يا سيدي إني لم أفرغ من مدهشات هذا الكلام ولي فيه سؤالات فإن الأناجيل يفهم منها أن مكث المسيح في البرية لم يكن باختياره بل كان باقتياد وإلجاء من الروح كحالة الذهول والهيام يا سيدي والمأمول من نزول روح الله على الشخص أن يكون مؤيدا للقوة العاقلة وحسن الاختيار وكمال الرشد وممنوعا لمن يحل عليه بالأحوال العقلائية والأفعال السديدة لكي يعلو مقامه في البشر ويتم نفعه وتنجح مساعيه في الاصلاح.

فكيف يكون سببا للهيام في البرية والذهول الذي تتهاجم عليه ظنون السوء من الناس.

الصفحة 178

والأمر المدهش أن يكون نزول الروح يعقبه تصرف إبليس ونفوذ قدرته في المسيح رسول الله وينقله من مكان إلى مكان، إلى جبل عال، وإلى جناح الهيكل، بل يتصرف إبليس في حواس المسيح فيريه جميع ممالك المسكونة ومجدها – يا سيدي هذه أمور لا تليق بجلال الله ولا بقدس الرسول – وإذا قلنا بمقالة أصحابنا في تأليه المسيح وإنه الإله المتجسد الجامع لأقنوم الابن وأقنوم الروح القدس فإن المصيبة تكون عظيمة ما فوقها مصيبة إذ يكون إبليس يتصرف بالإله هذا التصرف الكبير ويتلاعب

به هذا التلاعب ويطلب إبليس أن يسجد الإله له.

وكيف لا يقول له اخسأ يا شيطان فإني أنا الإله المتجسد وجميع ما في الكون في سلطاني ولي السجود.

ولكن يا للأسف لا يمكن أن يجيبه بهذا الجواب بعد ما تصوف به إبليس ذلك التصوف الكبير.

يا سيدي وإن إنجيل لوقا قيد مفارقة إبليس للمسيح وجعلها إلى حين. فهل يعوف منه لإبليس مع المسيح مواقف أخر في التصوف به.

اليعازر: أرى هذه الأناجيل كأنها وبال على قدس سيدنا المسيح وعلو مقامه في مجد الرسالة.

القس: اقرأ يا عمانوئيل وستسمع يا اليعازر شيئا كثيرا ولكن لا تتكلم بحدة.

من الاختلاف

عمانوئيل: فقرأت في الفصل الرابع من متى أيضا أن المسيح سكن في كفر ناحوم التي عند البحر في تخوم زبولون ونفتالي لكي يتم ما قيل بأشعيا النبي القائل أرض زبولون وأرض نفتالي طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم الشعب الجالس في ظلمة أبصر نورا عظيما.

اليعازر: يا عمانوئيل هذا كلام لا محصل له إلا تسطير الألفاظ والأسامي أفلا تنظر إلى كتاب أشعيا في أصله العبراني وترجمته فإني عرفت أن أناجيلنا تخالف العهد القديم في نقلها عنه.

عمانوئيل: فنظرت في آخر الفصل الثامن من كتاب أشعيا العبراني فوجدت ما ترجمته الحرفية (كما أن الزمن الأول أهان أرض زبولون وأرض نفتالي والأخير يكبر طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم) وفي أول الفصل التاسع الشعب السائر في الظلمة رأى نورا كبيرا. يا والدي وأنت ترى أن كلام متى لا يشبه كلام أشعيا إلا ببعض المفردات.

وإن الذي يعرف مواقع البلاد يعرف أن كفر ناحوم هي من سهم نفتالي وبعيدة عن تخم زبولون بنحو ستة أميال وبينها وبينه بيت صيدا الغربية وطن بطرس واندرواس وفيلبس من التلاميذ.

اليعازر: إقرأ يا ولدي.

الناموس والمسيح

عمانوئيل: فقرأت في الفصل الخامس عن قول المسيح لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل، فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماوات والأرض لا يزول حرف واحد ونقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السموات.

اليعازر: هذا صريح في لزوم العمل بالتوراة ولا يترك محلا لدعوى الفداء.

نقض الناموس وتوهينه والاختلاف

عمانوئيل: لا تعجل يا والدي فإن الزمان قليلا ما يسمح لأناجيلنا أن تصفو من الكدر فقد نقل إنجيل متى في هذا الفصل على أثر هذا الكلام عن قول المسيح: (وقيل (أي في التوراة) من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق وأما أنا فأقول من طلق امرأته إلا لعلة الزنا جعلها تزني ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني. وأيضا سمعتم أنه قيل للقدماء لا تحنث بل أوف للرب أقسامك، وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة لا بالسماء لأنها كرسي الله ولا الأرض لأنها موطئ قدميه ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم ولا تحلف برأسك لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة سوداء أو بيضاء بل ليكن كلامكم نعم نعم لا لا ومازاد على ذلك فهو من الشرير.

الصفحة 181

سمعتم أنه قيل عين بعين سن بسن وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا. سمعتم إنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم).

يا والدي وأنت ترى أن هذا الكلام نقض للناموس ورد عليه وتوهين لشريعته.

اليعازر: هل وافق إنجيل متى في هذه المضامين باقي أناجيلنا.

عمانوئيل: نعم وافقه في كلامه في الطلاق إنجيل مرقس 10: 2 – 12 ولوقا 16: 18.

اليعازر: يا عمانوئيل ماذا يريد إنجيل متى بقوله قيل للقدماء.

عمانوئيل: يريد التوراة كتاب الشريعة.

الصفحة 182

اليعازر: أحب أن نطابق هذا المنقول في إنجيل متى بما أخذه من التوراة فإن من عادة إنجيل متى عدم المطابقة في النقل.

عمانوئيل: الموجود في التوراة في الطلاق إذا أخذ الرجل امرأة وتزوج بها وهي لم تجد نعمة في عينه لأنه وجد بها عيب شئ وكتب لها كتاب طلاق.

ولا يوجد في العهد القديم لا تحنث بل أوف للرب أقسامك. وإنما الموجود من هذا النحو ما هو في الفصل الثلاثين من العدد وهو إذا نذر رجل نذرا للرب أو أقسم قسما أن يلزم نفسه بلازم فلا ينقض كلامه. ولا يوجد في التوراة قوله تحب قريبك وتبغض عدوك بل الموجود فيها تحب قريبك كنفسك (لا 19: 80).

منقولات العهد الجديد عن العهد القديم والاختلاف

اليعازر: أحب الآن أن نتصفح عاجلا جميع الفقرات التي تنقلها الأناجيل عن، العهد القديم ونطابق بين الأمرين فإنه لم يمر علينا نقل إلا وجدنا فيه الاختلاف المدهش فليجر الكلام في هذا في سلسلة واحدة.

عمانوئيل: هل يأذن سيدنا القس في ذلك وهل يستحسنه.

القس: لا بأس بذلك فإنه لا يخلو من فائدة لكن بشرط أن نرجع إلى استيفاء الكلام في مطالب الأناجيل.

عمانوئيل: في الفصل الحادي عشر من متى عن قول المسيح في شأن يوحنا المعمدان: فإن هذا هو الذي كتب عنه ها أنا أرسل أمام

وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قدامك. ونحوه في الفصل السابع من إنجيل لوقا.

والأول من إنجيل مرقس – مع إنه لا يوجد في العهد القديم إلا قول الفصل الثالث من كتاب ملاخي ها أنا ذا أرسل ملاكي فيهيئ الطريق أمامي. فانظر إلى المخالفة – وفي الفصل الثالث عشر من متى 14 فقد تمت فيهم نبوة أشعيا القائلة تسمعون سمعاولا تفهمون ومبصرين تبصرونولا تنظرون لأن قلب هذا الشعب قد غلظوآذانهم قد ثقل سماعهاوغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم.

وأيضا في الثاني عشر من إنجيل يوحنا 39 لأن أشعيا قال: أيضا 40 قد أعمى عيونهموأغلظ قلوبهم لئلا يبصروا بعيونهم ويشعروا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم – فانظر إلى الاختلاف الكبير في النقل بين الإنجيلين – مع أن الموجود في سادس أشعيا بالترجمة الحرفية: إسمعوا سمعاولا تفهموا وأبصروا إبصراولا تعرفوا غلظ قلب الشعب هذا وآذانه ثقلت وعيونه طمست لئلا يرى بعينه وبآذانه يسمع وقلبه يفهم ولرجع وأشفيه.

وأيضا في ثالث عشر متى 35 لكي يتم ما قيل بالنبي القائل سأفتح بأمثال فميوأنطق بمكتومات منذ تأسيس العالم.

والموجود في المزمور الثامن والسبعين: افتح بمثل فمي أذيع ألغازا منذ القدم. وفي الفصل الحادي والعشرين من متى لكي يتم ما قيل بالنبي القائل قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك يأتيك وديعاراكبا على أتان وجحش ابن أتان.

وفي الفصل الحادي عشر من إنجيل يوحنا ووجد يسوع جحشا فجلس عليه كما هو مكتوب لا تخافي يا ابنة صهيون هوذا ملكك يأتي جالسا على جحش أتان. هذا مع أن الموجود في الفصل التاسع من كتاب زكريا ابتهجي جدا يا ابنة صهيون، اهتفي يا بنت أورشليم هوذا ملكك يأتي إليك عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى عير ابن أتان. فانظر يا والدي إلى هذا الاختلاف الفاحش.

ويزيد على ذلك اختلاف الأناجيل فيما بينها فإن مرقس ولوقا ويوحنا لم يذكروا في القصة إلا الجحش والركوب عليه.

ولكن متىزاد الأتان وأن المسيح ركب عليهما. وفي الفصل الثالث والعشرين من متى 35 (إلى دم زكريا ابن رخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح). مع أن الموحد المؤمن الكبير الذي قتلوه في دار بيت الله وبين الهيكل والمذبح إنما هو زكريا ابن يهوياداع كما تقدم في صحيفة 120 . وفي الفصل السابع والعشرين من متى: لكي يتم ما قيل بالنبي (إقتسموا ثيابي بينهم وعلى

لباسي القوا قرعة). ومثله في الفصل التاسع عشر من إنجيل يوحنا.

والموجود في المزمور الثاني والعشرين 17 يقسمون ثوبي لهم وعلى لباسي يلقون قرعة.

وقد ذكرنا صحيفة 159 عن الفصل السابع والعشرين من متى أنه قال: (حينئذ تم ما قيل بإرميا النبي وأخذوا إلى آخره "

وقد ذكرنا هناك أن الذي يشبه هذا الكلام غير موجود في كتاب إرميا أصلا وإنما هو في كتاب زكريا. فلماذا تضيع الأسماء على إنجيل متى.

الأناجيل والعهد القديم والاختلاف

اليعازر: ها أنت فرغت من إنجيل متى وما يشترك معه من الأناجيل في النقل عن العهد القديم. فهلا تتصفح الأناجيل الباقية لكي ترى ما تنفرد به عن إنجيل متى في النقل عن العقد القديم.

عمانوئيل: يا والدي في الفصل الرابع من إنجيل لوقا 17 أن المسيح في الناصرة دفع إليه سفر أشعيا ولما فتح السفر وجد الموضع الذي كان مكتوبا فيه (روح الرب علي لأنه مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأشفي المنكسري القلوب لأنادي للمأسورين بالإطلاق وللعمي بالبصر وأرسل المنسحقين في الحرية وأكرز بسنة الرب المقبولة). والموجود في الفصل الحادي والستين من كتاب أشعيا العواني ما ترجمته الحرفية روح سيدي الله على لأنه مسح الله إياي لبشرى المساكين. أرسلني للتعصيب لمنكسري القلب لأنادي للمسبيين عتقا وللمأسورين إطلاقا لأنادي سنة مقبولة لله.

يا والدي فكم ترى من الاختلاف مع أن كتاب أشعيا لا يوجد فيه قول لوقا (وللعمى بالبصر) وأيضا إن قول لوقا (لأشفي المنكسري القلوب) قد جعل بين خطين هلاليين وهو علامة على أنه لا يوجد ذلك في أقدم النسخ وأصحها. وأيضا في الفصل السابع من يوحنا عن قول المسيح 38 من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حي. مع أنه لا يوجد في العهد القديم ما يشبه هذا الكلام إلا قوله في الفصل الرابع من كتاب زكريا 8 ويكون في ذلك اليوم أن مياها حية تخرج من أورشليم: فواجعه.

وفي الفصل الثامن من يوحنا عن قول المسيح 17 وأيضا في ناموسكم مكتوب شهادة رجلين حق.

ولا يوجد هذا اللفظ مكتوبا في التوراة أصلا. نعم يوجد فيها عد 35: 30 وتث 17: 6 و 19: 15 ما حاصله أنه يقوم الحكم بشاهدين أو ثلاثة ولا يقوم بشاهد واحد.

القس: وههنا أمر يضحك بسخافته ويبكي بنسبته إلى قدس سيدنا المسيح وشرف الرسالة وهو أن إنجيل يوحنا نسب هذا الكلام للمسيح لكي يصور عنه الاحتجاج لأمره فيقول: إذن أن هو الشاهد لنفسي ويشهد لي الأب الذي أرسلني. أفلا يرى هذا الكاتب بأن التوراة تقول: لا يقوم الحكم بشاهد واحد وكل غبي وفاهم يعرف أن المدعي لا يحسب شاهدا لنفسه في كل شريعة شرعية وعرفية. فكيف ينسب للمسيح أنه يجعل نفسه أحد الشاهدين.

وأيضا إن بني إسرائيل وكل إلهي يقول: إن شهادة الله هي آية الحق فلا تحتاج إلى انضمام شهادة المخلوقين.

فكيف يضطهد مجد الله الذي يعوفونه ويجعل شهادته كشهادةرجل تحتاج إلى شهادةرجل آخر حتى إذا كان هو المدعي.

فكيف كتب هذا الكاتب هذا الكلام ويا للأسف. إقرأ يا عمانوئيل.

عمانوئيل: وفي الفصل الثاني عشر من يوحنا 38 ليتم قول أشعيا النبي الذي قال: يارب من صدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب. مع أن الموجود في أول الفصل الثالث والخمسين من أشعيا بالترجمة الحرفية للأصل العبراني: من المصدق لخبرنا وذراع الله على من استعلنت. وبالأقل ليس فيه يارب.

اليعازر: هذه الاختلافات شئ كبير مدهش ويا للأسف لم يسلم منها واحد من أناجيلنا.

القس: لماذا تحكم يا عمانوئيل على الأناجيل بأنها هي التي حرفت ما في العهد القديم.

ولماذا لا تقول إن العهد القديم قد كان محرفا قبل الأناجيل. والأناجيل نقلت ما نقلته منه على حقيقته الأصلية قبل تحريفه.

اليعازر: يا سيدي اسمح لي أن أقول أولا: إنا لا يهون علينا في ديانتنا أن نخسر العهد العتيق كما لا يهون علينا أن نخسر العهد الجديد. وثانيا إذا لحظنا اختلاف الأناجيل في عبارة ما تنقله عن العهد القديمرجحنا أن يكون الاختلاف منها. ويشهد على أن الاختلاف من الأناجيل احتجاجها الواهي بما تنسبه إلى المسيح وإلى العهد القديم كما تقدم في صحيفة 73 و 74 يا عمانوئيل ألا تتبع مورد استشهاد العهد الجديد بالعهد القديم لكي نعرف هل يوجد بينهما اختلاف كالذي بين الأناجيل وبين العهد القديم. ولكي نطلع على مورد الاختلاف. وكم هي؟

كتاب أعمال الرسل واختلافه مع العهد القديم

عمانوئيل: في الفصل الأول من أعمال الرسل 20 (لأنه مكتوب في سفر المزامير. لتصر داره خرابا ولا يكن فيها ساكن وليأخذ وظيفته آخر) والموجود هو ما في المزمر التاسع والستين 25 (لتصر دارهم خرابا وفي خيامهم لا يكون ساكن) وفي المزمور المائة وتسعة 8 (ووظيفته ليأخذها آخر).

وفي الفصل الثاني من الأعمال 16 (بل هذا ما قيل. بيوئيل النبي 17 يقول الله: ويكون في الأيام الأخيرة أني أسكب روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويرى شبانكم رؤيات ويحلم شيوخكم أحلاما 18وعلى عبيدي أيضا وإمائي أسكب من روحي في تلك الأيام فيتنبأون).

والموجود في أول الفصل الثالث من كتاب يوئيل في العوانية وترجمته الحرفية (ويكون أواخر ذلك أسفك روحي على كل بشر ويتنبأ بنوكم وبناتكم، شيوخكم أحلاما يحملون. شبانكم رؤيا يرون، وأيضا على العبيد وعلى الإماء بتلك الأيام أسفك روحي).

زاد كتاب الأعمال قوله: (يقول الله). وبدل قول يوئيل (ويكون أواخر ذلك) الذي يشير به إلى أيام رد يهوذا من سبي بابل. كما صرح به في أول الفصل الرابع بحسب النسخة العوانية. فقال كاتب الأعمال (في الأيام الأخيرة) لكي يمكن انطباقها على دعواه في أيام التلاميذ.

وأسقط قول يوئيل (أيضا) وبدل لفظ العبيد الإماء وزاد قوله (فيتنبأون).

وأيضا في الثاني من الأعمال 65 (لأن داود يقول كنت أرى الرب أمامي في كل حين لأنه عن يميني لكي لا أتزعزع لذلك سر قلبي وتهلل لساني 26 حتى جسدي أيضا سيسكن على رجاء – عرفتني سبل الحياة ستملأني سرورا مع وجهك). والموجودة هو ما في المزمور الخامس عشر (8 جعلت الله أمامي دائما لأنه من يميني بلا تزعزع – 9 لكن فرح قلبي وابتهج كبدي وأيضا بشرى يسكن للاطمئنان – تعلمني سبيل الإحياء شبع سرور أمامك).

فانظر إلى الاختلاف الكثير. وأيضا (34 إن داود نفسه يقول: قال الرب لربي أجلس عن يميني) وقد مر صحيفة 73 إن هذا تحريف لما في المزامير. وفي السابع من الأعمال (33 فقال له الرب إخلع نعل رجليك لأن الموضع الذي واقف عليه أرض مقدسة 34 إني رأيت مشقة شعبي الذي في مصر وسمعت أنينهم ونزلت لأنقذهم فهلم الآن أرسلك إلى مصر).

والموجود في الفصل الثالث من سفر الخروج (5 وقال لا تقرب هنا اخلع نعليك من على رجليك لأن المقام الذي أنت واقف عليه مقدس هو – 7 وقال الله: رؤية رأيت عناء شعبي الذي بمصر وسمعت صرختهم من أمام مستعبديهم لأنه علمت وجعهم 8 ونزلت لخلاصهم من يد المصريين ولإصعادهم من هذه الأرض إلى أرض حسنة وواسعة إلى أرض تفيض لبنا وعسلا).

فانظر إلى الاختلاف الكثير. مع أنه لا يوجد في التوراة قوله (فهلم الآن أرسلك إلى مصر). وأيضا في الفصل السابع (42 كما هو مكتوب في كتاب الأنبياء هل قربتم لي ذبايح وقرابين أربعين سنة في البرية يا بيت إسرائيل بل حملتم خيمه مولوك.

أو (ملكومكم) وكوكب إلهكم رمفان. التماثيل التي صنعتموها لتسجدوا لها. فأنقلكم إلى ما وراء بابل) – والموجود هوما في الفصل الخامس من عاموس (25 الذبائح وقربانا هل قدمتم لي في البرية أربعين سنة يا بيت إسرائيل 26 وحملتم خيمة ملككم وكيوان أوثانكم كوكب آلهتكم الذي صنعتم لكم 27 وأجليكم من هنا لدمشق قال الله) – فانظر إلى الاختلاف والزيادة. وقل أين

دمشق. وأين ما وراء بابل.

الصفحة 191

مع أن التواريخ تشهد أنه لم يكن جلاء لبني إسرائيل إلى دمشق. وإن كان عاموس يخاطب بني إسرائيل الذين في مملكة السامرة (شمرون) فهؤلاء كان سبيهم إلى مملكة آشور. ولا ربط لسبيهم ببابل ولا بما وراء بابل ولا بدمشق؟

تصرف التراجم

ثم إن المترجمين لكتاب عاموس بنوا على غلطه بقول أصله العواني (لدمشق) فكتبوا نبوة جديدة.

ففي النسخة الأولى من المذكورات في صحيفة 19 و 20 (عبر دمشق) وفي الثالثة (ما وراء دمشق) وفي 7 و 8 و 9 و 10 (بآن طرف دمشق). وفي الفصل الثالث عشر من الأعمال (12 وأقام لهم داود ملكا الذي شهد له أيضا إذ قال وجدت داود ابن يسى حسب قلبي. الذي سيصنع كل مشيئتي). والموجود من نحو هذا هو ما في المزمور التاسع والثمانين (21 وجدت داود عبدي بدهن قدسي مسحته 22 الذي يدي تكون) فانظروا عجب.

الصفحة 192

رسالة رومية واختلافها مع العهد القديم

وفي الفصل الثالث من رسالة رومية قد كتب من العدد العاشر إلى العدد الثامن عشر جملة فقرأت من أسفار متفرقة من العهد القديم.

وها أنا أذكرها كل فقرة مع مأخذها من العهد القديم. وهاهي الفقرات: 10 كما هو مكتوب ليس بار ولا واحد 11 ليس من يفهم ليس من يطلب الله 12 الجميع زاغوا وفسدوا معا ليس من يعمل صلاحا ولا واحد. والموجود من ذلك في العهد القديم هو ما اتفق عليه المزمور الرابع عشر مع الثالث والخمسين: 1 . ليس عامل حسن 2 الله من السموات أشرف على بني آدم لري رجلا فاهما طالب الله 3 الكل زلوا فسدوا ليس عامل حسن أليس أيضا واحد.

ومن الفقرات أيضا قوله: 13 بألسنتهم قد مكروا سم الأصلال تحت شفاههم.

والموجود هوما في المزمور المائة والأربعين، 3 سنوا لسانهم مثل الحية حمة صل شفاههم. ومن الفقرات أيضا (14 فمهم مملوء لعنة ومرارة).

الصفحة 193

والموجود هو ما في المزمور العاشر: 7 فمه مملوء لعنة وغشا وظلما، تحت لسانه مشقة وإثم. ومن الفقرات: 18 ليس خوف الله قدام عيونهم. والموجود هو ما في المزمور السادس والثلاثين: ليس خوف الله قدام عينيه.

القس: يوجد في الترجمة اللاتينية، والترجمة الحبشية، والعربية، ونسخة الفاتيكان اليونانية في المزمور الرابع عشر هكذا:

حناجرهم قبور مفتحة مكروا بألسنتهم سم الأفاعي في شفاههم 5 وهؤلاء أفواههم مملوءة لعنة ومرارة وأرجلهم إلى سفك الدم سريعة.

البؤس والتعبس في سبلهم وطريق السلامة ما عرفوها وليس خوف الله أمام عيونهم.

وإن ترجمة العهدين العربية المطبوعة سنة 1811 قد أخرجت هذه الفقرات في المزمور الثالث عشر.

انظر إلى الجزء الرابع من كتاب جمعية الهداية في صحيفة 19.

عمانوئيل: هل يصلح الحال بأن تكون بعض التراجم تزيد هذه الفقرات، أو أن الأصل العبراني والتراجم الكثيرة تغفل عنها، أو أن الترجمة التي تذكرها تتصرف حسبما يسنح لها. هذا كله مما يزيد في وهن الكتب وطريق نقلها ويزيد في عدم اعتبارها..

يا سيدي وقد أمرتني بالنظر إلى كتاب جمعية الهداية فكأنك تريد أن تدلني على خطأهم بقولهم (إن الست آيات هذه هي مذكورة في الكتاب المقدس بنصها فليست ساقطة كما ادعى المعترض، وإنما وضعها بعض المترجمين بعد الآية الثالثة من المزمور الرابع عشر).يا سيدي هذا الأصل العبراني وهذا غالب التراجم بالألسنة المختلفة والطبعات المنتشرة في العالم لا يوجد فيها ما ذكروه. فكيف يقولون قولهم هذا ويكتبونه ويطبعونه وينشرونه.

وأيضا في الفصل الرابع من رومية في تطويب داود (7 طوبى للذين غفرت لهم 8 طوبى للرجل الذي لا يحسب له الرب خطيئة).

والموجود هوما في المزمور الثاني والثلاثين (1 طوبى مغفور الإثم مستور الخطيئة طوبى إنسان لا يحسب الله له ذنبا وليس بروحه غش).

وفي الفصل التاسع من رومية (15 لأنه يقول لموسى أرحم من أرحم وأتأفف على من أتأفف).

والموجود هو ما في الثالث والثلاثين من الخروج (19 وتأفت الذي أتأفف ورحمت الذي أرحم). وأيضا في تاسع رومية (25 كما يقول في هوشع أيضا سأدعو الذي ليس شعبي شعبي والتي ليست محبوبة محبوبة). –والموجود هو ما في الفصل الثاني من سفر هوشع (23 وأقول للاشعبي شعبي أنت وهو يقول إلهي)ولا يوجد في هوشع قوله، والتي ليست محبوبة محبوبة.

وأيضا في تاسع رومية (33 كما هو مكتوب ها أنا ذا أضع في صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة. وكل من يؤمن به لا يخزى).

والموجود هو ما في الفصل الثامن والعشرين من أشعيا (ها أنا أؤسس في صهيون حجرا حجر امتحان زاوية كريما أساسا أساسا. المؤمن لا يستعجل).

القس: الموجود في الترجمة السبعينية (المؤمن لا يخزى).

عمانوئيل: هذا كله مما يؤلم ويزيد في تشويش أمر الكتب وفي وهن صحتها سواء كان الاختلاف بين الأصل العواني والترجمة السبعينية. أم كان بين العواني والعهد الجديد. وأيضا في عاشر رومية (19 موسى يقول أنا أغيركم بما ليس أمة. بأمة غبية أغيظكم).

والموجود هو ما في الفصل الثاني والثلاثين من التثنية (31 وأنا أغيرهم بلا شعب بأمة غبية أغيظهم) وأيضا في عاشر رومية (20 ثم أشعيا يتجاسر ويقول وجدت من الذين لم يطلبوني وصرت ظاهرا للذين لم يسألوا عني 21 أما من جهة إسرائيل فيقول طول النهار بسطت يدي إلى شعب معاند ومقاوم).

والموجود هو ما في الفصل الخامس والستين من أشعيا (1 أصغيت لمن ما سألوا وجدت لمن ما طلبني – 2 بسطت يدي كل اليوم إلى شعب متمرد الذاهبين الطريق الغير حسن وراء أفكارهم). وفي الفصل الحادي عشر من رومية (40 لكن ماذا يقول له الوحي أبقيت لنفسي سبعة آلاف رجل لم يحنوا ركبة لبعل) والموجود هو ما في الفصل التاسع عشر من سفر الملوك الأول (18 وأبقيت في إسرائيل سبعة آلاف كل الركب التي لم تجث لبعل).

وأيضا في حادي عشر رومية (8 كما هو مكتوب أعطاهم الله روح سبات وعيونا حتى لا يبصروا وآذانا حتى لا يسمعوا إلى هذا اليوم). – والموجود من ذلك هو ما في الفصل التاسع والعشرين من أشعيا (10 لأنه يسكب الله عليكم روح سبات ويغمض عيونكم) وفي الفصل التاسع والعشرين من التثنية (4 ولم يعط الله لكم قلبا للعلم وعيونا للرؤية وآذانا للسمع إلى اليوم).

وأيضا في حادي عشر رومية (9 وداود يقول لتكن مائدتهم فخا وشركا وعثرة ومجازاة لهم لتظلم أعينهم كي لا يبصروا. ولتحن ظهورهم في كل حين).

والموجود ما هو في المزمور التاسع والستين (22 تصير مائدتهم أمامهم فخا وللآمنين شركا 22 تظلم عيونهم عن الرؤية ومتونهم دائما للوقوف). وأيضا في حادي عشر رومية (26 كما هو مكتوب سيخرج من صهيون المنقذ ويرد الفسق عن يعقوب 27 وهذا هو العهد من قبلي لهم متى نزعت خطاياهم. – والموجود هو ما في الفصل التاسع والخمسين من أشعيا (25 ويأتي لصهيون منقذ وللتائبين عن المعصية في يعقوب يوحى الله 21وإنا هذا عهدي معهم).

وفي الفصل الثاني عشر من رومية (19 لأنه مكتوب لي النقمة أنا أجازي يقول الرب وفي الفصل العاشر من العوانيين 30 فإنا نعرف الذي قال لي الانتقام أ أجازي يقول الرب).

والموجود هو ما في الفصل الثاني والثلاثين من التثنية (25 لي النقمة والسلام).

وفي الفصل الرابع عشر من رومية (11 لأنه مكتوب أنا حي يقول الرب إنه لي ستجثو كل ركبة وكل لسان سيحمد الله).

–والموجود هو ما في الفصل الخامس والأربعين من أشعيا (23 بي حلفت خوج من فمي الصدق كلمة لا توجع إنه لي تجثوا كل ركبة يحلف كل لسان). وفي الخامس عشر من رومية (10 ويقول أيضا تهللوا أيها الأمم مع شعبه). –والموجود هو ما في الفصل الثاني والثلاثين من التثنية (63 تهللوا يا أمم شعبه).

القس: إن التوراة السامرية تقول في هذا المقام تهللوا يا أمم مع شعبه وهي في هذا المقام أقرب للصحة.

الصفحة 198

عمانوئيل: يا سيدي ما خوج الاختلاف عن كتب العهدين ويا للأسف أن تكون التوراة السامرية أقرب إلى الصحة من العبرانية.

وأيضا في الخامس عشر من رومية (13 وأيضا يقول أشعيا سيكون أصل يسي والقائم ليسود على الأمم عليه سيكون رجاء الأمم).

والموجود هو ما في الفصل الحادي عشر من أشعيا (10 ويكون بذلك اليوم عرق يسي القائم راية للشعوب له الأمم تطلب ويكون محله مجدا).

القس: الذي في النسخة السبعينية (عليه يكون رجاء الأمم).

عمانوئيل: يا سيدي وهل يهون الاختلاف والتحريف إذا وقع بين الأصل العبراني والترجمة السبعينية. وأيضا في خامس عشر رومية (21 بل كما هو مكتوب الذين لم يخبروا به سيبصرون والذين لم يسمعوا سيفهمون). والموجود هو ما في الثاني والخمسين من أشعيا (15 لأن الذي ما أخبر لهم رأوا والذي ما سمعوه فهموا).

الصفحة 199

رسالة كورنتوش الأولى والعهد القديم والاختلاف

وفي الفصل الأول من رسالة كورنتوش الأولى (19 لأنه مكتوب سأبيد حكمة الحكماء وأرفض فهم الفهماء.

والموجود هو ما في الفصل التاسع والعشرين من أشعيا (14 وتبيد حكمة حكمائه وفهم فهمائه يستتر). وأيضا في الأول من كورنتوش (31 حتى كما هو مكتوب من افتخر فليفتخر بالرب. والموجود هو ما في الفصل التاسع من أرميا (24 لأنه بهذه يفتخر المفتخر بأنه يفهم ويعرفني أني أنا الله الصانع رحمة. وفي الفصل الثاني من كورنتوش الأول (9 بل كما هو مكتوب ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه). والموجود هو ما في الفصل الرابع والستين من أشعيا (4 من الدهر لم يسمعوا ولم يصغوا، عين لم تر إلها غيرك يصنع للمنتظر له).

القس: يخطر ببالي أن جمعية الهداية قد أجابت عن هذا فهل تعرف ما قالته.

عمانوئيل: في الجزء الأول من كتاب الهداية ص 231 قال أولا إن المفسرين قالوا: إن الرسول بولس نقل ما في أشعيا بالمعنى.

الصفحة 200

وثانيا أنه استشهاد واقتباس من كلام أشعيا: يا سيدي وجميع ما قالته الجمعية وآه فإن النقل بالمعنى يلزم فيه اتحاد المعنى في الكلامين مع أنه لا مناسبة هنا بين المعنيين في الكلامين المذكورين نعم يتفقان في بعض المفردات.

وأما الاقتباس فهو أن الانسان يجعل الكلام الذي يقتبسه بتركيبه ولفظه ومعناه جزءا من كلامه.

نحو ما استشهدت به جمعية الهداية. فأين النقل بالمعنى وأين الاقتباس من هذا المقام. مع أن رسالة كورنتوش تقول كما هو مكتوب فيلزمه في صحة النقل أن يذكر التركيب المكتوب. نعم إذا جعلنا الخطأ كما ههنا من قسم النقل بالمعنى والاقتباس فهنيئا للمفسرين وجمعية الهداية.

وفي الفصل الرابع عشر من كورنتوش الأولى (21 مكتوب في الناموس أني بذوي ألسنة أخرى سأكلم هذا الشعب.

ولا هكذا يسمعون لي يقول الرب. والموجود هو ما في الثامن والعشرين من أشعيا (11 إنه بلكنة شفة ولسان آخر يكلم الشعب هذا).

الصفحة 201

وفي الفصل الخامس عشر من كورنتوش الأولى (54 فحينئذ (أي حين القيامة من الأموات) تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت إلى غلبة 55 أين شوكتك يا موت. أين غلبتك يا هاوية) وقرأ بدل يا هاوية يا موت أيضا. والموجود هو ما في الفصل الخامس والعشرين من أشعيا (8 بلع الموت إلى غلبة).

القس: يا عمانوئيل إن التراجم التي رأيتها لأشعيا فارسية وعربية وغيرها تقول بلع الموت إلى الأبد.

عمانوئيل: يا سيدي المكتوب في الأصل العبراني (بلع هموت

المفسرين قالوا: إن الرسول بولس نقل ما في أشعيا بالمعنى. وثانيا أنه استشهاد واقتباس من كلام أشعيا: يا سيدي وجميع ما قالته الجمعية وآه فإن النقل بالمعنى يلزم فيه اتحاد المعنى في الكلامين مع أنه لا مناسبة هنا بين المعنيين في الكلامين المذكورين نعم يتفقان في بعض المفردات.

وأما الاقتباس فهو أن الانسان يجعل الكلام الذي يقتبسه بتركيبه ولفظه ومعناه جزءا من كلامه. نحو ما استشهدت به جمعية الهداية.

الصفحة 202

فأين النقل بالمعنى وأين الاقتباس من هذا المقام. مع أن رسالة كورنتوش تقول كما هو مكتوب فيلزمه في صحة النقل أن يذكر التركيب المكتوب.

نعم إذا جعلنا الخطأ كما ههنا من قسم النقل بالمعنى والاقتباس فهنيئا للمفسرين وجمعية الهداية.

وفي الفصل الرابع عشر من كورنتوش الأولى (21 مكتوب في الناموس أني بذوي ألسنة أخرى سأكلم هذا الشعب. ولا هكذا يسمعون لي يقول الرب.

والموجود هو ما في الثامن والعشرين من أشعيا (11 إنه بلكنة شفة ولسان آخر يكلم الشعب هذا).

وفي الفصل الخامس عشر من كورنتوش الأولى (54 فحينئذ (أي حين القيامة من الأموات) تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت إلى غلبة 55 أين شوكتك يا موت. أين غلبتك يا هاوية) وقرأ بدل يا هاوية يا موت أيضا. والموجود هو ما في الفصل الخامس والعشرين من أشعيا (8 بلع الموت إلى غلبة).

الصفحة 203

القس: يا عمانوئيل إن التراجم التي رأيتها لأشعيا فارسية وعربية وغيرها تقول بلع الموت إلى الأبد.

عمانوئيل: يا سيدي المكتوب في الأصل العبراني (بلع هموت لنصح) ولا يصح قول المترجمين (إلى الأبد إلا إذا قيل في العبراني (لعولم).

يا سيدي وفي الفصل الثالث عشر من هوشع في الأصل العبراني (14 أهي دبريك موت أهي قطبك شاول) وقد اضطرب مارأيته من التراجم في ذلك ففي النسخة الأولى من المذكورات في صحيفة 19 و 20 أكون موتك يا الموت وعضك أكون يا الجحيم.

وفي الثانية والرابعة والخامسة. أين أوبائك يا موت أين شوكتك يا هاوية. وفي العاشرة أي موت ضربات توكجا است أي هاوية هلا كت توكجا است.

وفي السابعة والثامنة والتاسعة أي مرك من طاعونهايت خاهم بود وأي عالم غيب هلا كتت خاهم بود.

الصفحة 204

كورنتوش الثانية والعهد القديم والاختلاف

وفي الفصل السادس من كورنتوش الثانية (16 كما قال الله سأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم إلها وهم يكونون لي شعبا 17 لذلك أخرجوا من وسطهم واعتزلوا يقول الرب: ولا تمسوا نجسا فأقبلكم 18 وأكون لكم أبا وأنتم تكونون لي بنين وبنات يقول الرب) والموجود هو ما في الفصل التاسع والعشرين من سفر الخروج (واسكن في وسط بني إسرائيل وأكون لهم إلها).

وفي السادس والعشرين من اللاويين (11 واجعل مسكني في وسطكم ولا تزدلكم نفسي 12 وأسير بينكم وأكون لكم إلها وأنتم تكونون لي شعبا). وفي الثاني والخمسين من أشعيا (11 اعتزلوا اخرجوا من هناك لا تمسوا نجسا أخرجوا من وسطها تطهروا يا حاملي آنية الرب): ولا يوجد للباقي مما ذكرته كورنتوش شبيه بالعهد القديم.

وفي الفصل الثامن من كورنتوش الثانية (15 كما هو مكتوب الذي جمع كثرا لم يفضل والذي جمع قليلا لم ينقص).

والموجود هو ما في الفصل السادس عشر من الخروج (18 لم يفضل المكثر والمقلل لم ينقص).

رسالة غلاطية والعهد القديم والاختلاف

وفي الفصل الثالث من الرسالة إلى أهل غلاطية: (13 لأنه مكتوب ملعون ملعون كل من علق على خشبة). والموجود هو ما في الفصل الحادي والعشرين من التثنية 22 وإذا كان بإنسان خطيئة من قضاء القتل وقتل وعلقته على خشبة لا تبت جثته على الخشبة بل قبرا تقبره بيومه لأن المعلق لعنه الله).

فانظر إلى بلاء هذا التحريف.

وفي الفصل الرابع من غلاطية (22 فإنه مكتوب إنه كان لإبراهيم ابنان واحد من الجارية والآخر من الحرة).

وهذا الكلام غير مكتوب في العهد القديم. (25 لأن هاجر جبل سينا في العربية). أظن هذا الكاتب كتب هذا في مملكة الرومان بحيث يأمن من تكذيب العرب له. – ولكن الأيام نشرت قوله هذا بين العرب فصار عجيبا غريبا عند من يسمعه منهم. (30 لكن ماذا يقول الكتاب اطرد الجارية وابنها لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة). والموجود في الكتاب هو ما في الفصل الحادي والعشرين من التكوين عن قول سارة لإبراهيم (10 اطرد الأمة هذه وابنها لئلا يرث ابن الجارية هذه مع ابني مع إسحاق). وما هو ثمرة الاستشهاد بقول سارة فهل قول سارة من وحي الله.

وهل كلامها كلام الله. ولماذا لم يذكر المكتوب على وجهه. فهل بدله الخطأ أو العمد لئلا يعرف أنه قول سارة فيسقط التشبث به.

رسالة العبرانيين والعهد القديم والاختلاف

وفي الفصل الأول من الرسالة إلى العبرانيين في بيان مجد المسيح بما قاله الله: (6 وأيضا متى أدخل البكر إلى العالم يقول ولتسجد له كل ملائكة الله). يا سيدي ولا يوجد هذا الكلام في العهد القديم.

القس: يقولون إنه يوجد هذا الكلام في الفصل الثاني والثلاثين من التثنية (43 حسب التوراة السبعينية).

عمانوئيل: يا سيدي المصيبة واحدة سواء زاد العهد الجديد على العهد القديم أم زادت التوراة السبعينية على التوراة العبرانية.

وفي الفصل العاشر من رسالة العبرانيين (5 لذلك عند دخوله إلى العالم يقول ذبيحة وقربانا لم تريد. ولكن هيأت لي جسدا 6 بمحرقات وذبائح للخطيئة لم تسر). والموجود هو ما في المزمور الأربعين (6 ذبيحة وتقدمة لم تسر. أذنين حفرت لي محرقة وخطيئة (أي ذبيحة خطيئة) ما سئلت).

فلم يقل هيأت لي جسدا بل قال: (أذنين حفرت لي ففي الأصل العبراني (أزنيم كريت لي) ولم يقل بمحرقات وذبائح

للخطيئة لم تسر.

القس: كتب في الترجمة السبعينية جسدا هيأت لي بدل قوله في العبرانية أذنين حفرت لي.

عمانوئيل: يا سيدي وهل من الهين أن يكون بين السبعينية والعبرانية هذا التحريف الكبير.

ومن الوهن أن المترجمين للغرامير بعضهم يكتب في ترجمته أذني فتحت. كوشهاي مراباز كودي. كوشهاي مرا سوراخ كودي. وبعضهم يكتب بل جسدا هيأت لي.

والنسخة المطبوعة سنة 1811 جمعت في ترجمة الغرامير بين الأمرين فكتبت (وأعددت لي جسما فتحت مسامعي) وفي رسالة العبرانيين اقتصرت على قولها (واقتنيت لي جسما). يا سيدي وإن تراجمنا لم تقف على قرار. فترة تترجم على وفق المتن العبراني.

وترة على مقتضى الحواشي. وترة على وفق الترجمة السبعينية. وترة على وفق السامرية. والمترجم الواحد لا يستقر على طريق مستمر.

بل ترى كل مترجم كأنه يؤلف من العبرانية والحواشي والسامرية والسبعينية واستحسانه كتابا جديدا. وهذا مما يزيد في وهن الكتب.

نتيجة أمر العهد الجديد

اليعازر: قد صارت نتيجة درسنا أنا خسرنا صحة العهد القديم والعهد الجديد الرائجين. وبقينا في حسرة العهدين الحقيقيين.

وهذا مما يدوم له الأسف. ولكني الآن أحب أن أطلع على بعض الأمور تاريخيا.. فهل يمكن أن تذكر لي يا عمانوئيل

أحوال بولس.

هذا الرجل الذي ساد في النصرانية اسمه وتعليمه.

حوال بولس عمانوئيل: إن كتاب أعمال الرسل والرسائل المنسوبة إلى بولس تذكر شيئا من الأحوال لبولس.

وأما كتب التاريخ فإن كان فيها شئ فهم مأخوذ من الكتب التي ذكرناها.

ولأجل ذلك لم يكتب شئ من أحوال بولس وسفره وزمان موت ومكانه وكيفيته من بعد رحلته الأخيرة إلى رومية. وذلك لأجل أن كتاب أعمال الرسل قطع كلامه على مكث بولس في رومية سنتين كاملتين.

فها أنا ذا أذكر ما يذكره كتاب الأعمال والرسائل فإنها تقول إن اسمه الأصلي شاول (اع 9: 1) وكان مولده في طرسوس كيليكية وتربى في أورشليم (اع 22: 3) وهو إسرائيلي بنياميني على مذهب الفريسيين (في 3: 5 واع 63: 6).

والفريسيون من بني إسرائيل يعتقدون بقيامة الأموات وبقاء النفس ووجود الملائكة بخلاف الصدوقيين المنكرين لذلك. وقد كان بولس بعد ارتفاع المسيح إلى السماء ضدا لكنيسة المسيحيين يدخل البيوت ويجر رجالا ونساء لأجل إيمانهم بالمسيح ويسلمهم إلى السجن (اع 8: 3 و 2: 4) ولم يزل ينفث تهديدا وقتلا على تلاميذ المسيح (اع 9: 1). وصنع أمورا كثيرة لاسم يسوع المسيح وحبس في السجون كثيرين من القديسين.

وفي كل المجامع كان يعاقبهم مرارا كثيرة ويضطرهم إلى التجديف (أي الكفر بالمسيح وشتمه) ويضطهد كنيسة الله بإفراط ويتلفها (غل 1: 13) وكان مجدفا (أي يكفر بالمسيح ويشتمه) ومضطهدا ومفتريا (1 تى 1: 13).

وطلب رسائل من رئيس الكهنة ليختطف المؤمنين بالمسيح من الطريق رجالا ونساء ويسوقهم موثقين إلى أورشليم. ويذكر كتاب الأعمال في الفصل التاسع والثاني والعشرين ما حاصله أن بولس نفسه يذكر أنه عند اقترابه إلى دمشق أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا شاول شاول لماذا تضطهدني قال: من أنت يا سيدي قال: أنا يسوع الذي تضطهده. فقال: وهو متحير ما تريد أن أفعل فقال.

قم وادخل المدينة فيقال لك ما ينبغي أن تفعل. والرجال المسافرون معه وقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا يرون أحدا فنهض وكان مفتوح العينين وهو لا يبصر. فاقتادوه وأدخلوه دمشق وكان ثلاثة أيام لا يبصر فلم يأكل ولم يشرب.

وكان في دمشق تلميذ اسمه حنانيا فقال له المسيح في رؤيا يا حنانيا قم واذهب إلى الزقاق الذي يقال له المستقيم واطلب في بيت يهوذا رجلا طرسوسيا اسمه شاول وضع يدك عليه ليبصر. فمضى ووضع يديه عليه فللوقت وقع من عينيه شئ كأنه قشور فأبصر.

وجعل يعظ في المجامع بالمسيح. وبعد أيام تشاور اليهود ليقتلوه فصاروا يراقبون أبواب دمشق ليلا ونهارا بمساعدة ملكها (الحارث العربي) فأخذه التلاميذ ليلا وأنزلوه من السور.

اليعازر: يا عمانوئيل إن هذا الذي تذكره من نداء المسيح لبولس وفتح عينيه أمر خطير وآية كبيرة كافية في الحجة إذا كانت معلومة الصحة والوقوع فهل إلى حصول العلم بها من سبيل ومن ذا الذي يذكرها.

عمانوئيل. إن الذي يذكرها هو كتاب أعمال الرسل المنسوب إلى لوقا عن نقل بولس نفسه.

اليعازر. يا عمانوئيل كنت أحسب أنك تأتيني بجواب له قيمة فإني قد سمعت مكالمتك مع حضرة سيدنا القس في صحيفة 128 إلى 131 واتضح لي منها أن (لوقا) لا يمكن أن نعرف أنه يكتب بالإلهام. ولا يمكن أن نعرف أنه ممن حل عليه الروح القدس. فماذا يفيدنا كلامه، وإذا بنينا على أنه واحد من المؤمنين بالمسيح فمن أين نعلم أن كتاب أعمال الرسل من إملائه.

ولو علمنا أنه من إملائه وقلنا إنه مؤمن تقي نظن أنه لا يتعمد الكذب لما حدث لنا أقل ظن بهذا المنقول لأن لوقا لم يشاهد هذه الأحوال بل إن النظر في الثاني والعشرين من الأعمالي وصحبة لوقا لبولس يعطيان أن لوقا ينقل ذلك عن بولس نفسه.

فهل يحتج بولس على الناس بقوله أنا هو الشاهد لنفسي؟وأيضا يا عمانوئيل إن كتاب أعمال الرسل يذكر في الفصل الثاني (34 إن داود يقول قال الرب لربي. اجلس عن يميني) وقد ظهر من صحيفة 73 ما في هذا الكلام من التحريف والتعليم بتعدد الأرباب وقد ظهر من صحيفة 192 – 94 ما في كتاب الأعمال من خلل المخالفة للعهد القديم.

وبعد هذا كله هل يبقى وجه لقبول كتاب الأعمال وتصديق أقواله سواء صحت نسبته إلى لوقا أم لم تصح.

فهو وإنجيل لوقا بميزان واحد لا ينبغي لنا أن نركن إلى أقواله. ولكن مع ذلك لا تقطع كلامك فيما يذكره العهد الجديد في أحوال بولس.

عمانوئيل: ولما جاء بولس من دمشق إلى أورشليم أراد أن يلتصق بتلاميذ المسيح وكان الجميع يخافونه ولا يصدقون بإيمانه بالمسيح فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وأخبرهم بأنه أبصر المسيح في الطريق وكيف كان يجاهر بالدعوة إليه في دمشق.

وكان بعد قبول التلاميذ له يباحث اليونانيين فحاولوا أن يقتلوه. فلما علم التلاميذ أرسلوه إلى طرسوس محل ولادته في كيليكية.

ثم بعد مدة انحدر برنابا إلى طرسوس ليطلب بولس فلما وجده جاء به إلى أنطاكية وكانا هناك سنة كاملة ثم جمع المسيحيون أموالا وأرسلوها بيد برنابا وبولس إلى المشايخ في أرض اليهودية. (اع 11).

اليعازر: يا عمانوئيل ذكرت برنابا – فهل تعرف شيئا من تاريخه.

أحوال برنابا

عمانوئيل: بدء تاريخه في العهد الجديد أن اسمه يوسف أو يوسى ثم سماه الرسل برنابا أي ابن الوعظ وهو لاوي قبرسي الجنس كان له حقل باعه وأتى بالدراهم إلى الرسل (اع 4: 36 و 37) وأرسله الرسل ليجتاز إلى انطاكية للوعظ والتثبيت على الإيمان بالمسيح وكان رجلا صالحا وممتلئا من الروح القدس والإيمان (اع 11: 22 و 24) ومنها خرج إلى طرسوس في طلب بولس.

اليعازر: وهل يذكر أثر لبرنابا في بدء أمره غير هذا.

إنجيل برنابا

عمانوئيل: يذكر التاريخ أن البابا جلاسيوس الأول الذي جلس على الأريكة البابوية سنة أربعمائة واثنتين وتسعين مسيحية أصدر أمرا يعدد فيه أسماء الكتب المنهي عن قراءتها وفي عدادها كتاب يسمى إنجيل برنابا وهذا يعطي أن برنابا كان له إنجيل يقرأ في تلك القرون.

ولكن لا يخفى أن قراءة الكتب الدينية في الأعصار القديمة إلى زمان شروع الاصلاح البروتستنتي كان مختصا بالروحانيين غير مسموح ولا مأذون به للعامة وبالضرورة لا يكون حينئذ للكتب الدينية شروع له اسم خصوصا إذا كان الكتاب مثل إنجيل برنابا مخالفا للتعاليم التي لها الغلبة والنفوذ في الديانة فإن مخالفته كبيرة جدا.

فبالضرورة يكون إنجيل برنابا أقل الكتب شيوعا فإن أظهر نفسه فعلى رغم المراقبة لكن بعض العلماء يقولون إن أمر البابا جلاسيوس تزوير بالمرة.

يا والدي ولا يخفى عليك أن القاعدة المعقولة تقتضي أن كلام التاريخ أحق بالقبول من دعوى هؤلاء العلماء النافين خصوصا بعد ظهور إنجيل برنابا الهادم لبناء هذه النصرانية الموجودة.

ونقل عن صاحب اكسيهومو من علماء البروتستنت في الباب الخامس من التتمة من كتابه المطبوع سنة 1813 في لندن أنه ذكر فهرست الكتب التي ذكر المشايخ من القدماء المسيحيين أنها نسبت إلى المسيح وأتباعه وعد من هذه الكتب إنجيل برنابا ورسالته وقال المستشرق سايل في مقدمته لترجمة القرآن إن الراهب اللاتيني (فرامرينو) ذكر أنه وجد رسائل للقديس (ايرينايوس) من الجيل الثاني للمسيح ومن جملتها رسالة يندد فيها ببولس ويذمه ويسند تنديده إلى أنجيل القديس برنابا فصار الراهب المذكور شديد الشوق إلى العثور على إنجيل برنابا وتوفق للعثور عليه في مكتبة الباب سكتس الخامس.

وكان ذلك في أواخر القرن السادس عشر ثم ظهرت نسخة إيطالية سنة 1709 ووجد في أوائل القرن الثامن عشر نسخة إسبانية ونقلها الدكتور منكهوس إلى اللغة الانكليزية ودفع الأصل مع الترجمة إلى الدكتور هويت سنة 1784 وقد شاع خبر هذا الانجيل في الأندية الدينية والعلمية في أول القرن الثامن عش.

وكان على هوامش النسخة الإيطالية المتقدمة الذكر جمل كثيرة بأسلوب اللسان العربي ولكنها لكثرة غلطها ككلام رجل غربي في أول تعلمه في العربية. ولم يعرف لإنجيل برنابا نسخة عربية ولا ذكر اسمه في تاريخ العرب والمسلمين ولم يعرف ما فيه حتى طبعت ترجمة الدكتور خليل سعادة سنة 1908 م وإن الشرق يشهد كله بأنه لم يسمع باسم برنابا وإنجيله ولا عرف له أثرا وذكرا حتى طلع كوكبه من الغرب.

ومهما قال أصحابنا في إنجيل برنابا فهو خير من قولهم بأنه منقول من أصل عربي.

وعلى الخصوص قول الدكتور هويت (إن الأصل العربي لا زال موجودا في الشرق) – ومن الغريب قول البستاني في الدائرة في ترجمة برنابا (ويوجد إنجيل مزور منسوب إلى برنابا في اللغة العربية. وقد ترجم إلى اللغة الانكليزية والاسبانيولية والايطالية) فانظر إلى هذا الكاتب كم من مسؤلية أوردها على نفسه للتاريخ فيا للعجب.

اليعازر: كيف يندد إنجيل برنابا بالقديس بولس.

عمانوئيل: يقول في أوله: (إن الله العظيم افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات

التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد الكفر داعين المسيح ابن الله ورافضين الختان الذي أمر الله به دائما مجوزين كل لحم نجس الذين ضل في عدادهم أيضا بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى – وقال في آخره – فإن فريقا من الأشرار المدعين أنهم تلاميذ بشروا بأن المسيح مات ولم يقم وآخرين بشروا بأنه مات بالحقيقة ثم قام وآخرين بشروا ولا زالون يبشرون بأن يسوع هو ابن الله وقد خدع في عدادهم بولس).

يا والدي وقد ذكر الدكتور خليل سعادة في مقدمته على إنجيل برنابا أن هنالك إنجيلا يسمى بالإنجيل الاغنسطي طمست رسومه وعفت آثاره يبتدئ بمقدمة تندد بالقديس بولس وينتهي بخاتمة فيها مثل ذلك التنديد.

يا والدي والغرض من هذا كله أن إنجيل برنابا يذكر أن برنابا أحد التلاميذ الاثني عشر الذين اختارهم المسيح.

اليعازر: يا عمانوئيل وهل كان في التلاميذ من يعارض بولس في هذه التعاليم المعروفة في النصرانية.

تعاليم النصرانية بعد المسيح

عمانوئيل: الذي يذكره الفصل الخامس عشر من أعمال الرسل هو أن تعاليم النصرانية إلى نحو السنة الخمسين من تاريخ الميلاد والثانية والعشرين من ارتفاع المسيح كانت على وفق شريعة التوراة ولكن التلاميذ اجتمعوا وخطب من بينهم يعقوب وأبدى الرأي بأن يحصروا الواجب على الأمم بالامتناع عن الزنا وأكل المخنوق والدم وما ذبح للأوثان.

وصرح الفصل الحادي والعشرين من أعمال الرسل أيضا بأن بولس حضر إلى أورشليم في الدفعة التي أخذ فيها بعد أيام أسروا إلى رومية ومنها انقطع خبره وأثره فاجتمع مع يعقوب والمشائخ وقالوا له إن الربوات من اليهود الذين آمنوا بالمسيح غيورون للناموس وقد بلغهم أنك تعلم اليهود الذين بين الأمم أن لا يختنوا أولادهم ولا يسلكوا حسب العوائد (أي الشريعة الموسوية) وأمروه أن ينضم إلى أربعة يريدون أن يطهروا حسب الشريعة الموسوية.

وقالوا له واعمل مثلهم ليظهر إنك حافظ للناموس ويعرفوا خلاف ما شاع عنك فعمل بولس بشريعة التوراة.

وأخبره المشائخ بأنهم كتبوا إلى الأمم أن لا يحفظوا العمل بالشريعة الموسوية غير الامتناع عن الأمور الأربعة المذكورة.

اليعازر. يعقوب هذا هل هو من التلاميذ الاثني عشر.

عمانوئيل: كان في التلاميذ الاثني عشر رجلان اسمهما يعقوب أحدهما يعقوب ابن زبدي أخو يوحنا. والثاني يعقوب ابن حلفي أما يعقوب ابن زبدي فقد قتله هيرودس قبل مجلس المشورة في رفع الختان وحصر الواجبات بالأربعة المذكورة وعليه يكون يعقوب المذكور في مجلس المشورة وما بعده هو ابن حلفي ولعله هو الذي سماه الفصل الأول من رسالة غلاطية يعقوب أخا الرب أي أخا المسيح.

إخوة المسيح في العهد الجديد

اليعازر: هل كان عند المسيح إخوة وهل هم إخوته من أمه مريم العذراء.

عمانوئيل: صرح الفصل الثالث عشر من متى في العدد الخامس والخمسين والفصل السادس من مرقس في العدد الثالث أن المسيح لما جاء إلى وطنه تعجب اليهود من تعليمه وقالوا أليس هذا ابن النجار وأمه مريم وأخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا وفي الفصل التاسع من رسالة كورنثوس الأولى ذكر أخوة الرب في مقام يشعر بأن لهم رياسة في الديانة والتعليم.

اليعازر: هؤلاء الأخوة الأربعة هل هم أولاد مريم أم المسيح أم هم أولاد يوسف النجار من امرأة أخرى.

عمانوئيل: لم أعرف من العهد الجديد بيان من ذلك ولكن كتاب مغني الطلاب في مواضيع العهدين ذكر يعقوب ابن حلفي وسماه نسيب ربنا وأشار في عنوانه إلى قول رسالة غلاطية يعقوب أخا الرب وإلى مر 6: 3 لذكره يعقوب من إخوة المسيح وأشير في حاشية العهد الجديد في الفصل السادس من مرقس عند ذكر يعقوب من إخوة المسيح إلى قول غلاطية يعقوب أخا الرب كما أشير في حاشية غلاطية إلى ذكر يعقوب من إخوة المسيح في مت 13: 55 ومر 6: 3 – وفي مت 12: 64 – 50 ومر 3: 31 – 35 ولو 8: 19 – 22 يذكران إخوة المسيح وأمه جاؤا إلى رؤيته فلم يعتن بهم. وفي يو 7: 3 و 5 و 10 يذكر إخوة المسيح. هذا وفي كتاب قاموس الكتاب المقدس في عنوان (إخوة الرب) إن في النسبة بينهم وبين المسيح ثلاثة آراء أنهم إخوة المسيح من مريم ويوسف بعد ولادته وهو التفسير البسيط الموافق للأتيين مت 1: 25 و 13: 55 غير أن الاحترام للعذراء وقيمة البتولية في الكنيسة القديمة والاشمؤاز الكائن في كثيرين من جهة اعتبار مريم كامرأة اعتيادية تحبل وتلد بعد حلول الروح القدس فيها وولادة المسيح منها قد دفعت الكنيسة الرومانية والشرقية بفروعها وجانبا من الكنائس الإنجيلية إلى رأيين آخرين.

يا والدي وليس في الرأيين الآخرين إلا التوهم الواهي والافتراض البارد والمخالفة لصريح الأناجيل.

اليعازر: لا يهمنا ذلك ولكن المهم المدهش هذا التعليم المختلف المتناقض يعلمون اليهود المؤمنين بالمسيح بأن يحفظوا الناموس ويعلمون الأمم بأن لا يحفظوه. هل يكون مثل هذا في الشريعة.

الاختلاف في التعليم

عمانوئيل. يا والدي أحب أن أذكر لك أيضا في ذلك شيئا من العهد الجديد فإن كتاب الأعمال يذكر بعد ما تمت مشورة الرسل برفع الختان وواجبات التوراة ورجع بولس بكتاب هذه المشورة إلى انطاكية وأقام فيها مدة وسافر إلى لسترة أنه وجد تلميذا يونانيا ولما أراد أن يأخذه معه في سفره ختنه.

ويذكر الفصل التاسع من الرسالة الأولى لأهل كورنثوس أن بولس يقول صرت لليهود كيهودي لأربح اليهود وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس لأربح الذين بلا ناموس!!

ويذكر الفصل الثاني من رسالة غلاطية عن لسان بولس قوله: (ولما أتى بطرس إلى إنطاكية قاومته جهارا لأنه كان ملوما لأنه قبل ما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم ولكن لما أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه خائفا من الذين هم في الختان. رأى معه باقي اليهود أيضا حتى إن برنابا انقاد إلى ريائهم أيضا) ويذكر هذا الفصل عن بولس دعواه أنه أؤتمن على إنجيل الغلالة كما المعتوين أنهم أعمدة أعطوه ليكون للأمم وأما هم فللختان.

اليعازر: عجبا كيف يكون الدين الواحد متناقض الأحكام يجعل لكم أمة حكما يناقض حكم الأمة الأخرى ويا أسفاه على الذين إذا كان رسله مرائين كما هو مكتوب.

رسائل بولس

عمانوئيل: يا والدي إن الرسائل المنسوبة لبولس قد رفعت مشكلة التناقض ووحدت الدعوة لرفض الناموس والأعمال وأخذت بمذمة المشائخ والتلاميذ الذين يدعون إلى حفظ الناموس والأعمال الصالحة وأباحت حتى الدم والمخنوق وما ذبح للأوثان باشد مجاهرة وقد أحرز تعليمها بالنفوذ والسيادة على تعاليم الرسل والمشائخ.

لماذا ساد التعليم المنسوب إلى بولس بإبطال الشريعة

اليعازر: عجبا كيف يسود التعليم المنسوب لبولس على تعاليم الرسل والنصارى العوانيين مع شدة اهتمامهم بحفظ الشريعة والأعمال الصالحة كما يذكره كتاب أعمال الرسل ورسالة يعقوب حتى إن الرسائل المنسوبة لبولس تشهد باهتمام الرسل والنصارى العوانيين بحفظ الشريعة.

فهل تعرف يا عمانوئيل سببا لذلك وكيف غلبت التعاليم المنسوبة لبولس على تعاليم المسيح بحفظ الناموس والعمل بتعاليم الكتبة لأنهم على كرسي موسى جلسوا وغلبت على تعاليم الرسل والنصارى العوانيين.

عمانوئيل: يا والدي لا يحسن في أدبي أن أتكلم في جواب سؤالك بحضرة سيدنا القس.

القس: يا عمانوئيل إن كنت تجد في نفسك معرفة للسبب الذي سئل عنه أبوك فتكلم.

عمانوئيل. يا سيدي فهل تسعدني ألطافك بأن توجوني حينما أنحرف عن الصواب؟

القس: يا عمانوئيل لك ذلك.

عمانوئيل: يا والدي لا بد من أنك عرفت من كتب العهد القديم سرعة ميل الإسرائيلين إلى الأهواء الباطلة وأضاليل الوثنية وشدة تمردهم على الشريعة من زمان موسى النبي إلى سبي بابل بحيث لا تردعهم الآيات العجيبة ولا الانتقامات العاجلة نعم عرفهم سبي بابل وما قاسوه من الذل أنهم لا سبيل لهم إلى أن يستعيدوا شيئا من مجدهم إلا بجامعتهم القومية المرتبطة باسم الديانة الإسرائيلية فأورثهم ذلك تعصبا شديدا في اللزوم لصورة الدين الإسرائيلي في الرسوم العمومية مع تفوقهم وراء أهوائهم في الأعمال الشخصية.

اليعازر: نعم إني أجد نوع اليهود في الجيل الحاضر يحافظون في الظاهر على صورة أعيادهم ومواسمهم ورسومهم العمومية ولكنهم ليس لشخصياتهم كثير التزام بالشريعة كما نراه شايعا منهم في أكل اللحوم ومخالطة الأمم وشيوع المنكرات المنهي عنها في الدين.

وهذا يشهد لنا بتاريخ متسلسل في أجيالهم.

عمانوئيل. يا سيدي الوالد ولما صارت اليهود تحت سلطة الروم انتشر اليهود في بلادهم في آسيا الصغرى ومقدونيا وبلاد اليونان حتى إلى رومية وكان يصعب عليهم فيما بين الأمم التزامهم بالشريعة اليهودية.

ويمنعهم تعصبهم لجامعتهم الإسرائيلية الدينية أن يخرجوا بالصراحة عن صورة ديانتهم.

فكانوا من أجل ذلك في عناء شديد تتجاذبهم فيه صوبات الخلطة وميل الأهواء وشدة التعصب للجامعة القومية.

ولما بلغتهم دعوة المسيح وكراماته ارتاحوا لها لأنها دعوة إسرائيلية توافق تعصبهم القومي وخيلت لهم آمالهم أنهم يستفيدون من تجديد هذه الدعوة ونهضة اتحادها فائدة قومية أو سياسة. ولم تكن لهم رياسات يأكلون بها الدنيا باسم الدين كالكهنة والكتبة الذين في بلاد اليهودية لكي تثقل عليهم دعوة المسيح.

بل ربما اغتنموا منها الاستراحة من تلك الرياسات التي يدعون أنها رياسية. فكانت الدواعي لرغبتهم في الدعوة المسيحية كثيرة جدا.

يا والدي وهؤلاء اليهود الذين آمنوا على البعد بالمسيح لما اختلفت عليهم التعاليم باسم الدعوة المسيحية وكان من جملتها ما يوافق أهوائهم في المساهلة ورفع القيود ويهنأ لهم العيش بين الأمم ويصفي لهم موارد الخلطة معهم.

وهو هذا التعليم المنسوب إلى رسائل بولس فس الضروري أن يكون هو التعليم المقبول الذي تحسنه الأهواء للنفوس وتجذبها إليه وتجعله هو التعليم السائد بنفوذه. يا سيدي الوالد وقد ساعد ما ذكرته لك من السبب وأعانه على التأثير انتشار الرومانيين واليونانيين في سوريا وفلسطين وارتباط سوريا مع المملكة الرومانية بالروابط السياسية والتجارية فإن ذلك اقتضى أن تشيع فضيلة سيدنا المسيح في تعليمه بالفضائل الروحية ومعجزاته النبوية على وجه لا يستوها إلا عناد التعصب فمن الضروري أن تهش إلى الإيمان به كثير من النفوس.

ولكن تحول دون ذلك صعوبات شديدة من ألفة الناس لأديانهم وعوائدهم فلما جاءهم التعليم المنسوب إلى بولس في الرسائل سهل عليها أمر الإيمان سهولة كبيرة حيث كان تعليم الرسائل لم يغير شيئا من عوائد اليونانيين ولم يقيدهم بشريعة تخالف شرايعهم. ولا اعتقاد يخالف ثالوثهم والولادة من الله وغاية ما وجدوه في هذا التعليم من تجديد الدين المسيحي هو أن يدرجوا المسيح في عداد الآلهة المتجسدة وأبناء الله.

فينالوا البر والنجاة والغفران بهذا الإيمان البسيط.

فكان من الضروري أن يرغب في هذا التعليم كل من تحن نفسه إلى الإيمان بالمسيح وتصده صعوبات الشريعة المخالفة لمألوفاته يا والدي فتعاضدت الأسباب على سيادة التعليم المنسوب إلى بولس إلى أن تلاشى التعليم المخالف له.

يا والدي وقد سهل هذا التعاضد وزال عنه كل صعوبة أنه لم يبرز بين الناس من المسيح كتاب معلوم النسبة له قد دونت وفيه أصول تعاليمه وأساسيات دينه ليكون هو المرجع واللسان المترجم عن المسيح في زمانه وبعده بل كان بيان تعاليم المسيح

أصولا وفروعا موكولا إلى الانقال المرتبكة في معارك الأهواء. ومن الضروري أن تكون السيادة في هذه الأحوال لما يوافق الهوى.

اليعازر: يا عمانوئيل أراك كأنك تشكك في نسبة هذه الرسائل وهذه التعاليم إلى بولس.

عمانوئيل: يا سيدي الوالد أشك في ذلك من أجل أنه لا يمكن الوقوف على سند متصل لنسبة هذه الرسائل وهذه التعاليم إلى بولس فلا تحتمل ذمتي أن اقطع بنسبتها إليه، وأما حقيقة حاله فعلمها عند الله. وإني على ثقة تامة بقدس تلاميذ السيد المسيح وكمالهم في الإيمان وثباتهم على حقيقة تعليمه المقدس. وبالختام نقول بما هو رأينا من أول الأمر إن كلامنا من الأول إلى الآخر إنما يتعلق بما نجده مكتوبا من دون نظر إلى شخص معين وكاتب معين. وإن ذكرنا بعض الأسماء فإنما كان ذلك على سبيل الاتباع للتسمية.

ومن ذلك قولنا. الانجيل. إنجيل متى. إنجيل يوحنا. فلان. من هو متي. من هو يوحنا فإنا لم تتحقق عندنا نسبة كتاب من كتب العهدين وغيرها مما اعترضنا عليه. ونسأل الله التوفيق إلى الهدى والسداد والصلاح لنا ولجميع البشر.

وليكن هذا آخر الجزء الأول. والحمد لله أولا وآخرا وله المجد والعظمة قد تم والحمد لله في سادس شهر ربيع الثاني سنة 1347.

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد كما هو أهله وهو المستعان والصلاة والسلام على رسله وأنبيائه وأوليائه.

دين الاسلام والقرآن

اليعازر: يا سيدي القس إني ربما التفت إلى دين الاسلام فأكاد أن استحسنه حينما انظر إلى صفاء توحيده. ونزاهة عرفانه. واستقامة تعاليمه. وسلامة كتابه مما ذكرناه من كتب العهدين وأعجبنا بمنافياته لجلال الله وقدس الأنبياء. ولكن يا سيدي إذا نظرت إلى قيامه بقوة السيف وغلبة القسوة نفرت منه. خصوصا إذا كان يقطع علاقتي بالدين المسيحي. ويكدر صفاء إيماني بالسيد المسيح. ويشوش محبتي له واعتصامي به. فهل يسمح لي سيدي بأن ننظر في دين الاسلام. ونخوض في أمره وأمر كتابه.

وهل يسمح لي سيدي بأن يجاهر في الحقيقة بصريح البيان.

القس: يا اليعازر قد جئت في هذا الكلام بفصول كثيرة. كل فصل منها يحتاج إلى إيضاح وتحقيق.

وربما كان الوقت والحال لا يسمحان ببيان بعض الفصول.

اليعازر: يا سيدي لي الثقة بأن عندك علما كبيرا يضمن لنا إيضاح روح الحقائق. ويثبت أقدامنا في موقف الحق اليقين. ولكن يا للأسف أراك تحيد عن المجاهرة بالبيان. وإني لا أتهم قداستك بكتمان الحق والإغماض عن إرشاد الجاهل ولكني أراك تنتظر الفرصة في تعليمنا وإرشادنا. يا سيدي والعمر قصير فهل أعلل نفسي بالفرصة بعد الموت. فإن كنت تحذر من هيجان التعصب فينا. فلك علينا كل عهد وثيق أن نضع كل تعصب تحت أقدامنا.

القس: يا اليعازر أما ما ذكرته من صفاء توحيد الاسلام.

وزاهة عرفانه واستقامة تعاليمه. وسلامة كتابه فهو أمر لا يكفي في جوابه (لا أخطأت) ولا (نعم. أصبت وأحسنت) بل يحتاج إلى أن ندرس معارف الاسلام من القرآن والتاريخ بكل إتقان علمي. وليس من الحسن أن نخوض في معارف القرآن وحدنا. بل لا بد من أن نحضر معنا واحدا من علماء المسلمين لكي ينبهنا على ما يخفيه علينا الجهل بالقرآن. وأما الأمور التي اقتضت نفوتك من دين الإسلام فإنه يمكن البحث فيها فلسفيا وتاريخيا بسهولة.

ملخص تاريخ الاسلام

من بدء دعوته إلى حين انتشاره

يا عمانوئيل: هل لك اطلاع على تاريخ الاسلام من أول دعوته إلى حين انتشاره.

لكي تذكر لأبيك شيئا يتعلق بغرضه. على شرط أن تذكر ما هو معلوم ومتفق عليه من التاريخ لا ما يختص به واحد دون واحد.

دعوة الاسلام

عمانوئيل: هل يخفى على سيدي أن بلاد العرب كانت على أقبح جانب من العبادة الوثنية الأهوائية، والعوائد القاسية الوحشية، وخشونة الظلم والجور وإدمان الحروب والغارات. قد امتازت كل قبيلة بجبروت رياستها، واستقلت بعصبية قوميتها، حتى إن كل قبيلة اختصت بصنم معبود، لئلا تخضع إلى قبيلة أخرى، واستمروا على ذلك أجيالا متعددة تتراكم عليهم فيها ظلمات الوحشية.

وضلالات الوثنية، وعوائد الظلم، وقساوة العداوة، والحروب المبيدة الفظيعة – بل كانت الدنيا بأسرها مرتبكة بين العبادة الأوثانية الصريحة.

وبين التثليث وتجسيد الإله والسجود للأيقونات (الصور والتماثيل) وإن جرى لفظ التوحيد على بعض الألسن لفظا بلا معنى، حتى إنك رأيت معارف التوراة الدارجة في الإلهيات وعرفت أنها من مبادئ وثنية يجب أن ينزه عنها جلال الله. وعند تراكم هذه الظلمات والضلالات، وهيجان براكينها الهائلة نبغ صاحب دعوة الاسلام والتوحيد الحقيقي (محمد) وأعلن بين العرب بادئ بدء بدعوة الاسلام التي هي أثقل عليهم من الجبال، فدعاهم جهارا إلى رفض معبوداتهم من الأوثان، وترك عوائدهم الوحشية، وإلى الخضوع لعدل المدنية، والتجمل بالأخلاق الفاضلة والآداب الراقية، واستمر على هذه الدعوة في مكة نحو ثلاثة عشر سنة.

وفي السنة الثالثة من دعواه الرسالة أعلن بدعوته لعامة الناس إعلاما تاما. وصار ينادي بدعوته في جميع أيامه في المحافل والمواسم بجميل الموعظة، وقاطع الحجة، والانذار بالعقاب والبشرى بالثواب، وحسن الترغيب والترهيب، وتلاوة القرآن. والإعذار بالنصيحة.

لم يهب في دعوته طاغوتا ولم يستحقر فيها صعلوكا. يدعو الشريف والحقير والمرأة والعبد. وقد آمن في خلال هذه الدعوة بدعوته الثقيلة على الأهواء من كل وجهة خلق كثير من أهل مكة وضواحيها من قريش وغيرهم، واحتملوا في سبيل ذلك أشد الاضطهاد والهوان والجلاء عن الأوطان إلى الحبشة وغيرها.

فكم من شريف في قبيلته عزيز في أهله وقومه صار بإسلامه مهانا مضطهدا، وكل هذا لم يصد الناس عن الاسلام لا يصد الضعيف ما يقاسيه من العذاب ولا يصد الشريف العزيز ما يلاقيه من الهوان.

يرون الاسلام هو العز والشرف والحياة والسعادة. ففي السنة الخامسة هاجر إلى الحبشة من جملة المؤمنين اثنان وثمانون رجلا من معاريف قريش وأتباعهم وذوي القوة ومعهم مثلهم أو أكثر منهم من النساء المسلمات الشريفات وبقي كثير من المؤمنين في مكة وغيرها، يقاسي أكثرهم سوء العذاب.

وكل هذا لا يصد الناس عن إظهار الاسلام. وقد أقبل على الإيمان بدعوة (محمد) وهو بمكة قبائل الأوس، والخزرج، وغفار، ومزينة، وجهينة، وأسلم، وخزاعة. ولا يخفى أن محمدا كان عزيز قريش من بيت سيادتها وغيرها تسميه قريش (الصادق الأمين) يودع عنده مشركو قريش والعرب ذخائرهم إلى حين هجرته.

ومع ذلك كان يقاسي الأذى الشديد من المشركين والاستهزاء والتكذيب لدعوته والحبس مع بني هاشم في الشعب.

وهو مع ذلك متمسك بالتحمل والصبر الجميل وهدو السلم لا يفتر عن دعوته ونشرها وبث تعاليمه الفاضلة، وحماية التوحيد وإبطال الوثنية. حتى إذا اشتد عليه الاضطهاد وتعاقد المشركون على قتله عزم على أن يقطع مادة الفساد ويحافظ على دعوة التوحيد والاصلاح ويعتزل عن بلاده وهيجان المشركين للشر. فهاجر إلى المدينة لنشر دعوته. وجمع المسلمين في حماية جمعية واحدة.

فانتظم له في هجوته زيادة على من ذكرنا إسلامه إسلام كثير من العرب بالطوع والرغبة ومن جملتهم قبائل اليمن. وحضرموت. والبحرين. بل ما من قبيلة من القبائل التي حاربته إلا ويذكر التاريخ المعلوم أن أناسا منها أسلموا بالطوع والرغبة. فمنهم من تجاهر بإسلامه ومنهم من تستر به إلى حين.

حروب رسول الاسلام

يا والدي وأما حروبه التي تشير إليها في كلامك فإن أساس التاريخ الذي يذكرها يقرنها بذكر أسبابها التي يعلم منها أنه لم يكن حرب من حروبه ابتدائيا لمحض الدعوة إلى الاسلام. وإن جاز ذلك للإصلاح الديني والمدني، وتثبيت نظام العدل والمدنية، ورفع الظلم والعوائد الوحشية الجائرة القاسية. لكن دعوته الصالحة الفاضلة تجنبت هذا المسلك وسلكت فيما هو أرقى منه وهو الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

كما جاءه هذا التعليم الأساسي في الآية السادسة والعشرين من سورة النحل المكية. وقد استمرت سيرته الصالحة على ذلك.

فكانت حروبه بأجمعها دفاعا لعدوان المشركين الظالمين عن التوحيد وشريعة الاصلاح والمسلمين. ومع ذلك فهو يسلك في دفاعه أحسن طريقة يسلكها المدافعون، وأقربها إلى السلام والصلاح، يقدم الموعظة ويدعو إلى الصلاح والسلام ويجنح إلى السلم ويجيب إلى الهدنة ويقبل عهد الصلح. مع عرفانه بأنه المظفر المنصور.

وهاك ما ينادي به التاريخ من أسباب حروبه وغزواته.

حرب بدر – وأسبابها

فأول حروبه المعروفة بعد هجرته هي حرب بدر وهي في السنة الثانية من الهجرة.

وسببها أن المشركين من قريش اشتد اضطهادهم للمسلمين ومن يريد الاسلام بمكة. ومنعوهم عن الهجرة والفرار بدينهم حتى ضيقوا عليهم بقسوة الاضطهاد والحبس لكي يردوهم إلى شرك الوثنية وعوائد الضلال. فإنهم عرفوا من سيرة (محمد) أنه لا يحب إثارة الحرب فزاد طغيانهم لما أمنوا جانبه، فأراد أن يرهبهم بالقوة والمنعة، ويهددهم بالتعرض لسبيل تجارتهم إلى الشام لكي تلجئهم الضرورة الاقتصادية وحاجتهم لتجارة الشام إلى الكف عن ضلالهم في اضطهاد المؤمنين بمكة ومنعهم عن الهجرة والفرار بدينهم. فندب إلى ذلك بعض أصحابه فنهض منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا على أضعف عدة لم يكن معهم إلا سبعون بعيرا يتعاقبون عليها وأسياف قليلة.

فقصدوا قافلة قريش المقبلة من الشام. فسمع بذلك رئيس القافلة أبو سفيان وأرسل إلى مكة يستصرخ قريشا لتخليصها فخرجوا بعدة كاملة من الخيل والسيوف والدروع وكانوا نحو ألف رجل. واتفق أن قافلة قريش نجت من أصحاب (محمد) ولكن قريشا لم يكتفوا بنجاة قافلتهم، بل قصدوا محمدا وأصحابه اغترارا بكثرة عددهم وقوة عدتهم. وقد منعهم عقلاؤهم عن

قصد (محمد) فلم يقبلوا حتى اجتمعوا مع المسلمين في مكان يسمى (بدر) وابتدأوا بالقتال.

فانتصر المسلمون انتصارا باهرا وقتلوا من صناديد قريش سبعين وأسروا سبعين ورجعت قريش إلى مكة بالانكسار.

غزوة بني القينقاع

ولما قدم (محمد) في هجرته إلى المدينة رأى موقع الاسلام والمسلمين بين اليهود خطر، فإنهم كانوا محدقين بالمدينة وهم بنو النضير وبنو قريضة، وبنو قينقاع، فكان أول أعمال (محمد) في هجرته أنه عاهد هؤلاء اليهود على السلم وأمانة الجوار وأن لا يكيدوا المسلمين ولا يخونوهم ولا يساعدوا عليهم عدوا. ولكن بني قينقاع غدروا بعد وقعة بدر وصاروا يكاتبون المشركين وأنشبوا حربا بينهم وبين المسلمين فغزاهم محمد وانتصر عليهم فطلبوا النجاة بالجلاء عن بلادهم فسمح لهم بذلك.

حرب أحد

ثم تجمعت قريش بعدتها وعديدها وغزوا (محمد) وأصحابه إلى المدينة في السنة الثالثة من الهجرة حتى وصلوا إلى مكان يقال له (أحد) وهو عن المدينة بأميال يسيرة.

تأكيد العهد مع اليهود وجلاء بني النضير

ورأى محمد أن اليهود لا يكادون يثبتون على عهدهم فقصدهم هو وأصحابه لتأكيد العهد وأخذ الميثاق منهم. فأبى بنو النضير فعدل عنهم إلى بني قريضة فأعطوه عهودهم مجددا على أن لا يغدروا بهم ولا يساعدوا المشركين عليهم.

فرجع عنهم إلى بني النضير وحاصرهم على إعطاء العهد فاختاروا الجلاء عن بلادهم فسمح لهم بذلك حفظا للسلام بين البشر فحملوا كل ما يقدرون على حمله.

ونزل أكثرهم في (خيبر) لكي يكيدوا محمدا عن قرب.

حرب الأحزاب

ثم جمعت قريش في السنة الرابعة من الهجرة جموعها منها ومن أحلافها من القبائل، وكذلك (غطفان) وأهل نجد وتحزبوا على قتال (محمد) وأصحابه، وكان الساعي في هذا التحزب واجتماع غطفان وأهل نجد مع قريش على الحرب هم جماعة من يهود بني النضير الذين أجلاهم محمد ونزلوا خيبر منهم آل أبي الحقيق وغيرهم فقصدوا المدينة بجيش عظيم يعد بنحو عشرين ألفا فخندق (محمد) على المدينة وحاربهم. وقد كانوا كاتبوا بني قريضة على الغدر بمحمد والنهوض إلى حربه فخف بنو قريضة إلى الغدر ونقض العهد وبدا منهم الاعتداء فأرسل إليهم (محمد) حليفهم سعد بن معاذ رئيس الأوس مع جماعة من

الأوس والخزرج فوجدوهم على أقبح الغدر. حتى صار بعضهم يغير على بيوت المدينة ومجامع العيالات.

غزوة بني قريضة

وحينما انكسرت قريش وانحل جيش الأحزاب عطف محمد وأصحابه على الغدرة بني قريضة فحاصروهم فجعل بنو قريضة حكمهم إلى سعد بن معاذ رئيس الخزرج لأنهم كانوا حلفائه قبل الاسلام وظنوا أن سعيدا يتساهل معهم فوافقهم محمد على ذلك ولم يصمم على حربهم. فحكم سعد بقتلهم فنفذ حكمه في الغادرين. ولو أنهم اختاروا الجلاء إلى حيث يؤمن غدرهم لسمح لهم (محمد) كما سمح لبني قينقاع وبني النضير ولو شفع فيهم سعد لتركهم له. فإن المعلوم من حال (محمد) أنه كان يحب السلم وصلاحة البشر والعفو إذا أمن من فساده. ولم ينصبغ العفو بصبغة الضعف والوهن.

حرب بني المصطلق

وفي السنة الخامسة أو السادسة صار بنو المصطلق يستعدون لحرب (محمد) فغزاهم وظفر بهم.

صلح الحديبية

وفي ذي القعدة من سنة ست قصد مكة للحج والطواف بالبيت ومعه من أصحابه نحو سبعمائة رجل. وقدموا ذبائح العبادة سبعين بعيرا جعلوا عليهم علائم الهدي لكعبتهم ورسوم العبادة ولكي يطمئن أهل مكة بالسلم، فصده أهل مكة واستعدوا لحربه وطلبوا رجوعه، فسمح لهم بما طلبوا وتساهل معهم بالصلح حسبما يقتضيه حب السلم ونحر في مكانه هديه للكعبة ورجع.

حرب خيبر

وإن بني النضير الذين نزلوا بعد جلائهم في خيبر وخضع لهم أهلها لم يزالوا يسعون في حرب (محمد) وقطع أثره. وهم الذين سعوا في حرب الأحزاب ولم يزالوا على إثارة الفتن فغزاهم في أواخر السنة السادسة ففتح حصونا لبني النضير. منها. حصن ناعم. ومنها القموص حصن بني أبي الحقيق. ومنها حصن الصعب بن معاذ، وباقي حصون خيبر، إلا حصنين (الوطيح، والسلالم) فإن أهلهما طلبوا من (محمد) أن يسيرهم ويحقن دماءهم فسمح لهم بذاك.

فتح مكة

وقد كان في صلح الحديبية أن خزاعة دخلت في حلف (محمد)، وبني بكر دخلت في حلف قريش. فعدت بنو بكر وقريش على خزاعة بالحرب العدواني. فجاء مستصرخ خزاعة إلى (محمد) فتوجه في سنة ثمان بجيشه إلى مكة في عشرة آلاف بعدة كاملة. ولما خافت منه قريش وأحلافها وضعفوا عن مقاومته لم تحمله سوء أفعاله على الانتقام منهم. بل دخل مكة بأرأف دخول وأكرم معاملة. فكأنه ساق إلى قريش جيش العفو وامتنان الرحمة وكرم الأخلاق.

حرب هوازن

ولما سمعت هوازن بفتح مكة جمعت جموعها لحرب (محمد). فقصدهم وحاربهم وغنم أموالهم ونزاريهم. فوفد رجالهم عليه بعد أن أسلموا في هزيمتهم طوعا. فاسترحموه، فخيرهم بين رد السبي ورد الأموال. فاختاروا رد السبي، فاسترضى المسلمين في ذلك فأجابوه، فرد السبي وكان نحو ستة آلاف ما بين امرأة وطفل. وقد كانت ثقيف من جملة المنهزمين من جيش هوازن فرجعوا إلى الطائف وتحصنوا بحصونهم لحرب (محمد) فوجه إليهم بعض جيشه.

حرب مؤتة . وحرب تبوك

وأما بعثه الجيش إلى الشام حيث حاربوا جيش الروم والعرب والرومانيين في (البلقا) شرقي بحيرة لوط. ومسيره بجيشه إلى تبوك فكان الداعي لذلك أن هؤلاء تظاهروا بالعداوة للاسلام و (محمد) واستخفوا بحرمته وقتلوا رسله الذين أرسل معهم كتبه لدعوة التوحيد. مع أن العادة المستمرة أن الرسول حامل الكتاب محترم لا يقتل. ولا يقتله إلا من تجاهر بالطغيان والعداوة لمن أرسله، فإن (محمدا) كاتب ملك الروم في الدعوة إلى صلاح الاسلام وتوحيده الحقيقي حينما كان قيصر راجعا مع جيشه من انتصاره على الفرس. فتجرأ شرحبيل الغساني على قتل الرسل حامل الكتاب، واستعد الروم وأتباعهم لعداء (محمد) وحربه فاستعد لدفاعهم وعدم الخضوع لجرأتهم التي تهدد دعوة التوحيد والاصلاح.

سراياه وتجريداته

وأما سرايا (محمد) وتجريداته فكلها كانت دفاعية. يرد بها كيد الغادرين ويدافع بها من يستعد لحربه، ويسعى في الفساد والبغي، ولم تكن فيها مهاجمة ابتدائية على هادئ مسالم كما يشهد بذلك معلوم التاريخ.

سيرة محمد في دفاعه

وقد كانت حروبه الدفاعية محدودة بالحدود الصالحة فيما قبلها وما بعدها. وكانت محدودة فيما قبلها بالدعوة إلى التوحيد الحقيقي ومدنية العدل. والكف عن عوائد الظلم والوحشية ثم بالدعوة إلى الصلح وحفظ السلام، والمعاهد والهدنة، ومحدودة في آخرها بقبول للعدو لدعوة التوحيد والعدل، أو طلبه للصلح أو الهدنة. وقد كان (محمد) في جميع ذلك يشدد النهي عن قتل النساء والأطفال والمشائخ العاجزين والرهبان المعتزلين. وكان يجمع بين الرحمة وحقوق أصحابه المجاهدين فيسمح برحمته بكل ما يسمح به أصحابه من السبي والغنائم، ويرعى للأسير الشريف حرمة شرفه، ويطيب قلوب الأسرى بلسانه وقرآنه، ويوصي أصحابه بهم ويرغبهم في عتقهم حتى إن العتق في شريعته من العبادات الواجبة في بعض المواضيع.

هذا ملخص سيرة (محمد) في دعوة الاسلام.

يا والدي ولا بد من أنك عرفت من تاريخ العرب المدون، وحالهم الموروث الذي نشاهده أنهم أمة حرب وتحزب وشدة طغيان وتعصب وقد كانوا في عصر الدعوة الإسلامية قبائل فوضى لا تصدهم عن طغيانهم وظلمهم سلطة سياسة ولا قانون حكومة. بل كانت كل فرقة تدافع عن نفسها بنفسها. فليس من الممكن في العادة أن تستقيم بينهم دعوة صالحة تضاد عبادتهم وعوائدهم وترفض وثنيتهم وأوثانهم وتهدد تحزبهم الوحشي وفوضويتهم وعصبية رياستهم العدوانية وتلوي أعناقهم إلى الخضوع إلى عدل المدينة وناموس السلام ما لم تكن تلك الدعوة معززة بقوة دفاعية.

دعوة المسيح

يا والدي ألا ترى أن دعوة المسيح في بني إسرائيل لم يكن فيها ما يبهضهم في أصول ديانتهم وعباداتهم وناموس شريعتهم. بل كان أساس دعوته هو الحث على لزوم التوحيد وحق العمل بالشريعة وحفظ وصايا التوراة، والتعليم بمكارم الأخلاق وحسن العدل. وهذا مما يرتاح له نوع بني إسرائيل، ولم يكن في دعوة المسيح إلا أنها كانت تتعوض لرياء الكهنة والكتبة وجبروتهم في الرياسة الدينية، وأكلهم الدنيا باسم الدين وهذا أيضا مما ترتاح إليه نفوس العامة. ولكن لمحض ذلك قامت قيامة الكهنة والكتبة وأنصارهم، وجرى من أعمالهم مع المسيح والمؤمنين به ما تسمعه من التاريخ والأناجيل من أنواع الاضطهاد مع أن قدرتهم كانت محدودة بالسياسة الرومانية لا يستطيعون أن يعملوا شيئا إلا بالمحاكمة والتطبيق على قوانين السياسة بالاستعانة بالكذب وشهادة الزور وبذلك صالوا على المسيح والذين من بعده من أصحابه. فكيف حال الدعوة الإسلامية التي سمعت حالها مع العرب والوثنيين المتوحشين الذين شرحنا لك حالهم. فهل يمكن في العادة أن تستقيم بدون دفاع؟ وهل يصح في حكمة الاصلاح الديني والاجتماعي أن لا تعتز هذه الدعوة بالدفاع؟ وهل يجوز أن تسلم أمرها بالوهن إلى التلاشي بعدوان أضدادها.

إستعداد المسيح للدفاع بالسيف

يا سيدي إن الأناجيل قد ذكرت وهن التلاميذ وضعفهم عن الصبر على الشدائد. وتوقهم عن المسيح عند هجوم اليهود عليه كما أخبرهم به المسيح قبل ذلك. وقد أحصى هذا كله من الأناجيل في الجزء الأول من كتاب الهدى صحيفة 30 و 31 فراجعه فإنك تعرف أن ألوفا من أمثالهم لا يقومون مقام واحد من أصحاب (محمد) في الصبر والثبات على الإيمان والتفادي في سبيله. ومع ذلك فإنجيل لوقا يذكر في العدد السادس والثلاثين من الفصل الثاني والعشرين أن المسيح أراد من تلاميذه الاستعداد للدفاع بالسيف وقال لهم: (من ليس له فليبع ثوبه ويشتر سيفا) ولكن يا للأسف لم يحيوا أمره المؤكد لهم جميعا بالسمع والطاعة. بل قالوا قول المتثاقل المتشبث بالمعاذير (ههنا سيفان) فلم ير المسيح في جواب تثاقلهم إلا أن يقول: (يكفي) وظاهره أن جوابكم يكفي في بيان وهنكم. يا والدي إن اليهود والنصارى يعتقدون أن التوراة الموجودة هو كتاب الله جاء بشريعة الله في كلام الله لموسى رسوله. وقد كثر في هذه التوراة الأمر بالمهاجمات الحربية الابتدائية في الحروب القاسية الآمرة بذبح الأطفال والنساء. والتوراة وكتاب يشوع (يوشع) يذكر أن موسى الرسول ويشوع مختار الله قد عملا بهذا الأمر القاسي على أقسى وجوهه كما مر في الجزء الأول في صحيفة 69 مع أن التوراة وكتاب يشوع لم يذكرا أن ذلك كان لأجل الدعوة إلى التوحيد والإيمان والاصلاح. بل لم تذكر التوراة غاية لهذه الحروب القاسية إلا انتهاب الأرض من سكانها المطمئنين بها وإعطائها لشعب بني إسرائيل الذين لم يستقروا على التوحيد والشريعة والطاعة جيلا واحدا. يا والدي فهل من الصواب وشرف الانصاف أن نغض الطرف عن هذا كله ونعترض على الاسلام دين التوحيد الحقيقي والاصلاح والمدنية حيث اضطرته الأحوال إلى أن يدافع عن صلاحه عدوان الوثنية وفساد الوحشية.

يا والدي إنك إذا تأملت في فلسفة الاصلاح الديني الاجتماعي بل وعواطف الاجتماع رأيتها بوجدانك تسوغ لمحمد في عصوه المظلم بالظلمات المتراكمة أن يبتدئ بالمهاجمة في سبيل إصلاحه. فكيف نعترض عليه إذا سلك أرقى مسلك في الاصلاح. ألا. وهو الدفاع الجميل الذي تقوم به الحجة، ويحدده الصلاح وعواطف الرحمة بأكرم الحدود وأشرفها.

خلاصة الكلام في دفاع الاسلام

يا والدي: وفي آخر الكلام أقول لك إنك إذا نظرت إلى التاريخ نظر حر تجد أن الذين نالهم السيف من الذين دافعهم (محمد) لا يبلغون عشر الذين آمنوا به بالطوع والرغبة وفدوا أنفسهم وكل غال دون دعوته الكريمة. وإن هؤلاء الذين انقادوا إلى الاسلام بالسيف لما تشوفوا بنعمة الاسلام صار (محمد) أحب الناس إليهم. وذلك لما وجدوه من صلاح دعوته وحسن سيرته في تبليغها وإجراء شريعتها فيما عاملهم به من التحمل والملاينة. وجميل الدفاع وعواطف الرحمة وكرم المروءة وحسن الخلق وحسن الولاية، وإن حروبه معهم وإن كانت لأجل أشرف الغايات لم تكن إلا دفاعا جميلا لحماية الاصلاح الديني والمدني مقرونة بحسن المعاملة وجميل الصفح وعظيم المن وأيادي الرحمة مما لا يتصور من محارب مظفر معتز بنصيحة أصحابه وتفاديهم في سبيل نصوه. نعم كان كثير من النائين عن مركز (محمد) ينتظرون بإسلامهم قوة الاسلام وارتفاع الموانع بينهم وبينه. ولأجل ذلك تقاطرت إليه قبائلهم بالطوع والرغبة عندما ارتفعت الموانع.

اليعازر: إن من أنعم النظر في التاريخ وفلسفة الحقائق لا بد له من أن يعترف بما تقول وإن كان النصارى الغربيون يودعون في أذهان العوام أن (محمد) كان على أعظم جانب من القسوة الحربية والتهاجم العدواني وأن دينه لم ينتشر إلا بالسيف العدواني القاسي. وأن ديانته وثنية وحشية ولكن لما تقدم في النظر إلى التاريخ وتحققت في دين الاسلام وجدت الحقيقة على ما شرحه ولدي عمانوئيل، وأن توحيد الاسلام هو التوحيد الحقيقي. ولكني قلت ما قلت لكي أرى ما يقوله عمانوئيل ويرتضيه سيدنا القس لأكون على ثقة وبصيرة من معلوماتي.

الاسلام والمسيح

عمانوئيل: يا والدي وأما قولك في أسباب نفرتك من الاسلام (خصوصا إذا كان يقطع علاقتي بالدين المسيحي ويكدر صفاء إيماني بالسيد المسيح ويشوش محبتي له واعتصامي به) فمهلا يا سيدي إن الاسلام لا يقطع إلا علاقتك بالتثليث، وسر الفداء، وحمل آثامنا ولعنات الناموس على سيدنا المسيح وحاشاه كما مر في الجزء الأول في صحيفة 84 إلى 88 فهل تريد يا والدي أن تعبد إلها مثلثا متجسدا. وتنادي (المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا) ألست نفرت من هذه التعاليم في بحثنا فيها. نعم يا والدي ويقطع الاسلام علاقتك بما نسبته الأناجيل إلى المسيح وحاشاه من القول بتعدد الأرباب. وتعدد الآلهة بتلك الحجة الواهية والتحريف الصريح للفظ الضمائر ومعناها كما مر في الجزء الأول في صحيفة 72 و 73 و 74 . يا والدي إن الاسلام بقرآنه وبيانه يمجد رسالة المسيح، وينادي بقدسه، وطهارته، وبره، وكماله، ويبرئه عما لوثت به الأناجيل قدسه فكيف

يكدر صفاء إيمانك به.

نعم إن الاسلام ينفي ألوهية المسيح. فهل أنت تريد الإيمان بألوهية البشر المضطهد. ولعلما ينقدح في نفسك أن الاسلام اضطهد الكنيسة الشرقية الزاهرة، فاعلم أنه لم يرد منها إلا أن تنتزه عن شرك التثليث الوهمي وعبادة الصور والأيقونات، وزخرف التسابيح الموسقية، وخداع الغوانات وتأثواته التي تعرفها، وهل كانت زهرة الكنيسة إلا بهذه الأمور المظلمة. يا والدي ألم تعلم أن الاسلام جعل للكنيسة أن تبقى على صورتها بضمان حمايته بشرط أن تعطيه عهدا على السلم وعدم الغدر وأن لا تتجاهر بالمنكرات وشرب الخمر ومضادة الاسلام. ألم تبق الكنيسة في الشرق حين قوة الاسلام الحربية آمنة مطمئنة يصدع ناقوسها مع أذانهم ويجلس قسوسها محترمين مع علمائهم، تجري في أعيادها ومواسمها على رسومها.

النظر في دين الاسلام ورسالته وقرآنه

اليعازر: كفانا ما مر من النظر في العهدين والديانة اليهودية والديانة النصرانية. فهلا ننظر في دين الاسلام، ورسالته، وقرآنه، ونرى معارف القرآن. القس. لا بد لنا من ذلك، ولكن لا بد لنا من أن نحضر معنا مسلما عارفا بالقرآن والاسلام لكي يجري البحث والكلام على الحقوق.

اليعازر: إن القرآن كلام عربي ونحن قد تربينا في بلاد العرب وعرفنا لسانهم. القس. إن الذي لا يتخذ القرآن أساسا لتعاليمه بل ينظر إليه نظرا سطحيا لا يعطيه حقه من فهم معانيه، ولا يدري بما في زواياه من المعارف، ولا يستحضر ما فيه من الفوائد، وإن الانصاف لا يسمح لمن ينظر إلى القرآن نظر مستخف أن يجري حكوماته وتحكماته فيه.

عمانوئيل: يا سيدي لأصحابنا النصارى على القرآن اعتراضات كثيرة. وربما الناظر إليها في أول الأمر يراها ثمينة قوية وها هي الاعتراضات مذكورة في كتاب هاشم العربي. وكتاب جمعية الهداية والكتاب المسمى حسن الايجاز. وغيرها من كتب النصارى. ولكن لما نظرت في كتاب الهدى. وكتاب نفاحات الإعجاز [1] عرفت ببيانهما أن تلك الاعتراضات في غاية الوهن، واتضح أن القرآن في موارد هذه الاعتراضات تتدفق منه ينابيع البلاغة والفصاحة. وتشرق أنوار الحقائق السامية، والمعاني الراقية، بحيث صارت اعتراضات أصحابنا النصارى سببا لأن يلفت كتاب الهدى وكتاب نفحات الإعجاز أنظارنا إلى فضيلة القرآن في مطالبه العالية، وسلامته من كل اعتراض. والاعتراضات وأجوبتها المسكتة والمقنعة لذي المعرفة ها هي في كتاب الهدى في الجزء الأول من صحيفة 321 إلى 382 وفي الجزء الثاني من صحيفة 2 إلى 243.

اليعازر: إذا أحضرتهم معنا مسلما فإني أخشى أن يطول الجدال وتهيج العصبية ويكثر القيل والقال، فتخفى بذلك علينا الحقيقة، ويلتبس علينا الطريق ويطول السير.

عمانوئيل: إنا نبحث لنجاة أنفسنا وننظر بنور عقولنا مستندين إلى إرشاد سيدنا القس. وقد رفضنا كل عصبية وتقليد. فإذا لم يوافق طريقتنا ذلك المسلم تركناه واستبدلنا به غيره ممن نرضى طريقته وعلمه.

1 ـ للعالم الكبير والمتحلي في شبابه بفضيلة المشائخ سيدنا السيد أبي القاسم الخوئي النجفي دام فضله. (*)

مثلنا الشيخ (محمد علي) عن ناحية القرآن والاسلام

عمانوئيل: يا شيخ إنكم معاشر المسلمين تقولون إن التوراة الموجودة محرفة بحيث سقطت عن الاعتبار. مح أن قرآنكم الذي تؤمنون بأنه كلام الله يصدقها ويعتبرها كتابا إلهيا نبويا فماذا تقول؟ الشيخ: يا أصحابنا إن بيان الحق في هذا الموضوع ربما يصعب عليكم فهل تسامحونني فيما أقوله: القس. يا شيخ قرآنكم يقول: (وجادلهم بالتي هي أحسن)[1] ويقول في مقام آخر: (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)[2] وإذا تأدبت بآداب القرآن فلا عليك إذا اغتاظ المتعصب. بل قل ما عندك من الحق فلعلك تصادف نفسا كريمة وقلبا نقيا. الشيخ. لا يخفى على من نظر في القرآن بنظر حر أنه جرى بكرامة منهجه على حقيقة الحكمة واللطف في الدعوة إلى حقيقة التوحيد وشريعة العدل والمدنية اللذين هما المقصود الأصلي والمطلب الأساسي. فسلك في أمرهما أحسن مسلك في الحجة فلم يهاجم في الأمور الثانوية العرضية بصراحة تثير العصبية فتكون معثرة في سبيل المقصود الأصلي وروح الاصلاح مهما أمكن البيان لأولي العقول بنحو جميل. وليس من حكمة الدعوة لأهل الكتاب أن يجابهوهم بالصراحة بأن كتبهم التي بأيديهم قد كثر فيها التحريف والتبديل والكفر الوثني والخرافات الكثيرة والتناقض الظاهر. إذ لا يخفى أن المجابهة بذلك تهيج داء العصبية المهلك وتنفر عن الاقبال إلى الإيمان الصحيح وتصرف عن الاصغاء إلى بيان الحق.

1 ـ سورة النحل، الآية: 125.

2 . سورة النحل، الآية: 125.

عمانوئيل: عجبا يا شيخ. هل يصح للقرآن إذا كان كتاب الله الهادي إلى الحق أن لا يبين هذا الأمر الكبير. الشيخ: لا ينحصر البيان بالمجابهة التي ذكرناها. بل إنه أظهر ذلك وبينه وأوضحه بأحسن بيان وأجمل إيضاح. فأوقف ذوي العقول على بعض موارد التبديل والتحريف والزيادة بخصوصياتها بحيث تتنبه عقولهم ووجدانهم لذلك على حين غفلة من هياج العصبية. فتعرض لذكر القصص التي لها نحو وقوع في التاريخ فنزهها عن الخرافات والأغلاط الزائدة. وأوردها على الحقيقة المعقولة استلفاتا للعقول إلى الخرافات الدخيلة في الوحي. وأما ما لم يكن له نحو وقوع فلم يتعرض لتكذيبه بالصراحة لكنه أودع في معارفه ما يوضح تكذيبه.

عمانوئيل: هذا شئ في غاية الحكمة بحسن الارشاد. لكن يا شيخ أين موارد ذلك في القرآن. فأوضحها. الشيخ: إني عرفت دراستكم في كتب العهدين وعرفت أخذ التوفيق بأيديكم والتفاتكم إلى ما نبه عليه القرآن من خلل العهدين الرائجين حتى إنكم كتبتم ذلك وطبعتموه في الجزء الأول. ولأجل الاختصار أشير بحسب صحائف المطوع إلى ما ذكرتموه من الانتقاد وكرامة القرآن الكريم في تنزيه الحقائق وحسن التنبيه على الخلل. فمن ذلك ما مر في الجزء الأول في صحيفة 14 – 17 قصة آدم

والشجرة والحية والكذب. وما مر في صحيفة 18 من كرامة القرآن في نقل القصة الواقعة على حقيقتها المنزهة. وأما ما مر في صحيفة 19 – 23 من خرافة التمشي والاختباء والسؤال، والمحاورة من آدم لأنه صار كواحد من الآلهة. وكذا ما مر في صحيفة 31 من خرافة برج بابل والمحاورة من ذرية نوح. وفي صحيفة 67 ومن خرافة مصارعة يعقوب مع الله وما فيها من الكلمات الوثنية فإن القرآن يوضح بطلان هذه الخرافات بما تضمنته معارفه وتعاليمه بحقيقة التوحيد وجلال الله وقدسه وأنه الواحد القهار. ومن ذلك ما مر في صحيفة 41 – 42 من أن هرون صنع العجل الوثني لكي يتخذه بنو إسرائيل إلها ويعبدوه من دون الله وصنع أمام العجل مذبحا لعبادته.

مع أن الله في ذلك الحين كان يكلم موسى في تقديس هرون بالكلام الطويل لرياسة الدين والشريعة. وإن الله كلم هرون في أمور الدين والشريعة مع موسى ومنفردا قبل واقعة العجل وبعدها. وقد مر في صحيفة 29 و 30 أن القرآن ينسب عمل العجل والدعوة للشرك إلى السامري (الشمروني) من عشيرة شمرون ابن يساكر ابن يعقوب الذين كان منهم مع موسى الوف – كما مر في صحيفة 33 إن القرآن يبرئ هرون من أمر العجل ويوضح أنه نصح بني إسرائيل ونهاهم عن عبادته وأخوهم بفتنتهم وضلالهم. فالقرآن أوضح حال الخرافة الجامعة بين نبوة هرون وتقديس الله له والدوام على تكليمه وبين كون هرون يدعو إلى الشرك ويصنع العجل الوثني ويبني له مشعر العبادة. وقد مر في صحيفة 53 – 54 حكاية شك إبراهيم صريحا في وعد الله له بأمر ممكن عادي الوقوع. ومر أيضا ذكر العلامة التي يقول كاتب التوراة الرائجة إن الله أعطاها لإبراهيم لكي يعلم بصدق الوعد ويرتفع شكه. وهي العلامة التي لا يعلم أحد محصلها ولا ربطها بالكلام. ومر أيضا أن القرآن يذكر أن إبراهيم طلب أن يرى بعينه إحياء الله للموتى ليؤكد بذلك إيمانه بيوم المعاد ويطمئن قلبه بهذه الحقيقة بسبب تعاضد الحس والوحي. فجرى القرآن على الحقيقة المناسبة لإيمان إبراهيم خليل الله. وجلال الله في إعطاء العلامة المعقولة. وقد مر في صحيفة 55 – 56 حكاية الذين جاؤا إلى إبراهيم وإلى لوط واضطراب التوراة الرائجة في عددهم وفي أنهم الله أو ملائكة. وذكرت أنهم أكلوا من طعام إبراهيم ولوط. ومر في صحيفة 69 وبيان كرامة القرآن في ذكره لهذه القصة على الوجه المعقول.

وقد عرفت مكالمتكم الكريمة في ذلك في صحيفة 59 و 60 ومر أيضا في صحيفة 77 قول التوراة الرائجة أن موسى وهرون وابنيه وسبعين من شيوخ بني إسرائيل رأوا الله وتحت رجليه شبه صنعة العقيق ولم يمد الله يده إليهم بل رأوه وأكلوا وشربوا. وذكرتم أنتم في صحيفة 77 أيضا من آيات القرآن ما يكذب هذه الحكاية ويسفهها، مضافا إلى أن القرآن الكريم يكذب خرافة رؤية الله المتكررة في التوراة والعهد القديم. بقوله تعالى في الآية الثالثة بعد المائة من سورة الأنعام المكية: (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) يا أصحابنا وإن العهد القديم والعهد الجديد قد نصا على نبوة يعقوب وموسى وهرون وداود وسليمان وأرميا والمسيح عليهم السلام وأنهم أكرموا بالوحي والقداسة والأمر بالإرشاد للناس. ومع ذلك ينسب العهدان إلى هؤلاء الأنبياء الكرام ما ينافي مقام النبوة والامامة في الناس للإرشاد والتعليم. وقد أشار القرآن الكريم إلى كذب هذه النسبة الساقطة بقوله تعالى في الآية الرابعة والعشرون بعد المائة من سورة البقرة: (وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن – (كما تقتضيه الحكمة وجلال الله وقدسه). قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين) فإن

الكذب، والخديعة، والجرأة وسوء الأدب مع الله، وخيانته، وعدم الإيمان به، والاستهزاء بوعده، ونسبة الخداع والكذب إليه، والزنا الفاحش بالمحصنات، والغدر بالمؤمنين، والدعوة إلى الشرك بالله، وعبادة غيره وبناء مشاعر الأوثان، والقول بتعدد الأرباب والآلهة. والتحريف هذه كلها من أقبح الظلم، ومرتكبها من الظالمين، والعقل والوجدان يقبحان ائتمان الظالم على الرسالة والنبوة وإمامة الدين والتوحيد والشريعة. كما مر في المنال المذكور في صحيفة 44 فالقرآن بجميل إشارته ووضوح حجته يشير إلى كذب جملة من منقولات العهدين الرائجين. منها ما مر في صحيفة 64 و 65 من أن يعقوب عليه السلام خادع أباه إسحاق وكذب عليه مرارا لكي يأخذه منه البركة. وفي صحيفة 73 في ذكر ما نسب إلى موسى عليه السلام من الجرأة على الله بالخطاب والشك في وعده. وفي صحيفة 41 و 42 في ذكر هرون وعمل العجل. وفي صحيفة 84 من أمر موسى بقتل الأطفال وجعله شريعة جرى عليها خليفته يشوع (يوشع). وفي صحيفة 80 و 81 في قول التوراة الرائجة عن الله جل شأنه أن موسى وهرون عليهما السلام لم يؤمنا بالله وعصياه وخاناه. وفي صحيفة 69 من الإشارة إلى ما ذكره الفصل الحادي عشر من صموئيل الثاني في نسبة الزنا بامرأة أوريا إلى داود (عليه السلام) مع الغدر بأوريا المؤمن المجاهد الناصح. ويا لها من نسبة شنيعة. وفي صحيفة 41 فيما نسب إلى سليمان عليه السلام من اتباع الأوثان وعبادتها وبناء مشاعرها. وفي صحفة 81 من أن أرميا نسب الخداع والكذب إلى الله جل شأنه. ومنها ما مر في صحيفة 89 من أن إنجيل يوحنا ينسب إلى المسيح (عليه السلام) قوله بتعدد الآلهة مع الاحتجاج الساقط والتحريف الواهي.

وإن أناجيل متى ومرقس ولوقا تنسب إلى المسيح القول بتعدد الأرباب مع الاحتجاج الساقط والتحريف الكبير. ومنها ما مر في صحيفة 159 – 160 فيما تذكره الأناجيل في أحوال تلاميذ المسيح مما لا ينفك عن الظلم ولو بمحض خذلانهم للمسيح ونكولهم عن مواساته التي طلبها منهم مرارا بالتأكيد. فالقرآن بآية العهد المتقدمة يوضح أن الأناجيل قد خالفت الحقيقة بأحد أمرين. أما بوصف التلاميذ بما مر من صفات الذم. وأما بإرسال المسيح للتلاميذ بعده ليعلموا جميع الأمم ويعظوا العالم أجمع بالإنجيل وأنه أرسلهم كما أن الله أرسله. كما مر في صحيفة 160 وهذا هو الإمامة في الناس. وقال للتلاميذ أيضا إن كل ما يربطونه على الأرض يكون مربوطا في السموات وكل ما يحلونه على الأرض يكون محلولا في السموات. متى 18: 18. وكيف يجتمع في كتاب الوحي أن المسيح يقول لبطرس إذهب عني يا شيطان أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله بل بما للناس مع قول المسيح له أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأعطاه إمامة الحل والربط في الديانة كما تقدم لسائر للتلاميذ أنظر متى 16: 16 – 24 . ومنها ما مر في صحيفة 208 و 209 من أن بولس كان ضدا للكنيسة وكان يهجم على البيوت ويجر المؤمنين بالمسيح نساء ورجالا إلى السجن ويقتلهم ويعاقبهم ويضطرهم إلى التجديف (الكفر بالمسيح وشتمه) وكان مجدفا ومضطهدا ومفتريا. وكيف يجتمع هذا مع ما يذكره العهد الجديد في أعمال الرسل والرسائل المنسوبة إلى بولس أن بولس صار رسولا وإماما. بل كان النفوذ لإمامته في النصراني فقد قالت رسائله ما شاءت من إبطال شريعة التوراة وعيبها وذمها كما مر في صحيفة 118 و 119 فالقرآن يوضح أن التلاميذ وبولس إن كانوا رسلا وأنبياء وأئمة فوصفهم بما يؤدي إلى كونهم ظالمين كاذب.

وإن كانوا كما وصفوا به فوصفهم بالرسالة والنبوة والامامة كاذب. وهذا العهد الجديد قد جمع بين المتنافيين فإن الظالم لا يكون إماما.

بر المسيح بوالدته المقدسة والأناجيل

وأيضا إن أناجيل متى 12: 47 – 50 ومرقس 3: 31 – 35 ولوقا 8: 19 – 21 تقول إن المقدسة أم المسيح جاءت إلى خارج البيت الذي فيه المسيح وتلاميذه فأرسلت إليه تطلب منه أن يخرج إليها لكي تراه حسب شوق الأمهات الحواني فقال من هي أمي ومد يده إلى تلاميذه وقال. ها هي أمي لأن من يصنع مشيئة الله هي أمي. فالأناجيل تقول: إن المسيح عليه السلام استهزأ بأمه وبطلبتها ولم يرأف بلهفة حنوها ولم يرها. بل قد قدح بقداستها وفضل عليها التلاميذ الذين ذكرتم حالهم في صحيفة 126 و 127 –والقرآن يشير إلى مخالفة الأناجيل فيما ذكرت للحقيقة ويقول في سورة مريم المكية عن قول المسيح المعجز في طفوليته في الآية 32 (وبرا بوالدتي). يا أصحابنا فالقرآن الكريم بقصصه وقانونه المعقول في الإمامة الدينية يوضح أن القسم الكبير من العهدين الرائجين مخالف للحقيقة والمعقول. فكيف تقولون أنه يصدقهما. غاية الأمر أنه أوضح ذلك بألطف إيضاح من غير تهاجم يثير العصبية بصراحة التكذيب.

ما هو معنى كون القرآن مصدقا لما مع أهل الكتاب

عمانوئيل: إن القرآن تكرر منه التصريح بأنه مصدق لما مع أهل الكتاب، كما في الآيات التاسعة والثلاثين،، والثالثة والثمانين، والخامسة والثمانين، والخامسة والتسعين من سورة، البقرة، والخمسين من سورة النساء. الشيخ. هذا الكلام في الاحتجاج على أن القرآن يصدق العهدين الرائجين قدرأيناه في كتاب لغريب ابن العجيب في صحيفة 12 وهو من مثل الغريب غير غريب. ولكنه غريب منك يا حر الفهم والضمير.

متى صرحت الآيات المشار إليها بأن القرآن مصدق لما مع اليهود والنصارى من العهدين الرائجين في زمان نزول القرآن؟ هل يكون الشاهد على هذه الدعوى ما تقدم من أن قصص القرآن وقانونه في الإمامة ومعارفه في التوحيد وتمجيد جلال الله وقدسه كلها تشهد بأوضح الشهادة والبيان بأن القسم الكبير من العهدين مخالف للحقيقة المعقولة؟؟ بل إن هذه الشهادة توضح بدلالتها أن المراد هو كون القرآن مصدقا لما مع أهل الكتاب من التوحيد وبطلان الوثنية ومن الاعتقاد بالوحي ونبوة الأنبياء الصالحين ونزول الكتب المقدسة ويوم القيامة.

القرآن مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه

عمانوئيل: إن القرآن أيضا يصرح بأنه مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه كما في الآية الثانية والخمسين من

سورة المائدة.

الشيخ: لا يخفى أن الشئ الذي يكون له مكان يتحيز هو فيه كزيد والبيت فإنه يصح أن يقال: (بين يديه) بمعنى إمامه وقدامه من المكان. فيراد من الذي بين يديه هو ما كان مقارنا له في الزمان وقدامه وأمامه في المكان.. وأما مثل القرآن الذي هو كلام الله المنزل على رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلا يكون له قدام وأمام وخلف بحسب المكان. فلا يكون معنى قوله تعالى (بين يديه) إلا بمعنى التقدم في الزمان. فالكتاب الذي بين يدي القرآن هو ما تقدم على زمان نزوله على الرسول (صلى الله عليه وسلم). والقرآن يصدق الكتاب الذي أنزل على موسى (عليه السلام) والذي أنزل على المسيح (عليه السلام). وأين هذا من تصديقه لخصوص النسخ المجتمعة معه في زمان نزوله التي تسمى باسم التوراة والانجيل.. بل إن القرآن قال: (مصدقا لما معهم، ولما معكم) على الاجمال ولم يقل ما معهم من نسخ الكتاب ولما نص على تصديق الكتاب خص التصديق بالكتاب الذي بين يديه أي قبله في الوجود. وهذا كله حياد عن تصديق النسخ الموجودة في زمانه مع غض النظر عن الصواحة المزعجة بتكذيبها.

ما معنى كون القرآن مهيمنا على ما بين يديه من الكتاب

عمانوئيل: هل يمكن أن نقول: إن اليهود والنصارى قد حرفوا كتابا جاء القرآن مهيمنا عليه وقد قال المفسرون: إن معنى (مهيمنا) رقيبا على سائر الكتب يحفظها من التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات. فهل يمكن لك أن تقول. إن اليهود والنصارى حرفوا تلك الكتب بالرغم من محافظة القرآن عليها.

الشيخ: يا عمانوئيل هذا الكلام الذي تقوله أنت قد رأيناه في كتاب الغريب ابن العجيب في صحيفة 10 و 11 وقد أخذه ممن قبله. فهل أنت لا ترى بأن القرآن كلام منزل فيه بيان الهدى أنزل على الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعد المسيح بنحو ستمائة سنة.

وليس القرآن رجلا بيده سيف وهو متجرد للمراقبة إلى زمان نزوله من زمان القضاة لبني إسرائيل، وفي أيام ملوكهم، وعند ارتداداتهم عن التوحيد. وعند تخريبهم لبيت المقدس وتنجيسه وجعله بيتا للأصنام، وعند مهاجمات المشركين على الأمة الإسرائيلية، وعند نهب مقدساتهم. وعند إحراق بيت المقدس وبيوت أورشليم. وملاشاة الأمة بالقتل والأسر، وعند تفرد حلقيا وعزرا بإظهار التوراة. وبعد سبي بابل. وبعد زمان المسيح. وحينما كانت كتب العهدين محجوبة في كل أدوارها ونشأتها عن أعين العموم بسبب استقلال الروحانيين برؤيتها. فيكون القرآن ذلك الرجل الشاهر سيفه المتجرد للمراقبة، مترصدا في جميع تلك الأوقات والأحوال يقطع يد كل من يمد يده إلى كتب العهدين بالإعدام أو تجديد الولادة أو التحريف. يا عمانوئيل هل تقول: إن القرآن إذا كان مهيمنا على التوراة والانجيل فلا بد من أن يعمل بسيفه كما ذكرناه قبل نزوله في مدة ألفي سنة.

عمانوئيل: لا يا شيخ لا يمكن أن أقول ذلك ولا يقبله شعوري فإن لي والحمد لله من الشعور ما أعرف به أن القرآن كلام هدى وبيان لا سيف قوة أو سلطان. وإنما يكون مهيمنا وحافظا ببيانه في زمان وجوده. لكن يا شيخ أليس من اللازم عليك أن

تبين معنى معقولا لكون القرآن بعد نزوله مهيمنا على ما تقدم عليه من نوع الكتاب المقدس. الشيخ: إن القرآن الكريم بحكمة بيانه ولطائف إشاراته لأولي الألباب قد قام لكتب الوحي الحقيقية بحماية ومحافظة كبيرة فكان مهيمنا عليها ببيانه بعد نزوله لئلا تتلوث معارفها الإلهية وقدس أنبيائها وكرامة قصصها بخرافات الشرك وتعاليم الوثنية وسخافة الاختلاف والتناقض.

فذكر قصص آدم وإبراهيم وواقعة العجل على حقيقتها المعقولة وأشار بذلك إلى براءة كتب الوحي مما أدخل على هذه القصص وشوه صورتها. وذكر قول الله جل اسمه لإبراهيم في الإمامة والرياسة الدينية (لا ينال عهدي الظالمين) وأشار بذلك إلى براءة الكتب الحقيقة مما لوثت به الكتب الرائجة قدس لوط ويعقوب وموسى وهرون وداود وسليمان والمسيح (عليهم السلام) هؤلاء الأنبياء الكرام الذين شهد القرآن أيضا بنبوتهم وقدسهم وصلاحهم. وقال في الآية الثانية والثمانين من سورة النساء: (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) وأشار بذلك إلى براءة الكتب الإلهية الحقيقية من وصمة الاختلاف والتناقض كما يوجد في التوراة والأناجيل الرائجة وغيرها. فانظر أقلا الجزء الأول من كتاب الهدى في صحيفة 197 إلى 234 . وقال في الآية الرابعة والستون من سورة آل عمران: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا) أي لا نتخذ من البشر أربابا. وقال في الآية التاسعة والسبعين والثمانين من سورة آل عمران أيضا: (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي...ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر) فالقرآن بهذا الكلام يبرئ المسيح (عليه السلام) وإنجيله الحقيقي مما تقدم ذكره في الجزء الأول في صحيفة 73 عن أناجيل متي ومرقس ولوقا من نسبتها إلى المسيح قوله بتعدد الأرباب واحتجاجه بالتحريف للزامير. وقال في الآية الثالثة عشر من سورة التغابن المكية: (الله لا إله إلا هو) وفي الآية الثانية والعشرين والثالثة والعشرين من سورة الحشر المكية: (هو الله الذي لا إله إلا هو) وفي الآية المائة وثلاث ستون من سورة البقرة: (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو) وأيضا في الآية الخامسة والخمسين بعد المأتين منها: (الله لا إله إلا هو) وقد تكرر هذا في القرآن الكريم أكثر من أربعين مرة. وقال في سورة النمل المكية في الآية الحادية والستين إلى الخامسة والستين في مقام التوبيخ الشديد خمس مرات (أإله مع الله، بل أكثرهم لا يعلمون – قليلا ما تذكرون – تعالى الله عما يشركون) والقرآن بمثل هذا وبشهادته برسالة المسيح وقدسه يشير إلى براءته وبراءة الانجيل الحقيقي من القول بتعدد الآلهة والاحتجاج الواهي له مع تبديل معنى الزامير كما مر في الجزء الأول في صحيفة 73.

وقال في الآية الثالثة بعد المائة من سورة الأنعام في جلال الله جل اسمه (لا تدركه الأبصار) وبهذا يشير إلى براءة التوراة الحقيقية من قول التوراة الرائجة، إن يعقوب رأى الله وجها لوجه. وإن موسى وهرون وابنيه وسبعين من شيوخ بني إسرائيل رأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعه من العقيق – فرأوا الله وأكلوا وشربوا.

كما مر في الجزء الأول في صحيفة 53 و 62 . يا أصحابنا فالقرآن ببيان هذه الأمور وهداه بإشاراته خير مهيمن على كتب الله الحقيقية وخير حافظ لشرفها من أن يلصق باسمها هذا الذي ذكرناه إذا وجه التوفيق العقول السليمة إلى المقابلة بين القرآن

الكريم وبين العهدين في المعارف الإلهية وقدس الأنبياء والقصص التاريخية.

لا مبدل لكلمات الله

عمانوئيل: إن القرآن شهد بآيات عديدة أن التوراة والانجيل كلام الله لا يبدل كما في سورة الأنعام، ويونس والكهف، وغير ذلك من الآيات الشاهدة بأن كلام الله لا يمكن تبديله ولا تحريفه لفظيا. الشيخ: لم يقل القرآن إن كلام الله لا يمكن تبديله وتحريف. وإنما قال: إن كلمات الله في وعده وتقديره تقع وتتم كما وعد وقدر، لا تتبدل ولا مبدل لها. وقال في الآية الرابعة والثلاثين من سورة الأنعام: (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا (أي فاصبر على التكذيب والأذى ولك البشرى بالنصر كما نصر الله الرسل من قبلك (لا مبدل لكلمات الله) أفلا ترى يا عمانوئيل أنه لا يناسب في الآية الشريفة إلا أن تقول لا مبدل لكلمات الله في وعده لرسله بالنصر وظهور الحق. – وفي الآية الخامسة عشر بعد المائة من سورة الأنعام أيضا: (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته) وهل يناسب هذه الآية إلا أن تقول: إن كلمات الله في وعده وتقديره الذي لا بد أن تتم ويظهر صدقها لا مبدل لها. ومن ذا الذي يبدلها – وفي الآية الرابعة والستين من سورة يونس في شأن المؤمنين المتقين: (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) وهل يحسن أو يمكن في هذه الآية إلا أن تقول: لا تبديل لوعد الله بالبشرى. وفي الآية السابعة والعشرين من سورة الكهف المكية: (واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته) والمعنى أنه قد قال الله: لك ووعدك البشرى في الآية الرابعة والتسعين والخامسة والتسعين من سورة الحجر المكية: (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) المكذبين لك والمستهزئين بك ولا تخش ضياع الدعوة باستهزائهم وتكذيبهم (إنا كفيناك المستهزئين) ووعدك الله بأن يظهرك (على الدين كله ولو كره المشركون) كما في الآية التاسعة من سورة الصف المكية.

فاتل ما أوحي إليك من كتاب ربك فإنه قد وعدك بالكفاية والنصر وظهور الدين ولا مبدل لكلماته في وعده وبشراه. يا عمانوئيل وإنك أشرت إلى هذه الآيات اتباعا للغريب ابن العجيب فيما لفقه في رحلته في صحيفة 13 وتبعته في قوله أخيرا (إلى غير ذلك من الآيات الشاهدة بأن كلام الله لا يمكن تبديله وتحريفه لفظيا. يا عمانوئيل أين هذه الآيات الشاهدة لدعواك. ألا ترى أن الاتباع الأعمى يكسر ظهر الشرف.

عمانوئيل: الشيخ غريب ابن عجيب قال في رحلته الحجازية صحيفة 13 : قال الإمام البخاري في صحيحه في تفسير الآية (يحرفون الكلم عن مواضعه)[1] يزيلون وليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب الله ولكنهم يحرفونه أي يأولونه على غير تأويله. ونقل الشيخ غريب في رحلته في صحيفة 13 – 17 عن البيضاوي والرازي ما يؤدي إلى أن التحريف إنما هو بالتأويل. وفي صحيفة 18 و 19 عن ابن تيمية أن للعلماء في التحريف قولين: الأول: تبديل الألفاظ. الثاني: تبديل المعاني واحتج للثاني. وعن الزرقاني أن الفقهاء اختلفوا في أن التحريف للتوراة والانجيل هل هو بالزيادة والنقص أو بالتأويل والتفسير على غير المراد. فماذا تصنع يا شيخ بهذه الأنقال.

الشيخ: أما ما نقله عن البخاري في صحيحه فإني تتبعت صحيحه في كتاب التفسير وتصفحته فلم أجد لهذا النقل أثرا. بل إن البخاري في صحيحه في أواخر كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة روى مسندا عن ابن عباس أن رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حدثهم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا. فهل البخاري يفسر رأيه مضادة لما يرويه هو في صحيحه.

---

1 ـ سورة النساء، الآية: 46. (*)

يا عمانوئيل إذا أعوضنا عن كل شئ فإن هذه الرواية في جامع البخاري تكون حجة على البيضاوي والرازي وابن تيمية والعلماء والفقهاء الذين قالوا: بأن التحريف بالتأويل. يا عمانوئيل هل بعد ما وجدناه وذكرناه من مخالفات المعقول. الباهضة في جلال الله وقدس أنبيائه ورسله ومن الاختلاف والتناقض تريد أن تحتج علي وعلى جامعة المسلمين وعلمائهم ومحققيهم بنقل الغريب ابن العجيب عن البيضاي وابن تيمية وجماعة يفسرون بالرأي.

عمانوئيل: يا شيخ إنك تدري بما كتبناه وطبعناه في الجزء الأول من هذا الكتاب عند دراستنا في التوراة والانجيل بحيث كشفنا للعيان والوجدان أن أكثر الموجود في العهدين لا تعقل نسبته إلى وحي الله لأنبيائه وأن القسم الباقي لا نقدر أن نجد له سندا يوصله إلى الأنبياء والوحي. ولكني الآن أحب أن أعرف الوجه فيما ينقل عن البيضاوي وابن تيمية وبعض المسلمين من دعوى كون التحريف بالتأويل. وكيف يذهبون إلى ذلك.

الشيخ. يا عمانوئيل هل يخفى عليك أن كتب العهدين كانت مخفية بسيطرة علماء الدين منكم ومن اليهود مستورة حتى على عامة اليهود والنصارى ولم تظهر وتنتشر باللسان العربي والفارسي إلا قبل قرن أو قرنين بعناية البروتستنت وإصلاحهم ولم يكن لها أثر في بلاد الاسلام في زمان هؤلاء الذين ينقل عنهم الغريب ابن العجيب ولم يكن لهم نصيب من معرفة أمرها إلا السماع باسمها. فلم يكونوا يدرون بما فيها من كثرة مخالفة المعقول والقرآن والاختلاف الكثير والتناقض الكبير حسبما شرحناه فكان يخيل لهم أنها بريئة من ذلك فأخذتهم الشبهات إلى القول بالتحريف في التأويل وحجبتهم عن التبصر بما ذكرناه من رواية البخاري عن ابن عباس وغيرها من الروايات.

ولم يلتفتوا إلى قوله تعالى: (يحرفون الكلم عن مواضعه) وقوله تعالى في الآية الحادية والتسعين من سورة الأنعام: (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) فإن القرآن يبين أن اليهود يبدون من التوراة ما يوافق أهواءهم ويظهرونه على القراطيس ويخفون كثيرا..

التوراة فيها حكم الله

عمانوئيل: يا شيخ إن القرآن يقول في الآية الثالثة والأربعين من سورة المائدة. (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم

الله ثم يتولون من بعد ذلك) فالقرآن يصرح بأن التوراة التي عند اليهود في عصر نبيكم فيها حكم الله. الشيخ: نعم إن الذي يسميه اليهود توراة فيه شئ من أحكام الله التي جاءت في التوراة الحقيقية.

والقرآن ينص في الآية التاسعة والأربعين من سورة المائدة أن الحكم المشار إليه وهو قصاص النفس بالنفس مما نزل في التوراة الحقيقية وكتب على بني إسرائيل وها هو موجود في العدد العشرين من الفصل التاسع عشر من التثنية. ولم ينص القرآن على أن الكتاب الموجود عند اليهود في ذلك العصر هو كتاب الله الحقيقي المتكفل بأحكام الله في شريعة موسى. بل سماه التوراة لأن اسم ذلك الكتاب عند اليهود توراة فجاراهم في التسمية لكي يجادلهم بالتي هي أحسن. وعلى هذا النحو من المجاراة بالتسمية جاء قوله تعالى في الآية السابعة والخمسين بعد المائة من سورة الأعراف: (الذين يتبعون النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) يشير بذلك إلى ما في الفصل الثامن عشر من التثنية كما مر في الجزء الأول في صحيفة 71 إلى 76 وإلى ما في العدد السادس والعشرين من الفصل الخامس عشر وفي العدد السابع إلى الخامس عشر من الفصل السادس عشر من إنجيل يوحنا وهو اللفظ اليوناني (پير كلوطوس) الذي تعريبه فيرقليط بمعنى أحمد أو محمد. كما يدعيه النصارى ويصححونه (پيرا كلى طوس) ويعبرون عنه (فار قليط) كما عن التراجم المطبوعة في لندن سنة 1821 وسنة 1831 وسنة 1841 وفي مطبوعة وليم واطس في لندن سنة 1857 على النسخة المطبوعة في رومية سنة 1664 وفي الترجمة العربية للأصل اليوناني المطبوعة سنة 1901 . وأبدله بعض التراجم بالمعزى والمسلي. أو يشير إلى التصريح الكثير باسمه الشريف (محمد) في إنجيل برنابا الذي حرمه الباب جلاسيوس الأول الذي نال البابوية سنة 492 م أو كما يقول البستاني في دائرته في ترجمة برنابا حرمه جلاسيوس الثاني الذي نال البابوية سنة 1118 م وقد سلف في الجزء الأول في صفحة 187 إلى 190 بعض الكلام في إنجيل برنابا.

ما هو الذكر الذي يحفظه الله

عمانوئيل: إن القرآن قد سمى التوراة بالذكر حيث قال في الآية الخامسة بعد المائة من سورة الأنبياء: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) وسمى التوراة والانجيل بالذكر حيث قال في الآية الثالثة والأربعين من سورة النحل والسابعة من سورة الأنبياء الآية: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) – وقال في الآية التاسعة من سورة الحجر الآية. (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فقد وعد الله بحفظ الذكر من التبديل والتحريف والزيادة والضياع وهو إخبار بحفظ التوراة والانجيل من ذلك.

الشيخ: المراد من الذكر في آية الحفظ هو القرآن لقوله تعالى قبل ذلك في نفس سورة الحجر في الآية السادسة: (وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون) فالذكر الموعود بحفظه هو القرآن وهو الذكر المعهود في الآية السادسة. ويشهد لذلك ما تقدم في مكالمتنا من أن جملة من قصص القرآن وكثيرا من آياته تشهد بأن التوراة والانجيل لم يحفظا من الزيادة والتحريف والتبديل والضياع. وأيضا يا عمانوئيل ليس المراد من أهل الذكر في الآيتين السابقتين من سورتي النحل والأنبياء هم أهل التوراة والانجيل. بل هم الراسخون في العلم من أهل القرآن.

تعليم القرآن بالأخلاق الفاضلة

عمانوئيل: يا شيخ إن الأخلاق الفاضلة هي الحياة الانسانية وروح المدنية وناموس الاجتماع ومعراج السعادة والرقي. ولا يليق بالكتاب المنسوب إلى الوحي أن يخلو من التعليم بها. فهل تسمعنا شيئا من تعليم القرآن بالأخلاق الفاضلة وتشرح مراد القرآن فيما تقرأه. الشيخ: أما القراءة فاقرأ بعون الله. وأما الشرح فإني أحب أن يكون حضرة القس هو المتولي له بحسب ما يفهمه هو من لفظ القرآن وأسلوبه. الشيخ: فتحت المصحف الشريف فأطرق القس للإصغاء وابتدأت بالتلاوة من الآية الثالثة والستين من سورة الفرقان المكية وقرأت بسم الله الرحمن الرحيم (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما). القس: عجبا يا أصحابنا ألا ترون كيف اشترط في الأبرار الذين يريدون السعادة بالانتساب إلى عبودية الرحمن والتحرز من عبودية الهوى والشيطان وأوضح أن الرقي إلى فضيلة عبودية الرحمن إنما هو للذين يمشون على الأرض هونا بحسن السلوك بالأخلاق الفاضلة وكريم الأدب مع النفس بتهذيبها ومع الناس بعدل المدنية وبحسن الاجتماع فيسلكون على هونهم في تحري الطريق ولزوم الجادة واتباع البصيرة، والترقي من عثرة الاسترسال وورطات الجهل المركب والعجب والغرور من دون تسرع يورطهم في هفوات الشهوات وطفرات الغضب والظلم ويدنسهم برذائل العجب والغرور فينزل بهم تسرعهم عن النهج المستقيم، ويضر بسعادة أنفسهم وراحة بني نوعهم. فجمعت هذه الكلمة الواحدة للتعليم بكل خير وخلق فاضل يتكفل بالسعادة والعمران الحقيقي وراحة المجتمع الانساني، والتعليم باجتناب الهرولة إلى بطالة التقشف البارد ومسكنة العجز المضرتين برقي النفس في الكمال والمعاضدة في العمران. وإذا تعرض الجاهلون لهؤلاء الفضلاء بكلام الجهل أجابوهم بما فيه السلام حسبما تقتضيه الظروف والأحوال من الملاطفة بالإرشاد أو الموعظة وما يصلح للجواب بالسلام: إقرأ يا شيخ جزاك الله خيرا. الشيخ: فقرأت: (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما * والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما * إنها ساءت مستقرا ومقاما)[1] . القس: هذه هي المظاهر في الرابطة الحقيقية في عبودية الله والخضوع له وعبادته الخالصة، وحقيقة الرهبة منه، وهي الحقيقة المعقولة الجامعة بين الرغبة في طاعة الله وعبادته لأجل عظمته ومعرفة أهليته للعبادة الصادقة، وبين الرهبة بالالتفات إلى وبال المعصية، وبطلب المعونة من الله والتوفيق للخلاص من المعاصي واستحقاق عقابها

1 ـ سورة الفرقان: الآيات / 64 - 66. (*)

الأليم. يا أصحابنا ما أجل قوله في وصف عباد الرحمن: (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) فإن هذا هو الاخلاص بالعبادة وفيه السلامة من الرياء الذي يسري في العبادة كدبيب النمل فإن بعض الناس لا تخطر المراءاة للناس في باله عند عبادته ولكنه ينشط للعبادة بين الناس ويكسل إذا خلا بنفسه. وهذا من داء الرياء الكامن. وأين هؤلاء من عباد الرحمن الذين يغتنمون

الخلوات وظلام الليل فينهضون بالنشاط والاقبال إلى عبادة الله. ما أشرف هذا التعليم المحيي للروح. إقرأ يا شيخ:

الشيخ: (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)[1] . القس: يا حبذا هذا التعليم الفائق في نظام المعاش وإعانة النوع ونظم أمر العيال ووضع الانفاق مواضعه حسبما تقتضيه الحاجة ومواقع الحكمة. وإنه يقول إن هؤلاء الكاملين ينفقون ويكون إنفاقهم مستقيما على الحكمة لا يميل به التقتير إلى التقصير واتباع رذيلة البخل والاخلال بواجبات النوع. ولا يميل به الإسراف إلى عبث السفه المؤدي إلى القصور عن الواجبات. وإلى ارتكاب الممنوعات. وإلى عادة تقلق على بني النوع نظام معيشتهم. إقرأ يا شيخ. الشيخ: (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس

1 ـ سورة الفرقان: الآية / 67. (*)

التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا)[1] . القس: إن هذه الأمور كانت منزجرة فيما تقدم. ولكن أهميتها العظمى في العرفان ونظام الاجتماع أوجبت على الحكيم الهادي أن ينص عليها بشديد الموعظة والتهديد والوعيد. الشيخ: (إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما * ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى ربه متابا)[2] . القس: هذا هو التعليم الجلي على الحكمة والداعي إلى الصلاح والهادي إلى الرشد والدال على باب الرحمة والمبين لحقيقة التوبة بتطهير النفس بالأعمال الصالحة والمبشر بالنجاة والفوز والمعرف برحمة الله وجلاله وغناه، والمبين لوجه العفو وحسنة وأهلية التائب له. فإن من رجع عن كفره وفساده وندم على ما فرط منه ووطن نفسه وعاهد ربه على عدم التلوث بتلك الرجاسات وتطهر بالأعمال الصالحة ومنها الخروج من عهدة حقوق الناس فإنه يزكو ويرجع إلى الله رجوعا حقيقيا بالعبودية الصالحة وينزوج في زمرة الأبرار فهو الأهل للعفو عما سلف منه. إلا أن البيان يضيف عما في هذه التعاليم من كشف الحقائق وحسن الإرشاد وسمو التعليم، وأن نورانيتها هي التي تهدي إلى كنوزها الفائقة. إقرأ يا شيخ. الشيخ: (والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا

1 ـ سورة الفرقان: الآيتان: 68 - 69.

2 . سورة الفرقان: الآية / 70 – 71. (*)

كراما)[1] . القس: إنه ليطربني قوله مروا كراما. فإنه يعلم بأداء الوظيفة الصالحة لذلك المرور حسبما يقتضيه الحال والمقام من الأعراض، والموعظة، والنصيحة، واللين، والشدة، والزجر، والتأديب، فإن العامل بالوظيفة كريم، والمهمل لها لئيم. إقرأ. الشيخ: (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا)[2] . القس: باكيا متضرعا اللهم لك الحجة البالغة فوفقنا ونور قلوبنا واشرح صدورنا وأعذنا من صمم الجهل والعناد وعماية العصبية والغواية.

الشيخ: (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما)[3] . القس: ما أكرم هذا التعليم

لبقاء النوع الانساني ودوام الحنان العائلي وكف النفس عن الخيانة مع النساء الأجنبيات والتنزه عن رذيلة الحسد للناس. ومن أهم ما تقر به العين من الأزواج والذريات هو لزومهم لجادة التقوى والصلاح ومن ذلك ينشأ الخير والاستراحة بهم. وزاد في تأكيد ما مضى من التعليم الفاضلة أنه ينبغي لعباد الرحمن أن يسعوا في تكميل أنفسهم وتهذيب أخلاقهم بأن يطلبوا أن يكونوا بأقوالهم وأحوالهم وأعمالهم وأخلاقهم قدوة للمتقين وأدلاء على الخير والهدى..

---

1 ـ سورة الفرقان: الآية / 72.

2 . سورة الفرقان: الآية / 73.

3 . سورة الفرقان: الآية / 74. (*)

زدنا يا شيخ من هذه الحكم الروحية والآداب المدنية والاجتماعية والتعاليم السامية. الشيخ: فقرأت من سورة المعارج المكية في صفات السعداء وأخلاقهم الفاضلة (الذين هم على صلاتهم دائمون)[1] . القس: يريد أنهم يصلونها عن رغبة في الطاعة ومعرفة بعظمة المعبود وشوق إلى شرف مناجاته. لم تكن صلاتهم عن تكلف فيقطعها الكسل ولا عن رياء فيهملونها في الخلوات. الشيخ: (والذين في أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم)[2]

القس: يعني أن إعانتهم لذوي الحاجة من الناس لم تكن بتكلف تابع للسوانح الوقتية من دواعي الهوى والخجل والرياء فتكون اتفاقية تابعة لهذه السوانح إذا غلبت على الحرص والبخل. بل جعلوا في أموالهم لإعانة المحتاجين حقا معلوما حسب فرض الشريعة وفرض رحمتهم لا ينقصه الشح يعينون به السائل ومن حرمه الناس من المعروف لأجل عفته وعدم سؤاله. الشيخ: (والذين يصدقون بيوم الدين * والذين هم من عذاب ربهم مشفقون)[3]

القس: هؤلاء الذين تركن النفس إلى كمالهم باطمئنان فإن الانسان في هذه الدنيا لا يكمل له كرم الأخلاق في السر والعلن إلا إذا كانت نفسه دائمة الشوق إلى رفعة ونعيم عظيم باق تستحقر دونه زخارف الدنيا الفانية وأئمة الرهبة من عذاب تهون دونه مصاعب الدنيا المنقضية وشدائد محالفات الهوى والغضب وحب السمعة. وإن المصدق بيوم

---

1 ـ سورة المعارج: الآية / 23.

2 . سورة المعارج: الآيتان / 24 – 25.

3 . سورة المعارج: الآيتان / 26 – 27. (*)

الدين هو من لا يتغافل عنه ولا يتناساه ولا يتساهل في أمر جزائه وثوابه وعقابه بل هو مشفق من عذاب ربه دائما. فهنيئا لهؤلاء الكرام. الشيخ: (والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت إيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون)[1] .

القس: ما حال العادين على غير أزواجهم والمتعدين حدود الشريعة وشرف الانسانية. أما إن الزنا أضر شئ على المجتمع الانساني. وحياة الفرع والحنان العائلي.

الشيخ: (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون * والذين هم بشهاداتهم قائمون)[2].

القس: ما أكرم الراعين لأماناتهم في كل ما يؤتمنون عليه، ولعهودهم مع الله ومع الناس والقائمين بشهاداتهم على حقها وحقيقتها من دون كتمان ولا تبديل ولا تحريف. زدنا يا شيخ زادك الله من فضله.

الشيخ: فقرأت من سورة الحجرات الآية 10 : (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون).

القس: إن الاصلاح بين الناس هو قوام النظام وحياة الاجتماع. فليتق الناس ربهم من إهمال الاصلاح وليطلبوا رحمة الله بالنهوض إليه. الشيخ: الحجرات الآية 11 : (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا

---

1 ـ سورة المعارج الآيات / 29 - 31.

2 . سورة المعارج. الآية / 32 – 33. (*)

منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون).

القس: أيها الساخر إن لم تكن لك تقوى تصدك ولا شرف يردعك فاترك السخرية حذرا من أن يكون من تسخر به خيرا منك عند الله وعند الناس فتجلب الهزء والفضيحة على نفسك. أيها العائبون للخلق لا تنبهوا الناس على عيوبكم فلا تلمزوا الناس بالعيب ولا تذكروهم بألقاب السوء.

الشيخ: الحجرات الآية 12 (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم).

القس: لا ينهى عن ظن الخير الذي تحسن به الروابط وتتأكد به علائق الألفة ويصفو به الاجتماع ولكنه ينهى عن ظن السوء المؤسس للبغضاء والنفرة والمثير للشر. فإن بعض الظن إثم وخطأ وظلم للمرئ وسبب للتهجم بالبغضاء والأذى. وإن التجسس مثار الفساد ومنبع الشر والفتن ومقلق لنظم الاجتماع ومكدر لصفائه.

وإن الغيبة شر ما يغوص البغضاء، ويقدح بالشرف ويخدش العواطف ويكشف عن رذيلة المغتاب إذ يغفل عن عيوب نفسه ويذكر عيوب الناس. أفلا تنظرون إلى هذا المثل الفائق في المطابقة في التنفير والتوبيخ والاحتجاج إذ يقول أيها المغتاب إن الذي تغتابه أخوك وإن عرضه أمانة عندك. وهو في غيابه كالميت لا يقدر أن يحمي شرفه وعرضه من لسانك. فلماذا تملأ فمك من غيبته، وتنهش عرضه بأنياب كلامك أو لست تكره أن تأكل لحم أخيك الميت. فلماذا تفعل مثل ذلك بغيبتك لأخيك الغائب: زدنا يا شيخ من هذه التعاليم الروحية المدنية. الشيخ: إن تعاليم القرآن بالأخلاق الفاضلة كثيرة تحتاج إلى عقد فصل لها بالانفراد بعد ما نفرغ من تعاليم القرآن في الإلهيات والنبوة. القس: يا شيخ: ألا تذكر لنا ما في القرآن من المعارف الإلهية،

وتبين من ذلك ما يحتاج إلى البيان. لكي ننظر فيما تذكره ونبحث عن الحقيقة.

الشيخ: ها أنا أذكر بعون الله ما جاء في القرآن الكريم من المعارف وما أورده من حججها بالنهج الواضح الذي يرتاح إليه الوجدان الحر، ويأنس به العامي والفيلسوف. ولكن هل تسمحون لي بأن أجري على طريقتي الإسلامية في احترام القرآن الكريم عند ذكره بتمجيده اللازم علينا. وأن أقول عند تلاوته (قال الله جل اسمه).

القس: لا نمنعك أن تقول ما تقتضيه ديانتك. ولكن هل تريد منا أن نقبل منك كل ما تدعي أنه حجة واضحة. وهل تجبرنا على أن نعترف لك بمجرد قولك. أليس من اللازم أن تكون الحجة معلومة صالحة لأن توصلنا إلى العلم بالشئ المجهول والدعوى المجهولة. الشيخ: لا بد من ذلك.

عمانوئيل: إني أرى بين أهل هذا القرن والذي قبله حججا لازالت تقلقني لأني أجدها مبنية على تخمينات لا تبلغ أضعف مراتب الظن فيبنون عليها أمورا كبيرة. ومع ذلك يسمونها (العلم) العفو يا شيخ فإني أقول بحريتي وحرية وجداني الحقيقة إني أرجو أن لا تأتينا بمثل هذه الحجج. الشيخ: ألا تذكر هذه الحجج وتبين وجه انتقادك فيها. لكي نعرف أنك تصيب بالانتقاد، أو إنك تتهجم على الحجج الصحيحة بدعوى الخلل. فأوضح ما عندك.

مذهب داروين في أصل الأنواع

عمانوئيل: يا شيخ. ألست تسمع هذا الصوت العالي واللوي الهائل بين أهل العصر فيما أحدثه (داروين) من مسألة أصل الأنواع. وتحول بعضها إلى بعض، ورجوع جميع أنواع الحيوانات إلى أصل واحد، وكذا النبات، بحيث صار من المسلمات في هذه المسألة أن الانسان متحول من القرد المتحول عن غيره، وحين امتلأت أذناي بهذا الصوت وهذا اللوي قلت: إن شرف العلم وناموس الفضيلة وحق الحقيقة وحفظ الشرف تقتضي أن يكون ذلك مستندا إلى البراهين الكبيرة العالية المستندة إلى واضح الحس وبداهة الوجدان وعلم اليقين. إذن فلا يحسن للانسان أن يجهل أمرا يعتمد على هذه البراهين.. فتصفحت أقوال داروين وبخنر وغيرهما في ذلك فرأيت الذي ذكروه لذلك من التشبثات أمورا.

الانتخاب الطبيعي

الأول: الانتخاب الطبيعي بدعوى أن الطبيعة لازالت تنتخب الأرقى فالأرقى من صفات النوع إلى أن يتحول إلى نوع آخر وهكذا (وقال أصحابهم) إلى أن بلغ الانتخاب إلى أرقى القرود ثم إلى الانسان الأسود ثم إلى الأبيض القوقاسي.

اليعازر: داروين ولد سنة 1809 وكل عمره ثلاث وسبعون سنة. فهل شاهد تحول الأنواع بعضها إلى بعض كتحول القرد إلى الانسان. وهل شاهد كون الطبيعة تنتخب الأرقى فالأرقى من صفات النوع من دون خضوعها للتأثرات الخارجية التي تتجاذبها مرة إلى التقهقر والانحطاط ومرة إلى التحسين بحسب استعداد المؤثرات وفعاليتها كما هو المشاهد بالتجربة. إذن فمن

أين علم الانتخاب والتحول سنة في الطبيعة وناموس في الأحياء.. ولو أن داروين شاهد التحول في بعض الأنواع مرارا.

وشاهد انتخاب الطبيعة بدون المؤثرات السائدة بناموسها في العالم ونقل له بالنقل القطعي أمثال ذلك مرارا. لما حسن منه في شرف العلم التجريبي أن يجعل ذلك سنة جارية في الطبيعة في جميع الأحياء من مبدأ نشئها. فإن هذه المشاهدات والمنقولات في بعض الأحياء لو كان لها حقيقة ودامت مائة قرن لما أفادت في دعوى داروين أضعف الظنون الاستقرائية. فإن من دون ذلك في قانون العلم وشرف الأدب عقبة لا يمكن عبورها. نعم، ربما يتوهم عبورها بطفرة وعدم المبالاة بالمسؤولية، ألا وإن من تلك العقبات جواز أن تكون تلك المشاهدات وتلك المنقولات التي افترضناها له إنما هي من تأثرات روحية جارية على نواميس الخلق الخصوصي. حتى لو فرضنا الخلق الخصوصي الناظر إلى الغايات احتمالا تشكيكيا. فكيف به وهو الحقيقة الراهنة المتجلية للبرهان وبداهة الوجدان.

ومن العقبات أن تلك المشاهدات والمنقولات التي افترضناها له خياليا يجوز أن تكون ناشئة من تأثرات زمانها الخاص وإن كان قرونا متعددة، تصادف فيها استعداد موجوداتها الخاصة مع المؤثرات المختص كيانها بتلك القرون. فمن أين يكون ذلك سنة جارية في الطبيعة. هذا كله لو فرضنا أن داروين شاهد في قرون كثيرة ما افترضناه له، ونقل له أمثال ما شاهد. ولكن من أين هذا الفرض ومن أين يكون خيال هذا الحلم.

يا عمانوئيل هل كتب داروين شيئا يستند إليه لهذه الدعوى الكبيرة المهولة. عمانوئيل. قد رأيت كتاب داروين (أصل الأنواع) فرأيته يستند إلى تربية الحمام ومراسة أحواله بعناية جمعيتين خصوصيتين في لندن. وقد أشبع الكلام في الكتاب المذكور في جهات التباين بين أقسام الحمام. وصرح بأن التباينات بينها متنوعة إلى حد يسوق إلى العجب. ومع ذلك قال (ومهما كانت الفروق بين تولدات الحمام ذات شأن فإني على تمام الاعتقاد بأنها متسلسلة من حمام الصخور (" الكلمباليفا).. مع أنه قال أيضا (إننا لا نعرف من حمام الصخور سوى نوعين أو ثلاثة أنواع ليس لها شئ من صفات التولدات الأهلية) أي من أنواع الحمام الأهلي. ثم قال (قد آنست من نفسي زمان اشتغالي بتربية الحمام أن صعابا كثيرة تحول دون الاعتقاد بنشئها عن أصل أولي معين. لكن جملة من الناس على اعتقاد تام بأن التولدات المختلفة نشأت من أنواع أولية معينة). يا والدي إذا استدل الانسان بالوجدان والعيان على التباينات العجيبة بكثرتها، وأنه ليس لحمام الصخور شئ من صفات الحمام الأهلي. فهل يصح منه في شرف العلم أن يطير بالنتيجة إلى القهقري والعكس ويقول أنواع الحمام متسلسلة من حمام الصخور. فانظر معرب أصل الأنواع صحيفة 67 إلى 79 وهل من شرف العلم أن يقتنع الناس في هذه الدعوى الكبيرة والنتيجة المعكوسة بقول داروين (إني على تمام الاعتقاد. جملة من الناس على اعتقاد تام).

ولو أن رجلا اقتصر على فتواه بأن أنواع الحمام الأهلي متسلسلة من حمام الصخور، ويدعي العلم بزمان تأهلها وتشعب أنواعها، والاطلاع على حالات اتصالها وتسلسل تولدها من تلك الحلقات ويكون ذلك بنحو الفتوى المقدسة ثم يفتي بعد ذلك بأن جميع الأحياء تنتهي إلى أصل واحد لكان أهون عليه من أن يتعب القلم بذكر المقدمات التي تعاكس دعواه.

اليعازر: إن الذي تساعد عليه التجربة، والمشاهدة هو أن الأنواع لها بحسب العوامل العرضية سنة التحسن والانحطاط المحدودين بأن لا تخرج أفراد النوع عن صفته. ومن جملة العوامل تأثيرات الصقع والغذاء والتربية وغير ذلك ومنها ما هو سريع التأثير ومنها ما يبطئ لأجل منازعته مع تأثير العامل الأول. فإن النسل الزنجي إذا تحول إلى بلاد القوقاس يبطئ تحسنه بمقتضى طبع الصقع إلى أجيال عديدة يتزوج فيها بالتحسن شيئا فشيئا، وقد يكون أسرع من ذلك بواسطة التزاوج. وكذا النسل القوقاسي إذا انتقل إلى بلاد الزنج فإنه يبطئ انحاطه التدريجي وقد يكون أسرع بواسطة التزاوج. وربما تكون تأثيرات بعض البلاد تتبدل في البلاد الأخرى إلى تأثيراتها في نحو جيلين. فقد شاهدنا رجالا مع نسائهم من بلاد سنتها علو مقدم الرأس على الجبهة وتثليث الرأس وهم على تلك السنة قد انتقلوا إلى بلاد سنتها استدارة الرأس واعتدال وضع مقدمه على الجبهة فأخذ نسلهم في هذه البلاد يتحسن بحيث يزيد الولد الثاني على الولد الأول في التحسن حتى صار الجيل الثاني على سنة هذه البلاد. وشاهدنا العكس أيضا. ومن المعلوم أن للأقاليم تأثيرا تمتاز به في الألوان فإنه لا يوجد في خيل بلاد العرب ما نصفه مثل أبيض خالص البياض والباقي أحمر أو أشقر أو أسود كما يوجد بكثرة في بلاد الترك.

القس. ويقول داروين في أصل الأنواع حسبما هو مذكور في تعريبه ص 60 إن الدواجن الحالية قد وجدت صورها في بعض النقوش المصرية القديمة وما عمر من البقاع حول بحيرات سويسرا وإن هذه الصور لا تكاد تختلف مع تولداتها الحالية اختلافا ما. إنتهى كلامه. وهذا الأمر كما يدل على قدم المدنية واقتناء الدواجن الأهلية فكذلك يكون من أقوى الأدلة على أن النوع لا تغير الأدوار الطويلة والتربية صفاته النوعية بالانتخاب الموهوم. نعم قد يقتضي التزاوج وبعض العوارض أن تتغير بعض صفاته تغيرا ما. ولكن بالتمادي على الاستقامة أو زوال العوارض يرده إلى صفاته الأصلية ناموس الوراثة النوعية بتقدير الله للتناسل فقد شاهدنا من تزاوج الحمام الأبيض والحمام الأحمر أن النسل الأول قد يخرج ملونا. ولكن النسل الذي يحصل بتولدات متعددة ترده الوراثة إلى لون واحد من أصوله. ومما يذكره التاريخ أن حمام الرسائل استعمل في حرب طروادة التي لها نحو ثلاثة آلاف سنة فهل وصل الانتخاب الطبيعي بحمام الرسائل إلى زينة الطاووس أو قوة النسر؟؟

وفي معرب أصول الأنواع ص 261 و 262 لقد تكلمنا في الفصول الأولى من هذا الكتاب في التغايرات وأثبتنا أنها كثيرة متعددة الصور متنوعة الأشكال في الكائنات العضوية إذ تحدث بتأثير الايلاف. وأنها أقل حدوثا وتشكلا إذ تنشأ بتأثير الطبيعة المطلقة وغالب ما نسبنا حدوثها للمصادفة العمياء على أن كلمة (مصادفة) اصطلاح خطأ محض يدل على اعترافنا بالجهل المطلق وقصورنا عن معرفة السبب في حدوث كل تغاير معين يطرأ للأحياء. إنتهى. وقال أيضا ص 279 و 280 وكثيرا ما تستغلق دوننا وجوه الرشد في اكتناه دستور محكم نسترشد بهديه في ظلمات هذه الأبحاث فقد لاحظ (جفروي) أن بعض التشوهات الخلقية الحادثة بالطبيعة كثيرا ما تتشارك في الوجود وأن غيرها يندر تشاركها كل ذلك ونحن غلف لا نعرف سببا ننسب إليه وجودها على تلك الحال. وأية حالة أبعد تشابكا في حلقات صلاتها من تبادل النسبة التام بين بياض لون السنانير وصممها.

عمانوئيل: يا سيدي فياليت هذه الاعترافات الحقيقية قد صدت داروين وأتباعه عن طوفة الإيمان الغيبي بمسألة تحول الأنواع وتسلسها عن أصل واحد، بل كان يكفيهم ما يحدده الحس والشعور التاريخي من أن لكل نوع حدا وسطا تتزاوح عليه آثار التحسين والانحطاط بحسب أسبابها إلى حد محدود في الصورة النوعية. ويا ليتهم لم يتركوا الخيال قلقا من أوهام الحلقات المفقودة دائم الأسف عليها كأنها أنس بها دهرا ثم أصبح ثاكلا لها. وكم وقع الأساتذة في خجل الخيبة حينما خيل لهم الشوق المستعجل أنهم وجدوا حلقة من حلقات الاتصال. كما تجد ذكره في الصحف. أما آن لأهل العلم التجريبي أن يسلوا هذا الفقيد الموهوم، هب أنا وجدنا في قاع البحار حجرا متعضيا تعضيا طبيعيا لا صناعيا ولا بناموس استحجار الحيوان. أو وجدنا في شواطي البحار مادة جلاتينية تهتز بحركة حيوية لا ميكانيكية فلماذا نطفر ونؤمن دفعة بأن هذه من حلقات الاتصال في تسلسل الأنواع؟ ثم ننظم سلسلة طويلة وهمية من حلقات وهمية لا تحصى؟ ولماذا لا نقول: إن ما وجدناه نوع من الكائنات التي لا يحصي الاستقراء أنواعها. ولا نتعدى عن نوعيته حتى يتجلى لنا بالحس تحوله إلى نوع آخر فنثبت ذلك في دفتر العلم التجريبي ونقف بشوف العلم على هذه التجربة حتى يتجلى لنا بالحس تحوله أيضا إلى نوع آخر. وهكذا فنتكلم كلاما علميا تجريبيا. يا سيدي وفي معرب أصل الأنواع أيضا ص 132 (إن التفريق بين التنوعات والأنواع لا يصح إلا بشرطين: (أولهما): اكتشاف الصور الوسطى التي تربطهما) يا سيدي فمن أين اكتشفت الصور الوسطى الرابطة في التحول. هل يكفي افتراضها خياليا بتربية الحمام عشرين سنة. وأيضا ص 132 . (ثانيهما): معرفة مقدار التغايرات المحدودة التي تقع بينها) ولم يأتي بشئ في هذا الشرط.. بل قال ص 133 بعد كلام هو أعرف بمحصله في الحجة (بيد أنا لا نفقة لها معنى ولا نكشف عطاء إذا اعتبرنا أن الأنواع قد خلقت خلقا مستقلا).

يا سيدي إذا قلنا إن الأنواع خلقت خلقا مستقلا على طبائع تجري على نواميسها في مواليدها فهل يتعذر على العلماء درس طبايعها وعوارضها وما يلائمها وما يضرها وما يصلحها فلا يفقه العلماء لها معنى ولا يكشفون عن أمرها بدرسهم غطاء؟ إذن فكيف درس العلماء طبايع الأحياء وأعضائها ودونوا طبها وطبيعياتها قبل مذهب داروين. وهل قلب مذهب داروين نظرياتهم السابقة إلى طب داروني وطبيعيات دارونية قد بنى فقهها وكشف غطائها على ارتباط الأحياء بالتسلسل من نوع واحد.

متى كان ذلك. أليس كل ما في العلم من طب وطبيعيات إنما هو من درس أولئك السلف من الأساتذة الذين لم يخطر مذهب داروين ببالهم. وعلى أساسهم بني الخلف وترقى في اكتشافاته. أم يريد داروين أن التشابهات لا يفهم لها معنى بالخلق المستقل للأنواع. فهل يمتنع حصول التشابهات في الخلق المستقل. وهل بالقول بتسلسل الأنواع الموهوم زاد فقها بالتشابهات وكشفا لغطائها وفاق به القائلين بالخلق الخصوصي سواء كانوا إلهيين أو ماديين؟

داروين والتنازع في البقاء لحفظ الصفوف العالية

اليعازر: ومما يجعلونه في احتجاجهم على تسلسل الأنواع وتحولاتها مسألة حفظ الصفوف العالية في التنازع في البقاء

وارتباط هذه بمسألة الانتخاب الطبيعي وقد أشبع داروين فيها الكلام.

عمانوئيل: يا سيدي وهل ذكر في ذلك إلا ما هو السنة الجارية في الكائنات الحية من أن بعض الحيوانات يتغذى ببعض. وبعض الحيوانات يعادي بعضا آخر. وبعض النبات يحتاج في حياته وترقيه إلى محل صالح يتمتع به في نموه بحيث تضوه في حياته ونموه مزاحمة النبات الآخر. وبعض النبات يكون ساما للنبات الآخر. وبعضه يكون مصلحا للآخر. وبعض أنواع الحيوان يبيد. وبعض النبات يترقى ويتحسن بعناية الفلاحة. يا والدي ولتملأ الصحف من أمثلة ذلك. لكن من أين يدل ذلك أن الغاية منه قصدا أو صدفة إنما هو حفظ الصفوف العالية. ومن أين يجئ اتصاله بالانتخاب الطبيعي. وبأي وجه يرتبط بتسلسل الأنواع. ألسنا نرى أقسام السباع تقتل الانسان وتأكله وتعاديه. والحيوانات السامة كالحية والعقرب تعادي الانسان وتقتله. وهذا المكروب بالاكتشافات الحديثة يقتل الانسان بالمهاجمات الوبائية. أو ليس الانسان الذي منه العالم والفيلسوف والقرقاسي هو أعلى صفوف الكائنات الحية. وقد شاهدنا في بعض الوراي في أمكنة كثيرة سوادا متراكما في الأرض فقصدناه فوجدناه مشتملا على قسمين من النمل. القسم الأصفر النحاسي الصغار والقسم الأسود الكبار الطيار ذي الأجنحة.

وقد اجتمع النمل الصغار على الكبار بتهاجم كبير يتعلق بالنملة الكبيرة جماعة كثيرة من الصغار حتى تقتلها فكانت تلك القطعة مملوءة من النمل الكبار ما بين أسير، وفي آخر رمق، وقتيل، ومأكول بعضه. فهل كان ذلك لحفظ الصف العالي؟ وإن المنقولات من أصحاب الأحافير تفيد أن كثيرا مما وجدوه من الحيوانات البائدة هو من أعلى صفوف الحيوان في كبر الجثة وإتقان البنية كما أودعوا صورها في المتاحف.

ودع عنك ما لم يعثروا عليه. فمن ذلك (البرونتوزورس) ويقدر طوله بخمسة عشر مترا. ومنه. (الديبلودوكس) ويقدر طوله ببضعة عشر مترا وعلوه بخمسة أمتار. ومنه (مثلث القرون) من ذوات الأربع من نحو فرس البحر وقدروا طوله بثمانية أمتار، وعلوه بمناسبتها في ذوات الأربع. ومنه (الميلودون) وهو عظيم الجثة هائل قدروه بأنه يأخذ النخلة الكبيرة فيميلها إليه. ومنه (الكسلان) وهو قريب من الميلودون. ومنه (الموا) في زيلاندا وهو طير قدروا علوه بنحو أربعة أمتار وأكثر. ومنه (دينوسور) زحاف مجنح عظيم هائل. ومه (دينو سور) زحاف كبير قدروا طوله عشرة أمتار وعلوه من قمة رأسه إلى إبهام رجله نحو خمسة أمتار.

اليعازر: ومن الظرائف أن بعض الصحافيين والكتبة المنهمكين برأي داروين لما رأوا أن انقراض هذه الصفوف العالية من الحيوان قادح في مذهب داروين في التناحر في البقاء قال: إنها انقرضت بأسباب طبيعية اقتضاها الانتخاب الطبيعي وحل محلها حيوانات أصغر حجما وأضعف بنية ولكنها أقرب إلى حاجيات الناس. إنتهى. ويا ليت هذا الكاتب يبين أنه متى درس طبايع هذه الحيوانات المنقرضة فعلم أن الحيات، والعقاب، والسباع، والسبع المكلوب بطبعه هي أقرب إلى حاجيات الناس من هذه المنقرضة. ولماذا لم تجتمع المنقرضة في الوجود مع ما هو أقرب إلى حاجيات الانسان. هل تقول: إن علم هذا الكاتب عظيم كحكمة الانتخاب الطبيعي وشعوره الراقي؟

عمانوئيل: ومن حججهم على تسلسل الأنواع ما يجدونه من المشابهة في بعضها لبعض كمشابهة بعض القرود لبعض أصناف الانسان. هل ذلك لأنهم لم يأذنوا لصدفة الطبيعة العمياء أن لا توجد الأنواع متشابهة في بعض أجزائها؟ أو لم يأذنوا للخالق الحكيم بأن يخلق الأنواع متشابهة لكي يدل على قدرته الباهرة بجعل التباين العظيم بين الأنواع في الخصائص الكبيرة والآثار العظيمة مع الاختلاف اليسير في الأعضاء؟ أتراهم لم يعطوا امتيازا في إيجاد الأنواع إلا على نحو التسلسل؟ ومن حججهم أن بعض الأعضاء لا فائدة فيها فهي أثرية في هذا النوع المتحول قد بقيت من آثار النوع السابق الذي كان محتاجا إليها. ومثلوا لذلك في الانسان بعضلات الأذن، والزوائد الدودية في المعاء الأعور. يا ساداتنا وهذا من أدهى الدواهي المعرقلة للعلم عن سيره في البحث عن الحقائق واكتشاف أسرارها واستخراج كنوزها.

أما إن العلماء لا غيرهم يتمجدون باعترافهم بأن في الكون حقائق كبيرة كثيرة لم يكشف البحث عن نقابها فهم يمدون يد السير في العلم إلى رفع حجابها. فهل يجعل الجهل دليلا علميا؟ من أين علم أن عضلات الأذن تنحصر فائدتها بالتحريك فلا فائدة لها في الانسان لا في تعديل وضع أذنه ولا في حاجيات جهاز سمعه؟ من أين علم أن الزوائد الدودية ذات الصمام لا حاجة لحياة الانسان بها؟ لماذا لا يظن أن العناية بحياة الانسان قد وظفت الدودية بوضعها الخاص لأمر يعجز عنه الأعور البسيط. كما جعلت الأعور في البط أطول مما تقتضيه النسبة مع باقي الحيوانات. يا ساداتنا هذه حجج أصحاب تسلسل الأنواع. هل ترون قعقعتها تكون ظنا ولو من أضعف الظنون؟ هل ينفخ فيها روح العلم قول دارون (بيد أنا لا نفقه لها معنى ولا نكشف عنها غطاء إذا اعتبرنا أن الأنواع قد خلقت خلقا مستقلا)؟؟

القس: يا عمانوئيل كأني ببعض المنهمكين بالمذهب الداروني يقولون لك في جواب كلامك وبحثك (عذرك جهلك) كما كتبه شبلي شميل لبعض العلماء الباحثين في هذا الموضوع.

عمانوئيل: يا سيدي إن ناموس العلم قد أدبني على أن أعترف بالجهل بكثير من الحقايق التي لا أهتدي لها سبيلا بنور الحجة العلمية الكافية. وما نقص الانسان إلا بالجهل المركب ووهن الحجة ولئن قال: لي قائل (عذرك جهلك) كما قيل لبعض العلماء الباحثين بتحقيق حينما أعي القائل جوابه فإني أرجو من سماحة هذا القائل لي أن يعلمني ولا يضطهد الانسانية والعلم بهذا القول السهل علي.. والصعب على الشرف.

مذهب داروين ونزاعم الأعضاء الأثرية

القس: إنهم يتشبثون لنزاعمهم في التحول ببعض أجزاء الانسان وبعض الأجزاء من كثير من الحيوان التي يسمونها (أثرية) كالعضلات الأذنية. وكالزوائد الدودية في المعاء الأعور. وكالثديين للمذكور من كثير من الحيوان.

عمانوئيل: من أين علموا أن هذه الأجزاء لا حاجة فيها ولا عمل لها لا في حياة الشخص ولا في بقاء النوع حتى إنهم من أجل علمهم هذا حكموا بأنها أثرية أي أثر باق من التحول عن النوع الذي كان ينتفع بها؟ من أين علموا أن فائدة العضلات في البدن منحصرة بالتحريك لكي يقولوا إن الانسان لا يحتاج إلى تحريك أذنيه فيستنتجوا من ذلك أن عضلات أذنه أثرية باقية من تحوله عن الحيوان الذي يحتاج إلى تحريك أذنيه؟ إذن فماذا يقولون في العضلة الهرمية على عظم أنف الانسان. والعضلة

الضاغطة للأنف. وماذا يقولون في عضلات الحياة الآلية التي لا تتعلق بالإرادة والتحريك كالتي تكون في الحوصلة المرارية والقناة الصفراوية المشتركة. وفي كؤوس الكلية، وحوضها، والحالبين وفي طبقات الشرايين، والأوردة – وماذا يقولون في العضلة الهدبية الموضوعة على الوجه الظاهر للطبقة المشيمية للعين، وفي العضلة الركانية في باطن الأذن. وأما العضلات الخاصة بالحياة الإرادية التي يسمونها عضلات الحياة الحيوانية فإن جملة كثيرة منها ليست لأجل موافقة الإرادة بتحريك العضو بل هي لإرجاع العضو إلى وضعه أو مركزه بعد تحريكه بالإرادة أو بالقسر. وذلك كالمحيطة الجفنية، والشاذة للجفن، والخافضة للأنف، والعضلة الباطنة للأضلاع. ولماذا لم يحتملوا أو يظنوا أقلا أن الفائدة في عضلات الأذن الكبار والصغار هو حفظ مركز الصماخ وصورته عندما تطرأ عليه الحركات القسرية فتكون بانقباضها الطبيعي بمثولة المرونة التي ترد الجسم المرن إلى مركزه وصورته كالعضلات الباطنة للأضلاع. هب إن العلم سامحهم في جميع ذلك فلماذا لم يقولوا إن عضلات الأذن جزء لا فائدة فيه كما قالوه في الغدة الرقية وبعض الغدد الوحيدة. ولماذا يحكمون بأنها أثرية انهماكا بمذهب داروين أو ليس الواجب في شرف العلم أن الجزء الذي لا نعرف فائدته يوكل أمره إلى مستقبل العلم التجريبي عسى أن يوقف الناس في معرفة فائدته على قدم ثابتة. فإنه يوجد في مركز الشبكية عند النقطة التي تقابل محور العين أثر مستدير مرتفع مائل إلى الصفرة يقال له بقعة (سويمرين) وفي مركز الأثر انخفاض يقال له الحفرة المركزية. وإلى الآن لم تعرف فائدة هذا الأثر.

الزوائد الدودية في المعاء الأعور للانسان

ومن أين علموا أن الزوائد لا حاجة للانسان إلى وضعها الخاص في جهاز هضمه حتى حكموا بأنها أثرية من طول المعاء الأعور في سائر الحيوانات قد خرجت عن وضعها الطبيعي لاستغناء الانسان عن مقدارها من الأعور. فكأنهم لم يعرفوا تفاوت الحيوانات الفقرية في جهاز الهضم بحسب حاجاتها الخاصة في طبيعتها النوعية. فالحيوانات المجترة جعل لها الكرش بدلا عن المعدة وهو وعاء عظيم بالنسبة إلى المعدة من الانسان خشن صلب ويليه بطون أخرى صغار من فوق إلى تحت مضاعفة الحجب والصفاقات والسبب في كثرة بطونه احتياج هذا الحيوان لزيادة الهضم فإن نهمته وكثرة أكله لا تدعه يمضغ مأكوله جيدا حينما يظفر به وهذا عمله في أكله الرطب واليابس فتخزن هذه البطون مأكوله وتهضمه ليعيد عليه المضغ بالاجترار عند استراحته. ومعاء هذا الصنف من الحيوان أعظم من معاء ما لا يجتر مع حفظ النسبة بين الحيوانين في مقدار الجسم، والفيل ليس له كرش ولا معدة بل له معاء كثير التشبك والالتفاف وبعده معاء الدفع. وبعض الحيوانات لها مرارة وبعضها ليس لها مرارة قيل ومنها الإبل والبغل والفرس. وبعض الحيوانات الفقرية ليس لها طحال. وبعض الطيور لها حوصلة لهضم الشئ الصلب. وبعضها له بدل الحوصلة فم معدة واسع عريض. وبعضها له حوصلة وفم معدة. وبعضها لا حوصلة له ولا فم معدة بل له معدة مستطيلة. ولكثير من السمك والطير شعب تتشعب من معاها.

والمعاء الأعور من البط طويل بحسب نسبته مع باقي الحيوانات وقيل إن قسما منه يكون أعوره أطول من سائر البط. يا سيدي ولما كانت وظيفة الأعور هضم ما يقذفه اللفائفي وتطهيره من المواد المضرة المحتاجة إلى الهضم لكي يقذفه إلى

القولون خالصا من تلك المواد فتمتص منه الأوعية كيلوسا نقيا فربما كانت الزوائد الدودية تتناول من الأعور ما يعجز عن هضمه بسرعة فتهضمه بطبعها وضغطها له. وربما تكون مخزنا للإفرازات المضرة إلى أن تكسر عاديتها ثم تقذفها إلى المستقيم في نوبة لا يندس منها شئ في أوعية الغذاء وإن صمام الزوائد وإن كان ناقصا يشهد بأن لها عملا كبيرا وأنها نشوء ابتدائي فإنه ليس في المعاء الأعور في غير الانسان إلا صمام واحد في أوله وإن صمام الزوائد يرد القول بكونها أثرية فإنها إن كانت جزءا من الأعور قد خرج عن طبيعته فمن أين جاء الصمام؟ بل إن غلظ جدرانها يشهد بأن لها عملا كبيرا فإن كل معاء يكون أكثر عملا يكون أغلظ جدرانا. بل إن كثرة الغدد الوحيدة فيها كالأعور تشهد بأن لها عملا تحتاج لأجله إلى وجود الغدد وامتصاصها.

وإذا كانت الزوائد الدودية خرجت عن حالها الطبيعي فلماذا توجد فيها جميع أوعية الحياة العضوية على الوجه التام كما في الأعور وسائر الأمعاء. ولماذا لم تخرج هذه الأوعية عن حالها الطبيعي؟ هب إنا جهلنا فائدة الزوائد في حياة الانسان فلماذا نقتحم وننفي فائدتها ولا نرجو كشفها في مستقبل العلم إذا لم يعرقل في سره ولماذا نقتحم دعوى الأثرية فيها مع أنا نرى التفاوت والاختلاف الكبير في أعضاء الحيوان وخصوص جهاز هضمه بحسب حاجاته. فهل يمتنع في نظام الأعضاء وأعمال الهضم أن يحتاج الانسان إلى وضع الزوائد الدودية.

أثداء الذكور

ومن أين علموا أن فائدة الثديين منحصرة بالرضاع منهما فتكون في الذكر أثرية باقية من التحول عن الأنثى. هب أنهم علموا أن أثداء الذكور لا فائدة فيها أصلا فلماذا لم يقولوا إنها من أجزاء الحيوان الزائدة كما قالوه في غيرها. وكيف جزموا بأنها أثرية. ومن ذا الذي وماذا الذي أعلمهم بانحصار فائدة الاثداء في الارضاع؟ ألا. وإنا نجد لها في أثداء الانسان مظاهر تدل على أن لها مداخلة كبيرة في بقاء الفرد والنوع. منها: أنها تعصر من الأطفال الذكور والإناث في أيام ولادتهم فيخرج منها سائل كثير يشبه ماء العنب. وهذا يدل على أن غدتها تمتص إفرازات كثيرة لكي تعمل فيها أعمالا حيوية.. ومنها: أنها تتهيج في ذكور الانسان عند بلوغهم وابتداء نشوء المادة المنوية فتكبر الغدة ويلوح التغير على لون الحلمة والهالة ثم تتراجع عن تهيجها تدريجا بعد ما يأخذ مني الذكر بالانفراز بالاحتلام أو الجماع. وهذا يدل على مداخلة كبيرة للاثداد في مادة التناسل وإنها من جهازه. ومما يدل على ذلك أيضا ما عرف من حال المخصيين في طفوليتهم حيث ذكر جملة منهم أنهم وصلوا إلى سن البلوغ وتجاوزوه ولم تظهر هذه المظاهر على أثدائهم من التهيج وغيره. ومما يدل أيضا على ارتباط الثدي بجهاز التناسل والولادة أن الأنثى إذا لم يظهر ثدياها على مقتضى الطريقة العادية تكون عقيما لا تلد. وفي ما ذكرناه كفاية. بل قيل إن بعض الذكور قطعت أثدائهم بعمليات جراحية فانقطع نسلهم. فهل أنت يا شيخ تأتينا بمثل هذه الحجج في دعاويك.

الآلات الحجرية الصوانية

الشيخ: وأيضا قد وجدت في الحفريات في طبقات الأرض قطع كثيرة من الصخر تشبه في الوضع والهيئة بعض الآلات الجديدية كالفؤوس والمناشير والسكاكين وأسنة الرماح ورؤوس السهام فجزم الناس بلاريب بأنها آلات من صنع البشر قد صنعوها لأجل غايات مقصودة لهم في أعمالهم ونسبوها لعصر خاص كانت هي آلاته قبل إيجاد الآلات الحديدية وسموه العصر الصواني.. مع أن هذه القطع التي وجدوها لم يرها أحد مستعملة في غاياتها فلماذا لا يقول الناس: إن هذه القطع بهيئاتها الخاصة إنما هي من أعمال النواميس الطبيعة بسبب تأثرات عوامل الاستحجار المقرونة بأوضاع معداتها التي تنتج هذه الهيئات الخاصة. كما هو في صغار الصخور والصوان التي يكثر فيها أن تكون على أشكال هندسية. كالمسطح المستدير، وما يكون مثل نصف الداؤة، أو قطعة منها، وكالمخروطي بقاعدة هلالية أو كنصف داؤة مع التناسب في سمكه، وكالكرة، والشكل البيضي، والاسطوانة بقاعدة هي كنصف كرة أو قطعة منها. إلى غير ذلك من الأوضاع والهيئات.

وقد شاهدنا في سوق (سامرا) ملح طعام مؤلف من قطع صغار هي كأظرف ما يكون من أوضاع الأواني الزجاجية بأشكال هندسية متناسبة المقعر والمحدب في السمك والوضع تكون مثمنة ومسدسة وغيرها وربما يتوج تقعيرها وتحديبها بدرجات متناسبة محفوظة الوضع. إذن فمن أين علم الناس هذه القطع التي وجدت في الحفريات هي آلات صنعها الانسان لأجل غايات مقصودة له. هل رأى أحد ذلك بعينه. هل رءاها بخصوصها مستعملة في تلك. الغايات. أو ليست هذه الدعوى مثل دعوى

تحول الأنواع لا حجة لها إلا التخمين.

دلالة المصنوعات على إرادة صانعها وعلمه بالغايات وقصده لها

عمانوئيل: لا يا شيخ. هذا لا يشبه ما ذكرناه من مسائل التحول. إن الانسان إذا رأى ألوفا من هذه القطع الكثيرة جارية على ناموس واحد في الصلاحية للغايات فإنه يجزم بعلمه حسب الفطرة السليمة والوجدان الحر بأنها مصنوعة بالاختيار لأجل غاياتها. وإن الذي ذكرته من أسباب الشك لا يعده العقلاء إلا سفسطة ساقطة لا تقف أمام علم اليقين. ألا ترى عقلاء العالم ممن رأى هذه القطع أو سمع بها لا يزالون ثابتي الاعتقاد بأنها صنعت اختيارا لأجل غاياتها وإن لم يرها أحد مستعملة في تلك الغايات. الشيخ: ماذا تقول أيها القس في هذا الذي قاله عمانوئيل؟ القس: إنه تحقيق فائق وإيضاح للحقيقة، وبيان لما عليه البشر في أمورهم، فإن جميع الأفعال والموجودات والمصنوعات حتى كلام المتكلم لا ميزان ولا طريق لليقين في معرفة كون الصادر منها صادرا عن إرادة الموجد وشعوره وحكمته في قصده الغاية في إيجادها إلا هذا الميزان وهذا الطريق الذي قاله عمانوئيل. وإنه لغريزة فطرية في البشر. فإن الطفل والشاب والكبير في جميع العالم يميزون ببداهة هذا الميزان العادل والطريق الواضح المستقيم. وإن كل موجود يرتبط وضعه وأجزاءه وتركيبه بالمقاصد والفوائد فإن ما يعرف منه من هذا الارتباط يكون بالبداهة دليلا على أنه صادر بإيجاد موجد مريد له علم بالفائدة والغاية وقد أوجده بحكمته لأجل تلك الغاية. وكلما كثر ارتباط الوضع والتركيب والترتيب بالغايات زادت دلالته على علم الموجد وحكمته وضوحا وسناء إلى أن تصل إلى حد لا محل فيه لاختلاج الشك والتشكيك فضلا عن الجحود القبيح الذي لا يكون إلا ممن له غرض فاسد وليس له شرف أو حياء رادع.

اليعازر: الموجد وغيره يخبرنا بأن ما أوجده أوجده عن إرادة وعلم بالغاية وقصد لها. فلا يكون الميزان هو ما ذكره غبطة القس وعمانوئيل. القس: نقول لك. أولا. إن جميع البشر يعلمون من الأشياء والمصنوعات الموجدة لأجل الغايات أن موجدها أوجدها بعلمه وحكمته لأجل غاياتها من دون أن يخبرهم أحد بذلك كما في الآلات الصوانية المذكورة وغيرها مع أنهم لم يروا موجدها ولم يخبرهم أحد سمع من موجدها مع أن العقلاء على يقين لا يشوبه شك بأنها أوجدها موجدها لأجل غاياتها. وثانيا: بأي ميزان تميزان هذا المخبر الذي تذكره قد تكلم بخبره عن شعور وإرادة التفهيم وقصد للغاية. ولم يتكلم عن هذيان ومرض دماغي عرض له إذن فكيف يحصل لك العلم بقصده للتفهيم والاعلام من كلامه. أو ليس لأنك تجد كلامه منتظم التركيب مرتبطا بالغاية؟ وبعد ذلك يبقى في أخباره لك احتمال كذبه فمن أين يحصل لك اليقين؟! يا اليعازر، ليس لك في اليقين بمعرفة قصد الموجد للغاية وعلمه بها إلا ما ذكرناه من الميزان والطريق – فعليك به – تكن من المهتدين.

مقدمات احتجاج القرآن على وجود الخالق العليم

الشيخ: احفظوا لي أنت والعقلاء مثل هذا من العلم اليقين بحسب الفطرة السليمة والوجدان الحر على الميزان والطريق

المذكور وإني أجعله.

المقدمة الأولى لاحتجاج القرآن الكريم على وجود الخالق العليم وهو (الله) جل شأنه وعظم سلطانه.

عمانوئيل: لا بد من أن نحفظه لك وإن كابرناك فيه فإن الحقيقة تحفظه لك وشرف الانسانية والعلم يشهد لك.

المقدمة الثانية

الشيخ: (المقدمة الثانية) ما برح الانسان من ابتداء شعوره إلى آخر أموره يبحث عن علة الكائن وينظر فيها ويستنتج منها نتائجه. جبلة طبع عليها في جميع أموره حتى إن الطفل إذا مع جلبة أو صوتا غريبا فإنه يدير نظره ويتجسس عن علته لكي يستنتج منها نتيجة في رجاء أو حذره. وكذا الحيوان. بل ما سار العلم والتمدن سوهما ورقيا رقيهما إلا على النهج الفطري بالنظر إلى علة الكائن وغايته لكي تستفاد الفوائد الكبرى في المنافع ودفع المضار من معرفة العلة والغاية.

عمانوئيل. أقول بحضرة سيدي القس وسيدي الوالد إن هذا الذي تقوله طبيعي للانسان وضروري له في جميع أموره.

المقدمة الثالثة

الشيخ: ما برح الانسان أيضا في أجياله وأحواله محتاجا إلى شريعة ينظم بها اجتماعه في المجتمع الانساني. والمملكة والقطر والشعب والقوم والعائلة والبيت. ولم يزل ولا يزال حسب ما يقتضيه الامكان والهمة والاقتناع يتطلب شريعة تقرب من الصلاح والعدل والارتباط بالمصالح النوعية والشخصية.

مع علمه بأن الشرايع البشرية مهما أخذوا فيها بالتدقيق وجمع آراء العقلاء ورعاية الأكثرية فهي غير ضامنة لدوام الصواب فإن كل أحد يعلم أن علم البشر ومبلغ عقولهم مهما كان فهو محدود قد يكثر فيه الخطأ الكبير. مع أن بعض البشر غير مبرئين عن مداخلة الأهواء والتعصب في التشريع وغيره. فإذا احتمل الانسان أن له سبيلا ممكنا إلى تشريع مشرع كامل يحيط علمه بجميع الأمور ولا يخفى عاليه شئ وهو مقدس من كل هوى وعصبية فإن عقل الانسان وشوقه إلى صلاحه يلزمانه بالسعي إلى طلب هذا التشريع المقدس ولزومه.

المقدمة الرابعة

وأيضا لم يزل الانسان ولا يزال محتاجا إلى تعلم الأخلاق الفاضلة التي يبتهج بسببها بكماله ويفتخر بها ويحل بها المشكلات في حفظ شرفه وحسن اجتماعه مع أبناء جنسه طالبا لدرس هذه الأخلاق ومعرفتها لكي يتحلى بجميلها حينما يستغفل أهواءه الشخصية.

وهو يعلم أن البشر معرض للجهل والأهواء والتعصب والتقليد. وبمقتضى الطبيعة البشرية لا يوجد فيهم من هو كامل في جميع أخلاقه عرف حق المعرفة بجميع مكارمها لكي يتجمل بها ويجري عليها في مواضع إجرآتها. وعرف حق المعرفة بجميع الأخلاق الردية لكي يتنزه عنها ويحاذر من وبال آثارها. فإذا علم الانسان أن له سبيلا ممكنا إلى تعلم الأخلاق من كامل مقدس من كل وجه عالم بحقيقة كل شئ فإن العقل وشوق الانسان إلى صلاح نفسه يلزمه بمواسة علم الأخلاق في مدرسة هذا الكامل المقدس ويحتمان على الانسان بتطلب هذه المدرسة ويحذرانه من تلوثه برذيلة التعاليم المخالفة لها.

المقدمة الخامسة

وأيضا لم يزل الانسان ولا يزال منذ مبادي شعوره متحرزا من الوقوع في المضرة المحتملة طالبا للاطمئنان بالسلامة منها.

حتى إن الطفل يجري أيضا على هذا الناموس كما هو ظاهر، ولا يبقى الانسان مقدما على احتمال المضرة إلا أن يكون له هوى يغلبه أو حاجة لا يعتني العقلاء معها بتلك المضرة أو باحتمالها. وأما المضرة العظيمة التي لا يوازنها شئ ولا يوازن خوفها فإن الانسان مطبوع على عدم التقحم في خوفها وعلى عدم الاستراحة إلا بالاطمئنان بالسلامة من وبالها وبالأمن منها.

المقدمة السادسة

هل ينكر أحد أن أقطار العالم بأسرها قد امتلأت بالدعوة إلى الله جل شأنه وعظمته. وهو واجب الوجود. خالق العالم، ومدبر أمره، والعالم بكل شئ، والغني الحكيم المقدس، شارع الشرايع وقوانين الصلاح، ومعلم الأخلاق الفاضلة، والزاجر عن الرذائل ومواد الفساد والشر. والمتوعد بحكمته على جحوده ومخالفة أوامره ونواهيه وتعاليمه مهددا بالعذاب الشديد. هل ينكر أحد عموم هذه الدعوة على الأقل فيما بعد زمان موسى (عليه السلام). كلا بل إن الوثنية من أول أمرها ناظرة إلى هذا الأساس لكنها غلطت بتأليه المخلوق وما يترتب على ذلك من المفاسد. هذا مع أن العقل فضلا عن هذا النداء يجوز ما ذكرناه في المقدمات ابتداء ومن دون نداء بها. فهوى الانسان نفسه مهددة بفوات المصالح اللازمة وبالوقوع في المضار التي لا صبر له عليها.

عمانوئيل: يا شيخ قد أكثرت في إيضاح أمور واضحة تشهد بها الفطرة، وقد أكثرت اشتياقنا إلى غرضك من هذا البيان والإيضاح. الشيخ: الغرض من ذلك أن نوضح أن القرآن الكريم احتج على الإلهية بحجة أشار فيها إلى هذه المقدمات التي لا ينبغي للانسان أن يغفل عنها مع أنها مكشوفة له بحسب الفطرة والوجدان وعمله في جميع أحواله. وأتم القرآن احتجاجه ببيان الدلالة على أن موجد العالم وعلته عالم بالغايات قد أوجد الكائنات لأجل غاياتها على الحكمة الباهرة والنظام الفائق ونبه على جميع المقدمات بالانكار والتوبيخ على الشك الذي لا محل له مع هذه المقدمات الواضحة الوجدانية والمشاهدات العيانية. فقال جل وعلا في الآية العاشرة من سورة إبراهيم المكية. (أفي الله شك فاطر السموات والأرض) ولماذا يشك الانسان. فهل يصح

له أن يبقى على شكه لأنه أعوض بجهله عن النظر وطلب الحقيقة في أمر المعرفة.

كيف يعوض وهو مهدد بالعذاب الإلهي، وبفوات مصلحة الشريعة الإلهية ومصلحة تهذيب أخلاقه وتكميله، أو ليس من الضروري الفطري أنه لا ينبغي لذي رشد أن يستقر على خوف الضرر العظيم حتى يأمن ويطمئن بنتيجة النظر الصادق.

وليس النظر في هذا الشأن محتاجا إلى نظم مقدمات وأقيسه متعددة كما ينظر الانسان في صحة إشكال المقالة الثالثة من أصول الهندسة لاقليدس. لا. وكلا. بل إن مقدمات هذا النظر مكشوفة لعيان الانسان ووجدانه في جميع أحواله بأوضح انكشاف وغم النفوس الحرة على الاذعان بالحقيقة – فهل يغيب عن الانسان ما يشاهده بالعيان ويعرفه بعلم اليقين من عالم السموات والأرض وما فيهما ووجود نفسه ونوعه وسائر الأنواع فكم يرى في العالم من شئ موجود بعد عدمه على أتقن صنع وأحسن نظام تبهر العقول حكمته، ويعجز العلم عن إحصاء غاياته الشريفة.

وهل تغفل الفطرة والوجدان الحر عن الحكم بأن هذه الأشياء الحادثة لا بد لها من موجد منزه عن الحدوث والحاجة إلى من يوجده. وحينما يشاهد الانسان هذه الموجودات المستعملة في غاياتها العظيمة بأوضح ما يشاهد من الاستعمال الباهر بجماله وانتظامه فهل تغفل فطرته ووجدانه الحر عن اليقين بأن موجدها لا بد أن يكون عالما بهذه الغايات قد أوجد الموجود بنحوه الخاص به لكي تترتب عليه غايته الخاصة. وهل يكون الخالق الواجب الوجود العليم الحكيم غير الله؟ فإن لفظ الجلالة (الله) اسم خاص لذات الخالق الواجب الوجود العليم الحكيم. يا أصحابنا وإذا كانت بداهة الفطرة تشهد بأن القطع الصوانية التي ذكرناها هي آلات صنعها صانع مختار لأجل غاياتها كما قلتم سابقا مع أنها لم يشاهدها أحد مستعملة في غاياتها فهذه أجزاء العالم المستعملة في غاياتها على أوضح حكمة وإتقان كيف لا تشهد الفطرة والوجدان بأنها صنع صانع عالم بالغايات قد صنعها لأجل غاياتها. وكيف لا تشهد الفطرة والوجدان بأن هذه الأشياء الحادثة في الكون لا بد لها من أن تكون محتاجة إلى موجد منزه عن الحدوث والحاجة. عمانوئيل. يا شيخ إنا متدينون مقتنعون بهذه الأمور نراها حق اليقين، ولكن للماديين فيها معارضات، فليس من الجيد في التدقيق أن نخوض فيها وحدنا. بل لا بد من أن نحضر معنا من يحامي عن المذهب المادي لكي يقول ما عنده وتقول ما عندك في إيضاح الحقيقة لكي تنجلي ظلمات الأوهام عن صبح اليقين.

الشيخ. يا عمانوئيل إن جميع ما يتشبث به الماديون غير خفي عن أمثالك فلماذا لا نمثلك محاميا عنهم.

عمانوئيل: إن بعض دعاويهم وإنكاراتهم لا يدعني شرف وجداني أن أذكرها بصورة الجزم وأحامي عنها فالأحسن حضور أحدهم ليبين ما عندهم فإن كثيرا منهم يجاهر بما عندهم. ولكن يا شيخ يلزم أن يكون من نحضره له إلمام بنواميس العلم وقوانين الحجة وموازين الاستدلال لا من الجديديين الذين غاية حجتهم كتب السر فلان وخطب المسيو فلان وقال الدكتور فلان وذكرت جريدة المقتطف. ونقلت مجلة الهلال. ولا يعرف في مقابلة الحجة الواضحة إلا أن يقول هذه حجة من العقل العتيق، شعوري المتنور، هذا عصر الرقي والتنور، لا أعرف الامكان والامتناع ولا الدور هذه خرافات قديمة. الشعور الراقي لا يحتاج في حجته إلى موازين الاستدلال. فاللازم أن نختار ماديا من أهل العلم يراعي في كلامه شرف فضيلته.

القس: إني أعهد دكتورا كما تريدون فمثلوه. عمانوئيل. مثلنا الدكتور فقلنا له أيها الدكتور ألا تسمع ما يقول الشيخ ويذكره من احتجاج القرآن على الإلهية ضد المذهب المادي. الدكتور: اذكروا لي ما يقوله الشيخ بنصه ولفظه لننظر فيه فإن الحر من لا عداوة له مع الحق بل من يكون الحق قرة عينه وضالته التي يطلبها لكي يتشوف علمه بفضيلة الصواب ويبتهج برقيه في درجات الحقيقة.

عمانوئيل: ذكرنا كل ما ذكره الشيخ بنصه ولفظه. الدكتور: أما ما ذكره الشيخ في المقدمة الثانية فهو مسلم بالبداهة وعليه فطرة البشر كما ذكر. وبالنظر إلى علة الكائن سار العلم سيره ورقي رقيه وكذا ما ذكره في المقدمة الثالثة والرابعة والسادسة ولا يمكن أن ننكر ما ذكره في المقدمة الخامسة من النداء في العالم باسم الإله وشريعته وتعليمه دروس الأخلاق الفاضلة وتهديده على جحوده ومخالفته. ولكن يا للأسف إن العلم لم يوصلنا إلى معرفة هذا الإله الذي يذكرونه ولم يدلنا على لزوم وجوده لكي نبحث عن مدرسة شريعته وتعليمه الأخلاق فلذلك آمنا من خوف النداء المذكور في المقدمة الخامسة. الشيخ: أيها الدكتور إن مكالمتنا مؤسسة على الحرية المطلقة في سبيل الحقيقة وكلامك هذا مجمل فأوضح لنا مرادك بالصراحة لكي تجري مكالمتنا على الطريق الواضح والنهج الهادي فأجب بالصراحة. هل العلم أوصلكم إلى نفي الإله فصرتم تعللون الكائنات بما ليس بإله أو كما قلت إن العلم لم يدلكم على وجود الإله فوقفتم موقف الشك بحيث لا تدرون بم تعللون الكائنات في مبدأها.

الدكتور: إذا أردت المجاهرة فإن العلم أوصلنا إلى نفي الإله الذي تقولونه فصرنا نعلل وجود الكائنات بحركة المادة الأزلية.

الشيخ. إذن فحاصل كلامكم إن العلم أوصلكم بدلالته إلى اليقين بنفي الإله الذي نقول به وأوصلكم إلى أزلية المادة وحاصل كلامنا أن العلم أوصلنا إلى وجوب وجود الإله وأن المادة لا يمكن أن تكون إلا حادثة مخلوقة للإله. إذن فعلى كل من الإلهي والمادي أن يقيم الحجة على دعاويه لكي يعرف ما يوصل إليه العلم الحقيقي وقبل الخوض في ذلك قل ما هي المادة الأزلية التي أوصلكم العلم إليها وأوقفكم في التعليل عليها.

الدكتور: إن العلم السيار لم يقر قراره في حقيقة المادة حتى إلى الآن فإن المعروف عن ديموقراط أن المادة هي الجواهر الفردة وهي الأجزاء التي لا تتجزأ وليس لها إلا أشكال هندسية ولكن العلم رفض القول بأن لها أشكالا هندسية لأنه يناقض كونها لا تتجزأ فإن الذي له شكل هندسي لا بد أن يتجزأ ولذا قال المحققون من أهل العصر إن الجواهر التي نقول بها هي أصغر من جواهر ديموقراط جدا. الشيخ: لا أحب قطع كلامك من مجراه ولكن هنا كلمة ينبغي أن يؤسس تذكارها وهي أن العلم قد أقام براهينه التي يرجع تقريبها إلى نحو التجربة الحسية للدلالة على أن الكائن المادي مهما بلغ من الصغر فإنه لا بد من أن يكون له طرفان على الأقل وبذلك يصحح العقل قسمته وتجزأته وإن تعسرت بالآلة الخارجية فبراهين العقل مركبا في المقدار لا ينفك عن الشكل الهندسي ألا ترى أنك إذا جعلته فاصلا بين جسمين يمسانه فلا بد أن يختص كل منهما بمماسة جانب منه ببداهة الوجدان فيتبين أنه ينقسم بين جانبيه فيبطل كونه لا يتجزأ. ولهذا ونحوه من البراهين الوجدانية قال بعض كتابكم المحامين عن وجود الجواهر الفردة (إن كون الجواهر الفردة لا تقبل القسمة هو الأمر الذي لا يعقل كلا وإنما لو انقسمت لزالت

خصائصها الجوهرية) وعدايها الدكتور إلى محوى كلامك. الدكتور: قد كان (لوسيبوس. وابيقورس، يقولان إن الجواهر الفردة تسبح بحركتها في الخلاء ولكن لمارأى بعض العلماء أن الفراغ مستحيل في الطبيعة فرضوا أن تلك الجواهر تسبح في مادة لطيفة أو غاز أخف من الهواء أو سائل تام الاتصال مالئ للخلاء سموه الأثير تتحرك فيه الجواهر التي هي أجزاؤه حركة الزوابع[1] في الهواء الهادي ومن أحوال اجتماعها بالحركة وأفاعيلها تظهر صور الكائنات وهذه الجواهر في الرأي القديم هي أزلية أبدية لم تحدث بعد العدم ولا تتلاشى ولا تنعدم وإنما يخفى بتفرقها هذا ولكن الرأي الجديد حسب اكتشافات العالم

1 ـ الزوبعة في اصطلاحهم أسرع الرياح جريا وقدروها بما يجري في الثانية ستين قدما وقد تجري في الأقاليم الاستوائية 300 قدم. والنسيم ما يجري عشرة أقدام في الثانية. (*)

الشهير الفرنسوي (غوستاف لبون) الرأي المبني على المشاهدة والاختبار بحيث وافقه أكثر علماء أوروبا ولم يثبت أمام النقد العلمي إلا نظرياته وهو أن المادة قوة متكاثفة وأن المادة ليست أبدية بل تتلاشى بانحلالها إلى القوة كما أن الراديوم وما شاكله من المواد تتلاشى بإرسال ذرات صغيرة تفلت منها ذات سرعة عظيمة تكون قوة تكهرب الفضاء في التلغراف اللاسلكي. والقوة أيضا تنحل إلى الأثير كما أن المادة ليست أزلية بل إن الأثير تكاثف في الأزمان البعيدة بسبب لا نعلمه فصار مادة فإن لم تكن المادة والجواهر الفردة أزلية كما هو الرأي القديم فالأثير على الرأي الجديد هو الأزلي وإلى هذا الأزلي ينتهي تعليل وجود الكائن فلا حاجة إلى التعدي عن الطبيعة إلى فرض وجود الإله، وأيضا فإن العلم العصري لا يسمح لنا بأن نؤمن بوجود غير منظور.

الشيخ. أيها الدكتور إني أبدأ بالتعرض لكلمتك الأخيرة أعني قولك (فإن العلم العصري لا يسمح لنا بأن نؤمن بوجود غير منظور) ألا وإن هذه الكلمة مما يتوأ منه العلم العصري وشرف الانسانية. كيف يقول ذلك إنسان أوليس جميع العالم مذعنا بوجود القوة الكهربائية فهل هي منظورة. أو ليست مشاهدة أعمالها وآثارها في الجذب والدفع والتحريك كافية في الاذعان بوجودها مع أن العلم لم يأخذ قراره في ماهيتها ففي القديم إنها كائن مقابل للمادة كامن فيها يهيج بأحد الهيجات المقررة، وفي الجديد إنها مرتبطة في المبدأ بالمادة تتولد من انحلال المادة إليها بأحد الأسباب المقررة كما أنها تتكاثف وتكون مادة. هل ينكر أحد وجود النفس للحيوان فهل هي منظورة أو ليست أعمالها الحيوية الشعورية تجبر الانسان على الاذعان بوجودها بعد أن يرى أن الجسم الذي تفارقه لا تأتي منه هذه الأعمال بل يكون كسائر الجمادات وإن خفي على العلم كنه النفس فتشبعت فيها الأقوال. أفي القوة الكهربائية شك مع مشاهدة الأعمال التي يحصرها العلم بتأثير القوة الغير المنظورة. أفي النفس شك مع مشاهدة أعمال الحياة التي يحصرها العلم بتأثير النفس. (أفي الله شك فاطر السموات والأرض) مع مشاهدة الأعمال الكبرى في النظام الباهر والحكمة الفائقة في عالم الكون.

هذه الأعمال التي لا يمكن للعلم المستقيم إلا أن يحصر تعليل صدورها بواجب الوجود العليم الحكيم وهو الله جلت عظمته.

أيها الدكتور، الجواهر الفردة وحركاتها اللولبية وزوابع الأثير والأثير هل رآها أحد أو رأى واحدا منها بالنظارات المكبرة أو

المقوبة. الدكتور: لا وكلا بل إنهم افترضوها افتراضا لتوجيه التعليل والانتهاء به إلى أصل يوقف عليه. الشيخ: لماذا التزموا بكون الجواهر المذكورة فردة لا تتجزأ وتعرضوا للنقد العلمي المبين لاستحالة وجود الجزء الذي لا يتجزأ. ولماذا التزموا بكون الأثير في منتهى البساطة. الدكتور: لأنهم إذا قالوا بتركب الجواهر من الأجزاء لم يمكنهم القول بأزليتها وكذا الأثير.

الشيخ: إذا كان التجزأ في المقدار تركيبا ينافي الأزلية فالأثير المفروض مهما فرضوا له من بساطة الذات فهو متجزئ في المقدار وله مادة وصورة فهو مركب إذن فكيف قالوا بأزليته. دع هذا إلى حين ولكن لماذا لم يقولوا بأن الجواهر والأثير متسلسلة من موجودات لا نهاية لها فيذهبوا بسلسلة التعليل إلى غير نهاية ولا يلتزمون بفرض موجود أزلي لا حجة لهم على أزليته. بل إنهم يثبتون له أوصافا تنافي الأزلية.

بطلان فرض التسلسل والدور

الدكتور: هل يمكن أن يدخلوا في هذه السلسلة ما يفرضونه عدما ولا شيء ولا موجود؟ وهل يمكن أن يدخلوا فيها ما لا يفرضونه موجودا.

الشيخ: لا. لا يمكن لأن ذلك يؤدي إلى التناقض الباطل بمبادئ الفطرة وبداهة الوجدان وكيف ينظمون سلسلة الموجودات من عدم ولا شيء بل لا بد أن يفرضوها مما يفرضونه شيئا وموجودا. وإن محل الفرض هو تسلسل الموجودات الحادثة التي ليس فيها موجود أزلي.

الدكتور: فالفكر الذي هو يفرض هذه السلسلة ويصور حلقاتها في معمل تصوره لا بد من أن يحد أجزاءها المفروضة بحد الوجود والحدوث لأن مبنى فرضه على ذلك ومختص به. الشيخ: لا بد من ذلك فإن الفكر في فرض هذه السلسلة قد عزل عنها المعدوم وأزلي الوجود فتمحضت أجزاؤها للموجودات الحادثة مهما بلغت من التسلسل. الدكتور: يا شيخ ويا أصحابنا إذن ففرض التسلسل إلى غير حد ولا نهاية باطل في نفسه وبحسب فرضه فإن الفكر إذا حد أجزاء السلسلة بالحدوث فلا بد من أن يلتفت إلى أن السلسلة مهما بلغت فهي محدودة بالعدم اللازم لحدوث أجزائها وإن ضاعفها بكثرة ما يفرضه أول مرة فإنه يلتفت إلى أن فرض التسلسل مستلزم لبطلانه. وببيان آخر الفكر إن أدخل الموجود الأزلي في هذه السلسلة فقد انتهت إلى الأزلي وإن أدخل العدم فقد انقطعت بالعدم وإن أخذ الموجودات الحادثة فإنه إن عجز في ترتيب فرض السلسلة عن تكوار فرض الموجود الحادث وتصوره فقد انقطعت بذلك العجز وإن لم يعجز فإنه يلتفت إلى أنه مهما فرض من الموجودات الحادثة بسعة إحاطته فإن فرضها بما هي حادثة يستلزم أن تكون سلسلتها محدودة بالعدم فيبطل الفرض وإلا خرجت عن كونها موجودات حادثة فيبطل الفرض أيضا.

وأيضا ما هي الغاية للعلم بفرض التسلسل فإن كان تقحم هذا الفرض الباطل لأجل أن يتحير العلم لعجزه عن إدراك السلسلة الغير المتناهية ويقف موقف المبهوت فليقف إذن على حيرته من أول الأمر بدون حاجة إلى كلفة هذا الفرض الموهوم وكيف يعجز العلم بسلسلة لو أمكنت لم تكن إلا بإحاطة صناعته لها وقدرته على فرض ترتيبها بتصوير حلقاتها بكنهها في معمل

أعماله. الشيخ: قد عدلنا عن مسألة التسلسل ولكن لماذا لا تقولن إن الأثير أو الجواهر الفودة معلولة لما يصدر عنها وصادرة عنه.

الدكتور: العفو يا شيخ كيف يكون الشئ صادرا عما يصدر عنه. فإنا لو فرضنا أن كل واحد من الشيئين علة فاعلية أو مادية لصاحبه ومعلولا له كذلك لزمنا أن يكون كل واحد منهما موجودا حال عدمه ومعدوما حال وجوده ولزمنا توقف وجود الشئ على وجوده وفي هذا من المحال والامتناع والتناقض ما لا يخفى وهذا هو الدور الذي يعترف كل أحد من الماديين والمتدينين وخصوص كتاب المسلمين ببداهة بطلانه وما سار العلم سيره إلا بالبناء على بداهة بطلان التسلسل والدور. فمن الغريب يا شيخ تشبثك في المكالمة بهذه المستحيلات. الشيخ: مهلا أيها الدكتور فإن جملة من العصريين المائلين إلى المذهب المادي يكثر منهم الهياج إذا قابلتهم في الحجة ببطلان التسلسل في الموجودات الحادثة وبطلان الدور وعلى الخصوص إذا ذكر اسم الامكان والوجوب والامتناع والاستحالة فيهزأون بهذه الألفاظ من دون رواية لهم في العلم فأردت أن أتحقق واءة فضيلتك من هذه الوحشية العامة.

حدوث المادة مهما كانت

ثم أيها الدكتور أنتم تقولون إن الجواهر الفودة أو الأثير أزلية. ونحن نقول: إن الجواهر الفودة لو صح فرضها وإن الأثير لو تحقق وجوده لا بد من أن تكون حادثة محتاجة إلى علة ثم ننظر في تلك العلة. فهل تكون الدعوى من كل منا مقدسة في العلم. أو لا بد لكل مدع من حجة تشهد في العلم على صحة دعواه.

الوجود بعد العدم

الدكتور: لا تكون دعوى مقدسة بلا حجة. ولكنا قلنا بوجود الجواهر الفودة لأن فرضها ممكن. وقلنا بأزليتها لأجل أن نقف عليها بالتعليل. وأوجبنا أزليتها لأجل أنه يمتنع حدوث الموجود من العدم وكذا نقول في أزلية الأثير على الرأي الجديد. الشيخ: ما معنى قولك (يمتنع حدوث الموجود من العدم) فإنه محتاج إلى الايضاح. الدكتور: لا يمكن أن يكون الموجود ناشئا من العدم لأن العدم لا شئ ويستحيل وجود شئ من لا شئ. الشيخ. لم توضح ما يحتاج إلى الايضاح فإن الابهام باق على حاله فبين لنا ما معنى قولك (من العدم) و (من لا شئ). الدكتور: الموجود والشئ يستحيل أن يكون مادته العدم واللا شئ ويستحيل أن يكون فاعله العدم واللا شئ.

وهذا بديهي وجداني. الشيخ: هذا مستحيل بالبداهة كما ذكرت ومن ذا الذي يقول به. كلا. وإنما نقول: إن الجواهر الفودة والأثير لو كانا موجودين لكانا حادثين موجودين بعد عدمهما بإبداع الإله الموجود الأزلي القادر فأين لزوم المحال في حدوثهما. الدكتور: إن حدوث الوجود بعد العدم مستحيل.

الشيخ: عجبا يا صاحب العلم التجريبي كيف تدعي هذه الدعوى وأنت في كل ساعة ترى ألوفا من الموجودات قد حدثت بعد العدم. ألا ترى الانسان. أو ليس أقرب عهوده أنه نزل منيا في رحم أمه ثم صار علقة دم ثم صار إنسانا ذا أعضاء وحواس وشعور وعلم أين كان المني الذي نشأ منه حينما كان جده وجدته منيا؟ ألا ترى سائر الحيوان ألا ترى الشجر والنبات كيف يحدث بعد عدمه. ألا ترى سائر الموجودات في العالم مما تعرف وجوده بعد عدمه. فكيف تقول: إن حدوث الوجود بعد العدم مستحيل. الدكتور: لا أقدر أنا وكل ذي شعور على إنكار ما تذكره وكيف يجحد ما هو مشاهد معلوم لكل أحد ومنه نعلم بالبداهة أنه ليس بين الوجود والحدوث مضادة ولكن خصوص المادة وهي الجواهر أو الأثير هذه يستحيل وجودها بعد عدمها فإنا لم نر المادة حدثت ولم نر أحدا قدر على إحداثها وخلقها ولم نرها انعدمت ولم نر أحدا قدر على إعدامها. فإن العلم يبين أن كل ما نشاهده من اضمحلال المادة ليس انعداما بل إنما هو انعدام الصورة الخاصة وتفرق دقايق المادة الصغار التي لا يدركها الحس فهي باقية في الوجود غائبة عن الحس.

الشيخ: أسألك أيها الدكتور هل قدر أحد من الناس أن يأخذ ترابا أو غيره من المواد فيخلقها إنسانا ذا نفس وشعور وعلم أو حيوانا ذا نفس وحركة أو شجر ذا نمو وفاكهة ويبدعها بغير النواميس المعهودة. أيها الدكتور فهل يحسن بالعلم أو بمن له شعور أن يقول: إن أفراد الانسان والحيوان والشجر أزلية لأن العلم التجريبي يشهد بأنه لا يقدر الانسان على إيجادها بإبداعه وخلقه لها. الدكتور: مهلا أيها الشيخ لماذا غاب عن شعورك أن العلم والحس والوجدان تشهد جميعا بأنه ليس كل ما هو حادث يقدر الانسان على خلقه وإحداثه. بل إن من الحوادث ما يقدر الانسان على خلقه وإيجاده كالمصنوعات البشرية ومنها ما لا يقدر على إيجاده كالانسان والحيوان والشجر. ويشهد أيضا بأنه ليس كل ما لا يقدر الانسان على إيجاده فهو أزلي غير حادث بل يجوز أن يكون له علة تبدعه وتحدثه هي غير قوة الانسان فإن الانسان والحيوان والشجر لا يقدر الانسان على خلقه وإيجاده وهو حادث بالوجدان لأن له علة توجده وتحدثه بناموسها.

الشيخ: إن العلم مشتاق إلى هذا البيان الذي يزيل المعاثر التي جعلها الوقت في طريق الشعور. أيها الدكتور إذن فلماذا لا تقولون إن المادة يجوز أن يكون لها علة تحدثها وتوجدها وإن لم يقدر الانسان على إيجادها كما قلتم في إيجاد الانسان والحيوان والشجر. وكيف قطعتم بإنها أزلية؟ الدكتور: قلنا إن المادة أزلية لأنها لا تنعدم ولا يقدر أحد على إعدامها. لأنه كل ما يرى من اضمحلال المادة فإنما هو تفرق أجزائها وانحلالها إلى الجواهر الفردة التي لا تنعدم. فالمادة باقية أبدية وكل ما هو أبدي فهو أزلي. الشيخ: هل تمكن رؤية الجواهر الفردة بالنظارات المكبرة والمقربة لكي يحس بها الانسان ويحكم ببقائها بعد الانحلال والتفرق.

الدكتور: لا. لا تمكن رؤيتها. الشيخ: إذن فكيف حكمتم ببقائها؟ فإن قلت: إنا نرى في انحلالها صعوبات كثيرة قلنا فليكن انعدامها بعد صعوبات أكثر من ذلك. وأيضا إذا كان إعدامها صعبا على البشر فلماذا لا يمكن أن يكون في العالم فاعل غير البشر يسهل عليه إعدام المادة. وأيضا إن الرأي الجديد المقبول بين علماء أوربا ينادي بأن المادة تنعدم إلى القوة فمن أين لكم أن القوة لا تنعدم فهل تقولون إن القنينة الليدنية إذا تفرغت تبقى كهربائيتها دقائق أو أجزاء لا تتجزأ من أين ذلك؟ وهذه

الحرارة الناشئة من زيادة القوة الكهربائية والنور الناشئ من زيادة هذه الحرارة فهل تقولون عند اضمحلالهما إنهما يبقيان دقائق أو، أجزاء لا تتجزأ من أين ذلك؟.

الصفحة 279

هل الشرارة الكهربائية تبقى؟. ومن أين أن هذه القوة تتحول إلى الأثير الذي هو فرض مزعوم؟. من ذا الذي أحس بذلك؟. ومن أين أن الأثير لا ينعدم هل رأى ذلك أحد وما هي الحجة عليه من الحسن أو من العلم التجريبي أو مما تسمونه العقل المجرد من نظريات الفلاسفة؟؟ الدكتور: القدرة على الايجاد مهما كانت إنما تتعلق بالممكن الخاص ومن الممتنع أن تتعلق بالمستحيل وإنا إذا قلنا بوجود الإله القادر لم يمكن أن نتصور أن قدرته تتعلق بالمحال ومن الممتنع أن يبرز الشئ من اللا شئ وأن يصدر الوجود عن اللا وجود ومن الممتنع أن يخلق الكون من العدم كما أن الإله لا يستطيع أن يجعل الدائرة أن تكون في وقت واحد مثلث الزوايا.

عبد الله الإباحي

الشيخ: المعنى الجوهري من هذا الكلام قد تقدم وتقدم منا نقده وأظنك رأيت نحو هذا الكلام للمتسمى عبد الله الإباحي ص 406 من كتاب المذهب الروحاني ولماذا نسيت أن الإلهيين يقولون إن الإله خلق المخلوق وجعله شيئا بعد أن لم يكن شيئا وموجودا بعد أن لم يكن موجودا ومن البديهي أن الانسان يكون إنسانا بعد أن لم يكن وكذا الحيوان والشجر والدائرة تكون بعد أن لم تكن والمثلث يكون بعد أن لم يكن ولا يقول ذو رشد بأن هذه برزت من اللا شئ وصدرت من اللا وجود ولا يقول إنها تكون وجودا وعدما في وقت واحد كما مثل الإباحي بالدائرة والمثلث فإن قال الإباحي إن الموجود بما هو موجود والوجود بما هو وجود يستحيل أن يحدثا بعد العدم فإن العيان والوجدان يستهزئان به بل يوبخه قوله في المقام (وفي كل دقيقة وإلى الأبد وجد ويوجد وسوف يوجد) وأظنه لا يعرف تناقضه إلا إذا ناجته روح (غاليلوس).

الصفحة 280

كلمات عصوي وجوابها

رمزي: متنور عصوي. العفو يا سيدي الدكتور إسمح لي بأن أقول كلمتي الذهبية وليسمح السادات بالالتفات إلى إحساسي في نظريتي ها هي كلمتي ونظريتي تهتف بها إحساساتي المتنورة وحرية وجداني. إن التنور الجديد قد أسقط الامكان والوجوب والامتناع والاستحالة فإنها من الخرافات القديمة للفلاسفة والمتكلمين التي يتعكزون بها في. حججهم. وها أنا أراك توافق الشيخ على الركون إليها. ألا وإني دخلت المكاتب والكليات وخرجت منها بالشهادات الكافية فلم أحتج في تنوري وعلمي العصوي إلى إمكان أو وجوب أو استحالة ولم أعرقل فضيلتي وعلمي بهذه الأمور الفارغة.

يا ترى بعد اختمار الآراء واحتكاك الأفكار بدرس الحقائق من الأساتذة هل يتسنى لنا الارتكان إلى القديم الفارغ يا ترى. وها إن العلم في وسيطه ومحيطه قد نبغ تارا نوعا مدرسياراقيا تحوي كهربائيته في داخلية بيئته وخارجيتها. فإن كراسي

المكاتب والارتقاء بالتحول إلى الكليات يضمنان حفظ الصفوف العالية من تنوعات العلم الموكوي السائد والأدب المكوس لتوضيح المطالب الحيوية بحوارة فهل بعد ذلك تدار المسائل على محور أجنبي عن محيط العلم يا توى. فمن الجهل يا سيدي أن نصغي إلى خوافات قديمة: إمكان، وجوب، إمتناع. إذا نظرنا إلى مقدار من الصوف فمن الضروري أنه يكون قطعة چوخ إذا جعله العمال في معمل الچوخ على الناموس الميكانيكي. ومن الضروري أنه ليس بچوخ ولا يصير چوخا وهو على الغنم. فالچوخ قبل العمل ميسور الحصول للعامل وعلى هذا الناموس تجري الأشياء. فما هي الحاجة للأمور الفارغة يا توى.

عمانوئيل: يا حضرة الدكتور إني أرى في مخايل وجهك أنك تريد أن تجيب حضرة (رمزي) ولكن اسمح لي بالمهلة فإن عندي مشكلات أريد أن يتفضل بحلها علميا فإنه قد أبهجني بتمجيده لدراسة العلوم ونبوغه بين تلاميذ الكليات الراقية وقد أكد بذلك رجائي لأن يحل بفضيلته مشكلاتي بمحضر القس والشيخ والدكتور والوالد.

رمزي: قل كلمتك يا عمانوئيل.

عمانوئيل: كلمتي تنحل إلى سؤالات. الأول: قد وقعت التجربة الدائمة على أن المسافرين في البحر من البصرة إلى مكة في أواخر الربيع وأوائل الصيف يصبحون ساعات كثيرة من أتقن أصنافها مؤقتة على الساعات العربية. وكل يوم يسيرون فيه تختلف ساعاتهم على ميزان واحد فينطبق عقرب الساعات على الثانية عشرة في العربية بعد الغروب ويزداد هذا التأخر شيئا فشيئا على ميزان واحد إلى عدن ثم يأخذ هذا التأخر بالنقص الموزون شيئا فشيئا إلى حين وصولهم مكة ثم ينعكس الأمر عند رجوعهم. وبعكس هذا كله يكون إذا ساروا في أواخر الخريف وأوائل الشتاء فما هو المنشأ[1] في ذلك.

السؤال الثاني: إن الليل والنهار متساويان في خط الاستواء كل واحد منهما اثنتي عشرة ساعة. ولكما بعد البلد عن خط الاستواء أخذ ليله ونهاره بالاختلاف بالزيادة والنقصان وتبلغ الزيادة بالتدريج في أطول الأيام والليالي في عرض 8 درجات و 34 دقيقة نصف ساعة وفي عرض 16 درجة و 44 دقيقة نصف ساعة أخرى ثم تتدرج الزيادة إلى أن تبلغ في عرض 66 درجة و 32 دقيقة اثنتي عشرة ساعة ثم إذا زاد ثمانية وعشرين دقيقة أقل من نصف الدرجة تكون الزيادة خمسمائة وثمانية وعشرين ساعة. فما هو الوجه العلمي[2] في هذا التفاوت الفاحش في

---

1 ـ هو اختلاف طول النهار في الزمان الواحد بحسب اختلاف البلدان بالعرض كما أشير إلى بعض أمثلته في السؤال الثاني.

2 . هو أن أفق هذا العرض يدخل في المنطقة الحارة الشمالية 28 دقيقة عرضية ويبعد عن مدار الجدي من الجهة الأخرى كذلك. فكل المدارات اليومية الواقعة على دقائق الدخول تتحد بالأفق أو تقع فيه. فلا غروب. وكل المدارات الواقعة على دقائق البعد. خارجة عنه. فلا أشراق. وبما أن سير السيار في الانقلابين يشبه الموازي للمدارات المذكورة تكون متقاربة وربما يتحد جملة منها تقريبا. ومن هذا المجموع ينتج ما ذكرناه. ومنه يعرف الحال في النصف الجنوبي. (*)

زيادة العرض اليسيرة. السؤال الثالث: إن الهيئة الجديدة تذكر أن الأرض تدور حول الشمس ومن اللازم أن تكون في السنة في وقت عن يمين الشمس وفي وقت آخر عن يسارها وهذا يقتضي أن يكون المشرق في وقت من يسار الأرض وفي

آخر من يمينها. فما هو الوجه في كون المشرق من يسار الأرض دائما مع دورانها على الشمس [1] . السؤال الرابع: إن جذر العدد هو ضلع الربع. وناموسه الحسابي. هو إن المربع يحصل من ضرب الجذر في نفسه ولا مداخلة فيه للتضعيف. إذن فما هو الوجه في أنه يتفق في عملية استخراج جذر العدد أن تضف الصورة المرقومة من الجذر وتنقل الضعف إلى اليمين وتضرب فيه الصورة الأخرى من الجذر من أين جاءت مداخلة التضعيف في التجذير [2] .

رمزي وعمانوئيل

رمزي: الذي درسته من العلوم في الكليات هو النتائج العلمية على مقدار الحاجة في عمليات الهندسة والحساب ومعرفة الجغرافية والهيئة بحيث أصلح لأن أكون مهندسا أو مدرسا في دار المعلمين لتدريس المعلمين في المكاتب الوطنية لكي أنفع وطني بأعمالي وأنفع

1 ـ إشراق الشمس يحصل من اتجاه الأفق نحو سمتها بحركة الأرض الوضعية وذلك الاتجاه والحركة هما إلى يسار الأرض دائما بالنسبة لمستقبل القطب الجنوبي.

2 . جاءت من قوة الشكل السادس من ثانية الأصول لاقليدس وإن كل عددين يكون الحاصل من مربعيهما مع ضعف مضروب أحدهما بالآخر مساويا لعدد ثالث فإنهما إذا جمعا كان مربع مجموعهما مساويا لذلك الثالث نحو 3 و 4 بالنسبة إلى 49: و 5 و 6 بالنسبة إلى 121 وهكذا. (*)

نفسي برواتب الوظائف أو أجرة الأعمال وأما حل المشكلات العلمية فهو مخصوص بالأساتذة من العلماء المتبحرين في رواهين العلوم. فهل أنت يا عمانوئيل تحل هذه المشكلات حلا علميا مقنعا لي.

عمانوئيل: ما أدري ماذا أعرض لحضرتك يا صاحبي فإن الاقناع شرطه مني ومن غيري.

الدكتور: إن سلوك عمانوئيل في تقرير هذه المشكلات يشهد عندي بأنه قادر على حلها علميا قوة كافية. القس: يا اليعازر في أية كلية درس عمانوئيل هذه العلوم بهذا الدرس الراقي.

اليعازر: لم يدخل كلية من الكليات المعروفة ولا أدري أين درس هذه العلوم.

عمانوئيل: يا سيدي منذ نشأت كنت مولعا بالتفهم في درس العلوم وقد وجدت درس المكاتب يدور على النظر إلى رؤوس المسائل ولا أجد عند المعلمين بيانا بأكثر من التلقينات المسموعة. فتهيأ لي أن أدرس هذه العلوم عند واحد من طلبة مدرسة النجف أياما قليلة درسا علميا. وقد أفادني أن في النجف من الماهرين بهذه العلوم خلقا كثيرين ولكن لأجل أن الغاية المطلوبة لهم إنما هي علم الدين لم يظهر لدراستهم في هذه العلوم روي ولا سمعة.

رمزي: ما علينا فإن اكتشافات الغربيين العجيبة تجعلنا على ثقة من صحة آرائهم ونظرياتهم الراقية وإن اللازم علينا في الأدب العصري أن نتناول من آراء الأساتذة ونعرض عن النقد والمحاماة عن الحقائق. وما هي الغاية من ذلك؟ هل ترى أنال ثروة ومالا أعيش به كما إذا كنت محاميا في الحقوق يا ترى. ألا وإن حرية النفس في هذه الحياة تحبذ هذه الآراء الجديدة التي

تنال الانسانية بها محبوباتها في أميالها بلذة وراحة فكر من دون عواقيل وتهديدات.

هذه العواقيل والتهديدات التي تكدر صفاء المدنية السمحة. وليس من الهين أن نعتبر حياتنا هذه القصيرة مقيدة بقيود الشرايع ومهددة بأخطار الوعيد.

عمانوئيل: يا صاحبي (رمزي) لا يغيب عن درايتك أن الاكتشافات العجيبة والاختراعات العلمية النافعة في لوازم الحياة إنما كانت من إلهيين متدينين قد اتقنوا مبانيهم بالنظريات المحكمة الأساس فلماذا لم تتناول من آراء أولئك الأساتذة وكيف تختار رأيا من دون نقد للآراء الأخرى ولا محاماة عن الحقيقة. لا أذكر ذوي الشعور الراقي ولكن أقول: إن القاصرين من متوحشي السودان وغيرهم إذا اختلفت عليهم الآراء لا يركنون إلى واحد منها إلا بتحسينه ونقد ما عداه بما عندهم من الشعور في التحسين والنقد. نعم المعروف أن الماعز والضأن إذا طفرت إحداهن نهرا طفرت البواقي أيضا ولو على خطر أو عدم رجاء. لا أذكر لك في تنبيهك من غفلتك إلا وقوع الخطأ أو الاضطراب في آراء أساتذتك الذين حبذت مبدأهم وهملجت خلفهم. فإن ديمقراط يقول: إن الجواهر الفردة التي يفترضها افتراضا لها أشكال هندسية. وبخنر يقول: إن جواهرنا الافتراضية أصغر بكثير من جواهر ديمقراط.

ومرجع هذا الكلام إلى أن بخنر وأصحابه يخطئون ديمقراط بفرض الأشكال الهندسية لأن ذلك يناقض كونها لا تتجزأ. وديمقراط وليسوبوس وأصحابهم يقولون إن الجواهر الفردة تسبح بحركتها في الخلاء نظرا إلى إمكان الخلاء وعدم الحاجة إلى افتراض شئ آخر. وجاء طمسن وأصحابه فخطأوا ديمقراط وليسوبوس بدعوى إمكان الخلاء وقالوا بامتناع الخلاء فافترضوا الأثير مالئا للخلاء وجعلوا الجواهر الفردة أجزاء من الأثير تدور فيه كالزوابع. وجاء غوستاف لبون ومن اتبعوا آراءه فقالوا بحدوث الجواهر الفردة وإنها نشأت من تكاثف الأثير في قديم الزمان لسبب لا يعرف وإن المادة تنعدم وتكون قوة والقوة تنعدم وتكون أثرا فخالف الذين قبله في قولهم إن المادة أزلية وأبدية. وأما قولك إن حرية النفس تحبذ إلى أخره. فإنه لا ينبغي لذي الرشد والشرف أن يغفل عن أن النفس لها شؤون.

فإن النفس إن ساد عليها شرف الانسانية ورقي الشعور نهضت بكل همتها لحفظ حريتها من استعباد الجهل الساقط السافل والأميال الشهوانية البهيمية وتجردت جهد وسعها لحماية شرفها ولحفظ مستقبلها من التهديد حتى تثق باطمئنانها من أخطار السقوط ورأت أن المدنية هو الناموس الذي ينتظم به اجتماع البشر في حفظ شرف الانسانية وحقوقها المعقولة. نعم إذا ساد على النفس شهوانيتها البهيمية حبذت الآراء التي تسهل لها اللذات الوقتية وتلهيها بإغفالها عن كل أدب روحي وكل فضيلة تمتاز بها عن البهائم. تلك الآراء التي تمنيها الأمان من أخطار التهديدات المهذبة المكملة. ولكن لتأسف كل الأسف أن حريتها الشهوانية المطلقة على مبدأ الآراء المذكورة هي معرقلة بالسلطة السياسية والقوانين البشرية مهما تساهلت. وإما دعاة الفوضوية ووحشيتها وهمجيتها فإن السياسات ضامنة لقطع الآمال منها فلا تمن نفسك بمدنية فوضوية موهومة تصفي لك اللذات على مبدأ الآراء المادية راحة وبدون عواقيل ولا خطر تهديد. فإنك لا بد لك من أن تخضع لنير السلطة وتزرح شهوانيتك تحت قوانين الشرف والمدنية فانظر ما هو الأحسن هل هو التهذب بشرف القوانين الإلهية المكملة لك روحيا وأدبيا واجتماعيا أو هو التحرير بين الانهماك بالملاذ الشهوانية التي مناك بصفائها (ابيقورس) وبين الحذر من رادع القوانين البشرية في النظام المدني.

الدكتور: يا للأسف إن كلام رمزي وأمثاله من العصريين وأحوالهم وأفعالهم لتمثل للناس أن اختيار المذهب المادي لم يكن على أساس علمي بل على أساس شهواني وفرار باللذات الأهوائية والأخلاق البهيمية من سيادة الشرايع الإلهية وحدودها كفرار عبد يغمض عينية ويسد أذنيه ويقول لا أرى لي مولى ولا أسمع دعوته ولا تهديده فها أنا ليس لي مولي. أنا حر في أميال نفسي بلذة وراحة فكر قد أمنت من العواقيل والتهديد لا أفتح عيني ولا أذني إن شرايع السيد تكدر لذاتي.

عمانوئيل: لا يا أيها الدكتور إن هذا الذي تأسف منه ليس رأيا خصوصيا لرمزي وأمثاله من العصريين بل هو كلمة زعيم المذهب المادي (أبيقورس) فإنه قال: (إن راحة البال التي تقوم بها سعادة الانسان هي في اضطراب دائم من جوي الريب الواقع من نسبة الانسان إلى الخليقة وإلى الله) – وإني لأحتشم محضر الدكتور من زيادة البيان.

الوجوب والامكان والامتناع

الدكتور: يا رمزي لنلتفت إلى كلمتك ونقدك موافقتي للشيخ في مبادئ الامكان والامتناع فهل تريد أن أهتك شرف وجداني وأتجاهل عن ناموس الفطرة الشعورية. ألا ترى أن الطفل يلتقم صفحة من ثدي أمه ثم يعدل سويعا حتى إذا التقم حلمة الثدي استمر على الرضاع فيجري في ذلك على مبدأ الامتناع والامكان. إذا أريت الطفل شيئا وأطعمته بأنه مرغوبه فإنه يتأمل فيه وينظر هل يمكن أن يكون هو ذلك المرغوب لكي يرجو أخذه أو يجب أن يكون هو فيطلبه أو يمتنع أن يكون هو فيعرض عنه وهكذا حاله إذا أريته شيئا وخوفته بأنه مما يؤذيه وعلى ذلك يجري شعور الحيوانات فيما ترغب فيه وتحذر منه. وإنك أنت بذاتك اعتمدت في كلامك وبيانك على الامكان والوجوب والامتناع في مثالك بالصوف والبوخ فإن الوجوب هو معنى قولك (ومن الضروري يكون) والامكان هو معنى قولك (ميسور) وإن ديموقراطوس وأصحابه بنوا نظرياتهم على إمكان الخلاء و (طمسن) وأصحابه بنوا نظرياتهم في الأثير على امتناع الخلاء. فهل لك يا رمزي عدالة شخصية مع الألفاظ والامكان والوجوب والامتناع. أفلا يلزم الانسان أن يكون حر العلم والكلام. رمزي. إنك إذا سمعت كلام الإلهيين في الإلهيات تضجر كثيرا من قولهم ممكن. واجب. ممتنع. إمكان عام. إمكان خاص. وجوب بالذات. وجوب بالغير. إمتناع بالذات. إمتناع بالغير. أما إني أضجر كثيرا إذ يكررون هذه الألفاظ. أما عندهم غير هذا يا ترى؟

عمانوئيل: إن لكل صناعة ولكل فن مواضيع وأدوات خاصة ولا بد لمن يتكلم في مباحث تلك الصناعة وعملياتها أن يكثر من ذكر آلاتها حسب اقتضاء العمليات فالنجار إذا تكلم في نجارته يكثر في كلامه. خشب. مسمار. فاس. منشار كبير. منشار متوسط. منشار صغير. منشار مظهر. مثقب كبير. مثقب متوسط. مثقب صغير. مثقب برغي. مبرد. رندة كبيرة. رندة صغيرة. وهكذا ولا تسمعه يقول في عملية النجارة سدا. لحمة. فحم. منفاخ – والكيميائي إذا تكلم في العمليات الكيميائية يكثر في كلامه تكرار قوله أكسجين. هيدروجين. نتروجين. كلور. كربون. صوديوم فصفور. غاز وهكذا ولا تسمعه يقول في عمليته بنك حوالة سعر القماش شعب مملكة. وزارة.

فاسمح لي إذا قلت إن البدوي الوحشي يضجر إذا حضر كلام النجار أو الكيميائي في عملياته وسامحني إذا قلت إن الكيميائي إذا أعرض عن فنه ومظهر علمه وكنز ثروته لمستقبلة وحبذا أن يضيع حياته الثمينة في مراسح اللهو ورقص الانسان وإدمان المشروبات وأحاديث الغرام ولذات المغازلة فإنه يضجر ويتألم إذا سمع الكيمياويين يتكلمون في، مواضيع فنهم ويقول ها قد كدروا لذتي بهذه الألفاظ الفارغة التي تهدد الأنس واللذة بتذكار سجون المعامل. يا رمزي إن المتكلمين في الإلهيات لا غرض لهم بخصوصيات الموجودات وإنما يجعلونها بأجمعها جملة واحدة في معمل النظر لكي يحللوها من طريق الامكان والوجوب والامتناع إلى المعلول وعلته الأزلية وكيفية التعليل وخواص العلة الأزلية والفاعل الأول. فالإمكان والوجوب والامتناع هي الآلات الثمينة في هذا التحليل فلا تضجر إذا فحصوها من حيث الذاتية والعرضية ولا تضجر من تكرار ذكرها فإنها هي الآلات الدخيلة في هذه العملية: هل رأيت كتاب أنوار الهدى ص 5 و 6 و 30 و 31 فإنه قد تعرض لمثل كلامك في الامكان والوجوب والامتناع. رمزي: لا. لم أره ولكني لست بعاطل عن مطالعة الكتب فإني كثيرا ما أطالع

الجرائد الوطنية وكتب الروايات العصرية.

عمانوئيل: أسفا وأنت شوقي تطلب مجد الشوق ولا تنظر إلى كتاب شوقي عالم قد أودع فيه نظريات راقية ونقودا ثمينة وهو مبذول مجانا. هلا تطالعه للنقد عليه أقلا لو كنت تقدر. الشيخ: أيها الدكتور ألا نعود إلى كلامنا على المادة والأثير لأكشف لك عن حدوثها وامتناع أزليتها بحيث لا يصح الوقوف عليها بالتعليل. أعيان وتجار: العفو يا شيخ اسمح لنا بأن نقول كلمة ننفث بها عن قلوب حرا تتقلب على جمر الأسف والغيظ. إنا أناس مسلمون في بلاد الاسلام ولنا الأمل الوطيد بأن علمائنا يحمون اعتقاداتنا وديانتنا من عوادي الشبهات بالبيان الواضح المقنع ويدافعون عن الاسلام من تصدى للنقد عليه وحاول بإلقاء الشبهات والتشكيكات أن يبدل آدابه وشرايعه وأخلاق المسلمين وها هو الخطر والتهديد للاسلام بالنقود والردود محدق بنا.

وها هي البواخر تحمل إلى بلادنا من مصر وبيروت في كل شهر ألوفا من الكتب التي وجهت نوانها إلى الاسلام وكتابه ونبيه عداء. يكفيك منها كتاب هاشم العربي مع تذييلاته. وكتاب الهداية المطبوع بمعرفة المرسلين الأمريكان ولا حاجة لذكر الكتب الصغار ككتاب تعليم العلماء وكتاب حسن الايجاز وكتاب أبحاث المجتهدين وكتاب رحلة الغريب ابن العجيب وغيرها من الكتب ولازال المبشرون اليسوعيون يلقون علينا الشبهات بحرية تامة ونشاط. وهذا يهون بالنسبة إلى انتشار كتاب شبلي شميل في تأييد المذهب المادي والتنديد بالإلهيين ويعضده دخائل المقتطف ويؤيده غمزات بعض العصريين بتحسين مضامينه والرومانات بتلويحها وهناك أوبئة أخرى (قد تمشت في مفاصلها كتمشي النار في الفحم) يا شيخ إن أولادنا وشباننا كادت الشبهات أن تخرجهم من أيدينا فتراهم كالرمل السيال يثورون مع كل زوبعة.

هب إنا نعلم أن هذه الشبهات مغالطات لا مساس لها بالحقيقة لكن ماذا نصنع فيما لا نهتدي السبيل إلى دفعه وماذا نصنع بما يعلق بأذهان البسطاء والأغرار وماذا نصنع مع أولادنا وشباننا المغرورين فهل من الهين أن يقع هذا كله وأنتم ساكتون. أم تقولون لا نري بذلك. لماذا لا تدرون؟ هل يرجى جلاء هذا الغبار وتمحيص هذه التمويه وشفاء هذا الداء ودفاع هذا التهاجم إلا ببركة علمكم. ولنا الثقة التامة بأن فيكم من يداوي هذا الداء في أسرع وقت بأوضح بيان يبتهج به الشعور ويثبت به اليقين بدلالة الحقيقة والعلم الراسخ فماذا يمنعكم والحرية مطلقة والارشاد واجب فإن مكالمتك ومكالمات عمانوئيل قد جلت عنا ظلمات كانت متراكمة علينا وأشعت في أفكارنا أنوارا تجلو لنا الحقائق رأي العين وتلاشى الشك باليقين. فهل من الجائز أن تحجبوا عنا هذه الإفادات وتتركونا نخبط في ليل الشكوك والشبهات فتذهب مساعي الرسول الكريم وأئمة المسلمين في الهدى ضياعا. الشيخ: يا إخواننا أما أولادكم وشبابكم فإنا تتبعنا أحوالهم فلم نجد عندهم صورة شبهة تزلزلوا من أجلها ولا مغالطة علمية تليق أن تشوش أذهانهم ولم نجد عندهم إلا الانهماك بالأفكار الغربية الجديدة من دون شعور علمي ولا حذق صناعي وغاية ما عند أحدهم أن يسمي نفسه متنورا وغاية بضاعته في ذلك أنه يطالع بعض الجرائد والمجلات فيتلقى منها الفتاوى بالتسليم سطحيا وليس له من علمياتها وصناعياتها إلا قراءة الألفاظ.

ومهما تكلمه لا يكون جوابه في الاحتجاج لخيالاته إلا الاطراء برقي الغرب والتوبيخ لانحطاط الشرق من دون أن يكون له

من رقي الغرب. نصيب. يسمي طوفاته في اتباع الأهواء شجاعة أدبية. وتقحماته في الشهوانية وخلع القيود تنورا. وإنا نحييه بكل ترحيب إذا طلب حل مشكلاته بالبيان العلمي والحجة الأدبية. وله ما يشاء من الملاينة. يا إخواننا وأما عتابكم لنا على السكوت فنقول لكم قد كتب الشيخ رحمة الله الهندي سابقا كتاب (إظهار الحق) وأجاد فيه وأفاد وكتب في هذا العصر (كتاب الهدى. ورسالة التوحيد والتثليث. وكتاب نصائح الهدى. وكتاب أنوار الهدى) وها هي مطبوعة فهل تدرون بها. وهل رأيتموها. وهل يوجد عندكم منها عشر معشار ما عندكم من الكتب الأجنبية العصرية في الروايات الرومانية. وهناك كتاب آخر هو أعم نفعا وأقرب لفهم العموم قد جلاهم في محاوراتهم المألوفة لهم. وقد تعرض للأديان وكتبها. ونظريات الماديين وكلماتهم وذكر معارف القرآن الكريم، وحججه، وأخلاقه، وآدابه، وصلاح شرايعه، ومدنيته، وإصلاحه، ووجوه إعجازه، بطرز يؤنس المطالع وتراح إليه النفس. ولكن مضت مدة وكاتبه وأصحابه يطلبون من يطبعه لنفسه طبعا تجاريا ولو باشتراك جماعة ولو بعد النظر إليه واستحسانه. ينادون بذلك في نصرة الدين فلا يجدون إلا نفوسا لاهية أو مواعيد كاذبة (عاد الدين غريبا) – نعم يسر الله طبعه بهمة العلماء العاملين واشتراكهم مع قليل من المتدينين الذين ربطتهم التقوى بأهل العلم جزاهم الله خير الجزاء. وفوق ذلك إنكم تعاتبوننا. سامحنا الله وإياكم ووفقنا لما يحب ويرضى يا إخواننا وهذا الحال مما يزيد البصيرة في كرامة دين الاسلام وعلو مقامه وبهجة إشراقه بنور الحق ووضوح الحجة. حيث أنه مع تقاعد المسلمين عن نصره يتقدم في سيره هذا التقدم الباهر على رغم المعاثر الأهوائية.

عمانوئيل: عد أيها الشيخ إلى كلامك مع الدكتور في حدوث المادة وإنه لا يصح الوقوف على الجواهر الفردة لو أمكن فرضها ولم يوهن العلم على امتناعها. وإنه لا يصح الوقوف بالتعليل أيضا على الأثير لو ثبت فرضه. الشيخ: نعم ولبيان ما نقوله في ذلك وجوه (الأول) إن الماديين قد اضطرهم تعليلهم للكائنات إلى أن يثبتوا للجواهر الفردة حركات مختلفة الوضع والمحل، وقوى مختلفة. وذلك يستلزم تركيبها من عنصر تشترك به في الجوهرية وعناصر تميز كل واحد عن الآخر باقتضاء المسير في الطريق الخاص به والحركة الخاصة به فيبطل كونها أجزاء لا تتجزأ من كل وجه بل تكون مركبة محتاجة إلى فاعل يؤلف أجزاءها.

وينتقل الكلام في التعليل إلى ذلك الفاعل فإن كان فاعلا بطبيعته لزم أن يكون مركبا أيضا يعلل جزء منه جزء الجواهر الذي تشترك به في الجوهرية ويعلل جز منه ممزات الجواهر بعضها عن بعض. فينتقل الكلام في تعليل هذا. وهكذا وإن كان ذلك الفاعل فاعلا بإرادته انتقل الكلام في التعليل إليه وعلى كل حال لا يصح الوقوف على الجواهر الفردة في التعليل.

الدكتور: كيف قالوا بأن للجواهر حركات مختلفة الوضع والمحل، وقوى مختلفة. الشيخ. المعروف عن ديموقراط أن الجواهر الفردة لها بنظر بعضها إلى بعض حركة دائرة وحركة اصطدام مستقيمة. وعن (لوسيبوس) أنها تتحرك في الفراغ منذ الأزل والأشياء تظهر وتخفى بحسب ما تجتمع وتنفصل.

وعن (إبيقورس) أن الجواهر متحركة دائما في الخلاء الذي لا نهاية له بانحراف بعضها على مسافة بعفر بحيث تصطدم

وتحدث حركة لولبية مخروطية كحركة الزوابع فتؤدي إلى تراكيب عديدة وصور متنوعة ومتغيرة. فيلزم من قول لوسيبوس وابيقورس أن تكون حركة الجواهر مختلفة الوضع لأن الحركة لو كانت واحدة في الجهة والسرعة لما اصطدمت الجواهر أبدا. هذا زيادة على كون الحركات مختلفة المحل والمسرى بحيث لا بد من تعليل اختلافها باختلاف ممزات الجواهر بعضها عن بعض. وقال (بخنر) أما حركة الجواهر عندنا فمن تضاد قوتي الجذب والدفع الذين نعتبرهما غريزتين في الجواهر. فنقول: إن أراد أن في واحد منها قوة الجذب وفي الآخر قوة الدفع لزمه تركب الجواهر المذكورة من جزء تشترك به الجواهر في الجوهرية ومن أجزاء تختلف غرائزها باقتضاء قوة الجذب وباقتضاء قوة الدفع.

وإن أراد أن الجوهر الواحد يشتمل على القوتين لزمه تركب الجواهر وانقسامها وتجزيتها إلى أجزاء بعضها يكون قطبه لقوة الدفع وبعضها يكون قطبه لقز الجذب. هذا مع غض النظر عن مباحث تجري ههنا من حيث تكافؤ القوى واختلافها. وحاصل الكلام أن الجواهر الفردة التي لا تتجزأ لو أمكن وجودها في نفسها (وهو مستحيل كما بينه العلم) لكانت باعتبار هذه الأقوال مركبة ذات أجزاء في الماهية والصورة تحتاج إلى علة تؤلف أجزاءها. وتجريها في حركاتها المختلفة، وتعين لها أمكنتها المختلفة. فلينظر إذن في حال هذه العلة ولا يصح لنا أن نقف في التعليل على الجواهر وقوفا علميا.

وأما الأثير فإنه منقسم إلى أجزاء يختص كل منها بمكان غير ما يختص به الآخر فإن كان هذا الاختصاص من طبع الجزء لزم أن يكون كل جزء مركب في الماهية من شئ تشترك به جميع الأجزاء في الأثيرية ومن شئ يقتضي بطبعه الحلول في المكان الخاص به فأجزاء الأثير إذن مركبة في الماهية تحتاج إلى علة لتأليف ماهيتها، زيادة على كونه في الصورة مركبا ذا أجزاء يحتاج إلى علة تؤلف أجزاءه الصورية. وإن كان اختصاص كل جزء من الأثير ناشئا من فعل فاعل هو غير طبع الأجزاء لزم الانتقال بالتعليل إلى ذلك الفاعل والبحث عنه. ثم إن المنقول من رأي (طمسن) هو إن الجواهر الفردة إنما هي حلقات زوبعية في الأثير أو الهيولى فالعالم مؤلف من سائل تام الاتصال مالئ للخلاء ومن هذه الحلقات الزوبعية المنتشرة وهي ليست سوى أجزاء هذا السائل المتحركة فيه. فنقول هذه الحلقات الزوبعية التي هي أجزاء السائل هل هي باقية على طبيعة السائل وصورته حينما هي جواهر فردة أم تغيرت صورتها؟

فإن تغيرت قلنا من هو وما هو الذي غيرها؟ لا يمكن أن يقال غيرها طبع الأثير أي أن طبيعة الأثير اقتضت أن تتغير بعض أجزائه إلى الجواهر الفردة وزابعها حينما لم يكن هناك كائن غير الأثير. كيف يمكن أن يقال ذلك وهو يستلزم أن يتغير الأثير بطبعه إلى الجواهر الفردة دفعة واحدة ويكون زوبعة واحدة والذي يفرضونه خلافه. وإن لم تتغير بل كانت على صورة الأثير وطبعه قلنا من هو وما هو الذي حركها؟ لا يمكن أن يقال حركها طبع الأثير. كيف يمكن وهو يستلزم أن يتحرك الأثير بأجمعه دفعة واحدة ويكون زوبعة واحدة والذي يفرضونه خلافه. أفلا يستلزم أيضا أن يكون العالم كله كتلة واحدة من نوع واحد لأن علة الحركة على الفرض واحدة بسيطة؟ وإن قالوا إن المغير والمحول هو غير الأثير قلنا فليجر النظر والتعليل في هذا المغير أو المحرك. هذا والمعقول عن رأي الدكتور (غوستاف لبون) أن الأثير تكاثف في الأزمان البعيدة بسبب لا نعلمه فصار مادة صلبة) أفلا يلزم النظر إلى تعليل هذا السبب الذي تكاثف به الأثير. هل تكاثف كل الأثير فلم يبق أثير. أم تكاثف

بعضه؟

رمزي: يا شيخ ليس لك أن تحكم في مجلسك وأنت على كرسيك وتقول. (يلزم أن يكون هذا مركب الماهية ويلزم أن يكون هذا مركب الماهية) كما قلت في الجواهر والأثير. فإن الحكم بتركب الماهية إنما يقبل إذا شهدت به بوتقة الكيميلوي. ولا يقبل من الجالس على كرسي النظر المجرد.

الشيخ: إذا قيل لك عن قطعتين من الذهب بوزن واحد غطست إحداهما في إناء فيه ماء فصعد الماء إلى درجة معينة ثم أخرجت القطعة وغطست الأخرى فيه فارتفع الماء إلى درجة أعلى من السابقة فماذا تقول في القطعة الثانية. رمزي: أقول إنها مركبة من الذهب ومعدن آخر أخف منه في الوزن.

الشيخ: كيف شهدت باختلاف عناصر القطعة وحكمت بتركبها وأنت على كرسيك هذا. هل كرسيك بوتقة كيملوي.

رمزي: الشعور العلمي يقضي قضاءه ويحكم حكمه سواء كان على الكراسي أو في السيارات أو في المعامل. الشيخ: إذن فاسمح لشعوري أن يبدي نظرياته على الكرسي كما سمحت لشعورك أن يقضي قضاءه ويحكم حكمه. رمزي: إن الحركة هي التي كونت الجواهر الفردة في وسط الأثير وبها تتكون الصور والأشياء. وليس للحركة سبب سوى الحركة نفسها. فالحركة أزلية أبدية. عمانوئيل. إن كانت الحركة كونت الجواهر الفردة من الأثير فقد تغير كيان الأثير فلا يكون أزليا واجب الوجود. وإن قلت إن الحركة كونت الجواهر بعد عدمها لا عن مادة موجودة فقد أبطلت قول أصحابك الماديين بأنه لا يعقل حدوث شئ موجود بدون مادة موجودة وهدمت أساس ماديتهم. وأيضا إن الحركة أكوان متتابعة، ينعدم كون ويحدث بعده كون آخر. وهكذا. فما هو الأزلي الأبدي. هل هو الكون المنعدم أو هو الكون الحادث بعده الذي لا بد من أن ينعدم. رمزي: الحركة لها وجود دائم. ألا ترى أنك إذا أدرت شعلة النار إدارة سريعة قوية فإنها تحدث منها دائرة نارية متصلة.

عمانوئيل: يا رمزي يا صاحبي إن هذا الخيال الوهمي لا يموه إلا بقاء المتحرك في الأمكنة التي تحول عنها. وأما تبدل الأكوان وانعدام الحركة السابقة فهو مفروض كلامك في الإدارة القوية السريعة. ومع ذلك فإنك كأنك لم تسمع اتفاق العلم والوجدان من المتقدمين والمتأخرين على أن هذه الدائرة وهمية لا وجود لها ولا حقيقة. فالمتقدمون عللوا خيال هذه الدائرة ووهمها بوجود الحس المشترك الذي يحفظ خيال المحسوس بعد زواله عن آلة حسه.

والمتأخرون عللوه بأن الصورة التي ترتسم على الطبقة الشبكية في العين لا تزول عن الشبكة بزوال الشبح بل تبقى نحو عشر الثانية. هذا كله هين ولكن يا رمزي لم تضطهد العلم وتشوه جمال التعليل. هل سمعت قائلا يقول ليس للجدار سبب إلا الجدار نفسه. ليس للشئ سبب إلا الشئ نفسه. ليس للضحك سبب إلا الضحك نفسه؟؟ لا، لا تزعج العلم وأهله بمثل هذا الكلام. قل هذا الشئ الحادث لا علة له واسترح من حيث تعب أهل العلم. رمزي: هذا الكلام الذي قلته رأيته في الكتب المطبوعة للماديين. عمانوئيل. أقول لمن كتب هذا الكلام كما قلت لك.

لا يوقف بالتعليل إلا على واجب الوجود

الدكتور: يا شيخ ما هو الوجه الثاني المانع من الوقوف بالتعليل على الجواهر والأثير. الشيخ. هل يمكن أن نقف بالتعليل موقفا علميا على شئ نفوضه محتاجا في وجوده إلى علة. وهل يمكن أن نحكم بأزلية هذا الشئ مع احتياجه إلى العلة أو العلل الكثيرة السابقة عليه. هل عند تاريخ يدلنا على الأزلية. إذن ما هو مستندنا لدعوى الأزلية. هل هذه الدعوى مقدسة لا مسؤولية عليها؟ الدكتور: وأنت يا شيخ إذا أردت أن تصف شيئا بالأزلية وأنه العلة لجميع الكائنات فما هو استنادك في دعوى الأزلية.

الشيخ: إذا أوصلني السير العلمي والدرس في كيان الكائنات إلى ما هو واجب الوجود لذاته، وغير محتاج في وجوده وكيانه إلى غيره فحينئذ أعترف له بالأزلية بشرط أن لا يكون يتأثر بغيره أو يتغير عن كيانه الأزلي. فإن الأزلية ملزومة للأبدية كما هو مسلم ومقرر في العلم في آرائه القديمة والحديثة. الدكتور: لماذا لا تقول. إن الجواهر الفردة واجبة الوجود لذاتها وإن الأثير واجب الوجوب لذاته.

الجواهر الفردة لا تكون واجبة الوجود

الشيخ: قد ذكرنا صحيفة 287 واحدا من أدلة العلم على امتناع الجواهر الفردة أعني الأجزاء التي لا يمكن عقلا تجزيها وهناك أيضا أدلة متعددة ترجع كلها إلى الاعتبار بالمحسوسات. وهب أنا أغمضنا النظر عن ذلك فما هو الدليل الذي يضطرنا إلى الاعتراف بوجود الجواهر الفردة مع أنها تفوض على نحو لا يدركها الحس. الدكتور: إن العلم بطبيعته وكيمياويته يضطرنا إلى الاعتراف بالجواهر الفردة. فإن الهيدروجين يتركب مع الأكسجين على نسبة اثنين إلى واحد فيكونان ماء. والكلور يتركب مع الصوديوم بنسبة خمسة وثلاثين ونصف إلى ثلاثة وعشرين فيكونان ملح الطعام. وأيضا لو لم يكن الجسم مؤلفا من الجواهر الفردة لم يمكن تعليل الحالات الطبيعية كالمسامية والانضغاط والتمدد والمرونة ونحو ذلك فلا بد من التسليم بالجواهر الفردة.

الشيخ: عجبا هل ترى الكيميوي يعد الجواهر الفردة ويأخذ من حسابها التفصيلي وعددها هذه النسب التي تذكرها؟ فيعتمد على عده للجواهر الفردة في تركيبه وتحليله؟ ويقول هذه خمسة وثلاثون ونصف جوهر فرد من الكلور وهذه اثنان وعشرون جوهرا فردا من الصوديوم ويعدها واحدا بعد واحد؟ هل سمعت هذا من أحد من أهل الدنيا من الأولين والآخرين. ألا، وإن الكيميوي إنما يأخذ النسبة بالوزن. وأما المزج والتركب فيكفي فيهما اختلاط أصغر الدقائق وتأثير بعضها ببعض تأثرا كيمياويا. وأما تعليل الحالات الطبيعية المذكورة كالمسامية والانضغاط ونحوها فيكفي فيه الانفصال بين أصغر دقائق الجسم فإن الدقيقة تكون أصغر من جزء من مائة جزء من عضو من أعضاء الحيوان الذي قيل أن ملايين منه تعيش في نقطة الماء الذي يحملهرأس إبرة. أو جزء من مائة جزء من طعمة غذاء يتناوله هذا الحيوان. فمن الغريب في العلم أن الرأي الجوهري يدعي أنه ينتهي انقسام الجسم إلى حد محدود وهو الجزء الذي لا يتجزأ مع اعترافهم بأن التجزء لم ينته بالتجربة.

رمزي: إن العلم قد لوصل إلى استعلام أوزان الجواهر الفردة من كثير من العناصر وقاس نسبة الجوهر الفرد من هذا العنصر مع وزن الجوهر الفرد من العنصر الآخر. وأوضح أن الجوهر الفرد من الهيدروجين إذا كان وزنه واحدا فوزن الجوهر الفرد من الأوكسجين يكون ستة عشر، ومن النتروجين أربعة عشر، ومن الصوديوم ثلاثة وعشرين، ومن الكلور خمسة وثلاثين ونصفا، ومن الماء العذب الصافي المقطر اثنين وعشرين إلا عشرا ونصف العشر. وقد ذكروا القياس في جميع العناصر المشهورة بحسب جواهرها الفردة، ورسموا لذلك جداول في الوزن الجوهري.

عمانوئيل: عجبا هل قال واحد من أهل العلم الأولين والآخرين إنه وزن جوهرا فردا منفردا من كل عنصر وقاس وزن كل جوهر فرد منفرد مع الآخر؟ ألم تقرأ في الطبيعيات الابتدائية أن الجوهر الفرد لا يكاد يدركه التصور وإنما هو افتراض محض فكيف تقول قولك هذا؟ أفلا ترى أنهم يأخذون العناصر متساوية الحجم فيجدونها مختلفة الوزن في التركيب الكيميلوي فزعمون أن جواهرها الفردة متساوية في العدد وبناء على هذا الزعم يجعلون التفاوت بأوزان الجواهر الفردة على نسبة يجعلون فيها الجوهر الفرد من الهيدروجين واحدا ويقيسون عليه وبهذا القياس يفسرون أحلام الجواهر الفردة ويجعلون لها أوزانا مختلفة.

عمانوئيل: أيها الدكتور إذا مزجنا مثقالا من ملح الطعام مع مائة مثقال من الماء المصفى وصار الماء مالحا فهل شاعت دقائق الملح في جميع الماء وانقسمت دقائقه على حسب دقائق الماء. الدكتور. نعم والتجربة خير شاهد.

عمانوئيل: هل يمكن للتصور أن يلحظ دقيقة من الملح تعادل عشرة آلاف جوهر فرد.

الدكتور: نعم لا بد من ذلك فإن صغر الجوهر الفرد إذا لم يمنع من تصوره وفرض وجوده وتأسيس المباني العلمية فكيف لا يمكن أن نتصور ما هو أكبر بخمسة آلاف مرة وكيف لا يمكن أن نحقق وجوده.

عمانوئيل: إذا أخذنا دقيقة ملح تعادل عشرة آلاف جوهر فرد ومزجناها في ماء يعادل هذه الدقيقة مائة مرة فإلى كم دقيقة انقسمت هذه الدقيقة.

الدكتور: تنقسم إلى مائة دقيقة كل واحدة تعادل مائة جوهر فرد. عمانوئيل. دقيقة الملح التي تعادل مائة جوهر فرد. قل لي كم جوهر فرد يكون كلورها وكم جوهر فرد يكون صوديومها بحساب أن النسبة في كلور الملح إلى صوديومه كنسبة خمسة وثلاثين ونصف إلى ثلاثة وعشرين أليس يجب في هذا لعملية التجريبية أن يكون في جواهر الكلور جزء وكسر من جواهره الفردة وفي جواهر الصوديوم جزء وكسر من جواهره الفردة. يا حضرة الدكتور إن العلم التجريبي يبين لنا نسبة أجزاء المركبات بعضها من بعض والتجارب توضح لنا انقسام الدقائق فيما هو أكثر منها. والتصور بهذا النحو من العمليات المختلفة الأشكال يتكفل لنا بقسمة كل ما تفرضونه جوهرا فردا إلى الكسور البسيطة والمركبة ويبطل فرض الجوهر الذي لا يتجزأ ويحكم بامتناع فرضه إذن فكيف تقول إن العلم الطبيعي يضطر إلى الاعتراف بالجواهر الفردة نعم يضطر إلى الاعتراف بقبول الدقائق للصغر العجيب والانقسام المدهش كما قيل في خيوط نسيج العنكبوت وانقسام قمحة من (الستركنين) في مقدار

ألف وسبعمائة وخمسين ألف قمحة من الماء. ومقدار من الفضة في ملايين الملايين من أمثاله من الحامض النتريك.

الشيخ. لا شك أنا نرى في العالم في حيوانه ونباته وجماده أنواعا مختلفة وماهيات متباينة. مني، ودم، ولحم، وعظم، وعصب، وعروق، وأنسجة، وشعر، وصوف، وريش، إلى غير لك من أجزاء الحيوان المختلفة في الماهيات والألوان، والخواص وخشب، وأوراق، وأوراد وثمار مختلفة الألوان والخواص والماهيات وحجر مختلف بالألوان والخواص، ورمل، وتراب مختلفة الألوان ومعادن متباينة الماهيات مختلفة الألوان والخواص فأسألك أيها الدكتور هنا لكشف الحقيقة سؤالات ثلاثة. السؤال الأول. هل الجواهر الفردة لكل من هذه الأنواع كانت من الأزل على صفات النوع وخواصه فجواهر المني مني من الأزل، وجواهر الدم دم، وجواهر اللحم لحم. وهكذا بحيث تكون صفات الجواهر وماهياتها وخواصها متباينة منذ الأزل؟

السؤال الثاني: هل هذه الجواهر منذ الأزل وإلى الأبد هي على ما هي واحدة وصفة واحدة وخاصية واحدة لم تختلف ولم تتغير لا في الأزل ولا في الأبد لا في ماهيتها ولا صورتها ولا خواصها. السؤال الثالث: هل هذه الجواهر منذ الأزل على ماهية واحدة وصفات واحدة ولكنها بالحركة وأعمال الطبيعة تتغير ماهياتها وتتبادل صفاتها وخواصها مثلا تكون ترابا ثم تكون نباتا ثم يأكله الطير فتكون لحما ثم يأكله الانسان فتكون دما ثم تتحول منيا. وهكذا. الدكتور: ماذا تفيدك هذه السؤالات. إن أصحابنا يقولون إن الجواهر لا يلحقها تغير طبيعي ولا كيميلوي. الشيخ: ماذا يقول أصحابك في الجوهر الفرد هل يقولون بأنه يتغير عن كيانه الأزلي وخصائصه الأزلية؟ الدكتور: يقولون إن لكل جوهر من الجواهر شكلا ولونا وثقلا ونحوها وإنها تبقى على حالها إلى الأبد فلا يلحقها تغير طبيعي ولا كيميلوي.

الشيخ. هل يقول أصحابك إن في المادة والعناصر شئ موجود غير الجواهر الفردة. الدكتور: لا. ليس المادة الموجودة والعناصر إلا مجموع من الجواهر الفردة. الشيخ: أما قولك بأن لكل جوهر من الجواهر شكلا فيلزمه الاعتراف بأن الجواهر الفردة تتجزأ بالقسمة وهو واضح فيبطل قولكم إن الجواهر الفرد هو الجزء الذي لا يتجزأ. وأما قولكم إن لكم منها لونا وثقلا ونحوها وإنها تبقى على حالها إلى الأبد فلا يلحقها تغير طبيعي ولا كيميلوي فهو معارض بالعلم والوجدان واعترافكم. فإن من واضحات العلم والوجدان واعترافات أصحابك أن العناصر عند تركبها تفقد خواصها الأصلية وتكتسب خواص أخرى قد لا يكون بينها وبين الخواص الأولى علاقة ولا نسبة. فإن الكلور غاز سام والصوديوم جامد سريع الاشتعال بالماء الساخن ومن تركبهما يحصل ملح الطعام المصلح. ومن تحليل هذا الملح المصلح يحصل الغاز السام والجامد الذي يشتعل. وإن روح الملح سام للغاية وكذا الصودا الكاوية ومن مزجهما وإحمائهما يتولد الماء والملح وهو القوام في نفع الانسان لحياته.

وأمثلة هذا كثيرة وكلها تشهد بتغير الجواهر عن كيانها الأول وكيانها الثاني وهكذا مهما تواردت عليها الأعمال الكيمياوية. ودع ما نشاهده من التغير بأعمال الطبيعة مما لا يحصى بل عليه جرى ناموس الكون في جميع الآنات. انظر إلى مادة نشوء الانسان وأمثاله من الحيوان في الرحم سواء قلنا إن تلك المادة هي مني الذكر أو بيضة الأنثى. وتأمل واحسب كم يلحق أجزاء تلك المادة من التغيرات إذ تصير دما ولحما وعضاما ومخا وعصبا وأوردة وعروقا وعضلات وجلدا وشعرا وصوفا وأظفارا بأوصاف مختلفة وخواص مختلفة وألوان متعددة. وانظر إلى غذاء الانسان والحيوان إذ يتغير ويصير جزءا من الحيوان من

أحد هذه الأجزاء المذكورة ثم يتحلل بالتبادل ويغير بتغيرات أخرى لا تحصى. ثم أنظر إلى بيضة الطير حينما ليس فيها إلا مايع أبيض ومايع أصفر فإذا بها تنفلق عن طير له أعضاء مختلفة وأجزاء متنوعة وألوان كثيرة مختلفة تترقى إلى ألوان ريش الطواويس. وانظر إلى هذه الحيوانات إذا ماتت كيف تتبدل أجزاؤها وتتبادل عليها التغيرات الكثيرة. وانظر إلى النبات من أول نشئه إلى أحوال كوه وورقه وورده وثمرته وبزره وأحوال فنائه فكم يلحقه من التغيرات والألوان والطعوم والخاصيات. وانظر إلى أحوال الأرض وما يتولد فيها من المعادن والصخور والأحجار وما يلحقها من التغيرات التي لا تحصى. وبالجملة كل ما تشاهد في عالم الماديات لا ينفك عن لحوق التغيرات له بكثرة مدهشة تفوق حد الاحصاء. تلك التغيرات المختلفة الجهات الكثيرة. وعلى قولكم إن عالم الماديات عبارة عن مجاميع من الجواهر الفردة نقول لك إن هذه المجاميع لازال التغير يتبادل عليها حالا بعد حال فإنا نشاهد أن التغير لازال يسلبها كيانا ويكسوها غيرها مما لم يكن لها. وهكذا وهكذا. ويقول أصحابك إن قوة الجذب وقوة الدفع غريزتان للجواهر الفردة وإن قوة الجاذبية في جواهر الجامدات أشد منها في السائلات. وفي السائلات أشد منها في الغازات ويلزم أن تكون في الجامدات مختلفة أيضا بمراتب الشدة. فإنه لا بد من أن تكون قوة الجاذبية في جواهر الحديد أشد من قوة الجاذبية في لب السيسبان مثلا وهكذا في نسبة بعض الجامدات إلى بعض.

وكذا السائلات. ومن المعلوم أن الأعمال الطبيعية والكيمياوية تحول الغازات إلى سائل وتحول السائل إلى جامد وتحول الجامد من نوع إلى نوع آخر أشد منه جاذبية. وتعمل العكس وتدور على المادة بأعمالها في التحويل طردا وعكسا حلا وتركيبا. فهل يمكن أن يقال ببقاء الكيان الأول للجوهر الفرد مع ما يطرأ من التغيير على قوته الغريزية. هذا التغيير المدهش بتبادله. أيها الدكتور إن الموجود لا بد أن يكون له كيان خاص في وجوده فإذا كان واجب الوجود كان ذلك الكيان واجب الوجود فلا يمكن إذن أن يتغير ذلك الكيان الواجب. إذن فالجوهر المتغير الكيان لا يكون واجب الوجود. الدكتور: لماذا لا نقول إن الأثير الأزلي هو واجب الوجود.

الأثير لا يكون واجب الوجود

الشيخ: الأثير الافتراضي لا يكون واجب الوجود فإن (غوستاف لبون) يقول (إن الأثير تكاثف في القديم بسبب لا نعرفه فصار مادة) فالأثير تغير كيانه إلى المادة المتغيرة على الدوام فلا يكون واجب الوجود. وأما على قول (طمسن) بأن الأثير سائل تام مالئ للخلاء والجواهر الفردة أجزاء ذلك السائل تتحرك فيه بحركات زوبعية فتحدث منها الصور المتنوعة) فنقول إن تلك الجواهر الفردة المتحركة التي هي أجزاء الأثير إن كانت أثرا متحركا فقد تغير كيان إلى التحرك الزوبعي وتغير أيضا بتغير تلك المتحركات إلى الصور المتنوعة بالتغير الذي لا يحصى على مدى الدهور. وإن قلتم إن الأثير تغير كيانه فصار جواهر فردة متحركة تلحقها التغيرات التي لا تحصى. قلنا إن الذي يتغير كيانه لا يكون واجب الوجود. يا من ينتهي بتعليل الكائنات إلى افتراض الأثير المزعوم. هل عندك طريق في تعليلك لا يستلزم تغير كيان الأثير؟ كلا. لا تجد طريقا. الموجود المادي لا يكون واجب الوجود. ولا يمكن أن يوقف عليه بالتعليل للموجودات موقفا علميا مهما تحركت زوابع الدعوى

وتسلست أنواع المصادرات. الدكتور: هل بقي وجه يمنع من الوقوف بالتعليل على الجواهر الفردة أو الأثير.

موجد هذا الكون المنتظم عالم بغاياته

الشيخ: إن الذين يفترضون الجواهر الفردة أو الأثير يفترضونها عديمة الشعور. والذي يصح الوقوف عليه بالتعليل إنما هو موجد العالم والكائنات. وهذا الموجد الأزلي هو عالم يوجد على الحكمة والغايات المعلومة له. فإن كل ناظر إلى هذا الكون يراه في جميع عوالمه وأنواعه وأطواره وأدواره ومواليده منتظما على نظام فائق متناسب وحكمة باهرة وغايات كبرى شريفة.

وكل جزء منه صغيرا كان أو كبيرا يراه مسخرا للغايات الجليلة معدا للفوائد الكبرى مستعملا في الآثار الباهرة جاريا على حكمة فائقة. وكلما أمعن النظر وأحسن الجد تجلت له حسب استعداده من الغايات والحكم ما لم يكن يخطر على باله. وها هو العلم قد صار يكشف كل يوم عن أسرار وغايات لم تكن في الخيال. أسرار وغايات يرتاح لها الشعور ويعظمها العلم ويستزيد منها العالم المجد الحر. ألا، وإن الوجدان يحكم بأوليات حكومته وبديهيات قضائه أن الموجد لأمثال هذه الأمور التي تهتفت بغاياتها لا بد من أن يكون عالما بتلك الغايات قد أوجد موجوداته لأعمال غاياتها ونتائج فوائدها التي نعرف منها ما لا يحصى ويكشف العلم في كل حين عما يبهر العقول بحكمته وعظيم فائدة. هذه القطع الصوانية التي وجدها الحفريون في جوف الأرض على هيئة فاس ومنشار وسنان. كيف حكم الوجدان من أهل العلم وسائر الناس بأنها صنعها البشر قبل ألوف من السنين لأجل غاياتها وفوائدها التي كانوا يتصورونها. وهذه موجودات العالم بأجمعها في جميع أدوارها مرتبة على نظام الغايات مستعملة فيها على أتقن الحكمة كيف لا يحكم الوجدان بأنها صنع صانع أنشأها لأعمال غاياتها المعلومة لديه.

إذا وجدنا مدينة ذات شوارع متوازنة وبيوت شامخة وغرف منظمة وآلات للضياء وآلات لتعديل الحر والبرد وطلمبات تقسم الماء بميزان متقن إلى جميع مساكن البلدة ومعاملها وطلمبات تجذب فضلة الماء المتكدر بالعوارض وتأتي به إلى معمل يصفيه ويقذف بطلمبا إلى أخرى إلى طلمبا التقسيم وهكذا وعلى هذا تدوم دورات الماء. ووجدنا فيها تلفونا وتلغرافا ممدودين بأتم الأدوات وأحسن الاتقان. ومقادير وافرة من

قضبان المغناطيس واللوالب والرواغي ولفات من شريط النحاس وصفائح من الحديد اللين. وبطاريات بكؤوسها ومزيجها ومفاتيح وقوابل ورواقم وألواحا معدنية وأعمدة وشريطا وغير ذلك من الأدوات اللازمة. ووجدنا أيضا فونغرافا يعرفنا بكلامه كيف نتكلم بالتلفون وكيف نتخابر بالتلغراف. وكيف نركبهما من أجزائهما وكيف نصلح خللهما. ووجدنا كراسي على كرسي منها عدة نسخ كتب فيها مسائل أصول الهندسة والحساب بخط جيد وإتقان فائق في ترتيبها وأشكالها متساوية الوضع والكتابة والأشكال. وعلى كرسي آخر عدة نسخ كذلك كتب فيها مسائل الهيئة الجديدة وأشكالها. وعلى كرسي آخر عدة نسخ كذلك كتب فيها الفلسفة الطبيعية بأبوابها وأشكالها.

وعلى كرسي آخر عدة نسخ كذلك كتب فيها علم الكيمياء بأبوابه ورسوم أعماله. وعلى كرسي آخر عدة نسخ كذلك كتب فيها علم التشريح وفوائد الأعضاء وأشكال التشريح لكل جزء من أجزاء الحيوان منفردا ومجتمعا بماله من التشعب والانعطاف

والاستقامة والاندغام والهيئة وشرح ذلك بالإشارات والبيان الكافي فهل يسمح الوجدان أن تتوهم أو تحتمل أن هذا كله من فعل الطبيعة البكماء بالصدفة العمياء حصل من مجرد حركة الجواهر الفردة وتجمعها على مرور الدهور. فصار مدينة عامرة وبيوتا ومعامل وأمكنة وتلفونا وتلغرافا وفونغرافا وأدواتها وكتبا متعددة على ما وصفناه. حصل هذا كله من دون صنع صانع ولا توسط شعور ولا قصد غاية.

هل يشك ذو شعور بأن هذه التي ذكرناها إنما هي صنع صانع. صنعت لأجل غاياتها التي يقرها صانعها بعلمه. إذن فهذا العالم المنتظم وموجوداته التي تبهر العلم والعقل بغاياتها الكبيرة المستعملة فيها كيف يقال إنه بتأثير الطبيعة البكماء والصدفة العمياء بلا شعور بغاية ولا حكمة؟!! لماذا لا يقال ذلك فيما ذكرناه من القطع الصوانية. والمدينة وما فيها؟!

كرامة القرآن في حججه

يا أصحابنا وإن القرآن الكريم قد احتج على هذا الأمر بنحو العموم ووبخ العقول على غفلتها وغلبة الأوهام على وجدانياتها حيث أنها تقضي في الأمور الجزئية الطفيفة المستحقرة في جنب نظام العالم وتحكم بوجدانها بأن هذه الأمور الجزئية الحقيرة لا بد من أن يكون وجودها بإيجاد عالم بغاياتها أوجدها لأجل الغايات. ومع ذلك يخادعها الوهم في خلقة العالم الكبير وما فيه من الحكم والغايات فقال في الآية الرابعة عشر من سورة الملك المكية: (ألا يعلم من خلق) خالق هذا العالم بالنظام العجيب وموجده على الحكمة الباهرة هل يمكن أن يكون لا يشعر ولا يعلم بغاية خلقه ولم يوجده لأجل غاياته كلا. ولم يكتف في حجته بهذا الاجمال وإن كان كافيا لذوي العقول الحرة.

بل استلفت شعور الانسان إلى وجود لا يغيب عنه ولا يخفى عليه مهما خفيت الأشياء. ذاك هو خلق الانسان ونشؤه وتناسل نوعه وآلات نفعه وخصائص صورته فقال في الآية الخامسة والسادسة والسابعة من سورة الطارق المكية (فلينظر الانسان مم خلق * خلق من ماء دافق * يخرج من بين الصلب والترائب) وقال في الآية السابعة والستين من سورة مريم المكية (أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) متجليا بهذا الهيكل الانساني الجميل الراقي في حسن الخلقة العجيبة والشعور. وقال في الآية السابعة والثلاثين من سورة القيامة المكية: (ألم يك نطفة من مني يمنى) ويستهان به بالاستمناء باليد وجماع اليائس والزانية وفي اللواط (ثم كان علقة فخلق فسوى)[1] بعد أن كان علقة لا صورة لها إلا صورة الدم فخلق بأحسن خلقة وأتم صورة وأحسن نظام يحفظ شخصه ونظام يحفظ نوعه بأن خلق فيه جهاز التناسل وبقاء النوع بناموس الاجتماع والحنان والألفة التي تقوم بالتناسل والتوالد (فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى)[2] وجعل لكل منها جهازا خاصا يؤدي وظيفته في التناسل وبقاء النوع وجعل فيهما ميلا يضطرهما إلى الاجتماع والاقتراب لكي يسلم جهاز التناسل من الذكر وديعته إلى جهاز التناسل من الأنثى. ثم أحتج بالآلات الموجودة فيه التي يعرف عموم البشر عظيم نفعها في الحياة والمجتمع الانساني فقال في الآية الثامنة والتاسعة من سورة البلد المكية (ألم نجعل له عينين * ولسانا وشفتين) فإنه مهما جهل الانسان بمنافع أعضائه وأجزائه فإنه لا يجهل الأعجوبة من منافع العينين في الرؤية ومنافع اللسان والشفتين في الكلام. وإن اختلف الناس في مبلغ

إدراكهم لعجائب هذه الأعضاء وكان الطبيب والمشرح يدركان ما لا يدركه سائر الناس من العجائب والأسرار الشريفة في خلقه هذه الأعضاء وعظيم نفعها في الحياة.

1 ـ سورة القيامة: الآية / 38.

2 . سورة القيامة: الآية / 39. (*)

ثم احتجج بمبدأ الانسان وخلقه وبعض أقسام شعوره الآلي الذي يدرك كل أحد من الناس أنه الشعور النافع في الحياة والمجتمع الانساني فقال في أول سورة الانسان المدنية (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) المراد أفواد الانسان. ومن ذا الذي يقول (لا) كل أحد يعلم أنه وبني نوعه قبل مدة لم يكن شيئا مذكورا ومعروفا يعتنى به. أين كان الانسان قبل أن يولد بألف سنة هل كان شيئا مذكورا؟ ألا أقدم عهده بمبدأ نشأته وامتياز وجوده نزول نطفته من أبيه في الرحم (إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا) [1] . ثم استلفت النظر والتدبر إلى صورة الانسان ووجهه وإتقانها واختلاف تراكيبها التي يعسر إحصائها وحدها مع قلة أجزاء الوجه التي هي جبهة وحاجبان وعينان وخدان وأنف وفم فقال في سورة الانفطار المكية (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم * الذي خلقك فسواك فعدلك * في أي صورة ما شاء ركبك) [2] بحيث تمتاز من بني نوعك علي طبق الحكمة التي يقتضيها انتظام النوع الانساني فجعل كل واحد خلقا سويا معتدل التركيب بأجزاء متساوية النوع والعدد وقال في الآية السادسة والستين من سورة المؤمن المكية والآية الثالثة من سورة التغابن المكية (وصوركم فأحسن صوركم) بالانتظام والاتقان. فهذه الآيات وغيرها تقيم الحجة على الناس بحسب شعورهم المشترك وتؤكد الحجة على كل راق في الشعور بحسب رقيه في التنبه والعلم.

1 ـ سورة الانسان: الآية / 2.

2 . سورة الانفطار: الآية / 6 – 8. (*)

وقال في الآية الثانية عشر إلى الخامسة عشر من سورة (المؤمنون المكية (لقد خلقنا الانسان) في بدء خلق هذه النوع الكريم (من سلالة من طين * ثم جعلناه) في تناسله بعد ذلك (نطفة في قرار مكين) من جهاز التناسل في الذكر وجهاز التنزل في الأنثى وكل منهما كاف في أداء الوظيفة في استقراره وصيانته في أحواله وأطوار تصويره إلى تمام نشؤه الرحمي (ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما) وقال في الآية والسابعة والثامنة والتاسعة من سورة السجدة المكية (الذي أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة) مستخلصة يتكون منها الانسان (من ماء مهين) مستقذر لا يعتنى به (ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون). وقال في الآية والثامنة والسبعين من سورة النحل المكية (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار

والأفئدة لعلكم تشكرون). هذا ما يعرفه كل أحد من نعمة الخلقة فكيف إذا: نظر العالم إلى أسوار خلقته فينظر إلى عظامه التي هي دعائم لبدنه وحفائظ لأجزائه الشريفة ومعدلات لوضعه وأمخال لحركاته ومرتبات لأوضاعه وإلى ما جعل لها من الأغشية وأوضاع المفاصل والرباطات والغضاريف لحفظ كيانها ولرتباطها وإمكان حركاتها. وإلى الجلد الذي غلف بدنه وجمع أوصاله وحسن صورته ووقى به الأنسجة الغائرة وأودعه حاسة اللمس وجعل منه البشرة بمنزلة القشرة بوضع محكم وجعلها سميكة صلبة في الأجزاء المعرضة للضغط كراحة اليد وأخمص القدم. ورخوة خلوية فيما بقي وجعل (الأدمة) باطن الجلد لدنة في الغاية متينة في درجة عظيمة في الموافقة لوقاية الأجزاء الباطنة من الآفات وجعل في الجلد منافذ تقوم بحاجات الانسان في بقاء شخصه ونوعه وجعل في الجلد أيضا مساما كثيرة جدا لإفراز فضول بدنه وامتصاص مروحات أعضائه. وجعل العين على كيفية وفي محل يمكنانها من مجال واسع للبصر ووضعها في التجويف الحجابي وقاية لها من الآفات واستخدم في وقايتها الحواجب والأجفان والأهداب زيادة على ما لهذه الأجزاء من الفوائد. وجعل العين من طبقات ثلاث ومياه ثلاثة.

فالطبقة الأولى: كرة مؤلفة من الصلبة والقرنية من أمامها. والصلبة خمسة أسداس الكرة والقرنية سدسها وزاد في تحديب القرنية لتكون أقوى على جمع النور وثقب الصلبة من الخلف لمرور العصب البصري الذي يحمل حس البصر إلى الدماغ. وعند هذا العصب تكون وريقة رقيقة غربالية تمر من ثقوبها خيوط العصب ويمر من أكبر ثقوبها الشريان المركزي ليزود العين بدورة الدم وهو مصحوب بوريد لرد الدم إلى القلب في دورة الدم ما عدا أوردة أخرى لإكمال هذه الوظيفة.

وحول الوريقة الغربالية ثقوب أصغر من الأولى تمر منها الأوعية والأعصاب الهدبية. والقرنية هي الجزء الشفاف ولها طبقات ووريقات وأعصاب وأجزاء يطول شرحها وتبهر العلم بفوائدها. والطبقة الثانية: مؤلفة من المشيمية إلى الخلف وهي خمسة أسداس الكرة ومن القرحية من الأمام وهي فاضل عضلي حلقي وراء القرنية في مركزه فتحة كبيرة هي الحدقة سميت قرحية لاختلاف لونها بحسب الأشخاص كالسواد والزرقة والشهل وجعلت بهذه الألوان لتمتص انتشار النور وهي والشبكية يثقبهما العصب البصري والشرايين والأوردة. الثالثة: الشبكية وهي غشاء عصبي لطيف قيل ترسم على وجهه صور الأجسام الخارجة.

وتأمل في الجهاز السمعي والأذن ظاهرها وباطنها وتركيبها وحكم أجزائها الباهرة وأجزائها العجيبة المدهشة كالصماخ ووضعه والدهليز والطبلة والعظيمات الثلاثة والحصى الأذنية وتيه الأذن والقنوات الهلالية وانتفاخاتها وانعطافاتها، والقوقعة وعصبي كورتي والأعصاب السمعية والشريانات والأوردة. وانظر في وضع الفم العجيب وأجزائه ووظائفها والأسنان المرتبة على مقتضى الحاجة وأحكام وضع الطواحن الفوقانية بأن جعل لكل واحدة منها ثلاث شعب. وانظر إلى غدد الفم وما ذكر لها من الفوائد الباهرة. وتأمل في الجهاز الهضمي وما فيه من عجائب الحكم وإتقان التراكيب وتغليف الأحشاء بالبريتون المستقصي لحفظها بسربه وانعطافاته وانعكاساته. وانظر إلى المعدة ووضعها وما اشتملت عليه من الطبقات والأجربة والغدد والبواب والشرايين والأوردة والأعصاب لأداء الوظائف والغايات التي أدرك العلم بعضها.

وتأمل في الابيثيليوم الذي جعل لوقاية الأمعاء بمنزلة البشرة للجلد وتأمل في الأمعاء وحكمة تركيبها، ووضعها،

وانعطافاتها، وانقسامها، وصماماتها، واختصاص كل منها بصمام يحبس ما فيه إلى أن يؤدي ذلك المعاء وظيفته من الهضم وغيره ثم يقذفه إلى غيره. فمنها المعاء الدقيق المتصل بالمعدة بواسطة البواب والمتلفف المشتمل على الطبقات والشرايين والأوردة والأعصاب والغدد والأوعية الرواضع الليمفاوية اللبنية. قيل وفيه يجتمع الكيموس وعصارة البنكرياس وإفراز الغدد المعوية، وفيه ينفصل بعض المواد الغذائية وهي الكيلوس عن المواد الثفلية. وينقسم إلى الاثني عشري وهو أوسع أقسام المعاء الدقيق وأكثرها ثباتا. وبعده الصائم وهو أوسع من القسم الذي بعده وجدرانه أغلظ ويسمى صائما لأنه يوجد في الغالب خاليا. وبعده اللفائفي وهو أضيق وأرق، وينتهي بابتداء المعاء الغليظ الممتاز بغلظه وتثبت وضعه وشكله المعقد وحزمه المتكفلة بأعمال كبيرة في الضغط والهضم والدفع. وينقسم الغليظ أيضا إلى الأعور وهو جراب في مبتداه. وتأمل في وضعه وسعته وصمامه الذي يمنع سيل ما فيه إلى اللفائفي ولا يمنع السيل من غيره إليه. وبعده القولون وهو محيط بالمعاء الدقيق وصاعد من ابتدائه عند ملتقاه مع اللفائفي والأعور ثم يستعرض في البطن من اليمين إلى اليسار ثم ينزل في الرواق الأيسر ثم يتعوج وينتهي بالمستقيم الذي هو الجزء الأخير منه. ومن فوائد الغليظ هضم الطعام الذي ضعف عن هضمه المعاء الدقيق واستخلاص ما بقي من المواد الغذائية منه. ومهما أدرك العلم وفحص التشريح من فوائد هذا الجهاز العجيب وفوائد أجزائه وأوضاعه وأعمالها العجيبة فإنه قليل من كثير وهو مع ذلك يوقف الناظر موقف البصيرة ويعرفه آيات الحكمة الباهرة.

وتأمل في الدماغ والنخاع المسمى بالحبل الشوكي القائمين بأمور كبيرة في الحياة والشعور كيف قد روعى ضعف جوهرهما عن الصدمات فجعلا في المحافظ المتينة والعظام القوية. وغشيا بالأم الحنونة والعنكبوتية والأم الجافية. ولأجل حاجتهما إلى القوى والتغذية وإفراز الفضول قد أخذا نصيبهما من الدورة الدموية ووصلت عامة أجزائهما بما يحتاجان إليه من الشرايين والأوردة والأوعية والأعصاب. وتأمل في القلب وانقسامه إلى بطين أيمن وبطين أيسر وأذين أيمن وأذين أيسر.

وإلى دوامه على الانبساط والانقباض وانظر إلى هذه الأجزاء الأربعة للقلب مع صماماتها والشرايين والأوردة وصماماتها وكيف يتألف بواسطة ذاك الانبساط والانقباض طلمبات سحب وطلمبات ضغط تدبر الدورة الدموية فتكون الصمامات بمنزلة مصاريع الطلمبا على ناموس مصنايع طلمبا السحب ومصاريع طلمبا الضغط. وانظر إلى الشرايين وانبعاث جذعها من البطين الأيسر للقلب وكيف تتشعب من جذعها إلى عامة أجزاء البدن كتشعب الشجرة إلى الأغصان الكثيرة وإن موقع السطحية منها وما هو قريب من السطحي يكون غالبا في المواطن المحمية كجهات الانثناء في الأطراف.

ومن فوائدها أنها تحمل الدم الصالح من البطين الأيسر للقلب بواسطة جذعها وضغط البطين بانقباضه وتوصله إلى عامة أجزاء البدن. وانظر إلى صمامات الشرايين وفوائدها التي منها موازنة الدم في قنوات الشرايين ليؤدي الوظائف المطلوبة. وانظر إلى تفمم الشرايين وهو أن جميع أغصانها وفروعها تتواصل فيما بينها بقنوات عرضية شريانية لكي تقوم هذه التفهمات بالوظيفة الشريانية في إيصال الدورة الدموية وغيرها من مغذيات البدن وقواه عند ما يعرض لبعض أجزاء الفروع الشريانية من السدد والاختناق وشد الجراحين أو قطعهم للشريان وغير ذلك. وانظر إلى سير الشرايين فإنه في الغالب مستقيم لكنه قد

يتوج لموافقة حركة الأجزاء كالشريان الوجهي والشفوي وكذا الشرايين الرحمية رعاية لكوه عند الحمل وانظر إلى جعل الشرايين كزة البناء متينة مرنة لكي تقوى على الدم المدفوع بالضغط وتقبل الاتساع عند زيادته أو عروض مزيج له. وهي أيضا قنوية الوضع لا تنخفض كالأوردة إذا خلت، ومتحركة دائما نابضة بالانبساط والانقباض.

والمظنون أن كل قناة بين صمامين تكون بانبساطها طلمبا جذب من التي قبلها من جانب القلب وطلمبا ضغط للقناة التي بعدها. وهذا يكشف عن أهمية محمولها في الحياة. وربما يكون منه النسيم اللطيف المسمى أكسجين الهواء لكي تحظى جميع أجزاء البدن بزيارته وتحيته بترويحه. وربما تكون لحركتها فوائد أخر لم يصل إليها العلم بعد. كما أنه لا سبيل إلى حصر محمولها الحيوي بمادة أو مواد معينة. وقد رؤي للشرايين العظيمة أوعية دموية تسمى أوعية الأوعية وهي شرايين تبعد عن نقطة توزيعها. ولها أيضا أوردة تأخذ منها الدم الوريدي إلى الأوردة المرافقة لها، ولها أعصاب تؤدي الوظائف العصبية.

وانظر إلى الأوردة التي هي أغلظ وأكثر عددا من الشرايين وهي أيضا متشعبة في عامة أجزاء البدن تشعب الأغصان من جذعها المتصل بالبطين الأيمن من القلب. ومن فوائدها أنها تجمع الدم من جميع أجزاء البدن وترجع به إلى البطين الأيمن من القلب. ومن سير الدم في، الشرايين ورجوعه في الأوردة تكون الدورة العامة للدم. وانظر إلى الأوعية الليمفاوية، وانتشارها في الجسد، وصماماتها المانعة لسائلها عن التقهقر، أو لأن تجعل السائل متوازنا في أوعيته لكي تتوازن أعماله، أو لأن تقوم بعمل آخر. وانظر إلى تفهماتها ووضعها لكي تقوم بغاية التفهم الجارية في الشرايين والأوردة. وانظر أيضا فيما ذكر لها من الفوائد من امتصاصها الكيلوس والمواد السائلة (ليمفا) وحمل ذلك السائل الصالح أخيرا إلى الدورة الدموية. وإلى الآن لم يشخص العلم حقيقة هذ السائل لكي يعرف مقدار أثره في الحياة وحقيقته...

وإن لفظ ليمفا بمعنى سائل. وتأمل في وظيفة الرئة ودوام حركتها بالانبساط والانقباض وفي أوردتها وشرايينها. فإن الشريان الرئوي يخرج من البطين الأيمن للقلب فيحمل منه الدم الأسود الوريدي الراجع إليه من أجزاء البدن في الدورة الدموية العامة وينقله بفروعه وأغصانه إلى الرئة فتصفيه وتطهره من العناصر الضارة وتمده بما يلزم لقيام الحياة وتحوله إلى دم أحمر شرياني فيأخذه الوريد الرئوي ويوصله دما صالحا إلى البطن الأيسر مبدأ الدورة العامة وهكذا في كل دورة. وقيل في تصفية الدم في الرئة وإمداده بالمواد الحيوية إن الدم يأخذ من التنفس الداخل أكسجين الهواء ويفرز المواد الضارة أو الكربون فتخرج بالتنفس الخارج.

وانظر إلى الكبد وأجزائها ورباطاتها وأعصابها وشريانها وفروعه والوريد البابي والوريد الكبدي وفروعهما والقناة الكبدية والأوعية الليمفاوية وفي وظيفة الكبد في إفراز الصفراء من الدم وإرسالها إلى الحوصلة المرارية. وإلى ما قيل من أن الشريان الكبدي يحفل الدم الشرياني للكبد لأجل تغذيته. والوريد البابي يحمل الدم الممزوج بالصفراء لكي تصفيه الكبد. والوريد الكبدي يحمل الدم الصافي من الصفراء إلى القلب فيكون الكبد قائما بوظيفة دورة دموية صغرى لأجل تصفية الدم كما في الدورة الرئوية. أو كما قيل في الطب القديم من أن الكبد محل هضم الكيلوس وتمييز الاخلاط منه بعضها عن بعض وتقسيمها على

مجاريها ومعادنها حسب وظائفها في قوام الحياة. وما عسى أن يقال في الأوعية البولية، وآلات التناسل، والأعصاب، والأغشية، والغدد، والعضلات، والرباطات، والغضاريف، ومواضع ملتقى العظام، وأوضاعها الموزونة بالحكمة، وأعمالها المدهشة وغاياتها العجيبة. ولا يخفى أن الذي أدركه علماء الطب والتشريح من فوائد أجزاء الحيوان وغاياتها في الحياة من كثرة سعيهم إنما هو قليل من كثير خفي عليهم. ولازال العلم يجد في استكشاف الحقائق المجهولة فيتجلى له منها تدريجا ما يبتهج به ارتياحا. ثم أنظر إلى أجزاء الحيوان على اختلافه وامتيازاتها التي يقتضيها وضع الحيوان وحاجاته وما يراد منه.

فهل يكون هذا كله بلا موجد يعلم بالغايات؟ الغايات الكبيرة الشريفة التي أدرك العلم بعضها وذكرنا يسيرا من ذلك. هل يسمح الوجدان بأن يقال إن هذا كله من الصدفة العمياء والطبيعة البكماء؟ وكيف يغيب عن الشعور ما ذكر في صحيفة 57 و 58 و 59 وقد بنى القرآن الكريم احتجاجه في الإلهية على هذه المقدمة الفطرية البديهية التي عليها عمل البشر في جميع أدوارهم وأحوالهم فوبخ ذوي الأغراض على تغافلهم عن هذا الأمر الذي جعلناه في صحيفة 59 المقدمة الأولى فقال من جملة ذلك في سورة الملك المكية (ألا يعلم من خلق) كما ذكرناه صحيفة 331 . أما أنه. لو سمح القصور بهذا القول للمغفل الغبي الجاهل فإن العلم والشعور الحر لا يسمحان به للعالم والعارف والطبيب والمشرح الملتفتين إلى عجائب أجزاء الحيوان وغاياتها الشريفة المدهشة بعناية حكمتها. رمزي: إن جملة من أجزاء الحيوان لا فائدة فيها ولا غاية. وذلك كالغدة الدرقية، والزوائد الدودية والغدد الوحيدة في سطح الأمعاء بل إن الغدة الدرقية والزوائد الدودية معرض للأمراض المهلكة.

عمانوئيل: يا صاحبنا يا رمزي. هذا الدكتور المتقدم في الطب والتشريح لماذا لم يقل مثل ما تقول؟ ولماذا لم يجعل مثل قولك اعتراضا علينا. أو تشكيكا في مقصدنا فإنه لا بد من أن يكون سمع ما تكلمت أنت به أو رآه مكتوبا كما رأيته أنت. ألا تعرف أن شرف علمه يمنعه من أن يعترض بمثل اعتراضك من أين علمت أن الغدد الوحيدة لا فائدة لها ولا غاية في وجودها؟ هل أعلمتك بذلك الطبيعة البكماء؟ هل أنت حينما كنت جنينا في بطن أمك رصدت الغدد الوحيدة في أمعائها وراقبت أحوالها بمهارة العلم وجودة الفحص وعلو الفطنة فكشف لك العلم الصحيح والتجربة عن أن الغدد الوحيدة لا غاية لوجودها ولا فائدة حتى في حفظ جوهر المعاء أو مساعدته في أعماله؟ وهل جرى لك مثل ذلك مع الغدة الدرقية؟ لا، يا صاحبي لا ينبغي أن نجعل جهلنا بالفائدة والغاية دليلا علميا على عدمها. هب أنا حالا لا نخجل من أجل ذلك من العلم.

ولكننا نندم كثيرا إذا قيل لنا إن الدكتور فلان انتزع الغدة الدرقية من جملة من المصابين بمرض الجواثر فوقعوا بالبلاهة التامة. حيث يكشف لنا العلم عن أن الغدة الدرقية لها المداخلة الكبيرة في حفظ الشعر واستقامته. بل إن كبرها في الأنثى عند الحمل يكشف عن أن لها مداخلة كبيرة في امتصاص المواد العفنة ومنعها عن التصاعد إلى الدماغ. وأما ظهور الأمراض الشديدة فيها فإنه يكشف عن أن لها عملا كبيرا في حبس المواد الضارة عن الوصول إلى الأعضاء الشريفة. ولكن تلك المواد قد تزيد على ما للغدة من القوة النوعية فيظهر المرض كما هو السنة في جميع الأعضاء فانظر إلى القولون والرئة. وبمثل هذا يجري الكلام في الزوائد الدورية. ثم يا رمزي إن الذي ذكرناه من الأجزاء وعجائب غاياتها ليكفي الوجدان الحر في حكمه بأن موجدها أوجدها لأجل تلك الغايات التي كان يعلمها. وهب أنه توجد أجزاء لا غاية لها كما تقوله أنت فغاية ما يدل ذلك على أن

الموجد قد يخالف الحكمة ويوجد أشياء لا فائدة لها. إذا رضي لنا شرف العلم والأدب أن نقول إن هذا العضو لا فائدة فيه. وهيهات. رمزي: إن هذه الغايات المذكورة في كلام الشيخ هي التي أوجدت الموجودات التي تحصل الغايات منها. فإن الرؤية هي التي أوجدت العين التي تحصل منها على ناموسها وأجزائها، والسمع هو الذي أوجد الأذن التي يحصل منها، والشعور هو الذي أوجد الدماغ الذي يحصل منه. وكل غاية هي التي أوجدت العضو التي تحصل منه. وحياة الشخص هي التي أوجدت الأجزاء الحيوية لذلك الشخص. إذن فما هي الحاجة إلى موجد آخر عالم بالغايات المذكورة يوجد الموجودات لأجل غاياتها.

عمانوئيل: قد سمعنا هذا الكلام عن بعض الصحف العصرية كما رأيته أنت. ولكن أليس لنا في حقوق الشعور والخطاب أن نسألك عن المعنى الذي فهمته أنت من هذا الكلام واعتمدت عليه في كلامك، فهل تقول إن هذه الغايات صار علم الموجد بها داعيا له لإيجاد الموجودات التي تحصل منها الغاية. كما أن تصور النجار للجلوس على الكرسي يكون داعيا له لأن يصنع الكرسي. وبهذا الاعتبار نتسامح ونقول إن الجلوس التصوري أوجد الكرسي. بمعنى أنه صار داعيا للنجار الذي هو الموجد الحقيقي للكرسي. أو تقول إن هذه الغايات هي الموجد الحقيقي والفاعل للإيجاد فلا موجد سواها ولا علة فاعلية غيرها. يا صاحبنا يا رمزي إن القول الأول هو عين قول الإلهيين بأن الموجد للموجودات أوجدها لداعي علمه بغاياتها وحكمتها. وأما القول الثاني فهو قول غير معقول. يا صاحبنا إن الغايات التي تذكرها هي أعدام محضة قبل وجود الأجزاء التي تحصل عنها. فهل يقول ذو شعور بأن العدم والمعدوم يكون موجدا وعلة فاعلة للإيجاد. هل يقول أحد إن المعدوم يكون موجدا حقيقيا للموجود؟؟ أنت تقول إن الغايات تحصل بالأجزاء فكيف تكون موجدا وعلة فاعلية للأجزاء؟ أعيد سؤالي عليك وأقول لماذا لم يتكلم الدكتور بمثل كلامك مع أنه هو المتوشح لمكالمة الشيخ. أتدري لماذا؟ لأن له علم وشعور يميز بهما ما يكتب في الصحف.

ومن حجج القرآن الكريم

الشيخ: وقال الله تعالى تأكيدا للحجة وقطعا للمعاذير في الآية الثانية من سورة الجاثية المكية: إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين) بالحقايق المتجلية، لا يغالط إيمانهم بها غمزات العصبية وفلتات التقليد الأعمى ومكاورة الوجدان الحر بعبودية الهوى وشكوك الوساس. فترى هؤلاء يهتدون بنور عقولهم ووجدانهم الحر في العرفان. كما يهتدون بذلك في سائر الأمور (وفي خلقكم) أيها الناس وما فيه من عجائب الغايات وإتقان للصنع وبدايع الحكمة الباهرة كما ذكرنا وذكر العلم منه قليلا من كثير (وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون) على نهج مستقيم في الاهتداء بأسباب اليقين ودلائل العلم. فلا تراهم يصرفهم الهوى عن اليقين مع وضوح الحجة أو يلوي أفكارهم إلى زخارف الأوهام. وفي الآية السادسة من سورة يونس المكية (إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون) وبال الجمود الأعمى، ونقائص الجهل المركب، ورذيلة اتباع الأهواء، ومكاورة الحجة الواضحة والوجدان الحر، ومضار الانحراف عن النهج الواضح، وهلكة الوقوع في تيه الضلال. لا حاجة لنا في أن نبهض الهيئة الجديدة بأن نقول إن السموات أفلاك تامة منضدة في غاية اللطافة والشفافية بحيث لا

تحجب عن النظر شيئا.

ولا حاجة لنا أيضا في الطالبة بالحجة الكافية على أنه ليس هناك أفلاكا موجودة وسملوات منضدة وأنه ليس الموجود إلا أجرام الكواكب تنور سيلراتها في الفضاء ويستقر مركز ثوابتها في الفضاء –ولا تحسب أنا نعتمد على الهيئة القديمة وما خيلته من دعلوى الأبعاد والأجرام والأفلاك الجزئية. فإن حجة القرآن الكريم لا مساس لها بشئ من ذلك. بل يمكن أن نجلري الهيئة الجديدة ونقول إن المراد من السملوات مراتب العلو المحددة بمدلرات السيلرات. وكيف كانت الحقيقة فانظر إلى ما في السملوات من الكواكب العجيبة من ثابتة في مركزها وسائرة في مدلراها على نظامات مستمرة. هذه الثوابت لماذا لم تعمل بها جاذبية وبماذا لزم كل كوكب مركزه.

ولنتكلم على وفق الهيئة الجديدة، فانظر إلى حركة أرضنا وسيرها على منطقة البروج بمدار بيضي، أبعده عن الشمس يكون عند السرطان في نصف الكرة الأرضية الشمالي، وأقربها عند الجدي في النصف الجنوبي. وإن أردت أن تلتفت إلى ما في هذا الوضع من الغاية العجيبة والحكمة الباهرة في التعديل وموازنة الحر والبرد والقرب والبعد من الشمس بحسب اليابسة المسكونة فاعرف أن أقصى وصول اليابسة من أرضنا في جهة الجنوب إنما هو رأس القرن من أمريكا الجنوبية وهو لا يزيد على الدرجة الخامسة والخمسين من العرض الجنوبي مع قلة المسافة فيما بين المشرق والمغرب وقلة الساكنين.

واعرف أن اليابسة المسكونة من آسيا وأوربا وأمريكا الشمالية تمتد إلى نحو الدرجة الثمانين من العرض الشمالي مع كثرة المسافة جدا في ما بين المشرق والمغرب وكثرة الساكنين فالنصف الشمالي إن قرب من الشمس من حيث البروج بعد عنها من حيث المدار البيضي، وإن بعد عنها من حيث البروج قرب منها من حيث المدار البيضي. كل ذلك مراعاة لأهمية العمران في القسم الشمالي الواسع بحسن التعديل والموازنة. ثم انظر إلى دور الأرض على الشمس على منطقة البروج وحركتها اليومية على نفسها فكم ترى في ذلك من الغايات الكبرى في موازنة الآثار، وتعديل العمران، وتوزيع المنافع، وأخذ كل جزء من الأرض حظه من النور بناموس مقدر على الدوام، وتعديل الحرارة والبرودة، وتنفس الاستراحة، واستنشاق النسيم الخالص، وموازنة الزمان، وحفظ التاريخ. وانظر إلى قمر أرضنا كيف تبع الأرض في دورها على الشمس واستقل بمداره على الأرض مائلا متحايدا عن منطقة البروج بهيئة مقررة وحركة متوازنة. وانظر إلى ما في ذلك من الغايات الكبرى التي منها جعل تاريخ شهري يعرفه العموم، وتوقيت تجريبي للناس في ليالي الشهر بحسب الطلوع والغروب والعلو والانخفاض ودليل هاد في غمرات البحار وفلوات البوادي.

ومنها موازنة تأثواته ونوره الضعيف في المسكون. ومنها تقليل اتفاق الخسوف والكسوف. ولولا ذلك الميل لوقع الخسوف والكسوف في كل شهر، ولينظر الفلكيون المكتشفون لأقمار المريخ، والمشتري، وزحل ويعتبروا بالحكمة التي راعت أبعادها عن الشمس فمنحتها بالأقمار التي تعكس إليها نور الشمس فتزين لياليها ببهجة النور وبهائه وكبير نفعه وعظيم أثره. وقد وازنت الأقمار على الابعاد فجعلت لأرضنا قمرا واحدا. وللمريخ الزائد على أرضنا بالبعد جعلت قمرين. وللمشتري الزائد على المريخ بالبعد جعلت أربعة أقمار، ولزحل الزائد على المشتري بالبعد جعلت ثمانية أقمار أو أكثر. فياله من عطاء واعي الحاجة ويجري على الحكمة. هذا ما يعرف من غايات الصنع ومواقع الحكمة في العالم العلوي البعيد عنا.

النظام الأرضي وعجائب غاياته

وهلم إلى النظام الأرضي وانظر إلى ما فيه من الغايات الكبيرة والعجائب الباهرة التي لا تخضع إلا إلى سلطان القدرة ومواقع الحكمة.

البحار وعجائب غاياتها

وانظر أولا إلى البحار وبديع التصرف بها بنحو يبهر العقول. إذ جعلت بحيث لا يعتريها التعفن ولا التغير بالمؤثرات كما يتغير الماء المحقون ويتعفن في أيام يسيرة.

وناهيك به مخزنا للماء الذي به تقوم حياة الحيوان والنبات حيث جعلتها الحكمة تسقي جميع المسكونة بالأمطار والثلوج وبالقنوات المندفعة بالقوة إلى العوالي من الهضاب ورؤس الجبال فتنبثق عيونا تجري منها الأنهار بعد أن تحيلها العناية في الأمطار والثلوج والعيون مياها عذبة سائغة تقوم بتربية الإرواء والأمد بالقوة كالأم الحنون. وناهيك بها ملطفا للهواء ومعدلا للحرارة، وجادة تسهل المواصلات السفوية ونقل الأحمال الثقيلة. وانظر إلى عجيبة المد والجزر في البحار وإن كنا لا يظهر لنا من فوائدها إلا حفظ كيان المواني والموافي مما يتراكم فيها على طول الزمان بالجاذبية وقذائف الأمواج.

وأعجب من ذلك أن المد والجزر السائدين على عموم البحار لا سيادة لهما على البحر الأبيض المتوسط بحر الروم الممتد من بوغاز جبل طارق إلى بوغاز القسطنطينية. ولا على البحر الأسود الممتد من فوق باطوم إلى الباسفور. ولا على البحر البالتيك مما بين فرنسة وكوبنلاندا إلى سويدن وفينلند مع اتصال هذه الأبحر الثلاثة بالمحيط بل إن البالتيك لا يمتاز عن المحيط الاتلنتيك بمضيق وبوغاز يحده. أفلا تعجب من البحر الابيض المتوسط إذ يجري فيه تيار كبير من بوغاز جبل طارق على الدوام ويجري إليه البوسفور من البحر الأسود ومع ذلك لا تجد لمائه زيادة. فهل أنت تقول كغيرك إن ما يجري فيه يخسر مثله بالتبخير. أفلا تدري أن جزء البحر الأسود يفند هذه المزاعم ويوبخها بالنقد إذ يقول بلسان حاله أنا جزء وتبخري مثل تبخيره وأمطار مياهي مثل أمطاره ولا مدد لي من تيار ونحوه بل إني دائم الجريان على البحر الأبيض فماذا يجبر

خسواني؟!! هل ظهر علي النقص؟ إن فوق أوهامكم تدبروا. ووراء الطبيعة البكماء حكمة.

وانظر إلى بحر الاتلنتيك وهو ما كان غربيه أمريكا وشرقيه أوربا وإفريقيا وربما يبلغ عرضه أربعة آلاف ميل. وانظر إلى استقامة الرياح فيه ولزومها لمهب مستقيم. فهو فيما بين الدرجة الثلاثين من العرض الشمالي ومثلها من الجنوبي تكون رياحه مشخصة معلومة. ففي شمالي خط الاستواء لكون ما بين الشمالي والمشرق، وفي جنوبيه ما بين الجنوب والمشرق، وفيما يقرب من خط الاستواء تكون من المشرق. وانظر إلى المحيط الباسفيك وهو المحيط الحليم الهادي وهو ما تكون أمريكا في شرقه وآسيا واستراليا في غربه. ويمتد من نحو الدرجة السادسة والستين من العرض الشمالي إلى الثامنة والخمسين من العرض الجنوبي. وهو على هذه السعة غالب الهدو والسكون واستقامة الريح حتى قيل إن السفن لا تحتاج فيه إلى تغيير وضع الشراع. وما تاهت فيه سفينة ولا تضررت – فكأن العناية لحظت طرق المواصلة بين أمريكا والقارات في الشرق والغرب في الباسفيك والاتلنتيك فرفعت في لجج هذه البحار العظيمة أخطار العواصف والزوابع.

وانظر إلى تيارات البحار التي لم يحص العلم عددها وشعبها ومواقع سيرها والتقائها ورجوعها وإنما ذكر منها ما بلغه الاكتشاف المتشتت. فمن ذلك التيار الاستوائي في البحر الهادي الذي يخرج من شواطي أمريكا الجنوبية فيما بين مملكتي (بيرو) و (شيلي) جنوبي خط الاستواء ويسير بنحو الاعتدال إلى الغرب إلى نحو جزائر (مالزا) الواقعة في شمالي استراليا ويخرج منه عند أول الجزائر فرعان أحدهما يسير إلى الشمال الشرقي موازيا لجزائر اليابان وما بعدها من آسيا إلى برغاز (بهرنج) في أول المنقطعة الباردة في طول 174 غربي باريس تقويبا. والفرع الثاني يتوجه إلى الجنوب نحو (زيلاندا) الجديدة إلى المنقطعة الباردة. ومن ذلك التيار الاتلانتتكي الخارج من سواحل إفريقيا الاستوائية من خليج (غينا). فيسير بنحو الاعتدال إلى نحو رأس (سان روك) من أمريكا الجنوبية فتسير شعبة منه إلى الجنوب مع شواطي أمريكا الجنوبية إلى طرفها تقويبا فيما دون الدرجة الستين من العرض الجنوبي وترجع من هذه الشعبة شعبة إلى رأس الرجاء الصالح ثم نميل إلى الشمال إلى خليج غينا. ورافقه في طريقه الشمالي بينه وبين الشاطي شعبة من التيار البارد الجنوبي – وتسير الشعبة الأخرى من نحو سان روك أيضا مائلة إلى الشمال الغربي إلى جزائر (أنتيله) في خليج (المكسيك) وهناك يقوى التيار فيسمى بالتيار الخليجي ويسير محاذيا لشطوط الولايات المتحدة مائلا إلى الشمالي الشرقي إلى شواطي الأرض الجديدة قرب الدرجة الخمسين من العرض الشمالي وهناك يندفع بعضه في تيار قطبي وبعض يتوجه إلى الشرق فتسير شعبة في البالتيك مارة على سواحل (كوينلاندا) و (أيسلاندا) وإنكلترا ونروج وشعبة تسير مع شاطئ البرتغال إلى شاطئ إفريقيا ويدخل البحر المتوسط من برغاز جبل طارق شعبة منه، وهناك شعب أخرى من التيارات الاستوائية. ومن التيارات التيارات القطبية التي تحمل الماء البارد إلى المناطق المعتدلة والحارة. ألا تنظر إلى الغايات الكبرى والحكمة الباهرة في هذه التيارات.

ألا ترى أن العناية بالغايات قد لحظت السير في أقطار الدنيا لعموم العمران فشرعت للسائرين جادات منتظمة محدودة دائمة تتكفل بحسن الدلالة وراحة السير وعموم المواصلة وربط القارات بعضها ببعض والأمان من أخطار التيه وغيره. فكأن العناية تنادي يا من يريد السفر إلى أمريكا اسلك بسفينتك الجادة المشروعة للدلالة والأمان وهو التيار الذي في خليج غينا وسر

على استقامة الجادة وحدودها إلى رأس (سان روك) في أميركا. فإن كنت تريد أميركا الجنوبية فخذ جادتك الأمينة في الشعبة الجنوبية إلى أي شاطئ أردت. وإن كنت تريد أميركا الشمالية فخذ جادتك الأمينة في الشعبة الشمالية فاسلك في الشعبة الموازية لجزائر (أنتيلة) إن كان قصدك إلى الممالك المتحدة والأرض الجديدة وكندا. وإن كان قصدك إلى بلاد المكسيك والشواطي الواقعة على خليج المكسيك فاسلك في الشعبة الداخلة إلى الخليج الخارج مما بين (كوبا) ورأس (فلوريدا) وإن كنت تريد الرجوع إلى إفريقيا فاطلب الشعبة الراجعة إلى غينا.

وإن كنت تريد المسير في الجادة إلى كوينلاندا وايسلاندا وبريطانيا ونروج فاطلب الشعبة المارة بهذه البلاد. ويا من يطلب السفر من أميركا إلى مشارق آسيا اسلك في الجادة الأمينة من قرب (بيرو) إلى جزائر (مالوا) وإن كان لك غرض في جزائر (أسيانيكا) فإنها على القرب من جادتك. وإن كان لك غرض في زيلاندا الجديدة فسر في الشعبة الشمالية ولك حسن الدلالة والأمان من كثير من الأخطار. يا أهل الشواطئ البادرة لكم البشرى بتعديل البرودة بحرارة التيارات الاستوائية المارة بشواطيكم، واستنبتوا بعض النباتات التي لا تنبت فيما يسامتي بلادكم في درجة العرض حيث لا تزورها التيارات الاستوائية، وأقبلوا زيارة الأخشاب الاستوائية وانتفعوا بها. ويا سكان الشواطئ الحارة ويا سالكي البحار بشراكم بتعديل الحرارة بالتيارات القطبية البادرة.

وإن كنتم تعدون من فوائدها ضغط البخار لكي يتصاعد فينعقد سحابا ماطرا فاعرفوا شرف هذه الغاية. ألا وإن اختصاص التيارات بمجاريها من جنوبي خط الاستواء، ولزومها لها ودوامها على حالها وتشعبها في نقاط مخصوصة ورجوع بعضها من الغرب إلى الشرق وذهاب بعضها إلى الجنوب بميلة إلى الغرب كالمار بشواطي البرازيل إلى آخر أميركا الجنوبية. وميل بعضها إلى الشمال الشرقي كالمار من خليج المكسيك إلى الأرض الجديدة والمار من جزائر مالوا إلى برغاز بهرنج ووجود التيارات القطبية المتوجهة إلى جهة خط الاستواء لا إلى الغرب هذا كله مما يعرفك الخطأ في الوجوه التي ذكروها لتعليل التيار بأمور طبيعية.

بحيث لا يقف زيف هذه الوجوه أمام النقد العلمي على رغم الصدقة العمياء الممشوقة والطبيعة البكماء المحبوبة. ألا: تعجب ممن يعرض عن البحث عن غاية الكائن ولا يجد السير في اكتشاف فوائده النافعة في الحياة والعمران. ومع ذلك يتقهقر إلى أوهامه في تعاليل الصدفة العمياء فيضطهد شرف الغايات ويصرف عنها الأنظار لولا بقية روح علمي بقي من تأسيس السلف يحرك على طلب الفوائد والغايات فيما ينفع البشر.

الأرض اليابسة

وانظر إلى مسكننا الأرض كيف قد مهد الكثير منها للسكنى والزراعة واختلفت أوضاع الباقي للقيام بلوازم العمران ودوام الراحة في المسكون وتعديل لوازمه، وكيف جعل تفجر العيون من الأعالي لكي يتهيأ عموم الري، وأمدتها الأمطار لإكمال النفع. أفلا تنظر إلى سيول الأمطار وذوبان الثلوج وجري الأنهار الكبرى، كم تحمل من الجبال والوهاد في سيلها الجارف من

الأطيان والصخور على مر الدهور والأحقاب وتقذفه في البحار على وجه لو أهملت العناية إصلاح هذا الحال وتداركه لاضمحلت الجبال والهضبات وملأ الطين أعماق البحار والخلجان فاستولى الماء على المسكون. وها أنت وكل الناس تعلمون أن الجبال. والهضبان، والوراي والوديان والبحار والخلجان على حالها منذ زمان يبلغه التاريخ بجهده. وهذه الآية الكبيرة التي يكفي العاقل فيها أقل تنبيه قد أشار إليها القرآن الكريم واستلفت العقول إلى أعجوبتها وحجتها بقوله تعالى في سورة الذاريات المكية في الآية الثامنة والأربعين (والأرض فرشناها فنعم الماهدون).

وقوله في الآية الثانية والثلاثين من سورة النازعات المكية. (والجبال أرساها) وحفظ وضعها ومهاد الأرض بأسباب القوة وآثار الحكمة ورعاية الغايات بإتقان ماهد لا تغفل عنايته عن رعاية دام المهاد ورسو الجبال في مراكزها على الناموس الذي تقوم به غايات خلقها ونعمة منافعها فلا تقوى العوارض والكوارث على تغيير هيئة هذا المهاد وهذه الجبال. بل لا تزال العناية في تعديل وضعها وحفظ صورتهما النافعة. والمظنون أن المستخدم المسخر في هذا التعديل هي النار السيارة في جوف الأرض على الدوام لأداء هذه الوظيفة الكريمة وغيرها من سوق الماء وإصعاده إلى العوالي كرؤوس الجبال وأعالي الهضاب، وتوليد المعادن والصخور والأحجار لتقوم بمنافعها للبشر، وتعديل مياه البحار وحفظ مناسباتها، وتصعيد البخار لأداء منافعه إلى غير ذلك مما لم يدركه العلم بعد. وانظر كيف جعل لهذه النار السائرة منافذ تخرج منها وجواذب تعدل سيرها وتدفع عادية حركتها القوية عن الأرض. وهذه المنافذ هي منافذ البراكين (جبال النار).

وهي فوهات في أعالي كثير من الجبال تخرج منها النار بأحوال عجيبة ترشد إلى الحكمة الباهرة. ومع ذلك فقد أبقت الآيات أثرا للاعتبار وإشارة إلى الموعظة وعظيم المنة وذلك أن هذه النار السائرة قد تزيد على مجاريها أو تكثر في مكان لأجل تأديه أعمالها فتحاول أن تخرج من قشرة الأرض فتحصل الزلازل الخفيفة أو الهائلة وربما يتعقبها الانفجار أو الخسف وفي ذلك ألطف استلفات إلى النعمة العظيمة والغاية الكريمة في خلق جبال النار (البراكين) وسائر الجبال الجاذبة للنار والمثبتة لقشرة الأرض. وإلى ذلك أشار القرآن الكريم في الآية الخامسة عشر من سورة النحل المكية بقوله تعالى (وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم) ونحوه في الآية الواحد والثلاثين من سورة الأنبياء والعاشر من سورة لقمان المكيتين. ولولا هذه الجبال الراسية بالحكمة والمصروفة للنار لاستولى الميدان والزوال على الأرض.

وانظر إلى أجزاء الأرض وقطعها المتجاورة فإنك تراها مختلفة اختلافا كثيرا لم تجر على قياس مطرد، فترى في المنطقة الحارة فيما يقرب من البحر أو ما يبعد عنها أرضا طينية زراعية، وأرضا صخرية نارية، وصخرية كلسية، وأرضا رملية بينها طبقات مستحجرة، وترى ذلك في المنطقتين المعتدلتين والمنطقة البادرة الشمالية. وانظر إلى الثمار التي تنبت في أرض واحدة وتسقى من ماء واحد وهي متساوية في مهب النسيم وإشراق الشمس وتأمل في حكمة اختلافها في الأوضاع والخواص والطعوم واللذات.

وقد جمع القرآن الاحتجاج بهذا كله في سورة الرعد المكية في الآية الثالثة والآية الرابعة بقوله تعالى: (وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) في خصائص هذا الكون وآثاره فيعرفون دلائل القدرة وآثار الحكمة (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضه على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) لزوم تعليل الحادث وآيات قصد الغايات. وقد أوضح القرآن ما بلغه سير العلم بعد جهد جهيد من أن كل ثمرات التوالد ونتاج التوليد الذي يبقى به النوع من الحيوان والنبات جعل فيها ذكورة وأنوثة زوجين اثنين للتلقيح وأثمار النتاج. وأنظر إلى ما يبث في الدنيا من دابة. وتأمل في عجائب الخلق فيها ومواقع الحكمة. وانظر أقلا إلى الإبل وتسخيرها لمنافع الانسان في المفاوز المعطشة والمسافات البعيدة، تصبر على العطش وتقنع بالحطب، وانظر إلى الحكمة كيف راعت أحوالها مع الأحمال الثقيلة ونظرت إلى جسر ظهرها الطويل، وضعفه عن معاناة الحمل الثقيل وصدمه لرتجاجات الأحمال وزياد ثقلها عندما تنهض للقيام وعندما تبرك. فجعل لها السنام لكي تكون كيفية تحميلها على نحو يتوجه فيه الثقل من الأحمال ولرتجاجاتها إلى قوائم يديها ورجليها. فتكون قوائمها هي الدعائم المقاومة للثقل الكثير.

وجعل لها في صدرها ثفنة تعتمد عليها عند النهوض وتسهل تحريك يديها للقيام وتقي عظام صدرها من ضغط الحمل وثقل لرتجاجه. وراعت الحكمة طول أعناقها فجعلت تركيبها عموديا لكي تخف وتعين بخطوانها على المشي، وجعلت أخفافها عريضة لينة مراعاة لعلوها وكبر جثتها وثقل أحمالها. وقد استلفت القرآن الكريم أنظار الناس إلى التبصر بعجائب هذا الحيوان المألوف وما في خلقته من أنواع الحكمة التي تتساهل بها الألفة فقال تعالى في سورة الغاشية المكية في الآية السابعة عشر (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت) فيعرفوا من درس خلقتها مواقع الحكمة. وأكد الحجة بقوله تعالى في آية 18: (وإلى السماء كيف رفعت) سواء قالوا بأنها طبقات شفافة تتضمن الكواكب النيرة من سيارة وثابتة أو أن المراد منها أجرام الكواكب القائمة في مراكزها والسائرة في مداراتها على هذا النظام العجيب (وإلى الجبال كيف نصبت * وإلى الأرض كيف سطحت)[1] هذه الأشياء التي هي نصب أعينهم ألا ينظرون إلى خلقتها وثباتها على مواقع حكمتها وغايات إيجادها. وانظر إلى (الكونغو) أو (الكانكور) الحيوانات الكيس. كيف قدراعت الحكمة والرأفة ضعف أولادها حيث يولدون على الحالة الجنينية بحيث لا تتحمل الآثار الخارجية والحر والبرد فجعلت للأم من جلدها كيسا في أسفل بطنها تحضن أولادها فيه في حال ضعفهم فهم فيه ورؤوسهم إلى ناحية أثدائها يرتضعون وهم في مهد تربيتهم أو الرحم الثاني إلى أن ينالوا القوة. وانظر إلى السمك الرعاد وعجيب خلقته التي تنادي أيها الناس تنبهوا واكتشفوا من هذا الخلق العجيب جهاز التلغراف، الجهاز الكهربائي الذي يشابهه الجهاز الكلفاني، حتى قيل إن بعضهم عد في

1 ـ سورة الغاشية، الآيتان: 19 و 20. (*)

رعادة كبيرة 1200 عمود، وأن عدد الصفحات في البطارية في نوع ما بين مائتين وخمسين ألف وثلاثمائة ألف و 1200 موشور وبين الصفحات سائل زلالي في المائة تسعون ماء وملح عادي. ومما ينبغي أن تستلفت له الأنظار الحرة أنا ذكرنا في الدورة الدموية أن الشرايين في الحيوان المولود تحمل من القلب دما شريانيا صافيا طاهرا من الفضول يقسم غذاءه على عموم الأعضاء، وأن الأوردة تحمل من الأعضاء دما وريديا مخلوطا بفضول البدن فتؤديه إلى الرئة لكي تطهره من الفضول والمواد الضارة فيعود إلى القلب فإلى الشرايين وهكذا. فنذكر لك الآن أن الحال في الجنين على العكس حيث إنه يكون من ناحية المشيمة مادة غذائه وإلى ناحيتها مخرج فضوله. فكانت الأوردة تحمل من الوريد السري المشيمي دما شريانيا طاهرا من الفضول تزور بغذائه أعضاء الجنين ثم ترجعه الشرايين إلى المشيمة دما وريديا حاملا إليها فضول الجنين بالشريان السري المشيمي وعلى هذا تجري الدورة ما دام جنينا، وبمجرد ولادته تنقلب دورة الدم إلى ما ذكرناه أولا. عجبا هل يكون هذا التدبير البارع وجمال الاتقان الرائع من طبيعة بكماء وصدفة عمياء؟ كل هذا الذي ذكرناه من عجائب الحكمة والغايات وهو بالنسبة لما لم نذكره ولا ندركه قطرة من بحر هل يكون كله من فلتات هذه الطبيعة وهذه الصدفة؟؟ إذا دخلت غارا صخريا ووجدت تجويفه على شكل هندسي فيه شئ من الكتابات وشئ من النقوش وشئ من حسن التخطيط وتنظيم قياس تجويفه، فإن وجدانك لا يسمح أن يكون ذلك من صدفة الطبيعة. بل تقول من أين لهذه البكماء وصدفتها هذه الصناعة البارعة المنظومة بسلطان العلم والشعور، صانع هذا المكان الجميل مقتدر على الصناعة عارف بالهندسة والكتابة وحسن التصوير، راقي الشعور، فله الثناء على صنعه لهذا المنظر البهيج الدال على قدرته وعلمه.

يا صاحبي فأين أنت عن النظر في عجائب هذا العالم وإتقان غاياته وجمال حكمته الفائقة ونظامه الباهر. وما ذكرنا لك من ذلك إلا قطرة من بحر وقليلا من كثير. فكيف تسمح بذلك كله لطبيعة فاقدة الشعور.

ما هي الطبيعة؟ هل هي الفرد أو النوع أو الجنس؟ هل لها وجود غير موجودات العالم؟ أم ليست هي إلا انتزاع وهمي ينتزعها العقل ويفترضها من تماثل الموجودات؟ يا صاحبي هذه الآلات الصوانية التي ذكرناها صحيفة 57 والمدنية التي ذكرنا مثلها صحيفة 106 إنها تقصر ولا تقاس بنظام خلقة الحيوان فضلا عن غيره. وأراك وجميع الناس لا تسمحون بأن تكون من صنع الطبيعة العديمة الشعور وقلته الصدفة. فكيف تسمحون بأن هذا العالم العظيم العجيب وغاياته الشريفة المنتظمة في دهوره ومواليده كله يكون بصدفة الطبيعة البكماء. ما أعجب حالك وحال أصحابك مع طبيعتكم، فتارة تستحقرونها ويأتي وجدانكم أن تسمحوا بأن تنسبوا إلى صدفتها واحدا حقيرا مما ذكرناه من الآلات الصوانية ومثال المدينة والمغارة. وتارة تفوضون لها وجودا أصيلا وتسمحون لصدفتها بما لا يحصى من عظائم العالم في دهوره ومواليده. أين وجدانكم الذي تحكمون به في أمر القطع الصوانية ومثال المدينة والمغارة؟ ما أقوى يد تغمض عيون الوجدان في شأن العالم وصنعه!! أي يد مبرقعة هذه؟ ماذا يعينها وبأي نشاط تعمل أعمالها. ما أعجب هذه اليد المبرقعة، قد شابكت يد العلم فلوتها، وغطت على عين الوجدان فأسقطت حسها، لم يكن في الحسبان أن بذر أبيقورس للاستراحة الشهوانية ينمو هذا النمو في الأذهان مهما دملتها الأهواء بشهوانيتها. لا إخال لسانك يستطيع أن تقول كما يقوله بعض الشهوانيين العديمي العلم والشعور والذين لا بضاعة لهم ولا حجة

إلا تبسم الاستهزاء وقولهم أين صانع العالم العليم الحكيم هل هو في آسيا أو أوربا أو إفريقيا أو أميركا وفي أي بلد هو إنا لا نراه بأعيننا ولا نلمسه بأيدينا ولا نسمع له صوتا. ألا تقول لهم قولوا ما هي الطبيعة، وأين هي، ولا نطالبكم ببيان وجودها الحقيقي الفعال في الموجودات وإعطائها الوجود الأصيل الحقيقي، أين رأيتم الجواهر الفردة؟ ولا نعارضكم بامتناع فرضها. كيف رأيتم مدارتها، وإلى أي جهة كانت تدور.

وما هو مقدار حركتها في السرعة؟ أين عصفت عليكم زوابع الأثير. وأين رأيتم الأثير وكيف وجدتموه. لا نطالبكم بهذه الافتراضات الموهومة. ولكن هل رأت أبصاركم أو سمعت آذانكم أو لمست أيديكم أشياء لا شك في وجودها وتحققها. منها هذا الشعور والادراك الذي يمتاز به الحيوان ويفتخر بكماله الانسان. ومنها هذه النفوس التي هي ملكة الأبدان وسلطان الحياة والشعور وعروس الوجود. هل أحسستم بها بحواسكم؟ ومنها روح الحقيقة ومظهر النعمة ولباس الزينة ومنشأ انواع الطبيعة وهو ذات الوجود الذي تزينت به الموجودات العالمية وتحققت حقائقها وزهر ببهجته العالم. هل يرى أحد ذات الوجود أو يحس به بحواسه؟ لا تقل نعم. فإنك إنما تحس الموجود المحسوس لا بذات الوجود. أين الحواس من إدراكه؟

لماذا تعلل الشعور بالقوة التي في الدماغ أو غيره، ولماذا تعلل هذه القوة وسائر الأعمال الارادية بالحياة. ولماذا تعلل الحيوة بالنفس. لماذا لا تقول إن هذه كلها من صدفة الجسم. لكن الحجر المسكين لم يتوفق لهذه الصدفة ولم يسمح دلال هذه الأنسة بمواصلته يوما. لماذا دام هجرها للحجر المسكين؟ يا من يبعث الشعور والفطرة على التعليل، ويعرف أنه مسؤول للانسانية وشرف الشعور وسلطان العلم عن استقامة التعليل والوقوف فيه على موقف علمي لا تتحمل فيه ملامة الشعور والوجدان وتوبيخ العلم. أين أنت عن التعليل بواجب الوجود العليم الحكيم؟ ماذا يصدك عنه؟ إذا صدقت النظر في شأن مولود الحيوان رأيت العجب وعرفت أن له مدرسا رؤوفا عالما يعرفه كيف يسلك في طريق الحياة الجديدة الذي لم يره قبل ذلك ولم يعرفه.

فترى المولود حين خروجه من بطن أمه كأنه تلميذ أكمل دروسه وتلقى علمه وأذى امتحانه وصارت له نوبة العمل في أعمال معيشته ولوازم حياته.

قد كان في الرحم ولم يألف في حياته هناك إلا ظلمات وأحشاء ومشيمة تبعث إليه من الحبل السري غذاءه وتأخذ فضوله من دون طلب منه ولا سعي في أمره. لم يعرف تغذيا بفم ولا غذاء من ثدي ولا طلبا للمعيشة ولا سعيا للرزق ولم يعرف أما ولم يألف لها حنانا. فتراه في أول ولادته ينادي بطلب غذائه ويسعى جهد قدرته في معيشته. فترى طفل الانسان إذا وضعته أمه على الثدي أول مرة يحاول الامتصاص ويدير فمه على الثدي باستعجال يطلب طريق رزقه فكأنه قد ألفه دهرا وقضى في لذته وطربا وأنس به زمانا حتى إذا التقم الحلمة سكن بكاؤه وقر قراره وصار يمتص اللبن بإقبال والتذاذ وسكون واستعجال. كأن له في هذه الأمور سابق تدريس وعلم وامتحان وتجربة ومحبة وألفة. ولقد شاهدت شاة حين ولادتها فرأيت جنينها زار الأرض مخرجا رأسه من كيسه طالبا للفرار منه كأنه يعرف أن هذا الكيس قد صار في دورة الولادة سجن الضيق والضرر والفقر بعد أن كان بيت الراحة والحماية والكفاية. فصار ذلك القادم الجديد الغريب يرغو بلجاجة ويتحرك باستعجال متوجها إلى ناحية

رأس أمه الذي لم يره قط. يزحف مرتعشا ويتحرك مستعجلا متكلفا حتى إذا وصل إلى رأس أمه وتمكنت من لحس ما عليه من الرطوبات سكنت حركته واطمئن في مربضه فكأنه يقدم أعضائه إلى أمه لكي تلحس رطوباتها. أيها القادم الجديد هذه الرطوبات كانت ثوبك المألوف في دور الجنينية فلماذا تساعد على نزعه.

متى عرفت أنه يكون قذارة مضرة في دور الولادة؟ وحتى إذا سكن عن أمه ألم الولادة وقامت عن مربضها تحامل للقيام على تكلف كأنه يطلب أليفا أنس به زمانا ففقده أو طريقا اعتاد لسلوك فيه فضل عنه أو رزقا سعى في تحصيله مدة فضاع منه وصار يضع فمه على مواضع من بطن أمه يحوله من موضع إلى موضع حتى إذا التقم الثدي أقبل عليه بنشاط وابتهاج كأنه وجد ضالته وحظي بأنيسه القديم. وإنك إذا تتبعت مواليد الحيوانات تجدها كلها على هذا المبدأ في الشعور الابتدائي كأنها متخرجة من مدرسة قد درست فيها هذه التعالم على معلم عالم رؤف بها. فهل يكون هذا كله من دون عالم فعال مدبر يلهمها رشدها ويعلمها تدبير أمرها. وفي هذا المألوف المعروف كفاية. فلا حاجة إلى ذكر عجائب المنقولات من أحوال الحيوان (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم * الذي خلقك فسواك فعدلك * في أي صورة ما شاء ركبك)[1] وحباك بالحياة وزينة الشعور وراعى شؤونك في نشأتك وأطوار حياتك الجنينية وبعد الولادة. فأين أنت عن رشدك ولماذا تاه شعورك وبماذا انخدع وجدانك؟ من هو الذي أوجدك. ومن هو الذي حباك بجمال الحياة وزينة الشعور جنينا ووليدا (أفي الشك فاطر السموات والأرض)[2] (ألا يعلم من خلق)[3] . تضطرك الفطرة إلى تعليل الموجودات التي تشاهدها فتحرفك أوهام الأهواء إلى افتراض الجواهر الفردة وحركتها والأثير وزوابعه أو تكاثفه. ومهما انحرفت ومهما افترضت فإنك لا تقدر أن تقف بالتعليل في إيجاد الموجودات إلا على ما هو واجب الوجود في نفسه. ولا تقدر أن تصفه بوجوب الوجود ما لم تقدر أن تنزهه عن كل ما ينافي وجوب الوجود. وأين أنت من ذلك وقد مر إنك مهما تفترضها ومهما تدعي فيها لم تقدر أن تنزهها عن تغير الكيان، ونقص الامكان، دع هذا ولكن واجب الوجود الذي ينتهي إليه التعليل في وجود الكائنات لا يمكن للوجدان الحر إلا الاعتراف بأنه عالم بغايات خلقه قد خلق لأهل الغايات. فكيف يصح لكم أن تصفوا الجواهر الفردة والأثير بوجوب الوجود مع أنكم افترضتموها عديمة الشعور والادراك. الدكتور: يا شيخ إني طالما أوجه فكري في هذه الأمور التي ذكرتها وغيرها وعلى الخصوص ما يجده في علم التشريح من عجائب الفوائد والغايات ودلالة الخلقة على قصدها. وأقدر أن ما خفي على العلم أعجب وأدل على قصد الغاية

1 ـ سورة الانفطار: الآية / 6 - 8.

2 . سورة إبراهيم: الآية / 10.

3 . سورة الملك: الآية / 14. (*)

وأزيدك يا شيخ أني طالما تضايقني الشدائد وتنقطع آمالي من الأسباب الطبيعة فأجد نفسي تلتجئ بفطرتها إلى مدبر فعال

بالإرادة تراه مالك التصوف والتسبيب ملك القوة والرحمة فطلب منه كشف الشدة بقدرته ورحمته على رغم الأسباب العادية، وتظل شاخصة النظر إلى رحمته. فيكثر عجبي من نفسي وتوجهها والتجائها ابتداء بفطرتها إلى من تراه خالقا قادرا عالما يفعل بإرادة على رغم التوامي بالمذهب المادي. وطالما درست أحوال الناس عند شدائدهم وانقطاع آمالهم من الأسباب العادية فأجد نفوسهم تجري بفطرتها على مبدأ نفسي في الالتجاء إلى مدبر عالم قادر، وكثير من هذه النفوس لا تعترف له في العافية والسعة. لكن يا شيخ إن اعترافنا بالإلهية دونه عقبات: (الأولى): إنا لا نقدر أن نعرف حقيقة هذا الخالق العالم الواجب الوجود. وهذا مما يصدنا عن الاعتراف به فإنه يصعب على النفوس أن تعترف بوجود موجود لا تعرف حقيقته.. (الثانية): إنا نرى الكثير من الناس قد تاه في هذا المقام. فإن منهم من يقول بتعدد الآلهة. ومنهم من يقول إن الإله يتجسد ويلبس ثوب الناسوت فيخضع بالطبيعة لاحتياج البشرية ونقائصها والشدائد الواردة عليها. ومنهم. ومنهم. وهذا كله يضاد مقام الإلهية ووجوب الوجود على خط مستقيم. من يتغير كيانه كيف يكون واجب الوجود؟ أي كيان منه واجب الوجود هل هو الكيان الأول المنعدم أو هو الكيان المتجدد الحادث؟ أم أن وجوب الوجود لا يرتبط بكيان وجودي، بل بكيان وهمي انتزاعي لا وجود له. (الثالثة): إن الذين يدعوننا للاعتراف بالإلهية يريدون منا أن نعترف لهم بسيطرة دينية ونخضع تحت نير ونرزح تحت ثقل. مع أنا نرى الكثير من هذه السيطرات بعيدا عن الحقيقة. مشوه التعاليم وهذا لا يهون. يا شيخ فإن دعانا العلم والوجدان إلى الاعتراف بالإلهية صدتنا هذه العقبات..ولا تحسب أني ممن يصده تكميل الشريعة الإلهية وتعليمها الروحي وزجرها عن فلتات الشهوانية ونقائص البشرية المهددة للكمال والأدب والمدنية والاجتماع والمستقبل الصالح للانسان.

الشيخ: هذا الكلام عجيب غريب منك ومن أمثالك. فإنا نقول لك: (أولا): إذا قادك العلم والوجدان إلى الاعتراف بوجود الموجود فهل يسوغ لك في شرف الشعور والأدب أن تجحد وجوده لأنك لا تعرف حقيقته من أجل قصورك عن إدراكها؟ إنك إذا رأيت شيئا تقصر عيناك عن تمييز حقيقته فهل يسوغ لك أن تقول لا وجود لهذا الشئ. إنك لا تعرف حقيقة النفس للحيوان ولا مائز العقل للانسان فهل يسمح لك الشعور بأن تقول ليس للحيوان نفس يمتاز بها عن الحجر وليس للانسان عقل يمتار به عن سائر الحيوان. فعليك أيها الدكتور أن تتبع العلم وحجته ودلالة الوجدان إلى حيث يوصلانك وتقف حيث يقفان. وثانيا. إن اختلاف الناس وتيه كثير منهم في أمر الإلهية هو عادة جارية للجهل المركب الذي يقتحم على كل حقيقة. فهل يسوغ إنكار الحقائق لأجل اختلاف الناس فيها وضلالهم عن سبيلها في متاهات الجهل والقصور. هل يوجد في الحس ما هو أجلى وأظهر من النور. أفلا تراي باختلاف الطبيعيين فيه حيث قال بعضهم: إنه مادة وذرات تنتشر من الجسم المنير بواسطتها تدرك العين المرئيات. وقال بعضهم: إنه حاسة يحدثها نقر تموج الأثير على عصب البصر. التموج الصادر من الأجسام المنورة. فما أبعد ما بين هذين المذهبين.

ومما يزيد في خفاء حقيقة النور ويجعل الآراء فيها عرضة للنقد والتزييف ما كشفت عنه التجارب من النور الغير المرئي. كالنور الأحمر من الحل الطيفي لنور الشمس. وكالنور الغير المرئي من النور للكهربائي الذي اكتشفه (رونتكين). ومما يزيد في خفاء حقيقة النور ما يوجد من الاختلاف الكبير بين النورين، فإن نور الشمس لا ينفذ إلا من الجسم الشفاف وإذا حل على

مكان ينكسر. والنور الكهربائي لا ينكسر، وينفذ من الأجسام الكثيفة ما عدا الفلزات. والمأمول من العلم أن يظهر من اكتشافاته ما يجعل العقول حائرة في حقيقة النور. وهذه الكهربائية التي أعملت في الأفاعيل الكبيرة قد قال قوم فيها إنها عبارة عن قوتي سيالين يكونان ممزوجين متكافئين في الأجسام الغير المكهربة. وبتفويق هذين السيالين تظهر الكهربائية وتهيج وباتحادهما تتفوغ ويبطل التهيج. وقال قوم قوة واحد في الأجسام متوازن، وبزوال الموازنة تتكهرب الأجسام، وبعود الموازنة تتفوغ ويبطل التهيج. ما هي حقيقة السيال؟ وكيف يكون جاذبا، وكيف يكون دافعا، وأين يذهب إذا تفوغ، وأين يذهب إذا انقطعت دائرته، هل يختص بسطح الجسم، ولماذا يختص، وكيف يتكهرب الهواء والفضاء، ولماذا تختص الكهربائية برؤوس المروس أو تزيد فيها؟ لازالت زوابع الجهل المركب تذهب بالأفكار في كل متاهة. قد قحمتها في ضلال إنكار الوجود بعد العدم ودعوى امتناعه، مع إنك وكل أحد ترون وتجدون في كل ساعة ألوفا وألوفا مما حدث بعد العدم.

إن مثلك لا ينبغي أن يخفى عليه أنه يلزمه النظر الصادق في أمر الحقيقة واتباع الحجة الواضحة والدليل الهادي لكي ينجو من تيه الضلال، ويتمسك بما وصل إليه من العرفان. فانظر هداك الله في أمر الإلهية بعين البصيرة وأثبت أقدامك في مراكز اليقين. فإذا تجلى لك أمر الإله وعلمه وحكمته فهل يقبل شرف إنسانيتك أن تفر فرار العبيد فتجحد الإله لمحض خوفك من الخضوع لنير تعاليم متدلسة باسم الدين. أليس من اللازم عليك أن تنظر في أمر التعاليم التي تدعو إليها. فما عرفته أنه من التعاليم الإلهية الحقيقية أخذت به وأرشدت بني نوعك إليه. وما عرفته أنه من الأهواء المتدلسة باسم الدين أعرضت عنه وأوضحت لبني نوعك ضلاله. فإن هذه التعاليم المتدلسة كما قلت أنت هي نير الشقاء وغل الضلال والعناء. وثقل الخسران الباهض. ولكن هل يخفى عليك أن التعاليم الإلهية الحقيقية هي من رحمة الله للبشر وهي تاج الشرف وزينة الكمال وفخر الأحرار يستريحون إلى كمالها وعدلها وإصلاحها من عبودية الشهوانية البهيمية ونير الأهواء الخسيسة. فيا للعجب من فضيلتك أيها الدكتور أراك تحيد عن الحجة الساطعة في أمر الإلهية والمحجة الواضحة في العلم وتعلل بهذه التشبثات البلادة.

الدكتور: ألا تهوي يا شيخ في الاحتجاج على المعارف الإلهية لكي أعيد النظر وازداد في البصيرة. الشيخ: مهما اختلفت الأهواء وتشعب الجهل فإنها لا تثنى فطرة الانسان الأولية عن حكمها بلزوم تعليل الكائن والنظر في علته وإن اقتصر بعض المغفلين والقاصرين على ما يهمه في حاله الحاضر وحاجته الوقتية الطفيفة. ولكن جميع النفوس في نظرها إلى هذا العالم وما يحدث فيه كل آن من الموجودات التي لا تحصى لازالت تطلب الوقوف على مصدر هذه الكائنات ومبدأ وجودها. كانت الأهواء ههنا قد عملته أعمالها بدسائسها. فكان نوع الناس بجامع الفطرة الانسانية قديما وحديثا ينظرون إلى العلة الفاعلة في إيجاد الموجودات موجين مادتها في لفيف الموجودات الحادثة. إذ يجدون بفطرتهم وإحساسهم وبرهانهم إمكان وجود المادة بعد عدمها وخضوع وجودها للقوة الفعالة.

فإنهم يجدون موجودات بصورة ومادة لم يكن لهما سابقة في الوجود. ويوضح لهم العلم بدلائله والفطرة بسرها المستقيم أن القول بقدم المادة مهما تقلبت به الأفكار واحتالت له إنما هو رأي مخروع، ودعوى تحتوشها النقود والردود. وكيفما كان فإنه لا

يغني شيئا عن لزوم القول بقدم العلة الفاعلة الايجاد والنظر في أمرها وإن كانوا قد ذهبت بهم في ذلك المذاهب الكثيرة حسبما تسمح الفرصة للأهواء وغفلات الجهل أو يستقيم السير في نهج العلم اليقين. ثم نبغ من خلال الأعصار وشذاذ البشر قوم صرفتهم الصوارف عن النظر إلى العلة الفاعلة في إيجاد العالم فتساهلوا في أمرها ووجهوا همتهم إلى افتراض المادة ووصفوها بالأزلية مع اختلافهم في وجوه افتراضها. وأوكلوا أمر العلة الفاعلة إلى صدفة حركة الجواهر أو زوابع الأثير أو تكاثفه وأغمضوا النظر عن تعليل هذه الحوادث الافتراضية أعني الحركة والزوابع والتكاثف.

فخيلوا أنهم قد أصابوا الموقف العلمي في التعليل ومركز اليقين الثابت. ولكن يا صاحبي يا حضرة الدكتور إن ثوب الأزلية لا يكون بحياكة آرائنا وخياطة ألسننا لكي نلبسه لمن نشاء بل إن صفة الأزلية صفة حقيقية لها لوازم مقومات. ولها منافيات لا تجتمع معها في شئ واحد. كيف تكون الجواهر الفردة أو الأثير أزلية يوقف عليها بالتعليل وهي ليست واجبة الوجود. وكيف تكون واجبة الوجود وهي لا تزال متغيرة الكيان بتقلبها باختلاف الصور والحقائق وتقلبات الحركة كما تزعمون؟ وكيف يكون الأثير واجب الوجود مع أنكم افترضتموه مركب المقدار محتاجا إلى أجزائه وإلى فاعل يوجدها ويؤلفها بالتركيب. وكيف تكون الجواهر الفردة واجبة الوجود مع أن فرضها غير متجزية مستحيل وبحسب فرضكم لاشتمالها على قوتي الجذب والدفع وأن لها حركات مختلفة الوضع والأمكنة والجهات وكونها متجزية يستلزم تركبها في المقدار فتكون محتاجة إلى أجزائها وإلى فاعل يوجد أجزاءها ويؤلفها. هذا كله في المادة وقد مر مشروحا.

العلة الأولية الأزلية الفاعلة للإيجاد

وأما العلة الفاعلة للإيجاد فمهما تساهلتم في أمرها وحاولتم صرف الأنظار عنها ألجأتكم الضرورة إلى أمرها فقلتم إنها صدفة الحركة. الحركة هي أكوان متتابعة ينعدم الأول فيحدث الثاني. ما هو العلة الفاعلة لهذه الحركة.

هل نخادع عقولنا ووجداننا ونقول إنها أزلية. ما هو الأزلي منها. هل هو الكون المنعدم أو الكون المتجدد؟ أم نذهب بالتسلسل إلى غير النهاية رغما على بداهة العلم في بطلانه وخصوص حجتك المذكورة صحيفة 69 و 70.

كرامة القرآن في حجته

وتوبيخه وقد احتج الله على المتغافلين عن خالق العالم فقال جل شأنه في الآية الخامسة والثلاثين والسادسة والثلاثين من سورة الطور المكية (أم خلقوا من غير شئ) يخلقهم ويوجدهم بعد عدمهم. هل يمكن في الشعور أن يقولوا بذلك (أم) يقولون إنهم (هم الخالقون) لأنفسم هلى يتحملون شناعة هذا القول (أم) يقولون إنهم (خلقوا السموات والأرض) هذا العالم الكبير هل خلقوه وهم عدم وقبل وجودهم؟ إذن يا صاحبي لا محيص للعلم وشرف الشعور والانسانية عن الانتهاء بالتعليل لفاعلية الايجاد إلى الفاعل الأزلي ولا يمكن وصفه بالأزلية إلا أن تعترف له بوجوب الوجود والاستغناء في نفسه عن الموجود. ولا نقدر أن نصفه بوجوب الوجود ما لم نعترف له بلوازم وجوب الوجود ونلتزم بها. وما لم تنزه ذاته المقدسة عن منافيات وجوب

الوجود. وقد أسلفنا دلالة الفطرة وحكم الشعور والوجدان السليم على أن هذا الواجب الموجد للعلم لا بد من أن يكون عالما قد أوجد موجداته لأجل غاياتها التي يعلمها ويقدرها بعلمه قبل وجودها كما رسمناه من صحيفة 101 إلى 133 وستسمع بعون الله دلالة العلم والوجدان على أن موجد العالم لا يمكن إلا أن يكون موجدا بإرادته وعلمه بالمراد. وهذا التكرار الملخص تذكار لما تقدم. وتأسيس للكلام في مطلوبك من الجري في الكلام على المعارف الإلهية.

واجب الوجود العالم

يلزم في وجوب الوجود أن لا يكون الواجب مركبا في الماهية والمقدار. فإن المركب محتاج إلى أجزائه وإلى فاعل يركبها ويؤلف بينها والمحتاج لا يكون واجب الوجود. إذن فلا يكون الواجب ماديا فإن المادي مهما فرض له من البساطة في الماهية لا بد من أن يكون مركبا في المقدار وقد مر امتناع فرض الجزء الذي لا يتجزأ: وأيضا فإنه إما أن يكون ساكنا في مكان خاص فيلزم أن يكون فيه مع جوهريته وماديته المطلقة جهة تقتضي سكونه في المكان الخاص.

وإما أن يكون متحركا فيلزم أن يكون فيه أيضا مع ماديته المطلقة جهة تقتضي حركته الخاصة. فيكون مركبا محتاجا إلى أجزائه وإلى فاعل يؤلفها فلا يكون واجب الوجود. وإن كان السكون في المكان الخاص أو الحركة الخاصة من تأثير فاعل آخر يتصرف فيه لم يكن واجب الوجود وانتقل الكلام إلى ذلك الفاعل المتصرف. الدكتور: كيف يمكن أن نتصور موجودا غير مادي. الشيخ: إن وجود الماديات وتعليلها المستقيم دليل يقودنا إلى الاذعان بهذا الموجود الغير المادي ويجبرنا على الاعتراف به. فإنه لا بد من تعليلها بواجب لذاته ولا يمكن أن يكون واجب الوجود ماديا. إذا شهدت بوجود الموجود آثاره وأعماله المحسوسة بكثرة مدهشة فلا يصح لنا جحوده أو التوقف عن الاعتراف به لمحض قصورنا عن تصور حقيقته. ولماذا لا نلتفت بذلك إلى قصور أفكارنا عن معرفة جملة من الحقائق.

وإلى متى وحتى متى نكون معجبين بأفكارنا فنقابل الحقائق بالجحود الأعمى والتوقف السخيف. عادة جرينا عليها ولم يردعنا عنها ظهور خطئنا وجهلنا وكثرة الحقائق التي نعترف بها ولا نهتدي إلى معرفة كنهها سبيلا. سمع الناس على بعد باختراع التلفراف فضجوا بالجحود والتشكيك اغترارا بأوهامهم في الطبيعيات حتى إذا شاهدوا أعماله خمد صوتهم وصاروا يعللونه بالقوة الكهربائية التي لم يعرف كنه حقيقتها حتى الآن. وسمع الناس بالفونغراف (صندوق الأصوات) فتسرع الناس حتى بعض الخواص الممارسين للطبيعيات وجاهروا بجحوده والتشكيك في أمره اغترارا بأوهامهم في طبيعة الصوت. ذكر التلفراف اللاسلكي فلج السامعون بجحوده والتشكيك فيه حتى مع ألفتهم للتلفراف السلكي. ذكر النور الغير المرئي (نور رونتكين) فعده السامعون من الخرافات اغترارا بأوهامهم في طبيعيات النور والشفافية والكثافة. وإلى الآن لم يعرف كنه الحقائق المؤثرة في هذه الأعمال. يرون الناس أعمالها ويقفون في معرفة كنهها موقف المبهوت.

نرى أعمال النفس في الحياة والشعور ولا يمكننا درك كنهها. نعم قد تسرع بعض الناس في البحث عن ماهيتها فصار هذا يقول هذا رأيي هكذا، وهذا يقول رأيي هكذا آراء مجردة وفتاوى كأنها مقدسة لكن ذات النفس تشمئز من أوهامها وتضجر. ما

هي القوة وما هو كنهها، ما هي ماهية النفس والشعور، ما هو الوجود؟ هذه الأمور كلها غير مادية فكيف اعترفتم بوجودها؟ أليس ذلك لأجل مشاهدة أعمالها. إذن فماذا يمنعكم عن الاعتراف بوجود واجب الوجود مع مشاهدة أعماله في هذا الكون الذي لا بد من تعليله به. يا من يفترضون الأثير افتراضا مزعوما ويربطون به التعليلات الطبيعية قولوا إنه في غاية اللطافة والبساطة ولكن ما هي حقيقته. هل هو مادي؟ ألستم تزعمون أن المادة من نتائج زوابعه أو تكاثفه. قد أذنتم لكثير من الحقائق أن لا تكون ماديةولا بظهر لعالم الماديات والحواس إلا أعمالها فماذا يصدكم عن الاذعان بذلك لواجب الوجود؟ أم تريدون أن نتقهقر في التعليل إلى ما لا يمكن أن يكون واجب الوجود. أليس من شرف الانسانية أن لا تتلون في أفكارها. أليس من شرف العلم أن يجري في نهج مستقيم عادل؟ ألا تنظر إلى غفلات الأهواء، هذه الغفلات والطرات التي يسمونها شجاعة أدبية. أنظر إليها كيف فعلت أفاعيلها.

الدكتور: هل يمكن معرفة شئ من شأن هذا الواجب الوجود. الشيخ: نعم من الأمور ما تكون معرفته ضرورية للإذعان بوجوب الوجود. فقد تكرر فيما مر أن واجب الوجود لا يكون مركبا لا في الماهيةولا في المقدار. لأن التركيب بجميع وجوهه يضاد وجوب الوجود. أليس المركب محتاجا إلى أجزائه وإلى فاعل يؤلفها؟ فأين يكون وجوب الوجود. ومن ذلك يتضح أن واجب الوجود يلزم أن يكون في غاية البساطة والقدس في التركيب من جميع الوجوه.

الدكتور. يا غبطة القس ويا عمانوئيل هل أنتم مذعنون بما ذكره الشيخ من الدعوى والاحتجاج.

القس: هل يمكن العدول. عن جادة الحق اليقين والحجة الواضحة. الدكتور: إذن فأسألكم عن التثليث والأقانيم التي يقول بها أصحابكم النصارى كما قال بها الواهمة والبوذيون وكثير من الأمم الوثنية. هل هذه الأقانيم الثلاثة ترجع إلى التركيب في الماهية والجوهر بحيث تكون الأقانيم عبارة عن أجزاء هذا المركب، أم ترجع إلى أن الإله الواجب متعدد في الوجود بحيث تكون الأقانيم أفراد جنس الإله الواجب كأفراد الانسان؟ القس. قل ما تعرفه في هذا المقام يا عمانوئيل.

عمانوئيل: يقول أصحابنا إن أمر الأقانيم والثالوث فوق عقولنا لكنه موافق للعقل وقد نطق به الكتاب المقدس فوجب اتباعه. هكذا يقولون. الدكتور: ما معنا قولهم (فوق عقولنا) هل يقولون إن العقل يراه ممتنعا ومستلزما للمحال لأنه إما أن يرجع إلى كون الإله مركبا فلا يكون واجب الوجودولا إلهاولا قديماولا أزليا. وإما أن يرجع إلى تعدد الآلهة وهو باطل. إذن فكيف تقبلون قول كتابكم بهذا الذي يراه العقل ممتنعا ومحالا. أليس العقل هو ميزان الحقائق وميزان صدق الكتاب وكذبه. ما كنت أحسب أن في الناس من يصدق كتابا في قوله الذي يحكم العقل بامتناعه وكذبه. أم يقولون. إن أمر الأقانيم والثالوث يراه العقل جائزا ممكنا ولكنه لا يهتدي إلى إثباته سبيلا فجاء الكتاب النبوي فكشف الغطاء للعقل عن هذه الحقيقة المجهولة فوجب على الناس قبولها. إذن فعليهم: أولا أن يوضحوا مرادهم من الأقانيم والثالوث ويبينوا إمكان ما يقولون وعدم امتناعه عند العقل. حتى إذا وصلت النوبة إلى بيان الكتاب النبوي كان عليهم. ثانيا أن يبينوا سند هذا الكتاب بأجمعه إلى النبوة الحقيقة واتصاله بطريق العلم واليقين لا بالتعاليل الواهية والتخمينات البادرة. ومن شروط نسبة الكتاب إلى النبوة أن لا يكون فيه شئ مما

يضاد العقل ويحكم العقل بكذبه وبطلانه. ولا شئ مضاد لأصول الدين المعلومة من أساسيات تلك النبوة. ولا لأساسيات ذلك الكتاب في تعليمه وأن لا يكون متناقض التعليم الديني. بل يكون كاملا في شرق الكتب الإلهية النبوية.

(وعليهم ثالث) أن يوضحوا صواحة الكتاب في أمر الأقانيم والثالوث صواحة مفيدة في تأسيس التعليم وإعلان الديانة. يا عمانوئيل هل هذه الأمور الثلاثة مستطاعة لأصحابك.

عمانوئيل: أحب تأخير الكلام في هذا حتى يتضح لنا الحال في أمر توحيد الإله وحكاية تعدده وتجسده وحينئذ تتم مباني الكلام وتتمهد أساسياته.

إمتناع تجسد الإله

الدكتور. هذا الإله الواجب هل يتجسد وهل يلبس الطبيعة البشرية لكي يرفع قدرها ويظهر مجده وقدرته. كما يقوله الواهمة والبوذيون وكثير من الرومان والأمم والنصارى. الشيخ: أفا كونه تعالى شأنه جسدا من الأزل بمعنى كونه ماديا من الأزل فقد تقدم امتناعه على الواجب الوجود فإنه يلزم من كونه جسدا كونه مركبا في المقدار أو في الماهية ومقدورا لمن يلجئه إلى السكون في المكان الخاص أو الحركة الخاصة. وأما حدوث التجسد له وتغير كيانه الأول فقد مر في كلامنا وكلامك أن واجب الوجود لا يمكن أن يتغير كيانه. ولزيادة الايضاح نقول إن قد ذكرنا أن واجب الوجود لا بد من أن يكون منزها عن التركيب وفي غاية البساطة من كل جهة.

فذلك الكيان بتلك الحقيقة البسيطة هو واجب الوجود ومن وجوب وجوده يلزم كونه أبديا. فمن الواضح إذن أنه يستحيل أن يتبدل هذا الكيان إلى كيان آخر وإن كان بسيطا فإن الكيان الأول يخرج عن كونه أبديا وواجب الوجود وأما الكيان الثاني فهو حادث بالضرورة فلا يكون واجب الوجود. بل يجري نحو هذا البيان حتى لو فرضنا الكيان الأول لواجب الوجود مركبا فإنه يفرض تغيره إلى كيان آخر مركب أو بسيط يخرج عن فرض كونه واجب الوجود. وهذا بديهي وقد ذكرته أنت في صحيفة 363 . ويا للعجب من قولك (ويظهر مجده وقدرته) أي مجد وقدرة يظهر أن بالتجسد. هل يظهران بالخضوع لفقر البشرية وحاجتها إلى الطعام والشراب. أم بذلة الآلام والاضطهاد. أم بالصلب والاستواء والقتل كما ابتلى به من زعم الناس أنه إليه متجسد مثل بوذا. وكرشنا. وانوا. والمسيح. وغيرهم ممن ألهه المكسيك والرومان وغيرهم.

عمانوئيل: يذكر الفصل الرابع عشر من كتاب أعمال الرسل أن (بولس. وبرنابا) دخلا (لسترة) وشفى فيها مقعد عاجز الرجلين فقال الجموع من أهل لسترة إن الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا. فكانوا بناء على وثنيتهم يدعون برنابا (زفس) أي المشتري. ويدعون بولس (هرمس،. أي عطارد. فقال بولس وبرنابا للجموع في التوبيخ على ضلالهم والاحتجاج عليهم (لماذا تفعلون هذا نحن أيضا بشر تحت آلام مثلكم، فوجدت في هذا الكلام احتجاجا ثمينا على بطلان تأليه البشر فإنه يستلفت الأذهان الغافلة إلى الأمر البديهي وهو أن البشر الخاضع بطبيعته لسلطة الآلام وتقلبات التغير الدائم كيف يكون إلها.

الدكتور: هله تفتخر يا عمانوئيل بوجود هذا الكلام وهذه الحجة في العهد الجديد وهل تجعله دليلا على سداد العهد الجديد في

تعليمه في الإلهية.

عمانوئيل: إني أعرف مواقع إشاراتك في هذا الكوم.ولا تحسب أني أخضع لأسماء الكتب وكل ما انطوى فيها.وإنما أخضع للتعليم الصحيح حيثما أظهر مجده بحجته الواضحة بالسير العلمي. لا بطفرة الشجاعة الأدبية.ولا تحسب أنا في غفلة عما تشير إليه فإنا قد انتقدنا على أناجيل متى، ومرقس، ولوقا، وكتاب أعمال الرسل تعليمها بتعدد الأرباب وجعل البشر ربا وأشرنا إلى تحريفها وسقوط حجتها، كما انتقدنا على إنجيل يوحنا تعليمه بتعدد الآلهة وأشرنا إلى تحريفه للمعنى وسقوط حجته. فانظر إلى الأول في صحيفة 72 و 73 و 170 – وننتقد أيضا على كتاب أعمال الرسل قوله في شأن المسيح في العدد السادس والثلاثين من الفصل العاشر (هذا هو رب الكل) – وعلى رسالة رومية قولها في العدد الخامس من الفصل التاسع (ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلها مباركا إلى الأبد) – وعلى رسالة العبرانيين قولها في العدد الثامن من الفصل الأول في المسيح (وأما للابن كرسيك يا الله إلى دهر الدهور – 10 وأنت يا رب في البدء أسست السموات والأرض هي عمل يديك) – وهل نرانا لا ننتقد على رسالة فليبي قولها في الفصل الثاني (المسيح يسوع 6 الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله لكنه أخلى نفسه آخذا صورة عبد صائرا في شبه الناس) – ألا ننتقد على إنجيل يوحنا قول في أول الفصل الأول: (في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله – 14 والكلمة صار جسدا) أو لا ننتقد على رسالة تيموثاوس الأولى قولها في العدد السادس عشر من الفصل الرابع (الله ظهر في الجسد).

إمتناع الحلول والاتحاد

الدكتور: هذا الإله الواجب الوجود الذي يمتنع أن يتغير كيانه هل يتحد مع شئ فيكون هو وذلك الشئ واحدا. الشيخ: ما هو معنى الاتحاد هل يتغير كيان واجب الوجود إلى كيان ذلك الشئ، أو يتغير كيان ذلك الشئ إلى كيان واجب الوجود، أو يتغير كيان الواجب وكيان ذلك الشئ بالاتحاد فيحدث كيان آخر؟ إذا كان يمتنع أن يتغير كيان واجب الوجود أو يكون الشئ الحادث بالتغير واجب الوجود فكيف يمكن أن يقال بأحد الوجوه الثلاثة. إذا هان التنقض على الأهواء فإنه لا يهون على النفس الشريفة والعقول المستقيمة. الدكتور: هذا الإله الواجب الذي يمتنع افتقاره إلى غيره ويمتنع أن يتغير كيانه هل يحل في الأجسام الحادثة مطلقا كما يقوله بعض الوثنيين أو يحل في بعض البشر كما يقول بعض النصارى بحلوله في يسوع (عيسى) المسيح. أو كما يقول بعض المتصوفة بحلوله في أبدان العارفين منهم.

الشيخ: ما هو معنى الحلول الذي يقول به هؤلاء؟ هذا الحلول الذي يخصونه ببعض الأجسام دون بعض هل يمكن أن يكون مع تقدس واجب الوجود عن كل ما يضاد وجوب وجوده. هل يحل الإله حلول البياض بالجسم والعرض بالجوهر. ألا ترى أن البياض الذي هو عرض لا يتقدم بنفسه ولا يمكن أن يكون له تحقق ووجود بدون الجسم بل هو مفتقر في تحققه ووجوده إلى الجسم. أم هل يحل حلول الصورة بالمادة. ألا ترى أن الصورة مفتقرة في وجودها إلى المادة. هل يكون واجب الوجود مفتقرا في وجوده إلى غيره. إذن فأين وجوب وجود! ماذا كان واجب الوجود قبل هذا الحلول الموهوم.، هل كان متقوما بنفسه غير محتاج إلى غيره ثم تغير كيانه إلى الحال الذي يفتقر إلى غيره. إذن فأين يكون وجوب وجوده. الذي يتغير كيانه كيف

يكون واجب الوجود أم تقول: إنه لم يكن متقوما بنفسه بل كان منذ القديم محتاجا إلى التقوم بغيره. إذن فأين يكون وجوب الوجود؟ أم تقول: إن حلوله في البشر الخاص يكون من نحو تعلق النفس ببدن ذلك البشر. فنقول إذن فتكون أعماله وعلومه عند الحلول متوقفة على آلية البدن كما هو الشأن في نفس الانسان المتعلقة ببدنه. هذا التوقف في أعماله وعلومه هل كان من اقتضاء كيانه منذ القديم؟ إذن فلا يكون هو العلة الأولى في الخلق ولا يصح الوقوف عليه بالتعليل. وبماذا نعلل وجود البدن وآليته، هل البدن هو واجب الوجود؟

المادي المركب في الماهية والمقدار والآلات كيف يكون واجب الوجود. أم أن التوقف في الأعمال والعلوم حدث للإله الواجب الوجود عند تطوره بالحلول في البدد. أليس هذا تغيرا في كيان الواجب؟ كيف يكون التغير أذن؟ من يتغير كيانه لا يكون واجب الوجود. أم تقول: إن المراد من الحلول هو عناية الإله ببعض البشر وترشيحهم لتعليم الناس بتعاليمه الروحية الصالحة. إذن فلا تختص هذه الكرامة بالمسيح بل هي عامة لكل رسول ولكل نبي. أو ولكل صالح فما هي الحاجة إلى التعبير بالحلول. هذا التعبير المشوه. الدكتور. ما تقول أنت يا عمانوئيل فقد جاء في العدد العاشر من الفصل الرابع عشر من إنجيل يوحنا من قول المسيح (الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي لكن الأب الحال في هو يعمل الأعمال).

عمانوئيل: قد تكلمنا في صحيفة 72 من الجزء الأول على أن إنجيل يوحنا ينسب إلى المسيح (وحاشاه) تعليمه بتعدد الآلهة واستناده إلى تثبث تحريفي واه. فهل من بعد هذا أحمل مسؤولية من أجل إنجيل يوحنا. وأيضا لا ينبغي أن ننظر إلى مسألة الحلول من إنجيل يوحنا. بل ينبغي أن ننظر إلى إنجيل يوحنا من مسألة الحلول. وأيضا إن إنجيل يوحنا ومطلق كتب العهد الجديد قد تقلبت واضطربت في أساليب الكلام إذن فلا يؤخذ منها نتيجة في كلام ولا استقامة في مبدأ. فإن إنجيل يوحنا يوسع نطاق الاتحاد والحلول ويذكر في الفصل السابع عشر عن لسان المسيح في شأن التلاميذ والمؤمنين (21 ليكون الجميع واحدا كما أنك أنت أيها الأب في وأنا فيك ليكونوا هم أيضا واحدا فينا 22 ليكونوا واحدا كما أننا نحن واحد 23 أنا فيهم وأنت في) وفي الفصل الرابع من رسالة يوحنا الأولى (8 ومن لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة 16 الله محبة ومن يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه) فلا يعرف من هذه الكلمات فساد المبدأ أو تشويه الكلام بالتعبيرات السخيفة. ومن ذلك ما في الرسالة الأولى لأهل كورنتوش في العدد السادس عشر من الفصل الثالث (أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم) ونحوه ما في العدد الثاني والعشرين من الفصل الثاني من رسالة أفسس. لكن تقف تشبثات التأويل عند العدد العشرين من الفصل السادس من رسالة كورنتوش الأولى في قولها (وفي أرواحكم التي هي الله).

الإله لا يلد

الدكتور. هذا الإله الواجب الوجود الذي لا يتجزأ لا في الماهية ولا في المقدار ولا يتغير كيانه هل يلد أو هل ينبثق من جوهره وكيانه الإلهي موجود آخر نسميه إلها مولودا من الإله. الشيخ: ما هو معنى الولادة التي تقولها؟ هل هو أن ينفصل جزء من الإله ويدخل أرحام النساء فيكون إنسانا؟ فكيف يكون هذا مع أن واجب الوجود لا يتجزأ ولا يتغير كيانه: وما هو

معنى قولك (ينبثق من جوهره وكيانه الإلهي) هل تريد مثل ما ينبثق الثمر من الشجر فتكون أجزاء الشجر ثمرا بسبب تقلب النمو وتطورات أجزاء الشجر بالتغير؟ كيف يكون هذا مع أن واجب الوجود لا يتجزأ ولا يتغير كيانه. الدكتور. ماذا تقول أنت يا عمانوئيل في هذا الشأن.

عمانوئيل: قد عرفت الغرض الذي ترمي إليه. وإني قد تتبعت الكتب المنسوبة لنبوات الديانة الإسرائيلية والديانة النصرانية فوجدتها مضطربة المبدأ قلقة الكلام في معنى الولادة من الله – (فتارة) يلوح منها أنها تريد بالنبوة لله والولادة منه معنى جائزا وإن تشوهت عبارته بسخافة المبالغة.

تريد بذلك محض ارتباط الملة أو الشخص بالإيمان والتوحيد والصلاح وامتيازه بذلك عن البشر فتشير بذلك إلى امتياز هؤلاء بالارتباط بالله بالإيمان وصلاح الطاعة كامتياز الولد بالارتباط والانقياد لأبيه وشرف مكانه عند الأب. وربما يكون من ذلك ما يحكى عن قول الله في شأن بني إسرائيل. في التوراة في العدد الثاني والعشرين والثالث والعشرين من رابع الخروج وفي أول الفصل الحادي عشر من كتاب هوشع (إسرائيل ابني البكر – أطلق ابني) (لما كان إسرائيل غلاما أحببته.

ومن مصر دعوت ابني) وفي شأن سليمان بن داود (لأني اخترته لي ابنا وأنا أكون له أبا) كما في الفصل السابع عشر والثاني والعشرين والثامن والعشرين من سفر الأيام الأول والسابع من سفر صموئيل الثاني. وما يحكى عن المسيح في شأن المؤمنين الصالحين من قوله (لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات – طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون) كما في خامس متى. والعهد الجديد كثيرا ما سمى المؤمنين (أولاد الله) كما في العدد الثاني عشر والثالث عشر من الفصل الأول من إنجيل يوحنا والعدد الأول والثاني من الفصل الخامس من رسالة يوحنا الأولى. والعدد الرابع عشر والسادس عشر من الفصل الثامن من رسالة رومية. لكن تارة أخرى تذكر الولادة في العهدين بنحو التأليه التابع للتقاليد الوثنية بحيث لا يقبل إصلاح التأويل. فمن ذلك ما في العدد السادس من الفصل التاسع من أشعيا في قوله: (لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إلها قديما أبديا) ومن ذلك ما تضمنه الفصل العاشر من إنجيل يوحنا من العدد الثالث والثلاثين إلى السابع والثلاثين فإنه يذكر ما حاصله أن اليهود قالوا للمسيح (نرجمك لأجل تجديف أي لأجل إنك تتكلم بالكفر والشرك. فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلها فقال يسوع: أليس مكتوبا في ناموسكم أنا قلت: إنكم آلهة. إن قال آلهة لأولئك ولا يمكن أن ينقض المكتوب فالذي قدسه الأب أتقولون له إنك تجذف (تكفر وتشرك) لأني قلت إني ابن الله) فانظر إلى هذا الكلام وتعليمه السخيف بتعدد الآلهة. له احتجاجه التحريفي الواهي فإنه ينادي بأن المراد من ابن الله هي النبوة الوثنية الإشراكية.. ومن ذلك ما في العدد الثالث من الفصل الأول من رسالة العبرانيين في قولها في المسيح المعبر عنه بالابن (ورسوم جوهره) أي جوهر الله جل شأنه. أو (وصورة جوهره) أو (وصورة أقنومه).. ومن الواهي أنه يوجد في العدد التاسع من الفصل الثاني من رسالة العبرانيين في المسيح (لكي يذوق بنعمة الله الموت) والنسخة الثالثة المذكورة في الجزء الأول في صحيفة 19 و 20 تذكر في حاشيتها أن هذه العبارة تقرأ هكذا (لأن الله نفسه بنعمته ذاق الموت) تعالى الله عما يصفون وهذا

الغلط لو لم يكن جاؤا عند أصحابنا النصارى لما رسموا عبارته المشومة في قراءة كتب وحيهم وطبعوها لكي تنشر في العالم. فيا للأسف والعجب.

الدكتور: هذا الإله الواجب الوجود الذي لا يتجزأ ولا يمكن أن يكون مركبا لا في الماهية ولا في الوجود ولا في المقدار. هل يلزم أن يكون واحدا مقدسا عن الشريك في الإلهية. أو يجوز تعدد الآلهة والشركاء في الإلهية. كما خبطت به أفكار الكثير من المتدينين بالإلهية. الشيخ: لما لزم الاعتراف للإله الذي هو العلة الأولى للكائنات بأنه واجب الوجود ولا يمكن أن يكون متجزيا ولا مركبا لا في الماهية ولا في الوجود ولا في المقدار فكيف يتعدد الإله. ولأجل تشريح الكلام وتوضيح البيان وتتبع الأوهام في متاهاتها نقول إن تعدد الإله لا بد فيه بعد الاشتراك في الإلهية أن يمتاز كل واحد بمميز له عن الشريك الآخر بحيث يتحقق التعدد ويصح الحكم به.

فهذا المائز هل هو بجعل فاعل متصرف. وبتصرفه وتكوينه ميز كل واحد عن صاحبه. إذن فالإله الذي هو الفاعل الأول وواجب الوجود الذي قلنا به هو ذلك الفاعل الذي ميز بتكوينه هذه الأفراد التي تكون بذلك أفرادا عالمية فلا يكون وصفها بالإلهية ووجوب الوجود إلا من أغلاط الضلال والجهل – لا تقل إن هذا الفاعل المتصرف متعدد. فإنا ننقل هذا الكلام بعينه إليه. فإلى أين تذهب وعلى ماذا تقف بالتعليل. أم هل تقول إن المؤثر في إمتياز كل واحد من الأفراد المتعددة هو طبيعي فيه.

فنقول لا بد من أن يكون المائز في امتياز كل منها هو غير الجهة المشتركة بينها من الطبيعة الإلهية ووجوب الوجود كما هو واضح. فيكون كل من الأفراد مركبا من الطبيعة المشتركة – ومائزه الطبيعي فيكون محتاجا إلى أجزائه وإلى فاعل يؤلفها ويركبها فلا يكون كل منها واجب الوجود. لا أراك تقول كما قيل إن المائز بين الأفراد هو نفس الطبيعة المشتركة بينها. ألا ترى أن الذي يتراءى سرابه للخيال من هذا الفرض الموهوم هو فرض شدة القدر المشترك في بعض الأفراد وضعفه في البعض الآخر قياسا فاسدا على مثل امتياز السوادين بالشدة والضعف وامتياز كثير الشيئين من قليلهما. كيف يخفى عليك أن تحقق الأشدية والأضعفية والاختلاف بهما يتوقف على امتياز الأفراد ولو من حيث المكان والمقدار والحدود ثم يتحقق الامتياز بالشدة والضعف.

أو هل تقول: إن المائز بين أفراد الآلهة المتعددة إنما هو معلول لأمر طبيعي. فنقول من الواضح الجلي أنه لا بد من أن يكون في التعليل الطبيعي لارتباط طبيعي بين وجود العلة الخاصة ومعلولها الخاص فلا بد إذن من أن تكون علة المائز في هذا الفرد غير علة المائز في الفرد الآخر فيلزم على فرض التعدد أن يكون في كل واحد من المتعددين جزء هو القدر المشترك بين الآلهة المتعددة وجزء يعلل بطبيعته لكل فرد مائزه الخاص به. فيكون كل واحد من الأفراد مركبا محتاجا إلى أجزائه وإلى فاعل يؤلفها. إذن فكل واحد من الأفراد لا يكون واجب الوجود. بل نقول. إن كل واحد من أجزاء الماهية محتاج في وجوده إلى الجزء الآخر فلا يكون شئ من ماهية الآلهة المتعددة واجب الوجود. فيا للعجب من الانسان. تراه يتقهقر ويضل وأعلام الطريق له واضحة وأنوار الحقيقة ساطعة. فها هو يضطره شعوره إلى تعليل الكائنات تعليلا مستقيما يستقر على موقف علمي يثبت فيه الأقدام. وبأوليات شعوره يقدر مبدأ تعليله قديما أزليا.. حينما تكون فطرته العلمية التي تنبهه من الغفلات تناديه بأن

القدم والأزلية والوقوف بالتعليل لا تستقيم ولا تخرج عن الأوهام المستحيلة إلا بالاعتماد على واجب الوجود وحينما يعرفه وجدانه واعتباره في الكائنات العالمية التي تهتف باسم غاياتها إن هذا الواجب الوجود الوجود يوجد الخليقة على الحكمة والعلم بالغاية فاعترف به إلها وسماه في كل لغة باسم خاص مقدس. وحينما يناديه الشعور العلمي بأن وجوب الوجود ينافيه تركيب الموجود بجميع صور التركيب. كيف لا ينافيه؟! والتركيب تلزمه الحاجة إلى الأجزاء والحاجة إلى فاعل يؤلفها. وينادي بأن الأفراد التي يدعى اشتراكها في الإلهية لا بد من أن تكون مركبة. فيا أيها الانسان لماذا تقهقرك أوهام الأهواء عن الحقيقة رغما على أساسياتك التي لا محيد لك عنها في شرف العلم وناموس الشعور. تتقهقر وتجعل الإله آلهة متعددة فلا تقدر حينئذ أن تصف واحدا منها بوجوب الوجود الذي هو الأساس في الإلهية وعليه يبتني عرفانها.. لماذا عدلت عن الحقيقة إلى المستحيلات ونكصت عن الجادة إلى التيه وعن المنهل إلى السراب. أين أساسياتك في الإلهية. أم أين الاستقامة في الشعور؟

هذا حال الانسان الأثيم وقد احتج عليه إله الحق ووبخه على التقهقر التعيس في النكوص إلى تيه الضلال من نصف الطريق الواضح. فقال جل اسمه في الآية السابعة والثمانين في سورة الزخرف المكية: (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) جريا على فطرتهم في الوقوف بتعليل الخلق على واجب الوجود الذي اسمه المقدس الخاص به في العربية (الله) كما يسمى في كل لغة باسم خاص به مقدس. فإنه مهما غاب عن الانسان شئ فإنه لا يغيب عنه كونه حادثا بعد عدمه ينادي وجود مجموعه وأجزائه بخلقته على الحكمة وقصد الغاية. فلا بد له من تعليل وجوده بخلقة الله إذن (فأنى يؤفكون) ومن أين جاءهم إفك الضلال بتعدد الآلهة وكيف يجمعون بين الانخداع لإفك الشرك وتقديس الله بوجوب الوجود والكمال الإلهي: وقال تعالى في سورة العنكبوت المكية الآية 61 و 63 : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون) (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله) على نعمه وظهور الحق وقيام الحجة ولله الحجة البالغة (بل أكثرهم لا يعقلون). وجاء نحو هذا الاحتجاج أيضا في الآية الرابعة والعشرين من سورة لقمان المكية، والتاسعة والثلاثين من سورة الزمر المكية..

وقال جل اسمه في سورة النمل المكية من الآية التاسعة والخمسين إلى السادسة والستين (الله) الذي يعرفونه ويعترفون بأنه الإله الخالق (خير أم ما يشركون) ويجعلونه إلها مع الله مما لا يقدرون أن يجعلوه واجب الوجود. بل ينتج من ضلال شركهم وقولهم بتعدد الآلهة أنهم لا يقدرون أن يصفوا واحدا بوجود الوجود. هذه المخلوقات التي تشركون بها هل تدعون أو تقيمون الحجة على أنها خلقت شيئا. أو أفادت في العالم نفعا (أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة) بعد أي كانت أرضا قواء موحشة و (ما كان لكم) وبطاقتكم (أن تنبتوا شجرها) أفليست الحجة قد دلت على أن الخالق العليم هو الله واجب الوجود. واعترفت الناس وأقرت به. إذن فكيف يشرك المشركون وأنى لهم بوجوب الوجود مع الاشتراك (ءإله مع الله بل هم قوم يعدلون) عن الحق إلى الباطل وعن العلم إلى الجهل وعن سداد الحجة إلى وهن الأغاليط (أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي) من الجبال تنفذ منها النار السيارة في الأرض لمنافعها فتكون الرواسي بحكمتها واقية للأرض من الميدان بالزلزال ومخففة لوطأته (وجعل بين البحرين حاجزا) من القدرة يبقى معه العذب على عذوبته والملح على ملوحته والتيار على جريانه والراكد على ركوده. أفلا يعترف المشركون أن الجاعل لذلك هو الله الواجب الوجود بل أنهم ليعترفون. إذن فكيف يشركون (إله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) ولا يهتدون إلى رشدهم في العلم وأتباع الحجة، تشذ بهم الأوهام وتقلبهم التقاليد على أعقابهم. ألا، وإن لكل بشر حالات وأوقات تفر بها نفسه إلى الله مولاها فتلتجئ به في حاجاتها وشدائد اضطرارها وكثيرا ما يفوج عنها وهي علقة بنجاح التجائها وإجابة سؤلها حتى إذا تمتعت بالفوج زمانا نسيت النفوس ذلك التوجه وذلك الالتجاء وتلك الاجابة.

أفلا يعتبر المشركون بتلك الحالات إذ يرون نفوسهم تفر إلى مولى واحد لا تنزل حاجتها إلا بساحة رحمته ولا ترى نجاحها إلا منه. فما الذي أغفلهم عن ذكر ذلك والتبصر به في جميع الأحوال. أفلا ينظرون إلى من تلتجئ نفوسهم عند شدائد

الاضطرار (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض) في طبقات خلقكم وفنائكم تتعاقبون خلفا بعد سلف تقعدون مقاعد الماضين وتتمتعون بأموالهم التي كدوا فيها ومنازلهم التي تعبوا في عمارتها ورياساتهم التي اغتروا بها (إله مع الله) ولو أحسنتم التذكر والتبصر في جميع أوقاتكم بحالات نفوسكم عند اضطرارتها ونجاح التجائها رغما على الأسباب العادية وصدق عرفانها بمولاها في تلك الأحوال التي تتخلص فيها النفوس من أسر الأهواء وتتوجه بحرية فطرتها إلى الله لما اختلجت في عرفانكم الشكوك ولا طمعت فيكم غواية الأهواء وأوهام الشرك ولكنكم (قليلا ما تذكرون * أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر) بدلالة الكواكب التي خلقها (ومن يرسل الرياح بشرى بين يدي رحمته) يسخر بها السحاب ليغيثكم برحمة مطره أفلستم تعرفون الله (أإله مع الله تعالى الله عما يشركون) وتقدس بوجوب وجوده وكماله الإلهي. ويا أيها الذين يؤمنون بالمعاد والقيامة بعد الموت (أمن يبدأ الخلق) كما ترون حدوث الكائنات في الخلق طبقة طبقة وفنائها طبقة طبقة (ثم يعيده) في أنواع الكائنات على أحسن تماثل وأتم تناسب في طبقاتها ومواليدها ويعيدها في أشخاص الانسان من بعد الموت كما تعترفون به وتنسبون الخلق إلى الله واجب الوجود (ومن يرزقكم من السماء والأرض) ما به قوام حيوتكم (أإله مع الله) الذي تعرفونه

وتعترفون به وبأنه الخالق وكاشف الضر ومدبر الأمور فأين تذهب بكم الأوهام (قل) لهم يا مجادلهم سامحناكم عن كون تعدد الآلهة من الأوهام المستحيلة وأن الإلهية وكمالها ووجوب الوجود منافية لتعدد الآلهة. لكن ما هي حجتكم على شرككم وإلهية من تدعونه شريكا لله؟ ولا نطالبكم بأن كلما تدعونه إلها مع الله هو رهن لدلائل الحدوث والحاجة إلى الإله الخالق. نغض الطرف عن ذلك لكن هل تكون دعواكم مقدسة لا يسأل عن برهانها. هيهات (هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) وما هو برهانهم. هل يقدرون أن يقيموا الحجة الكافية على أن من يدعونهم آلهة مع الله قد خلقوا خلقا بقدرتهم الذاتية الإلهية في مقابل قدرة الله وخلقه. من أين تكون لهم الحجة على ذلك. قال الله جل اسمه في الآية الأربعين من سورة فاطر المكية (قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني) بعلم اليقين (ماذا خلقوا من) عالم (الأرض أم لهم شرك في) عالم (السموات) وخلقه (أم أتيناهم كتابا) يكون لهم وثيقة بالاعتراف باشتراكهم في الخلق في خلق شئ من الأرض والسموات (فهم) بهذا الكتاب وهذه الوثيقة الاعترافية بالاشتراك في الخلق (على بينة منه) وأين يكون ذلك؟ بل (إن يعد الظالمون بعضهم بعضا) في واهيات الشرك وخرافاته (إلا غرورا) وجاء نحو ذلك في الآية الثالثة من سورة الأحقاف المكية والآية السابعة عشر من سورة الرعد المكية. هؤلاء الآلهة المتعددون بالفرض المستحيل ماذا تفرضون لهم أيها المشركون من الحال بالنسبة إلى خلق العالم وتدبيره وارتباط مخلوقاته وأطواره، وانتظامه في

أدواره ودهوره. هل تقولون إنهم مشتركون في كل خلق، وفي كل عمل وفي كل تدبير في جميع العالم وفي جميع العالم وفي جميع الأحوال وجميع الأزمان. مهما تنزلنا إلى المحال وتساهلنا في وجوب الوجود واستقامة التعليل فلا بد في فرض تعدد الآلهة من أن يكون كل واحد من الآلهة الموهومة غير كامل في مقام الإلهية. وذلك لأجل احتجابه عن الكمال الإلهي

بالجزء المميز له عن الفرد الآخر. ذلك الجزء الذي لا يمكن أن يكون من مقام الإلهية لأنه لو كان من مقام الإلهية المشتركة لما كان ممزا في اشتراكها. إذن فلا بد من أن تختلف علوم هذه الآلهة وأميالها وإرادتها وقدرتها ورحمتها وغضبها وعدلها بحسب طباع تلك الأجزاء الممزة المتباينة.

والمفروض أنهم ليس لكل منهم كمال إلهي تام بوحدهم. ولا عليهم سلطة سياسة تنظم أمرهم، ولا تسديد من تسديد إله كامل في الإلهية فوقهم، ولا حاجة في كيانهم وبقاءهم إلى مخلوقهم واستقامة نظامه وبقائه لكي يحافظوا على ذلك فيتنزل كل منهم عن معلوماته وأمياله وإراداته وأعمال قدرته ورحمته وغضبه فينقاد إلى جهل صاحبه وضعفه وتساهله أو شدته. ولا تهديد يلجئهم إلى هذا التنزل لأجل التحزب وعقد الجمهورية الزمنية للمحافظة على كيان اجتماعهم من خطر التهديد المحدق بهم.

وعلى هذا فإن فرضناهم مشتركين في خلق جميع العالم وجميع مخلوقاته وتدبيره في أطواره وانتظامه في أدواره لم يستقم للعالم نظام ولا للموجودات بقاء ولا للطبائع والجبلات ناموس. وهذا هو مرمى الاحتجاج بقوله تعالى في الآية الثانية والعشرين من سورة الأنبياء المكية: (لو كان فيهما) يعني السماء والأرض (آلهة إلا الله لفسدتا) أي غير الله يكونون آلهة مثله وفي قباله بدون أن تكون عليهم سيطرة خالقية إلهية (فسبحان الله رب العرش عما يصفون). وإن فرضنا اختصاص كل واحد بقسم من المخلوقات في خلقه وحفظ بقائه وتدبيره شؤونه في أطواره وأدواره لم يستقم للعالم أيضا نظام ولا للمخلوقات بقاء ولا للطبايع والجبلات ناموس.

فإنا نرى اشتباك العالم بالعلائق وارتباط الموجودات بالتأثير والاقتران الطبايع في النواميس وتشابكها في التوليد وتركب الموجودات في الخلق. وهذا هو مرمى الاحتجاج في قوله تعالى في الآية الواحد والتسعين من سورة المؤمنون المكية (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق) حسب ما يقتضيه علمه وإرادته وميله وقوته وغضبه وعدم الموحد له مع الآلهة الأخرى في الرأي والعمل كما ذكرنا فينحل نظام الكائنات ويبطل ناموس التكوين (ولعلا بعضهم على بعض) فإنه لا داعي لتنزل العالم للجاهل والقوي للضعيف والمغضب للراضي والراضي للمغضب في كل مولد الاختلاف والاختصاص (سبحان الله) وتقديسا وتنزيها لشأنه العظيم (عما يصفون) بأوهامهم من نسبة الولد والشريك له، فإنه وصف لا يبقى معه للإلهية شرف ولا كمال ولا معنى معقول ولا لوجوب الوجود حقيقة، ولا لنظام العالم بقاء.

ولا تحسب أن من يؤله الجماد والحيوان وأجرام الكواكب يقول بإلاهيتها بما هي جماد لا حياة فيه أو بما هي حيوان ناقص الشعور بل يجعل لها مما وراء الحس شيئا من صفات الإلهية من الحياة والعلم والقوة والتصرف والتدبير كما هو شأن الوثنيين. فالقرآن الكريم جرى بحجته هذه بساطة أفهامهم التي يستلفتها من جانب المحسوسات والتجارب في الطباع المحجوبة بنقص الجسمانية والمادية عن الكمال التام الإلهي حيث لا يكون لها تعليم موحد ولا مانع عن الاختلاف. وبقيام الحجة على أن القرآن الكريم كلام إلهي يتجسم هذا البرهان في الحس والوقوع. فيقال إن هذا إله ينفي شركاءه فلو كان هناك شريك لثار الجدال والانتصار للشرف والدفاع عن الحقوق فاستولى الفساد والانحلال على العالم في هذه الحرب العمومية الإلهية. يا عمانوئيل يطول تعجبي من أصحابك النصارى.

هذه كتبهم التي اتفقوا على أنها وحي الله تصوف بأن المسيح عيسى (ع) مخلوق لله ففي صواحة العدد الخامس عشر من الفصل الأول من رسالة كولوسي إنه بكر كل خليقة وفي العدد الرابع عشر من الفصل الثالث من رؤيا يوحنا إنه بداية خليقة الله.. وإنه يلتجئ إلى الله في مهماته ويدعوه ويتضوع له. فانظر العدد الرابع عشر والخامس عشر من الفصل الحادي عشر من إنجيل يوحنا. ويستغيث إلى الله في دفع الموت عنه. أنظر في الفصل السادس والعشرين من متى والرابع من مرقس والثاني والعشرين من لوقا. وفي السابع والعشرين من متى والخمس عشر من مرقس أنه استغاث بالله على الصليب قائلا إلهي إلهي لماذا تركتني.

وذكرت الأناجيل زيادة على ما ذكرنا اعترافه بأن الله إلهه وأن الله هو الإله الحقيقي فانظر إلى العدد السابع عشر من الفصل العشرين من إنجيل يوحنا والعدد الثالث من الفصل السابع عشر منه وأن الله يسميه عبدي وفتاي فقد جاء في أول الثاني والأربعين من أشعيا عن قول الله تعالى: (هو ذا عبدي أعضده إلى آخر العدد الرابع) وذكر الفصل الثاني عشر من إنجيل متى أن المقصود بذلك هو المسيح أنظر إلى العدد الخامس عشر إلى الثاني والعشرين وإن بدل الانجيل لفظ (عبدي) بلفظ (فتاي (بل صوحت رسالة أفسس في العدد السابع عشر من الفصل الأول بأن الله إله المسيح بل ذكر أصحابك في قاموس الكتاب المقدس وكتاب مغني الطلاب في أسماء عيسى المسيح (الانسان يسوع المسيح.. بداءة خليقة الله) – ومع هذا كله ويا للأسف يقول أصحابك إن المسيح إله، حتى إنهم في قاموس الكتاب المقدس في مادة بيت لحم في تمجيد هذه القرية ولادة المسيح فيها قالوا (ففيها إذن تجسد اللاهوت وسكن الله مع الناس) وفي مادة مسيح ذكروا من أسماء المسيح عيسى (الإله القادر على كل شئ، رب الأرباب). وفي كتاب مغني الطلاب الذي هو تأليف روحانييهم في الكتب الدينية يذكر في عنوان ألقاب المسيح وأسمائه الواردة في العهدين. (إله. إله مبارك إلى الأبد إله الأنبياء. الإله القادر على كل شئ. إله قدير. الإله الحق. الله. ويذكر أيضا في ألقاب المسيح: الشفيع. ملاك الرب. ملاك حضرته. الرسول. ذراع الرب. نبي. فتاك القدوس. عبدي). وأشار إلى أول الثاني والأربعين من أشعيا وكأنه استنكف أن يقول عبد الله أو خاف من التناقض. ويا للأسف.

عمانوئيل: التناقض ليس من أصحابنا وكتاب مغني الطلاب فقط بل جاء هذا التناقض في كتب العهدين. فإن نفس التوراة تؤكد تعليمها بوحدة الله وتأكيد النهي عن تسمية غير الله إلها ففي العدد الثالث عشر من الفصل الثالث والعشرين من سفر الخروج عن قول الله (لا تذكروا اسم آلهة أخرى ولا يسمع من فمك) وفي العدد الخامس والثلاثين والتاسع والثلاثين من الفصل الرابع من سفر التثنية (لتعلم أن الرب هو الإله ليس آخر سواه. إن الرب هو الإله في السماء من فوق وعلى الأرض من تحت ليس سواه) وفي العدد التاسع والثلاثين من الفصل من سفر التثنية) أنا هو الرب وليس إله معي). ومع ذلك تذكر التوراة عن قول الله لموسى في العدد السادس عشر من رابع الخروج في شأن هرون (وأنت تكون له إلها) وفي العدد الأول من سابع الخروج (أنا جعلتك إلها لفرعون وهرون يكون نبيك) – وجاء في العدد السادس والثامن من الفصل الرابع والأربعين من أشعيا عن قول الله (أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري، هل يوجد إله غيري) ومع ذلك يذكر في أشعيا عن وحي الله في

العدد السادس من الفصل التاسع (يولد لنا ولد، ويدعى اسمه إلها قديرا أبا أبديا).

وهلم الخطب في العهد الجديد إذ يعلم تارة بتعدد الأرباب وتعدد الآلهة كما مر في الجزء الأول في صحيفة 88 . وتارة يحمل المسيح إنسانا مضطهدا يتألم ويجوع ويحزن ويبكي ويتصرف به إبليس. ويعترف بأن الله إله، وأنه عبد الله وفتاه، وتارة يجعله إلها كما مر في صحيفة 59 و 61.

كرامة القرآن في حججه وتعليمه

قال الله تعالى في الآية الرابعة والستين من سورة آل عمران: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم) وهي كلمة التوحيد توحيد الإله. الكلمة التي تلهج بها ألسنتنا وألسنتكم وكتبنا وكتبكم فكانت هذه الكلمة في مبدأ التعليم وأساس الديانة وصراحة الكتب سواء بيننا وبينكم. فلماذا تحيدون عن ذلك وتهدمون أساس التوحيد وتشوهون التعليم الحقيقي بل تعالوا إلى التمسك بحقيقة كلمة التوحيد و (ألا نعبد إلا الله) الذي نعرف إلهيته ونعترف بوحدانيته فلا ندعو معه إلها آخر ولا ربا آخر (لا نشرك به شيئا) كما ذكر في فلتات كتبكم، التوراة الرائجة، والكتاب المنسوب إلى أشعيا، والأناجيل الرائجة، والرسائل المنسوبة إلى بولس (لا يتخذ بعضنا بعضا) من البشر (أربابا من دون الله) الذي نعترف بإلهيته وقدسه فلا نجري على تحريف الأناجيل وتعليمها بتعدد الأرباب [1] واتخاذ البشر ربا من دون الله الذي خلقه. فإن اتخاذ البشر ربا يرجع في الحقيقة إلى الجحود لشرف الإلهية وجلال الله في حقيقة الربوبية (فإن تولوا) ولم يأخذوا بحظهم من الهدى والرشد والسلامة من التناقض ولم يقبلوا النصيحة ولم يصنعوا

1 ـ كما مر ذلك في الجزء الأول صحيفة 73. (*)

إلى الحجة القاطعة (فقولوا) لهم في مقام الأعذار والتوبيخ (اشهدوا بأنا مسلمون) لله ربنا بحقيقة توحيده متمسكون بكلمة الاخلاص في عبادته كما نعترف لجلاله بالتوحيد. فلا نتقهقر عن ذلك ولا نخادع عقولنا. وقال تعالى في الآية الحادية والسبعين بعد المائة من سورة النساء (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) في البشر المخلوق الذي تعرفون أنه رهينة الضعف والآلام وفقر البشرية ولا ترفعوه إلى درجة الإلهية والربوبية. وكيف تتجاوزون بالمخلوق البشر الفقير وتعدون به عن حدوده المعلومة إلى حدود الإلهية المقدسة عن كل ضعف وفقر المتعالية بكل جلال وكمال وعظمة. وإنكم لتعترفون بهذا لمقام الإلهية الشامخ وتعرفون ضعف البشرية وفقرها فكيف انخدعتم وتناقضت آراؤكم فغاليتم بالبشر واجترأتم على جلال المقام الإلهي وعظمة الله الذي تعترفون بجلاله ووحدانيته وقدسه. فراجعوا رشدكم واستقيموا في شعوركم ولا تغلوا في دينكم (لا تقولوا على الله إلا الحق) الذي يليق بجلال الإلهية ووحدانية الإله ولا تجعلوه والدا ولا تجعلوا له مولودا. كيف يلد الإله؟ وكيف يكون المسيح ولدا له. وكيف تفوضون هذه الولادة الموهومة التي تخصون بها المسيح وتألهونه بها. ليس الله مركبا مقداريا ينفصل

منه جزء ويتخوأ منه شئ وينبثق منه منبثق تعالى الله عن ذلك (إنما المسيح عيسى ابن مريم) البشر الخاضع بضعف البشرية وفقر الناسوت كما تعلمون (رسول الله) أكرمه بالرسالة وشرفه بمقامها. وإن سمعتم بكراماته فإن ذلك من نعمة الله عليه كما تشهد أناجيلكم الرائجة باعتراف المسيح لله بالفضل والمنة عليه [1] كما أكرم

1 ـ قد كثر في الأناجيل الرائجة ذكر اعتراف المسيح بذلك فانظر أقلا لو 22: 39 ويو 11: 41 و 42. و 17: 2 - 22. (*)

موسى: إيليا واليشع حسبما تذكر كتبكم [1] وإن سمعتم ولادته من غير فحل فخلق الله لآدم وحوا أعجب من ذلك [2] بل إنه خليقة الله [3] (وكلمته) كلمة القوة التكوينية وهي قول الله جل شأنه بأنه بأمر قدرته (كن) كما يذكر أول توراتكم في خلق السموات والأرض والنور وآدم أن الله تقدس اسمه يقول بقدرته (ليكن كذا) فيكون المخلوق بعد عدمه. وهذه كلمة القوة والتكوين البديع (ألقاها إلى مريم) وأجراها في آلات تناسلها. فالمسيح أثر كلمة القوة وصنيعة تكوين الله (وروح) موهوبة (منه) ومحبوة بلطفه ومكونة بخلقه [4] (فآمنوا بالله ورسله) بالثبات على حقيقة التوحيد والحذر من مخادعات الهوى والشيطان ومخالسات الشرك وبتصديق رسله فيما يجيئون به من دين الحق وحقيقة التوحيد المؤيد بدلائل المعجزات (لا تقولوا ثلاثة) حينما تقولون وتعترفون كما تصرف به كتبكم من أن الله جل شأنه إله واحد. وكيف تقولون إنه ذو أقانيم ثلاثة. الابن على الأرض بشر يتألم ويموت،

1 ـ أنظر إلى التوراة في سفر الخروج من الفصل الرابع إلى الخامس عشر فيما ذكر من آيات رسالة موسى. العصا. وضربات مصر. وشق البحر. وانظر - إلى معجزات إيليا واليشع مما ذكر في الفصل السابع عشر والثامن عشر من الملوك الأول. والفصل الأول والثاني والرابع إلى الثامن من الملوك الثاني ومن ذلك إحياء الأموات وشفاء المرضى والبرص.

2 . أنظر الفصل الثاني من التوراة.

3 . كما ذكرناه صحيفة 391 من صراحة العهد الجديد بذلك.

4 . فكما قال الله جل أسمه في شأن آدم في الآية التاسعة والعشرين من سورة الحجر المكية والثانية والسبعين من سورة ص المكية: (ونفخت فيه من روحي) المخلوقة بالقوة قال جل اسمه في شأن المسيح وأمه في حملها به في الآية الحادية والتسعين من سورة الأنبياء والثانية عشر من سورة التحريم (فنفخنا فيها من روحنا) (فنفخنا فيه من روحنا) وكنى بالنفخ عن إيلاج الروح في البدن رعاية للطافة الروح كالريح التي تولج الأجسام بالنفخ. (*)

والروح القدس يترل بشكل حمامة، وينقسم على التلاميذ كألسنة نار، والأب يبقى في السماء. ما هذه الكلمات؟ لماذا توقعون أنفسكم في التناقض بتوحيد الله وتثليثه. كيف يكون الواحد الحقيقي ثلاثة وكيف تكون الثلاثة واحدا حقيقيا. وكيف يتعدد واجب الوجود أم كيف يتجسد أم كيف يلد أم كيف يولد (انتهوا) عن هذه التناقضات والمستحيلات فإن الانتهاء (خير لكم) في دينكم وشرف شعوركم. فإنكم محجوجون بكتبكم واعترافاتكم (إنما الله إله واحد) كما تعترفون به وتلهج به كتبكم التي تقدسونها. لا

سبيل إلى جحود الوحدانية فإن جحودها يرجع إلى جحود وجوب الوجود وجحوده إلى جحود الإلهية (سبحانه أن يكون له ولد) وما معنى ولادته واتخاذه الولد. فإن كان ذلك بمعنى الخلق فهو خالق كل شئ (له ما في السموات وما في الأرض). أم تقولون إن المقصود من البنوة لله والولدية هي علاقة الإيمان به ورابطة التوحيد كما سماكم بذلك العهد القديم والعهد الجديد كما تقدم في صحيفة 150 إذن فلماذا تخصون المسيح بالولدية والبنوة وتجعلونها من ألقابه الخاصة به كما يعرف ذلك من الأناجيل والرسائل وأول رسالة العوانيين. ما هذا التعبير الردئ السري من وخامة الوثنية وعدوى الشرك القديم. فإن القرآن الكريم يشير بحجته القاطعة إلى تكذيبكم في دعواكم إن الوحي سماكم أبناء الله كما ذكرناه عن العهدين الرائجين ففي الآية الثامنة عشر من سورة المائدة قول الله تعالى ذكره (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل) إن صدقت كتبكم الرائجة في نسبة تسميتكم بهذا اللقب إلى الوحي وكنتم صادقين بهذا اللقب (فلم يعذبكم بذنوبكم) بالعذاب الدنيوي الذي طالما اشتعلت نوائه في بني إسرائيل الذين تقول التوراة إن الله سماهم (إبني البكر. إبني) ولماذا يعذبكم في الآخرة كما تعترفون به وتقرون يا معشر النصارى إلى غفران القسوس. إن الابن الحبيب كيف يعذب. وقال الله جل اسمه في الآية الثانية والسبعين بعد المائة من سورة النساء (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله) ألم تسمعوا أقلا من أناجيلكم أن المسيح كان يصلي لله ويصوم ويجتهد في عبادته والصلاة ويعترف له بالإلهية ويفزع إليه في ضيقاته ومهماته ويتضرع إليه بالدعاء والمسألة [1] ولكن يا للأسف صرتم أنتم تستنكفون أن تسموا المسيح عبدا لله فإنكم أردتم أن تصرفوا إلى المسيح قول أشعيا في أول الفصل الثاني والأربعين (هوذا عبدي الذي أعضده. إلى آخره) فحملكم الاستنكاف على التحريف الصريح وتواطيتم على أن تكتبوا في العدد الثامن عشر من ثاني عشر متى (هوذا فتاي الذي. إلى آخره) وكتبتم في الثاني من رسالة فيلبي في شأن المسيح ما نصه المشوه (لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله لكنه أخلى نفسه آخذا صورة عبد) فيا للأسف والعجب. وقال الله تعالى في الآية الثالثة والسبعين من سورة المائدة (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) وجحدوا حقيقة التوحيد الذي يلهجون بالاعتراف به ويجعلونه دينهم الأساسي ولا تقوم حجتهم على الإلهية ووجوب الوجود إلا به فتناقضوا وتهافتوا وتقهقروا إلى جحود الحقيقة الأساسية وكفروا بها كيف يقولون ذلك؟ (وما من إله إلا إله واحد) لا يعقل تعدد الإله. الإله لا يتعدد وإلا خرج عن كونه إلها (ما المسيح ابن مريم) البشر الذي ولد منها طفلا ثم تدرج في النمو البشري

---

1 ـ وقد ذكرنا في صحيفة 160 موارد ذلك من الأناجيل فراجع.

إلى أن كبر (إلا رسول قد خلت) ومضت (من قبله الرسل) كنوح وإبراهيم وموسى وجاءوا بمعجزات تضاهي معجزات المسيح ونصحوا أممهم وتحملوا الشدائد في إرشاد الخلق. بل يقول العهد القديم إنه خلت من قبله أنبياء جاءوا بمثل ما جاء به من الآيات كإيليا واليشع (وأمه) امرأة بشرية (صديقة) وقد كانا بشرين فقيرين بفقر البشرية وحاجتها (كانا يأكلان الطعام) لرفع ضرورة الجوع وألمه وصيانة لبدنهما من الفساد بتحليل الطبيعة البشرية. ودع عنك ما كان يعتري المسيح من الحزن والبكاء والتألم والعطش وآثار الخضوع للفقر البشري ونقص البشرية وضعفها. أهكذا يكون الإله يا ذوي الشعور (انظر كيف نبين لهم

الآيات ثم انظر أنى يؤفكون) وتخدعهم أهواؤهم فلا يصغون إلى الحجة الوجدانية (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) وتقولوا فيه (بغير الحق) فتألهون البشر الضعيف وتجحدون حقيقة التوحيد والإلهية (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) إذا سولت لهم أهواؤهم ووثنيتهم ضلالة الثالوث والأقانيم وتجسد الإله وتأليه البشر وخرافة الولادة من الله. كما لهج به الأسلاف والواهمة والبوذيون والرومان واليونان وغيرهم من الأمم الوثنية. ولله الحجة البالغة يا عمانوئيل: إنك قلت في صحيفة 372 و 373 (إن أصحابك يقولون إن أمر الثالوث والأقانيم جاءت به الكتب المقدسة فوجب قبوله) يا صاحبي أين هذه الكتب المقدسة وأين صراحتها في الثالوث والأقانيم؟! هل هذه الكتب جامعة لشروط الاحتجاج بها؟ إذن فأين مضت دراستكم في الجزء الأول – أم أين صراحتها – وإنا

قد رأينا ما يتشبث به أصحابكم من كلمات العهدين وجمعت في رسالة قد دحضتها رسالة التوحيد والتثليث المطبوعة في صيدا في مطبعة العرفان سنة 1332 وفندت مزاعمها بتشبثاتها من حيث اللغة العربية ومواضيع العهد القديم ودلالته وربما نعترض لذلك وزيادة فيما يأتي بعون الله. ولكن لا بأس بمراجعة الرسالة المذكورة عاجلا فإنها مبذولة لمن يطلبها. الدكتور: يا شيخ ما هذه الضوضاء في الغلط الكثير من الإلهيين إذ يشركون ويؤلهون الجماد والحيوان والبشر. مع أن الذي يعترف بالإله يكون إشراكه وتأليهه للبشر من خرافة الأغاليط: فلماذا كان ذلك؟ الشيخ: إنك ترى الناس إذا أسلسوا قيادهم للهوى، أو للجهل المركب والتقليد الأعمى، أو للتشامخ والكبرياء كيف تذهب بهم هذه النواهي مذاهبها وتقحمهم في ورطات الإفراط والتفريط فيتعامون عن بديهياتهم ودلائل وجدانهم ومحكمات أساسياتهم فتسهل عليهم لأجل ذلك مصاعب المستحيلات وتستحكم في أذهانهم خيالات الواهيات. ألا تنظر إلى الماديين لما علقت فكرتهم بالمبادئ المادية كيف ورطهم انهماكهم بها في إنكار الوجود بعد العدم حتى صاروا يغالطون في العبارة ويقولون يستحيل (حدوث الوجود من العدم) لكي يوافقهم الغر الغافل الذي يحسب أنهم يريدون من هذه العبارة أن الوجود لا يكون العدم مادته ولا فاعله. ألا تراهم كيف كابروا في هذا الانكار وجدانهم ومشاهداتهم التي لا تحصى.. وورطهم في فرض قديم أزلي لا يصفونه بوجوب الوجود حذرا من مطالبتنا لهم بلوازم وجوب الوجود. فأوقعتهم هذه الورطة بين محاذير المستحيلات وهي التسلسل إلى غير النهاية: أو الدور. أو افتراض أزلي لا يمكن تصور أزليته وافتراض الوقوف عليه بالتعليل ولا يؤدي تكلف هذا الافتراض وتحمل مسؤوليته للعلم إلا إلى حيرة الجهل وموقف الحيرة. وها هم قد قلقوا في مزاعم هذا الافتراض الموهوم ودارت بهم زوابعه بين نظريات الجواهر الفردة وزوابع الأثير أو تكاثفه.. وورطهم انهماكهم هذا أيضا في تعليل وجود هذا العالم (بالصدفة) والإيجاد بلا شعور ولا قصد للغاية. فراغموا وجدانهم فيما لهذا العالم وأجزائه من الخصائص الجليلة والحكم الباهر والمقاصد الكثيرة والنظام العجيب المتقن في أحواله وأطواره ومواليده هذه الأمور التي تنادي بالخلق على الحكمة وقصد الغاية. ولا يرضون بالصدفة لما دون ذلك كما مر في صحيفة 57 و 58 و 102 و 103 و 128 يتشامخون في غرورهم بالعلم والشعور لأجل اكتشاف يسير من نواميس الخلق. ويفوطون بجحود العلم والشعور لخالق العالم ونواميسه التي لا يكون سير العلم البشري في ميدانها الأقصر خطوة.

وأما المتدينون فمنهم من أقحمه جهله فيما لا سبيل إليه من معرفة الحقيقة الإلهية إذ كان السير في جادة الدلائل الحقيقية

يحدد معلوماته ويعوفه قصوره عن الخوض في لجج هذا التيار العظيم بما عنده من مقدمات العلم البشري الصحيح فغالطته أوهامه بخيالات دلائل تقحمه أخطار الجهل المركب وتمنيه زورا بالامتياز بالوصول إلى أسرار العرفان فخبط وتاه ورجع القهقرى في لوازم مزاعمه عن قوله بوجوب الوجود وعلم الله وخلقه بالإرادة وحقيقة توحيده. ومن الناس من يتدلس باسم التدين ويمشي وراء غروره وتشامخه ولا ترضى غواية تكوره إلا بدعوى مقام الألوهية. فيغالط بمقدمات أسسها غيره لكي يبني عليها دعواه من الحلول والاتحاد والولادة من الله. ومنهم من لا يطمع في تأسيس دعوى لنفسه ولا يقدر أن يدلس نفسه إلا بتابعية غيره من الناس فيغالي بمتبوعه ويرفعه إلى مقام الإلهية لكي يتشامخ هو إلى أعلى مراتب البشر من الرسالة والنبوة ونحوهما. الدكتور: اللازم على الإلهيين في سوهم على جادة وجوب الوجود أن يكون الإله الواجب الوجود في منتهى ما يتصور من بساطة الذات وعدم التركيب بجميع ما يتصور من أنحاء التركب فليس فيه جهة تعدد أصلا لا من حيث الأجزاء ولا من حيث الأفراد فهو واحد من جميع الجهات المتصورة.

الشيخ: نعم وهل يمكن العدول عن هذه الجادة والاضطهاد لهذه الحقيقة. لا، لا يمكن لا في الشعور العلمي ولا في الشعور الفطري. الدكتور: هل يخفى على ذي شعور أنه يجب في التعليل الطبيعي. أن يكون بين العلة ومعلولها الخاص مناسبة وارتباط طبيعي. الشيخ. من الواضح أنه يجب ذلك فلا يمكن أن تتعدد المعلولات مع وحدة الجهة التي تعللها تعليلا طبيعيا. فالبسيط الواحد من جميع الجهات لا يمكن أن يعلل طبيعيا إلا مثله بسيطا واحدا من جميع الجهات.

الدكتور: هل يخفى أن التعليل الطبيعي يلزم فيه أن تكون العلة للموجود الخارجي حقيقة موجودة متأصلة في الوجود ولا يكفي أن تكون اعتبارا انتزاعيا يصور له العقل وجودا طفيليا لا حقيقة ولا استقلال له في الخارج وإنما الموجود هو منشأ انتزاعه. الشيخ: نعم يلزم فيه ذلك ولا محيص عنه.

الدكتور: إذن يا شيخ هذا العالم الكبير المشتمل على ما لا يحصى من الطبايع المتباينة وكل طبيعة مشتملة على ما لا يحصى من الأفراد المتباينة في الوجود.

هذا كله كيف تجعلون علته واجب الوجود الذي يلزم من وجوب وجوده أن يكون في منتهى ما يتصور من البساطة والوحدة من جميع الجهات. أفلا يلزم أن يكون لكل فرد من موجودات العالم جهة وجودية في واجب الوجود تناسب ذلك المعلول ولا تناسب غيره. إذن فأين البساطة وأين الوحدة وأين وجوب الوجود.

العقول العشرة – والفلاسفة

لا أخالك تقول مثل بعض الفلاسفة إن الواجب صدر منه العقل الأول بتعليله الطبيعي وهو واحد بسيط ولكن العقل الأول باعتبار إمكانه ووجوبه بالغير وتعقله لذاته ولغيره تكون له جهات بها صلح أن يتعدد معلوله ويعلل أشياء متعددة ولأجل ذلك

صدر منه العقل الثاني مع فلك ونفس. وهكذا يتوج صدور القول والأفلاك بالتعليل إلى العقل العاشر وهو العقل الفعال مع الفلك التاسع وهو فلك القمر. يا شيخ، هل تنوي كم على هذه المزاعم من النقود والردود. سامحناهم في بناء مزاعمهم على مزاعم الهيئة القديمة ودعواهم انحصار العالم العلوي بالأفلاك التسعة. وانتهائهم في عدد العقول بانتهاء عدد الأفلاك – ولكنا نقول لهم: (أولا): إن الجهات المذكورة إنما هي اعتبارات محض وانتزاعات صرفة ليس لها وجود أصيل حقيقي فلا تصلح لأن تكون معللة للموجود بالوجود الحقيقي ولا يخرج بها الواحد البسيط عن كونه لا يعلل إلا واحدا بسيطا مثله [1].

1 ـ قد كتب هذا قبل الاطلاع على ما كتبه العلامة الأوحد المحقق نصير الدين الطوسي (قدس الله نفسه) في مختصره فصول الاعتقاد. وبعد الاطلاع آثرنا التبرك بذكر كلامه طاب تراه في هذه الطبعة الثانية تنويرا للأفكار بأشعة تحقيقه مع مزج كلامه بشئ من شرحه وإيضاحه فقال في مطبوع مصر سنة 1341 في الصحيفة ال 10 و 11 (قالوا لا يصدر عن الباري تعالى بلا واسطة إلا عقل واحد والعقل فيه كثرة، وهي الوجوب بالغير والامكان الذاتي وتعقل الواجب وتعقل ذاته ولذلك (أي ولأجل الكثرة فيه بهذه الأمور) صدر

<=

(وثانيا) مهما تعددت جهات المعلولية ومهما تضاعفت من العقل الأول إلى العاشر فإنها لا تبلغ في العاشر أن تكون ألف جهة. ولتكن عشرة آلاف فماذا يصنع هذا المقدار في تعليل الكائنات التي لا تحصى أنواعها ولا تحصى أفراد كل نوع منها. ثالثا: إذا سمحتم بأن تكون الانتزاعيات جهات في الواحد البسيط يصلح بها لتعدد التعليل فلماذا لا تسمحون بمثل ذلك للواجب وتقولون إن الواجب يعلل المعلول الأول بذاته ويعلل الثاني والثالث والرابع بجهات تعليله للأول وتعلقه لذاته ولغيره وهكذا فتعللون الكائنات كلها بالواجب باعتبار ذاته وجهات تعليلاته وتعقلاته لغيره ولا تشركون معه في التعليل غيره بهذا الاشراك الوثني. من أين أخذ الامكان والوجوب بالغير والتعقل امتيازها بالصلاحية لأن تكون جهات وجودية مكثرة في العقل الأول دون واجب الوجود؟! مع أنها في المقامين مشتركة في كونها انتزاعات محضة لا حظ لها في الوجود إلا بتصوير الانتزاع العقلي.

=>

عنه عقل آخر ونفس وفلك مركب من الهيولى والصورة. ويلزمهم (أي على مبناهم في هذه المزاعم من أن الواحد لا يصدر منه إلا واحد مثله إن العقل الأول واحد لا يصدر إلا واحد مثله وهكذا في جميع المعلولات ولازم ذلك) إن أي موجودين فرضا كان أحدهما علة للآخر بواسطة أو بغير واسطة (إذ يمتنع عل مبناهم أن يكون الموجودان معلولين لعلة واحدة وبطلان اللازم بديهي) و (أما زعمهم في التخلص عن هذا الالزام أن العقل الأول فيه كثرة كما ذكرناه فيرد عليه) أيضا (إن) التكثرات التي (زعموها) في العقل الأول (وتشبثوا بموهومها) إن كانت وجودية صادرة عن البارئ جل اسمه لزم صدورها عن الواحد (وهو نقض لمبناهم وهو أنه لا يصدر منه تعالى شأنه إلا الواحد) وإن صدرت عن غيره لزم تعدد الواجب (إذ لا بد من انتهاء الممكن في التعليل إلى الواجب وقد أوضحنا أن واجب الوجود لا يتعدد) وإن لم تكن (تلك التكثرات) موجودة لم يكن تأثيرها معقولا) كما ذكر في الأصل في الاعتراض الأول. (*)

واجب الوجود خالق الكائنات بقدرته وإرادته

الشيخ. الواجب الوجود الذي هو في منتهى ما يتصور من البساطة والوحدة إذا كان يعلل الموجودات بالخلق والإرادة لا بالتعليل الطبيعي فهل تقول بأنه يلزم أن يكون معلوله ومخلوقه بالإرادة واحدا مثله وبسيطا مثله.

الدكتور: لا. لا يلزم بل يجوز أن يخلق الكثير المتعدد والمركب.

الشيخ. إذن فإنا نقول بما هو الحق المعقول من أن الواجب يوجد جميع الكائنات بالخلق والقوة والإرادة، وإن دعوى الواسطة في الخلق بين الله والكائنات غير معقولة. ومن أدلتنا على ذلك نفس ما ذكرته أنت ههنا من الوجود على دعوى الفلاسفة في أن الواجب يعلل بذاته تعليلا طبيعيا وفي افتراضات العقول وتوسطها في التعليل وافتراض العقل العاشر الذي يسمونه العقل الفعال – فإنا نقول إنه لا بد من تعليل الكائنات بواجب الوجود. ولو كان تعليله لها طبيعيا بنفس ذاته لا راديا لزم ما ذكرته أنت من المستحيلات ومخالفات المعقول. إذن فلا بد من أن يكون تعليل الواجب إنما هو الخلق والقوة والإرادة. فإن التعليل لا يخلو من أن يكون على أحد الوجهين. ومن بطلان كون تعليل الواجب طبيعيا نعلم أن تعليله إنما هو بالقوة والإرادة وإنه خالق جميع الكائنات بقدرته وإرادته. فسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

الجزء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد كما هو أهله وهو المستعان والصلاة والسلام على رسله وأنبيائه وأوليائه.

اليعازر. يا شيخ إني أحب أن تزيدني من احتجاج القرآن في المعارف الإلهية.

عمانوئيل: وأنا أحب أن يكون بنحو يوافق أفهام العوام بحسب شعورهم الفطري ويدقق مع الفيلسوف بحسب موازين العلم وهذا هو الذي ينبغي أن يجري عليه؟

الكتاب الإلهي الموحى لهداية البشر كافة. الشيخ: إن من الأمور ما يجعلها القصور معرضا للشك والجحود ومنها ما لا شك أو يشك فيها إلا فقد الشعور أو من ضحى شرف إنسانيته لهواه. ولكن القرآن الكريم قد قطع المعاذير وجلى بإيضاح الحجة قصور الناس ووساوس أهوائهم. ومن ذلك قوله تعالى في سورة العنكبوت المكية 19 (أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير) 20 (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الله الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شئ قدير). فكأن القرآن الكريم يوبخ كثيرا من أهل القرن الحاضر الذين أغفلتهم الدواعي فيقولون ويكتبون من غير التفات ولا مبالاة (يستحيل إخراج الوجود من العدم.

فكوي المتنور لا يذعن بإبداع الوجود بعد العدم) أين هم وأين أبصارهم وبصائرهم عما يراه كل ذي عين ويحس به كل ذي حس ويشعر به كل ذي شعور مما ملأ العالم من حدوث الوجود بعد العدم (أفلم يروا) هذه الموجودات من الانسان والحيوان والنبات كيف يحدث وجودها بعد أن لم يكن لها وجود كما يراها كل أحد تتجدد في وجودها زمانا بعد زمان وخلقا بعد خلق. هل هم يجحدون محسوساتهم ويدعون أنهم لا يرون من ذلك شيئا أو يقولون إننا جلساء بيوتنا نرى الشمس والقمر والكواكب والأرض كما هي منذ نشأنا (قل سيروا في الأرض) وأخرجوا من بيوتكم وظلمات جهلكم (فانظروا كيف بدأ الله الخلق) يوجد النبات والحيوان والانسان بعد أن لم يكن.

رمزي: الذي يحدث من ذلك بعد عدمه وينعدم بعد حدوثه إنما هي الصور النوعية وأما المادة فهي أزلية لم تحدث بعد عدمها وأبدية لا تنعدم.

عمانوئيل: من أين لك أن المادة الأزلية لم تحدث بعد عدمها. أليست هذه الأمور الحادثة من الحيوان والانسان والنبات نراها قبل حدوثها لا نعرف لها مادة ولا صورة ثم تبرز للوجود وتبلغ غاية كمالها ثم يعتريها النقصان والذبول ثم تنمحي من الوجود فلماذا لا تقول: إن مادتها كصورتها تحدث وتنعدم.

رمزي: إني لا أرى هذا الحدوث في الشمس وسائر الكواكب والأرض فلا أقدر أنها تنعدم.

عمانوئيل: وإنك لم تر حدوث أبيك وأمك وأسلافك فهل تقول إنهم قدماء منذ الأزل. وإن كثيرا من شجر الزيتون لم تدرك حدوثه وليس لك من العمر ما يبلغ زمان انعدامه. فهل تقول وتفتي بأنه أزلي أبدي. أين أنت يا رمزي وأين نشأت ألم تسمع من الذين تتبع آراءهم أنهم يكتبون ويقولون إن الشمس والكواكب والأرض قد حدثت بتقلب الأحوال وهي خاضعة لسلطان الانحلال والعدم متى ما انتهى أمدها واستعدادها المقدر لها.

رمزي: إن الحدوث والانعدام والصغير والكبر لا يكون بحدوث المادة وانعدامها بل إنما يكون بتجمع المادة وتفرقها بحسب حركتها في التقلب بالصور.

عمانوئيل: لا تليق هذه الدعوى إلا من أزلي أبدي يحيط علمه بكل شئ في العالم بأجمعه في جميع الأحوال والازمان. من أين لك أن كل جزء يوجد في الحيوان والنبات هو مادة قديمة أزلية تحولت صورتها إلى الحيوان أو النبات.

ومن أين لك أن كل جزء ينعدم منهما هو مادة باقية أبدية تحولت صورتها إلى غيرهما. هل يدلك الحس على ذلك في جميع الحوادث؟ أو لأنك تقول إني لا أقدر على إحداث المادة وإعدامها ولا أقدر على إحداث أرض ولا على إعدامها ولا أقدر على إحداث مدفع ضخم بمادته وصورته ولا أقدر على إعدامه بمادته وصورته؟؟

مهما ركنت لقول فلان وفلان ومهما أصغيت إلى المسموعات فإن الاكتشافات الجديدة تنادي بحدوث المادة وانعدامها. ألم تسمع الخطباء يخطبون والكتاب يكتبون إن الراديوم يتحول إلى القوة ولا زال هذا التحول يبعث في الفضاء كهربائيته

وحرارته ونوره حتى قدروا أن الغرام منه يتحول نصفه في ألف وخمسمائة سنة تحويلا تاما ووجدوا أن غازه إذا وضع في قارورة مسدودة ينعدم بعد مدة ثم يحدث بدلا عنه غاز الهليوم.

هذه اكتشافات الذين لازلت تخضع لآرائهم وتستعبدك كلماتهم مع أنهم وجدوا أن الراديوم أبطأ العناصر انحلالا ولكن لأنهم وجدوا أنه ينحل إلى حركة وحرارة ونور لم يستطيعوا أن يقولوا: إن مادته تكتسب صورة أخرى. ألم تسمع هذا الدوي الكبير من الاكتشافات التي أوجبت الانقلاب العلمي والتي تبشر بملاشاة التخمينات الملفقة للمذهب المادي، ألا وهو دوي مذهب الدقائق الكهربائية وهو (أن المادة متكونة من دقائق الكهربائية) بل إن البحث المادي قد تقهقر عن تقحمه في القول بقدم المادة حتى صار المهم فيه هو التهجس على أنه هل في الكون مادة ابتدائية نشأت عنها جميع المواد؟

الصفحة 330

ولا تحسب أن الذرات الكهربائية أو (الكترونات) الكهربائية هي ذرات مادية كلا بل هي أقل ما وصل إليه الافتراض من مراتب القوة.

يا رمزي إن العقل في غنى عن هذه الاكتشافات فإن عنده من القضايا الوجدانية الفطرية البديهية والمشاهدات الحسية ما يكفيه في فصل القضاء في هذه المسألة.

فقد تقدم في الجزء الثاني مبينا صفحة 93 أن ما لا يكون واجب الوجود لا يكون أزليا بل لا بد له من أن يكون حادثا محتاجا إلى موجد يوجده وأن المادة الخاضعة لتغيرات الكيان وتبادل التقلبات بالحقائق النوعية لا تكون واجبة الوجود بل هي حادثة لا بد لها من موجد يبدعها ويوجدها بعد عدمها.

ومهما تغافلنا عما نحسه من حدوث الأجسام وتجدد وجودها فإن علينا الحجة الجلية بما لا ينكره أحد من حدوث الصور النوعية فإن ذلك برغم مكابراتنا على الاذعان بأن إبداع الموجود بعد عدمه أمر معقول مشاهد محسوس. رمزي: لا يمكننا أن ننكر حدوث الصور النوعية بعد عدمها بل لا زال نشاهد صورا حادثة والكثير منها ما لا يذكر له التاريخ مثالا بل إن المذهب الداروني مذهب تسلسل الأنواع مؤسس على أن الأنواع تتجدد حقائقها على غير مثال سابق.

ولكن شعوري المتنور لا يذعن بإبداع المادة ووجودها بعد عدمها.

الصفحة 331

عمانوئيل: لا أطالبك بالاكتشافات الجديدة في العلم ولا بحجة العمل ولكن قل لي كيف أذعنت بوجود الصور النوعية وإبداعها بعد عدمها ولماذا لا تذعن بإبداع المادة. رمزي: حدوث الصور النوعية ليس إبداعا بل إن الصور ناشئة من المادة لأن الصورة لا تكون بلا مادة.

عمانوئيل: هل تقدر أن تفسر لي كلامك هذا.

فماذا تقول وماذا تريد بقولك هذا؟ رمزي: ما علي إذا قلت إن المادة تتحول وتصير صورة وهذه هي السنة في الصورة فإنها لا تكون إلا من تحول المادة.

عمانوئيل: لا أحمل كلامك هذا على عاتق أهل العلم. ولكن لك أقول يلزمك على كلامك هذا أن تقول بانعدام المادة شيئا فشيئا بسبب تحولها إلى الصور إلى أن ينتهي الحال إلى انعدامها بالمرة. والذي ينعدم ولو تدريجا ولو بالتحول لا يكون أزليا فإن الأزلي عند أهل العلم لا بد من أن يكون أبديا، وما ليس أزليا لا بد له من علة تعلله وموجد يبدعه. وأما قولك إن الصورة لا تكون إلا من تحولها من المادة فإنك قلته وكأنك لا تدري بأن المادة لا تكون في الوجود بلا صورة.

فماذا تقول في أول صورة كانت للمادة فقل لنا هذه الصورة الأولية المقارنة للمادة في الوجود واللازمة لها من أين تحولت؟؟

رمزي: إن الصورة لا تكون بلا مادة فلا يكون حدوثها إبداعا.

عمانوئيل: الابداع هو إحداث الوجود بعد العدم وهو لا شك في تحققه في الصور النوعية ومن ذا الذي اشترط في معنى الابداع أن يكون عبارة عن إيجاد الشئ منفردا بالوجود غير مرتبط بشئ آخر كارتباط المادة بالصورة والصورة بالمادة إن كانت لك نزعة مع الابداع حتى صرت تتحكم فيه وتشترط فيه ما ليس بشرط فدعه وتكلمك في خلق الشئ وإيجاده بعد عدمه. دع عنك الخلق والايجاد بل نكلمك في وجود الشئ وحدوثه بعد عدمه.

يا رمزي إن حدوث الصورة من أوضح الأدلة على حدوث المادة فالمادة ملزومة للصورة ولا يعقل في العلم والوجدان وجود مادة بلا صورة.

وإذا كانت الصورة حادثة بواضح الحس فلا بد من أن تكون المادة حادثة أيضا لأن ملزوم الحادث حادث بلا شك. هل يمكن أن تقول بقدم المادة مع كونها ملزومة في الوجود للصورة الحادثة أم هل يمكن لأحد أن يقول إن الصورة قديمة؟رمزي: إن الصورة الأولية مقارنة للمادة في الأزل هي أزلية كالمادة غير حادثة.

عمانوئيل: إن أهل العلم بأجمعهم يعترفون بما يحكم به العقل والوجدان من أن الأزلي لا بد من أن يكون أبديا لا ينعدم وقد يجري هذا الاعتراف على لسانك سواء كان عن شعور بحقيقة أو عن تقليد للمسموعات وها هي الصورة تنعدم وتخلفها في الوجود صور أخرى لم يكن لها سابقة قي الوجود فكيف تكون أزلية.

حتى إن صورة الأثير الذي تفرضونه تعترفون بخضوعها للانعدام وحدوث صور أخرى بعد انعدامها وعلى هذا جرى افتراضكم.

يا رمزي لا يخفى على ذي حس وشعور كون الصورة والمادة متلازمتين في الوجود. هل تكون مادة في الوجود بلا صورة؟

إذن فكيف تكون المادة أزلية قديمة مع أن الصورة اللازمة لها خاضعة للتغير والعدم والحدوث بعد العدم.رمزي: إن العلم يبين أن العالم مضت له ملايين كثيرة من السنين ومادته تتقلب بها الصور وتتوارد عليها التغيرات فكيف يمكن أن نقول بحدوث المادة.

عمانوئيل: عجيب قولك هذا يا رمزي فهل أنت تنسى أول الكلام أم تتناساه.

متى قبلنا افتراضات بعض الماديين في أن المادة بجميع أقسامها هي منذ الزمن القديم إلى الآن لم يطرأ عليها العدم ولم تحدث بعد العدم. وكيف تستند في دعواك هذه إلى بيان العلم مع أن الاكتشافات الجديدة من الماديين وغيرهم قد أوضحت في العلم السائد أن المادة تنعدم وتحدث وأيضا هل سمعتنا نقول إنه لم يكن لنوع المادة وجود قبل سبعة آلاف سنة أو ثمانية. فلماذا لا ترى بأن الذي نقوله بحكم العقل والوجدان هو أن المادة ليست أزلية لأنها لا يمكن أن تكون واجبة الوجود وما لا يكون

واجب الوجود لا بد له من أن ينتهي إيجاده إلى واجب الوجود الجامع لخصائص وجوب الوجود كما بيناه في الجزء الثاني وإن كان الايجاد قبل الملايين من السنين.

الصفحة 334

وأكدنا ذلك ههنا بأن المادة ملزومة للصورة ولا تنفك عنها ولا شك في أن الصورة متغيرة حادثة وما هو ملزوم الحادث حادث ليس بأزلي بالبداهية.

رمزي: ها هي التوراة تقول في أول سفر التكوين وما بعده من التاريخ ما يرجع بحسب تواريخها إلى أن مبدأ خلق العالم السماوي والأرضي لم يمض عليه أكثر من ثمانية آلاف سنة مع أن العلم يبين أن هذا الزمان لا يكفي في تكون طبقة من طبقات الأرض.

عمانوئيل: قد أجرينا بعض التحقيقات اللازمة في شأن التوراة الرائجة فانكشف لنا أنها غير التوراة الحقيقية فانظر إلى الجزء الأول من هذه الرحلة. فليس من الصواب أن تجعل مضامينها وسيلة لجدالك المبني على خضوعك للتخمينات.

وها هو ذا قرآن المسلمين يبين أن خلق الأرض وسكانها كان قبل خلق هذا النوع الانساني بمدة من الدهر وأن هذا النوع الانساني خلق خليفة بعد نوع أو أنواع منقرضة.

ولم يقتض المقام أن يتعرض لبيان ما مضى للمخلوف من الدهور والأحقاب. فانظر إلى قوله في الآية الثلاثين من سورة البقرة (وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة). رمزي: إن أقوال العلم العصري والرأي السديمي تفيد أن تكون الشمس والكواكب والأرض يحتاج إلى دهور طويلة وملايين عديدة من السنين والتوراة والقرآن يقولان إن السموات والأرض وما فيهما قد تم خلقها في ستة أيام.

الصفحة 335

عمانوئيل: قد أوضحنا فيما كتب في هذه الرحلة أن العلم الحقيقي يبين حدوث المادة والصورة وأنهما لا بد لهما من موجد قادر على خلقهما وتكوينهما إذن فمن ذا الذي حدد قوة هذا الموجد أو حدد حكمته بحيث لا يمكن أن يخلق العالم بستة أيام. أفلا ترى أن افتراضات المذهب السديمي إنما خيلتها افتراضات مستحيلة في العلم كافتراض قدم المادة وافتراض بساطتها في القديم بافتراض الجواهر الفردة أو افتراض الأثير ثم افتراض تطور المادة في صورها بالحركات الحادثة المحتاجة إلى الدهور والأعوام وما هي القيمة لهذه الافتراضات إذا قاومتها الحجة على استحالتها. وكيف تصادر الإلهيين بافتراضات الماديين.

وإن كنت من الإلهيين الذين خضعوا لتخمينات الرأي السديمي بالطرق التي يسمونها بالشجاعة الأدبية فليس لك أن تعترض على قرآن المسلمين بل عليك أن تؤول الستة أيام المذكورة بستة دهور على طول افتراضاتك الخيالية فإن القرآن لا يأبى ذلك لأنه قد قدر بعض الأيام بمقدار دهر كمقدار ألف سنة وخمسين ألف سنة..

نعم إن التوراة الموجودة لا تساعد صراحتها على هذا التأويل فإنها تصرح في أولها من العدد الثالث إلى الحادي والثلاثين بأن اليوم من هذه الأيام الستة كان عبارة عن صباح ومساء ونور نهار وظلمة ليل.

التأويلات الموهومة

ومن الطرائف في هذا المقام أن جماعة ممن يتمجد بالروحانية المسيحية قد أشربوا في قلوبهم المذهب السديمي وافتراضاته ومذهب تحول الأنواع وافتراضاته ولأجل ذلك ارتبكوا في أمر الستة أيام في الأعداد المذكورة في التوراة فرأيت جرجي زيدان في صفحة 3 من كتابه عجائب المخلوقات يؤيد تأويلها بستة دهور ويذكر الاتفاق عليه ممن أسس آراءه على العلم الطبيعي وأنه نال الاستحسان عند عقلاء النصرانية في أنحاء العالم المتمدن. وهذا كله منهم يكون رغما على صراحة التوراة التي لا تقبل التأويل.. ورأيت في الكتاب المسمى (من أين جئنا) العربي المطبوع سنة 1912 والمكتوب عليه أن أصله تأليف الخوري (مورو) وعربه الخوري (لويس دريان) وأهداه إلى الذي طلب منه تعريبه وهو المطران بطرس شبلي رئيس أساقفة بيروت ما نصه في الصفحة 134 (لم يخطر على بال الكنيسة أن تحدد بنوع من الأنواع تاريخ وجود الانسان وحالة الانسانية وقد يعترض بقول التوراة [1] ولكن التوراة لا تدل على شئ من

1 ـ وهو ما ذكرته في الفصل الأول من التكوين من أن السماوات والأرض وما فيهما والانسان خلقت في ستة أيام من يوم الأحد إلى الجمعة كل يوم عبارة عن صباح ومساء ونور نهار وظلمة ليل مع ذكرها للتاريخ من مبدء ذلك إلى موت موسى

<=

هذا وأما ما نقرأه فيها من الأعداد فلم يعد مخفيا على أحد أن التحريف قد تطرق من النساخ بلا قصد وهي تختلف من نسخة إلى أخرى ولهذا يستحيل الاعتماد على ما جاء فيها من هذا القبيل) انتهى محل الحاجة. وليت شعري ماذا أبقى هؤلاء الروحانيون من الاعتبار لتوراتهم إذ حكموا بتحريف الفصل الأول منها بأجمعه وتحريف ما تضمنته من التاريخ من أولها إلى آخرها: ولا أظن هؤلاء الروحانيين يسمحون بالاعتراف بتحريف توراتهم فيما فيها من الخرافات الكفرية في قصة نهي الله لآدم عن الأكل من الشجرة، وتمشي الله في الجنة، وخوفه من بناء برج بابل وقصة الذين جاءوا إلى إبراهيم وإلى لوط، وبركة يعقوب ومصارعته وغير ذلك مما ذكر بعضه في الجزء الأول من هذه الرحلة. ومن جرأة الانهماك بالمذهب الداروني ما وجدناه في صحيفة 242 من مجلة الحرية البغدادية من قول بعض إن الحجر الأساسي الذي لم يكشف إلا على عهد داروين وهو الذي يدعوه علماء الطبيعة (نظرية النشوء والارتقاء) ليس لداروين بل هو لرجل أعظم منه وقد صرح بهذه الحقيقة الطبيعية وهذا النص بحروفه (خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة) [1] إلى آخره. إنتهى ملخصا فانظر واعجب كيف تقهقر العلم وتسافل أمر الاحتجاج وسهل التناقض. وقل إذا كان الحجر الأساسي لم يكشف إلا على عهد داروين فكيف يكون لرجل قد سبقه بنحو اثني عشر قرنا في كتاب يقرأه الكثير من البشر. وأي ربط في الآية الشريفة بتحول أنواع الأحياء. بالنشؤ والارتقاء والانتخاب الطبيعي لا بالخلق الخصوصي الذي تصرح به الآية وتؤكد حقيقته. ولماذا لم يكتف هذا القائل باحتجاج داروين لمذهبه بقربية

=>

وهو ما لا يبلغ ثلاثة آلاف سنة.

1 . في الآية الخامسة من سورة الحج. (*)

الحمام عشرين سنة ونحو ذلك مما ذكرناه في الجزء الثاني في صحيفة 44 إلى 49 . ومن هذا النحو ما نقل عن ابن رشد [1] من أنه عضد أزلية المادة بالنوع وحدوثها بالصورة بآيات من القرآن الكريم وحاول بها نفي الحدوث الحقيقي أي وجود الشئ بعد عدمه المحض وذلك كقوله تعالى: (خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء) [2] وقوله تعالى: (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) حيث يقتضي ذلك وجود الماء قبل إيجاد السموات والأرض ويقتضي حدوث العالم بمشيئة إلهية عن مادة سابقة للعالم وهي الدخان. ونقل عنه أيضا أنه يقول ليس في ظاهر الشرع ما يثبت أن الله كان موجودا بلا وجود شئ أي موجودا مع عدم الأشياء ثم خلقها.

إنتهى. ويا للعجب هل في آيات القرآن الكريم المذكورة أن الماء والدخان الموجودين قبل السموات والأرض هما ليسا حادثين مخلوقين بعد عدمها المحض؟!!

وهل يلزم أن الشئ الموجود قبل السموات والأرض لا بد من أن يكون أزليا؟ وكيف يكون الدخان هو المادة الأزلية بالنوع وخلق منها العالم فحدثت بالصورة؟ هل الدخان مادة بلا صورة. وهل يمكن وجود مادة بلا صورة.

1 ـ نقله في صحيفة 15 في المقدمة لرسالة (بقاء النفس) المطبوعة سنة 1342 في مطبعة رعمسيس في مصر القاهرة.

2 . سورة هود، الآية: 7.

الصورة والمادة ومزاعم الجواهر الفردة

يا رمزي انظر إلى هيكلك الانساني وما فيه من الأجزاء والأجهزة وآلات الحواس والمشاعر ثم انظر إلى أقرب الكائنات إليك من مباديك وهي النطفة التي نزلت من أبيك في رحم أمك فتكونت منها. أو كما يقولون البيضة التي خرجت إلى رحم أمك من مبيضها.

فهل تقدر أن تقول إنك – في حالك الفعلي. بهيكلك الانساني هذا لا يمتاز وجودك عن وجود المني أو البيضة بشئ موجود؟ هل تقول. إن هيكلك الانساني هذا لا شئ ولا موجود وإنما أنت الآن مني أو بيضة الأنثى ولم يحدث في صورتك الانسانية وجود ولا شئ موجود؟!!!

الانسان الذي يشعر ولم يعرقل شعوره بالتقليد للمسموعات هل يمكنه أن لا يحس ولا يجد في أول المحسوسات والبديهيات

بداهة حدوث الوجود والموجود بعد العدم. إذن فكيف يقول بعض الناس بملء فمه ويكتب بشجاعة قلمه (يستحيل خروج الوجود من العدم. يستحيل حدوث الأجود بعد العدم. يستحيل حدوث المادة بعد عدمها). أليست الانسانية في أفرادها شيئا موجودا؟ أليست الصور النوعية من جميع الأنواع الموجودة شيئا موجودا أو لم يحدث لكل فرد من هذه الأنواع والأجناس وجود بعد العدم.

أفلا تعتبر أفلا تنتبه إلى أن الافتراضات التي يلفقها الإلحاد بأهوائه لازالت ولا تزال تلاشيها البداهة العقلية والاكتشافات التجريبية حتى ممن ذهب مذهب الالحاد..

أحس لوسيبوس وديموقراطوأبيقورس بأن تركب الموجودات العالمية من حيث المقدار والماهية ينادي بحدوثها وحاجتها إلى الايجاد من الإله الذي تبطل مرامي أهوائهم بالاعتراف به. فالتجأ هؤلاء إلى افتراض الجواهر الفردة وافتراض حركات طبيعية لها مختلفة. ولكن لأمر من الأمور وقفت شجاعتهم الأدبية عن الطفرة إلى افتراض موجود مادي بلا صورة ولا إلى افتراض صورة بلا شكل هندسي فقالوا بأن للجواهر الفردة أشكالا هندسية.

وسدوا آذانهم عن نداء الحقائق المعقولة بأن الحركة واختلافها والصورة والشكل الهندسي من الدلائل على بطلان افتراضهم للجواهر الفردة والجزء الذي لا يتجزأ.

وجاء خلف ذلك السلف فقالوا: إن جواهرنا الفردة التي نفترضها هي أصغر من جواهر ديموقراط ولم يحتفلوا بنداء الحقيقة بأن الموجود المادي مهما فرض له من الصغر لا ينفك عن الصورة والصورة لا تنفك عن الشكل الهندسي والشكل الهندسي لا ينفك عن قبول التجزي.

حتى إذا جاءت الاكتشافات الجديدة وأوضحت أن افتراض الجواهر الفردة أعني الأجزاء التي لا تتجزأ من المادة إنما هو افتراض باطل موهوم. ومن تلك الاكتشافات اكتشاف الفيلسوف الأمريكي الدكتور (روبر ميليقان) فإن أصغر ما افترضوه من الجسم وسموه جوهرا فردا و (أتوم) فقد اكتشف هذا الدكتور أن أتوم الهيدروجين مركب من نواة فيها الكتريك مثبت والكترون يدور حول النواة فيه الكترون منفي. ولا تقل إن هذه النواة وهذا الكترون هي الأجزاء التي لا تتجزأ لا تقل ذلك فإنه وجدان ما هو يقدر أتوم الهيدروجين ينقسم إلى أكثر من ذلك من الكترونات كالثلاثة والاربعة والخمسة إلى العشرين فما فوق.

فها الاختبار زيادة على دلالته على انقسام ما يفرضونه الجوهر الفرد والاتوم يدل على انقسام مقدار الالكترون منه إلى أقسام لم يوقف على حدها ومع ذلك فكل ما يصلون إليه من الأقسام مرهون لبرهان العلم على انقسامه بأنه لا بد على الأقل من أن يكون له طرفان ينقسم إليهما كما هو لازم في كل موجود مادي. كما قد أوضحت الاكتشافات أن المادة تحدث وتنعدم. فتركت افتراضات الجواهر ونتائجهم منها ممحضة للامتناع كم استغفلت أهواء الالحاد من تشبث لمزاعمه بالتقحم الفارغ من ادعائهم أن في الانسان جملة من الغدد العديمة القنوات والغدد الوحيدة هي عديمة الفائدة في الحياة بل هي مضرة بها ومنها الغدة الدرقية الواقعة في العنق تحت الحنجرة.

وكان هذا التقحم من وسائل الالحاد ونفي الإله الخالق بعلم وحكمة.

فجاءت الاكتشافات الجديدة العلمية وفضحت تلك التقحمات والوسائل الفاسدة. جاء اكتشاف الدكتور كوخر السويري إذ زرع غدة درقية فظهر له أن زرعها مضر بالدماغ جدا لأن المنزوعة منهم قد وقعوا في البلاهة التامة واكتشاف العلم التجريبي أنه عند عروض المرض للغدة الدرقية يحدث خمول في الذهن يشبه البله لا يشفى المريض منه حتى يحقن بخلاصة الغدة الدرقية من الفرس. 150

وجاء اكتشاف الهرمونات (المنبهات) التي تفرزها الغدد المذكورة وينشرها الدم في الجسد لكي تنظم حركه الجسم وتوازن عمل أعضائه وتسهله. هذه النظرية التي شاع الاعتقاد بها في هذه الأيام. كما وجدوا فوق الغدة الدرقية غدتين لا تزيد إحداهما عن رأس الدبوس إذا نزعتا من إنسان أصيب بتشنج ومات بعد ست ساعات.

وإن الغدتين اللتين فوق الكليتين إذا نزعتا مات الانسان في الحال وإنهما يفرزان سائلا يسمى (الأدرينالين) هو سبب حركة القلب.

فكانت هذه الاكتشافات الثمينة من جملة الزواجر للمستنتجين من الجهل بالحقائق جملة من افتراضاتهم الفارغة التي يعارضون بها الحقائق المعقولة – ودع وقوف دلائل العقل وبديهياته لهم في مرصاد التوبيخ.

القرآن الكريم ومزاعم المادة وخيالاتها

رمزي: يا شيخ ألا يمكن أن يكون بعض الآيات القرآنية مؤيدة لمزاعم من ينكر الحدوث الحقيقي وخلق الشئ بعد العدم المحض ومن لا شئ ويعنون بالشئ ما يسمونه الهيولي والعنصر الغير المصور. ألا يمكن أن يقال بأنه لم يثبت مخالفة القرآن لهذا الرأي بعد ما جاء فيه (أم خلقوا من غير شئ) [1] إذ الاستفهام إنكاري تحقيقا!! عمانوئيل: قد ذكر الشيخ هذه الآية والتي بعدها في الصحيفة التاسعة والثلاثين بعد المائة من الجزء الثاني.

وهل يخفى عليك وعلى العارف بالقرآن الكريم أن الآيتين المذكورتين إنما هما في مقام الحجة لوجود الإله الخالق وفي مقام الانكار والتوبيخ على عدم اليقين به لا للاحتجاج على أزلية المادة والهيولي الغير المصورة وخروجها عن دائرة مخلوقاته وإيجاده لها بقدرته بعد عدمها. فكيف نقول قولك هذا؟

هل يتمحل القرآن ويقول بغير المعقول ويفترض وجود مادة وهيولى غير مصورة ويسميها شيئا وهي أزلية غير مخلوقة ولا مسبوقة بالعدم ثم يخلق بعد ذلك فيها الصورة؟ هل يمكن أو يعقل وجود مادة بغير صورة؟ كيف والمادة إنما يتقوم وجودها بالصورة. هل هذا القائل لم يسمع من القرآن قوله إن الله. (خالق كل شئ) كما في سورة الأنعام 102 والرعد 16 والزمر 62 والمؤمن 62

1 ـ سورة الطور، الآية: 35. (*)

الصفحة 343

(أعطى كل شئ خلقه) كما سورة طه 25 (وأحسن كل شئ خلقه) كما في سورة السجدة 7 . فإن كانت هذه المادة الموهومة شيئا يمكن افتراضه فالقرآن قد كررت صراحته بأن الله خالق كل شئ. إذن فكيف تقول لم يثبت مخالفة القرآن لأزلية المادة؟ فليحفظ هذا وليتكلم في معنى الآيتين المتقدمتين بشوف علم بشأن القرآن وسوقه.

وماذا يجديك في خيالك الموهوم كون الاستفهام إنكاريا بعد ما يعرف من سياق القرآن الكريم وجه الانكار بالاستفهام. ذلك الوجه الواضح.

الشيخ: لا أظنه قال ذلك عن اعتقاد بل على نحو بحث. كيف وأنه قد رد مزاعم ابن رشد في قوله إنه ليس في ظاهر الشرع ما يثبت أن الله كان موجودا بلا وجود شئ.

حيث قال (كيف وقد جاء كان الله ولم يكن معه شئ).

عمانوئيل. قد كان غنيا عن هذا البحث المتهافت الذي أوقع كلامه في التناقض وأوقعه في الغفلة عن المعقول وجلالة قرآنه واستقامة تعاليمه وفهم سوقه.

الصفحة 344

وهل هذا إلا ككلامه في احتجاج العلامة نصير الدين على حدوث المادة والعالم بدلالة لزوم التغير والحوادث لها حيث (قال هذا وأمثاله يثبت حدوثها أفرادا لا ما يسمونه نوعا فلا ينافي أزليتها هيولا) يا شيخ هل يعقل وجود نوعي أزلي بلا وجود أفرادي؟ وهل يعقل وجود هيولا بلا صورة؟؟؟

تتمة في احتجاج القرآن على الإلهية

الشيخ: إني ذكرت في الصفحة 116 من الجزء الثاني احتجاج القرآن الكريم في الآيتين الثانية والثالثة من سورة الجاثية المكية وقد فاتني ذكر الاحتجاج بالآية الرابعة منها وهو قوله جل شأنه (واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون) ما في هذه الأمور من الآيات الباهرة والغايات العجيبة. ينظر العامي إلى موازنة اختلاف الليل والنهار المستمرة في الأحقاب والأدوار وما لهذا الاختلاف من الحكم والآثار فيعرف بفطرته أن هذا كله تدبير حكيم عليم قادر.

ويلتفت العارف إلى تدبير ذلك بسير السيار (الأرض أو الشمس) سنويا على منطقة البروج فيبهره هذا التدبير العجيب وهذا التسخير المتدفق بآيات الحكمة كما مر بعضه في الجزء الثاني صحيفة 346 و 118 ويتبصر العامي والعالم بالنظر إلى ما ينزله الله من السماء وجهة العلو من رزق الأحياء الذي تجري منه الأنهار على تقدير متدرج. وبالمطر الذي يعم الأرض المرتفعة عن الأنهار فيحيي برزق الثلج والمطر موات الأرض ويقيم به معاش الأحياء في المطعم والمشرب والتنمية وتلطيف الهواء وتعديله بعد أن جعله عذبا سائغا تتاح به الأرض والأحياء. فلا تدع هذه الحكمة الجلية مرا لأحد عن الاذعان بأن ذلك

من تقدير حكيم رحيم.

ويتبصر العامي والعالم بالنظر إلى تصويف الرياح حسب منافع الناس ومواقع احتياجهم في تلطيف الهواء وإثارة السحب وسوقها إلى مواقع نفع الأمطار، وفي إذابة الثلوج وتسيير السفن الشراعية ورفع العفونات الحادثة فتجوي بتصويفها في نفع العموم على التناوب والتعديل والحكمة فالرياح المحلية تهب شمالية وجنوبية وشرقية وغربية ومن جهات متعددة مما بين هذه الجهات الأربعة والرياح التجارية التي تهب من جانبي خط الاستواء هذه إلى الشمال وهذه إلى الجنوب كما تهب من ناحية القطبين إلى خط الاستواء على ميل في هذه الرياح هذه إلى الغرب وهذه إلى الشرق لكي يساعد هذا الميل على السير في جهات متعددة بتغيير وضع الشراع.

من ذا الذي صوف الرياح الاستوائية من ههنا إلى الشمال ومن هنا إلى الجنوب؟ ومن ذا الذي صوف الرياح القطبية إلى خط الاستواء؟

ومن ذا الذي أمال هذه الرياح عن وجهها. هب أن حرارة خط الاستواء تمدد الهواء وتخففه وترفعه فلماذا يتوجه إلى القطبين؟

أين التعليل بالارتفاع؟ ألا ترى هذه الرياح الاستوائية ينتفع بها الشراع في قرب خط الاستواء كما ينتفع بها إذا بعد عنه على نهج متساو. ومن ذا الذي جعل الرياح الموسمية مختصة ببعض المواضع وتقسم السنة بفصلين – ومن ذا الذي حكم على رياح المحيط الهادي وبعده المحيط الأطلسي بالانتظام في الهبوب والسلامة من عصف الأعاصير التي تعصف أحيانا كثيرة في بحر الصين وبحر أنتيلة المقابل لأمريكا الوسطى.

فأين العقول عن مثل هذه الآيات المشرقة بدلائل الحكمة والقدرة الإلهية.

وقال جل اسمه في الآية السابعة والخمسين من سورة الأعراف المكية (وهو الذي يرسل الرياح بشرى بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات) في كل بلد ما تقتضيه الحكمة وتوزيع النعم وتنسيق التجارة ومناسبة المحيط.

كرامة العقل وتسويلات الالحاد

رمزي: إن العلم لا يعتمد إلا على المحسوسات أو ما يرجع إلى الحس وكل ما تذكره في أمر الإلهية والإله يرجع ويبتني على مقدمات هي من العقل المجرد.

هذه مبانيكم. الموجود الحادث لا بد له من موجد. لا بد من أن ينتهي التعليل إلى واجب الوجود. موجد الموجودات المنتظمة في غاياتها عالم بالغايات أوجد الموجودات لأجل غاياتها. واجب الوجود لا يتعدد. لا يتجسد هذه المباني التي لا

مساس لها بالحس بل هي من العقل المجرد.

الشيخ: إن خفي عليك فلا يخفى على أصحاب العلوم أن كل علم لا غنى له عن الرجوع إلى ممثل هذه القضايا العقلية الكلية الفطرية البديهية. بها يسير سيره وعليها تبتني أدلته وبراهينه. وهي الحجر الأساسي لبناء العلوم واستنتاج كلياتها النظرية المدونة فيه وتمشي أحكامها للموارد الجزئية في مقام استثمار العلوم. ولا يجدي الحس في أدلة العلم شيئا فلا هذه القضايا التي تمتاز بها فطرة العقل المجرد المشرف على الحقائق بنورانيته. لا يؤسس مجرد الحس قاعدة كلية تنفع في العلوم.

ولعلك تتخيل ذلك في الاستقراء. أترى ما هو الاستقراء؟ وما هي فائدته؟ الاستقراء هو أن تتتبع غالب الأفراد وتشاهدها على حالة فتأخذ من ذلك كلية ظنية في كليتها وعمومها وتسري بواسطتها ظنا إلى الفرد النادر الذي لم تشاهده فتحكم ظنا على هذا الفرد بأنه متصف بتلك الحالة.

إذن فاعلم أنه ليس في العلوم العملية المتداولة ما هو مبني على هذا الاستقراء. هلم إلى أقرب العلوم إلى الحس وهو علم الحساب فلا تحسب أن أصول قواعده من الحس.

ألا ترى أن من أصوله البديهية حكمك بأن كل زوج ينقسم إلى متساويين من الصحاح. وكل فرد لا ينقسم. وكل ثلاثة وأربعة إذا جمعتها يكون مجموعها سبعة. وكل خمسة تطرح منها ثلاثة يبقي منها اثنان. إلى غير ذلك. هل تدعي أنك حصلت العلم بذلك من استقراء المحسوسات الغالبة!!! كلا ثم كلا.

هب أنك من زمان الطوفان إلى الآن قسمت الأربعة من أنواع الأزواج في ليلك ونهارك فهل تبلغ من أفراد الأربعة واحدا من ألوف الثلاثين. أو لاحظت الثلاثة من أنواع الفرد فوجدتها لا تنقسم إلى متساويين فهل تبلغ من أفراد الثلاثة واحدا من ألوف الملايين.. وكذا إذا جمعت من أفراد الثلاثة والأربعة. أو طرحت الثلاثة من الخمسة.

كيف ينفع الحس المجرد واستقرائه القليل مهما بلغت من العمر. وكيف يغنيك عن العقل مع هذا الاستقراء النزر الطفيف فتحكم حكما قطعيا بديهيا بقضية كلية لم تحس من أفرادها بواحد من ألوف الملايين. أليس ذلك الحكم القطعي البديهي لأجل حكم العقل الفطري المجرد بانقسام الزوج إلى متساويين بالنظر إلى طبيعته.

وعدم انقسام الفرد إلى متساويين بالنظر إلى طبيعته. وإن طبيعة الثلاثة والأربعة يلزمها أن يكون المجموع منها سبعة.

وهكذا في بديهيات الحساب والهندسة والتشريح: نعم إن كان للحس تأثير ومداخلة فإنما هو بمدار استلفات العقل إلى طبيعات المحسوسات فيحكم ببداهة الفطرة بأحكام القضايا الكلية القطعية.

وإن كان غير المحسوس مما يعسر إحصاؤه من أفراد هذه القضايا. فإن كنت تعد أحكام هذه القضايا حسية فإن أحكام قضايا الإلهيين أشد ارتباطا وأكثر تشابكا بالمحسوسات فإن جميع المحسوسات الحادثة المشاهدة في العالم تستلفت العقل بالبداهة إلى الحكم بحاجتها إلى موجد هو واجب الوجود. وتستلفته بإتقان صنعها وارتباطها بالغايات الثمينة الباهرة إلى أن موجدها وهو واجب الوجود عالم بالغايات أوجدها لأجل غاياتها. وقد أشير إلى ما ذكرناه في كتاب الهدى صحيفة 3 و 4.

تسويلات أبيقورس

رمزي: قد كتبوا في الصفحة المائة والعشرين من مجلة الحرية البغدادي قولي أبيقورس في الالحاد وهو (إن الإله أما أنه رغب في أن يمحي الشر ولا يقدر أو يقدر ولا يريد أو لا يقدر ولا يريد أو يقدر ويريد أما الفروض الثلاثة فغير متصورة في إله جدير بهذا الاسم فإن صح الفرض الرابع فلماذا الشر باق إلى الآن.

عمانوئيل: هل تروي يا رمزي ماذا يريد أبيقورس من لفظ الشر الذي جعله في كلامه؟

رمزي: الشر معروف، كل إنسان يعرفه فلماذا تسأل عنه.

عمانوئيل: إن مزاعم الانسان الخاطئة قد وسعت دائرة التسمية للشر وأدخلت فيها كل ما يبهض الأهواء والألفة والحرص والأمل والطمع والشره.

حتى إن الزاني يجعل منعه عن الزنا شرا ورد عليه. وقاطع الطريق إذا صده أحد عن قطع الطريق وحرمه من نهب أموال الناس فإنه يعد ذلك شرا ورد عليه. وكافر النعمة إذا ابتدأته بالانعام والتفضل عليه زمانا ثم قطعت نعمتك عنه لحكمة أو لا لحكمة فإنه يعد قطعك لذلك الأنعام شرا كبيرا أوردته عليه وفعلا ذميما صنعته معه فينالك بلسانه ويرميك بسهام لومه ويكفر بنعمتك عليه. تلك النعمة الابتدائية التي لا استحقاق له في أقل قليل منها. هل أنت لا تروي بنعم الله على خلقه؟

أفلا تروي بأن المخلوق مغمور بنعم الله خالقه. فإن كنت غافلا عن جلالة هذه النعم وعظم مواقعها في العقول وفي النفوس فإنا نشير إلى بعض منها.

هذا النوع الانساني مع علمه بأن حياته العادية في هذه الأدوار لا تتجاوز الثمانين سنة مع أنها مهددة بالانقطاع فيما قبل ذلك انظر إليه كيف يرغب في حياته هذه مع قصرها وتهديدها وكيف تجدها محبوبة ثمينة عنده بحيث لا تستطيع أن تقدر محبوبيتها العظيمة عنده ولا مغالاته بقيمتها. تراه منهمكا بالاستعداد وتهيئة الأسباب لاستدامة حياته هذه والتمتع بنعمها. يسعى لها بأنواع السعي والحرص والظلم والتكالب وإن انحطت قواه وقلت ملاذه وفقد أنفع حواسه وثروته وغره وشرفه وولده الوحيد.

كل هذا لكي يتمتع بنعمة الحياة وما بقي من ملاذها بحرص وعظيم محبة وانهماك بحياته وإن أيقن بقصر المدة. وبهذا الميزان تكون نعمة الحيوان في حياته وقيمتها في شعوره وابتهاجه بتمتعه بها. وانظر إلى العلماء كيف يجدون حياتهم في العلم

نعمة لا يستطاع تقديرها ولا تحد محبوبيتها.

وانظر إلى المال ولوازم التعيش وإلى الأولاد والسيادة والثروف كيف يجدها الانسان بطبعه وفطرته نعما عظيمة محبوبة بجميع مراتبها – بل إن الذي يشمخ ويتعالى بثروته إذا زال عنه ذلك فإنك تراه يتقحم أرذل الوسائل وأخسها لتحصيل ما يسد الرمق ويحفظ صحته وحياته ويجد حصول ذلك غنيمة محبوبة ونعمة كبرى يتمتع بها ويتلذذ.

وكذا من عجز عن تحصيل المراتب العالية من الملاذ ومطامح الشهوات.. وانظر إلى من قنعت نفسه الكريمة ورضيت بما عنده كيف يتلذذ ويتمتع بما يجده ويعده نعمة ثمينة محبوبة في حياة رغيدة، لكن يا للأسف إن الانسان الأثيم إذا فقد مرتبة عالية من النعم التي علق بها طمعه وحرصه فإنه يعد فقدانها شرا صنع معه.

وإن النعمة المفقودة كانت حقا لفضيلته الموهومة وملكا لذوام استحقاقه. فأوضح لي وفسر لي ماذا يريد أبيقورس في كلامه من لفظ الشر؟.

رنوي: يريد ويعني ما ملأ العالم من دواهي الموت والأمراض والأوجاع والفقر والبلايا والمحن وفقدان الأحبة والانحطاط بعد الرفعة والذلة بعد العزة.

هذه الشرور التي لم تدع في العيش صفاء ولا هناء.

عمانوئيل: هذا ما نبهتك عليه إذ قلت لك إن كافر النعمة يعد بجهله قطعها شرا كبرا صنع معه. ولقد سبق التنبيه على هذا في كتاب أنوار الهدى صحيفة 61 – 73 . كل إنسان في العالم لا استحقاق له في شئ من الوجود والحياة والصحة والثروة والعز والأولاد والأحبة وجميع ما يرغب فيه. ولا يدخل شئ منها تحت قدرته ولا مساس لتأثيره بها. بل إنها كلها نعم ابتدائية تفضل بها عليه واهبها من دون استحقاق للانسان لأقل قليل منها.

فكل ما تعده من الموت والأمراض والأوجاع والفقر والبلايا والمحن وفقدان الأحبة إنما هو قطع للنعمة المحدودة بحسب الحكمة. لا شر ولا إيذاء ولا اضطهاد للاستحقاق ولا استلاب للشئ المستحق. لكن الانسان الأثيم أليف الطمع والحرص والشره وكفران النعمة بجهله ولؤمه وكبريائه يعد قطع النعمة شرا.

يكفر بالنعم السابقة ويسخط على المنعم ويتجرأ عليه إذا قطعها لحكمة. وإن الكثير من نوع الانسان لا تراه يعترف بما ذكرناه من الحقيقة الواضحة إلا إذا أنعم على إنسان تفضلا وابتداء من دون استحقاق ثم قطع نعمته فصار ذلك الانسان يشكره وينسب له الاساءة والإيذاء بقطع النعمة ويعد ذلك عليه شرا مذموما. فترى المنعم حينئذ تتجلى له حقيقة ما قلناه ويوبخ هذا الشاكي على لؤم الحرص وكفران النعمة ونقص الجهل ورذالة الطمع وخسة الأخلاق.

الآلام والأوجاع

إن تنعم النفس بالنعم الجسمانية ومنها وجود الجسم وصحته إنما هو بخلق الرابطة الأكيدة والعلقة الوثقى بين النفس وجسدها وبجعل تلك الرابطة طبيعية على ناموس مستقر لكي يتم للنفس نعيمها وتنعمها بآلية الجسد بتلك النعم التي لا تحصى ولكي تكون مسخرة في حفظ الجسد من الفساد وواسطة في تدبير صحته.

ومن أجل هذه الرابطة وهذه العلاقة تتألم عند فقد الانسان صحته وعند اختلال مزاجه حينما يريد المنعم بتقديره وحكمته قطع بعض النعم عنه موقتا أو دائما.

فالنفس بتلك الرابطة المجعولة لإيصال النعم العظيمة والملاذ الكبيرة تكون شاعرة بما يعرض للجسد من فقد الصحة واختلال نظامه.

فما عروض الآلام إلا أثر طفيف لتلك العلاقة التي تقوم بناموس إيصال النعم العظيمة إلى النفس وشعورها بها.

ولا ينحجب عنها الألم إلا بقطع علاقتها حينئذ من الجسد وفي ذلك يفوت تدبير النفس لنظام الجسد في ذلك الحين وتبطل مدافعتها لأسباب الآلام طلبا لاسترجاع الصحة. إذن فليست الآلام والأوجاع شرا يجب على الإله أن يمحوه.

من فوائد خلق الانسان والحيوان على هذا النظام

كم ترى في الادراك والشعور من مجد وكرامة وإشارة إلى السعادة إذن فاعلم أن أشرف علوم الانسان وأكرمها والذي يكون وسيلة للسعادة الأبدية وموصلا إلى المدنية الحقيقية والاجتماع الراقي السعيد إنما هي معرفته لإلهه وواهب حياته ووليّ نعمته ومالك أمره.

ومعرفة ما لهذا الإله من صفات الجلال والجمال فيفوز من بركة هذه المعارف باتباع تعاليم إلهه في المدنية الحقيقية والكمال الروحي ورقي السعادة.

ألا وإن خلق العالم على هذا النظام باب لتلك المعرفة وملفت للنظر نحوها ودليل هاد في جميع الأحوال إليها. إذا التفت الانسان إلى دوام التوالد والفناء والحدوث والتغير والنمو والتحليل والصحة والمرض والعجائب في تراكيب الحيوان وغايات أجزائه وكيف يجري ذلك كله على نواميس منظومة الدوران متناسقة الآثار متماثلة الغايات فإن هذا الالتفات يتكفل بالهداية لمن لم يستأسر للهوى ولم يساعد الجهل بالتغافل والانهماك بالشهوانية والغرور ويضمن له الارشاد إلى أن لهذا العالم العجيب النظام خالقا ومدبرا هو واجب الوجود عالم بالحوادث والغايات إذ أنشأ عجائبها وقدر فوائدها وربط متماثلاتها بنواميسها على نسق دائم في أدوارها وجعل اللاحق يحذو السابق على نظام متقن وتقدير باهر. رمزي: أما ترى طغيان الطاغين وفساد المفسدين وظلم الظالمين وتمرد المتمردين.

أليس هذا شرا. أو ليس قد أظلم به العالم وكدر صفاء الانسانية. أفلا يجب على الإله المستحق لهذا الاسم أن يمحوه. فلماذا

الشر باق إلى الآن.

عمانوئيل: إن هذا الذي تذكره له جهتان لكل منهما وجهة من الكلام جهة من حيث وقوع الظلم والعدوان على المظلوم وتضرره بذلك.

وجهة من حيث وقوع الاعتداء والظلم والتمرد من الفاعل. إذن فيلزم أن نكلمك في كل واحدة من الجهتين. ونستفتي فيها الشعور الحر والمبادي المعقولة فنقول.

أما الجهة الأولى: فإنها ترجع إلى قطع النعمة عن المظلوم حسبما تقتضيه الحكم. وقد تبين أن الإله قد جعل نعمه محدودة بالتأثرات المقدرة في هذا العالم وأن تحديد النعم وقطعها ليس من الشر في شئ ولا يعده شرا إلا من تلاعب بشعوره كفران النعمة وفساد الأخلاق والمبادئ الأهوائية.

من ذا الذي يوجب على الإله إدامة نعمه والمحاماة عن دوامها. أي مبدأ معقول وأي أدب مستقيم وأي شعور حر يوجب ذلك؟

الإله العالم هو واهب النعم ابتداء وتفضلا وهو محددها فلا شر في تحديدها سواء كان ذلك التحديد لحكمة معلومة من معلوماتنا القليلة أو مجهولة من مجهولاتنا الكثيرة الكبيرة أم قلنا بجهلنا وغرورنا إن تحديد النعمة لا لمحض أن لا يتمرد المتمرد بهواه مع وضوح الحجة له وتتابع المواعظ والإرشاد والزواجر عليه.

أفلا يكفي المتمرد ما يتضح له في بديهيات إدراكه وفطريات وجدانه من حسن اختياره للصلاح والأعمال الصالحة وما في ذلك من الفوائد العظيمة وما يتضح له من قبح اختياره للأعمال الردية وضرر نتائجها السيئة مع زاجر العقل والأنبياء والكتب الإلهية والوعاظ وتهديد الشريعة بتأديبها فهل بعد قيام الحجة بهذه الأمور يبقى للتمرد أهلية لشئ من العناية. فكيف يتحكم إذن إبيقورس وأتباعه على الإله بأن يعتني بهذا المتمرد الخسيس ويحابيه بإلجاء الانسان وسلب اختياره وحرية قدرته وإرادته بحيث يسد على الصالح بل على المتمرد أيضا باب النعمة والرحمة واللطف.

خلاصة الكلام

يا رمزي إن الإله يقدر على إدامة نعمه ولكن لا يجب عليه أن لا يجعلها محدودة بأمور عادية أو اتفاقية. لا يخرجها التحديد عن كونها نعمة ولا يكون تحديدها من الشر الذي يجب على الإله أن يرغب عنه ويرفعه. وإن الإله يقدر على رفع التمرد من المتمردين ويرغب في صلاحهم باختيارهم لكي يكونوا كاملين سعداء وقد ساعدهم على أفكارهم بالحجج والبيان والترغيب والزجر ولكنه بحسب رحمته ولطفه لا يرغب في رفع تمردهم بإلجاء الانسان وسلب اختياره وقدرته وحرية إرادته. فهل يخفي على الشعور الحر أنه لا يحسن في رحمة الله ولطفه أن يحابي المتمردين الساقطين بأن يسد عليهم وعلى

الصالحين باب النعمة والرحمة واللطف..

فليسقط قول أبيقورس (فلماذا الشر باق إلى الآن).

شبهة الجبر

الدكتور: هل يحسن في جلال الله وقدسه أن يساعد الانسان الأثيم على فعل الإثم أو يكون الإله هو الخالق لذلك الفعل وهو الذي يلجأ الأثيم إليه ويضله.

عمانوئيل: لا. وكلا. وحاشا. الدكتور. إذن أرى الكثيرين من أصحاب الأديان يقولون بما أنكرته وأرى جملة من الكتب المنسوبة إلى الوحي الإلهي تجاهر بهذا القول.

عمانوئيل: إن أقوال البشر المضطربة لا ينبغي أن يلقى ثقلها على عاتق الحقائق ولا تكون وسيلة للخدشة في شرف الحق والصواب.

فكم ترى الأهواء تلاعبت بأقوال البشر ونزاعهم مع أن مجد الحقيقة محفوظ لها مهما ثارت، زوابع الاختلاف.

ولكن أيها الدكتور أين مجاهرة كتب الوحي بأن الإله يساعد الأثيم في عمل الإثم أو يكون هو الخالق لعمل الإثم أو هو الذي يلجئ عليه.

رمزي: هذه كتب العهدين. وهذا القرآن.

متشابهات القرآن وشبهة الجبر ومحكماته وإيضاحها

عمانوئيل: لتلتفت إلى بيان مجد القرآن فإنا لا نجد فيه ما يخالف المعقول ولا ما ينسب إلى الإله شيئا ينافي قدسه..

لا يخفى أن القرآن جرى في العربية على أسلوب البلاغة وحسن التصرف والتفنن بالاستعارة والتمثيل ومحاسن المجاز.

هذه الأمور التي يبتني بيان معانيها على القرائن والإيضاحات سن دلالة العقل واللفظ والأسلوب.

ومن أجل الغفلة عن ذلك وقصد الاغفال فيه تكثر عثرات الجاهلين حكمة فيه. فليس لابيقورس وأتباع نزاعمه من هذه الجهة أدنى تشبث خيالي.

وأما الجهة الثانية الراجعة إلى خلق الانسان مختارا في أعماله فإن نزاعم أبيقورس وأتباعه تتلاشى فيها بالالتفات إلى حكمة إتمام الإله لنعمته على الانسان وإكرامه له بحرية الإرادة والقوة لكي يتهيأ له السبيل إلى معارج الكمال والسعادة باختياره محاسن الأفعال وتحصيل مكارم الأخلاق واستحقاق المدح وثناء الشرف لكي يتنعم بإدراكه للذة الصلاح الاختياري ورفعه الكمال التحصيلي والارتقاء لكرم الأخلاق الكسبية واستحقاق المدح.

هذا في هذه الدار الدنيا وقبل الجزاء العظيم والنتيجة الكبرى في الدار الآخرة ومقام السعادة العظمى والنعيم الدائم والجزاء الخالد. تلك النشأة التي لا تقدر كرامتها العظيمة ولا تحد، لا يشمخ في أهوائه سن يجحد الدار الآخرة فإن ما أشرنا إليه من الفوائد في دار الدنيا كاف في الحكمة والنعمة بخلق الانسان حر الإرادة والقدرة.

وإن هذا لهو الروح لنعمة وجوده والمظهر للذة حياته في الابتهاج بكماله ورقيه في فضيلة الصلاح. أتم الإله على الانسان هذه النعمة والكرامة بأن جعل في بديهيات إدراكه وفطريات شعوره معرفة لفضيلة الأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة وأسباب الكمال وحسن ذلك وكرامة نتائجها الراقية الفاضلة المحبوبة.

الصفحة 359

ومعرفة الأخلاق الخسيسة والأعمال الردية وأسباب النقص والسقوط وقبح ذلك ورذالة نتائجها السيئة الذميمة البغيضة. وأيد هذه المعارف وأزال عنها معثرة الغواية ووساوس الأهواء فأرسل الرسل والأنبياء بدعوتهم الصالحة وإيضاحهم لما يخفى من ذلك على العقول أو يستر غباره الغفلة واتباع الأهواء وعضد الرسل بالكتب المقدسة وما فيها من البيان والارشاد وحسن الدلالة وزاجر الوعيد على سوء الأعمال وجميل الترغيب بالوعد بالجزاء العظيم على الأعمال الصالحة واتباع الهدى.

وأكد ألطافه في ذلك بشريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتأديب الرياسة الدينية التي جرت السياسات الزمنية على معقولها وإن تفاوتتا أحيانا بالتطبيق.

أفلا ترى أن الأفعال التي يفعلها الانسان في الشرور هي من نوع الأفعال التي يفعلها الانسان في تنعماته المباحة وترقيه في الكمال وإنما تختلف الأفعال بالعناوين والاضافات. وإن القدرة وأسبابها على الفعل القبيح هي القدرة وأسبابها على الفعل القبيح هي القدرة وأسبابها على الفعل الحسن.

أم أنت لا تلتفت إلى أن الناس منهم من يختار اتباع الهدى وفعل الخير فيرتقي بذلك إلى مراقي الكمال ومكارم الأخلاق والسعادة ومنهم من يختار التلوث بذميم الأفعال ورذيل الأخلاق وخسة السقوط وسيأتي إن شاء الله لهذا زيادة إيضاح في الكلام على المعاد وصحة مسؤولية الانسان.

فهل يريد أبيقورس بتحكمه أنه يجب على الإله أن يسلب اختيار الانسان وإرادته وقدرته ويسد عليه باب الرقي في الصلاح والكمال ويجعله كالحجر الذي لا يفعل الشر.

الصفحة 360

فيكون الإله قد سد باب النعمة والرحمة عن خلقه وحجب كرامته عمن يكون صالحا راقيا كاملا باختياره وحرمه الرقي باختيار الفضيلة ومكارم الأخلاق وحجبه عن التنعم بسعادة الصلاح والابتهاج بالكمال واستحقاق المدح والجزاء. أما أنه لا يحرم بذلك الصالح وحده بل يحرم المتمرد أيضا عن أهليته وقدرته على الرقي المذكور.

هل يكون هذا من رحمة الله ولطفه بعبده؟؟ وهل يجب هذا الحرمان على الإله فيقاوم رحمته ولطفه وجوده ومخادعات الزيغ والأهواء.

وقد نبه نفس القرآن على ذلك بقوله في سورة آل عمران 7 (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات) جلية على الصراحة في المعاني الحقيقية المؤيدة بحكم العقل واقتضاء السياق فتندحر عنها احتمالات المجاز في الشعور المستقيم. فقد أحكمت عبارتها بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه بحسب أهل اللسان المستقيمين في الشعور والمبرئين من غواية الأهواء وفلتات الجهل.

ومن ذلك قوله في الآية الثالثة بعد المائة من سورة الأنعام المكية (لا تدركه الأبصار) هذا القول الذي يعتضد معناه الحقيقي المحكم بدلالة العقل على أن الإله ليس ماديا تدركه الأبصار.. وكقوله في مقام الانكار على الأشرار في الآية الثامنة والعشرين من سورة الأعراف المكية (إن الله لا يأمر بالفحشاء)... وقوله في الآية التسعين من سورة النحل المكية (إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى حته وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) والآيات المحكمات (هن أم الكتاب) وأصله الحاكم الذي ترد إليه الحكومة حتى في المتشابهات (و) منه آيات (أخر متشابهات) في بادئ الأمر يحتاج فهم معانيها إلى القرائن العقلية أو الحالية أو المقالية لكون تلك الآيات جلية على مقتضى البلاغة العربية وأسلوب كلام العرب الراقي في التفنن في محاسن المجاز والتمثيل والاستعارة والكناية فتشتبه الاحتمالات فيها بادئ بدء في أول النظر إلى معانيها (فأما الذين في قلوبهم زيغ) وانحراف عن الهدى والاستقامة (فيتبعون قلوبهم ما تشابه منه) ويتشبثون به في مقام الاضلال وتأييد الأهواء (ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) وحمله على مغالطات الأهواء رغما على دلالة القرائن من محكمات القرآن ودلالة العقل والقرائن.

رمزي: ها هو القرآن قد كثر قول الله. (يضل الظالمين) (والكافرين) والمسرف المرتاب. كما في سورة إبراهيم 27 والمؤمن 74 و 34 (ويضل من يشاء) كما في سورة الرعد 27وإبراهيم 4 والنحل 93 والفاطر 8 والمدثر 31 وأن من يضلله لا هادي له. كما في سورة النساء 88 و 143 والأعراف 178 و 186 والرعد 33 والاسراء 97 والكهف 17 والمؤمن 33 والزمر 23 و 36 والشورى 44 و 46 والجاثية 23 وأن الله يطبع على قلب الأثيم كما في سورة النساء 155 والأعراف 100 والتوبة 93 ويونس 74 والنحل 108 والروم 59 والمؤمن 35 ومحمد 16 ومعنى ذلك أنه لا يترك قلبه ينفتح للهداية بل يكون مداوما على فعل الشر.

وإن الله يختم على قلوب الضالين بمعنى يطبع عليها كما في سورتي البقرة 7 والجاثية 23.

الشيخ: هذا من المتشابه الذي أشار إليه القرآن. لماذا لم تعرف أن المراد من الاضلال في هذه الموارد هو قطع العناية عن المتمرد في جذبه إلى الإيمان والصلاح وذلك لأجل خروجه بتمرده عن كونه أهلا للعناية والتوفيق. فيوكل إلى انهماكه بتمرده بعد ما قامت عليه الحجج ووضحت له الدلالة على طريق الصلاح والنجاة والسعادة. ولأجل أن عناية الله بالتوفيق لها المداخلة الكبرى في جذب الانسان إلى الصلاح والاهتداء – ومقاومته للهوى والأميال الردية.

كان انقطاع العناية عن المتمرد والخذلان له مما يستحسن أن يستعار له لفظ الاضلال إشعارا وإلفاتا إلى نعمة العناية وكبير أثرها في الاهتداء.

فلا يتشبث بسطح اللفظ من دون التفات إلى ما توضحه القرائن الكثيرة من المراد بحسن الاستعارة ونكات التفنن في البيان.

الصفحة 362

ها هو القرآن نفسه يبين بمضامينه ما ذكرناه إذ يقول في الآية الخامسة عشرة بعد المائة من سورة التوبة (وما كان الله ليضل قوما) ويرفع عنهم عنايته بالتوفيق (بعد إذ هداهم) بدلالة العقل في معرفة الحسن والقبيح (حتى يبين لهم ما يتقون) ويجتنبونه من المآثم والرذائل إقامة للحجة وتأكيدا لدلالة العقل وبيانا لما يخفى عليه أو أخفته العوائد الوحشية والغوايات الأهوائية. هذا الكلام الذي يقدس الله ويثنوه بمجده ورحمته ولطفه ويبين أنه الهادي برحمته وأنه لا يضل قوما بعد أن رحمهم بالهدى حتى يوضح لهم الأمر ويؤكد عليهم بالإرشاد والتنبيه ويبين لهم ما يتقون هل يمكن أن يعني من الاضلال مساعدة الله الضلال والالجاء إليه أو خلقه في الضال؟

إذن فأين يكون تقديس الله وتمجيده. أما أن هذا الكلام المتقدم في الآيات إذا سمعته من بشر يتكلم به لم يسوغ لك شرف الفهم وأخذ النتيجة من مجموع كلام المتكلم وشؤونه إلا أن تقول: إن المراد من الاضلال هو رفع العناية والتوفيق هذا وإن لم نلتفت إلى القرينة بدلالة العقل ونفس القرآن على قدس الله. إن الإله الذي يتمجد بأنه لا يأمر بالفحشاء وأنه ينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ويعظ الانسان هل يمكن أن يخبرنا بأنه يساعد على الضلال أو يلجئ الانسان إليه أو يخلقه فيه؟

أفلا يكون ذلك التمجد دليلا على أن المراد من الاضلال معنى لا ينافي ذلك التمجد؟

أفلم تعرف ما ذكرناه من قوله في الآية السادسة والثمانين بعد المائة من سورة الأعراف (ومن يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون) وأن الاضلال هو أن يترك المتمرد يعمه في طغيانه وترفع عنه عناية التوفيق لخروجه عن اللياقة للطف بعد ما وضحت له الدلالة وقامت عليه الحجة بالمواعظ والزواجر.

أفلم يتضح ذلك أيضا من قوله في الآية الثالثة والعشرين من سورة الجاثية (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه) هذا الذي لم تنفع به دلائل العقل والمواعظ والزواجر بل انهمك باتباع هواه على علم منه بالحق وبإدباره عنه بهواه وسوء فعله فجعل هواه إلها له في الانقياد إليه هذا الذي قد رفع الله عنه عناية التوفيق فتركه الله وهواه وطغيانه واستعير لذلك لفظ الاضلال فلم يوفق سمعه الانتفاع بما سمعه من النصح ولم يوفق قلبه للإذعان بما ينفعه كل ذلك على علم بما ينفعه وما يضره وعلى معرفة بالصالح والفاسد فتركه الله وهواه فكأنه ختم على سمعه وقلبه فلا يدخل إليهما بعناية التوفيق ما ينفعه.

الصفحة 363

أفلا تنظر في الآيات الثامنة والتاسعة والعاشرة بعد المائة من سورة النحل فيمن توغل بكفره وتعامى في غيه وشرح بالكفر صدرا واستحب الحياة الدنيا على الآخرة وحرمه الله هداية التوفيق بعد أن أقام عليه الحجة بهداية الدلالة فلم يلتفت إليها ولم يعتبر بما يراه في الآيات ولم يصغ لما يسمعه من المواعظ والزواجر (أولئك الذين) تركهم الله وقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم إلى ضلال كفرهم. إذن فلا ينتفعون بقلوبهم وسمعهم وأبصارهم في الهدى ومن أين يأتيهم التوفيق إلى الهدى، إلا من الله.

وبذلك يكون الله جل أسمه (طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) أفلا تنظر إلى ما جاء في القرآن من الانكار والتوبيخ على فعل الشر والمعصية. فهل ينكر الله ويوبخ على ما خلقه هو في الانسان أو ألجأه عليه. أفلا تنظر إلى قوله: (كيف تكفرون بالله) [1] (لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق) [2] (لم تصدون عن سبيل الله) [3] (فمالكم

---

1 ـ سورة البقرة: الآية / 28.

2 . سورة آل عمران. الآية / 71.

3 . سورة آل عمران: الآية / 99. (*)

كيف تحكمون) [1] (فما لهم لا يؤمنون) [2] (فما لهم عن التذكرة معرضين) [3] (وماذا عليهم لو آمنوا) [4] . أفلا تنظر إلى كثرة ما في القرآن من النهي عن الآثام والفواحش والزجر عنها والوعيد عليها أفلا يكفي هذا كله في تفسير الاضلال بمعنى استعلاي يناسبه، أعني تفسوه بترك الأثيم وهواه واستعير لذلك لفظ الاضلال لأجل الإشارة إلى نعمة التوفيق وإن حرمان الأثيم من هذه النعمة فعله وتمرده يكون بمثولة الاضلال.

أفلا تنظر إلى مجاهرة القرآن بقوله: (وقل الحق من بكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) [5] (اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير) [6] (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) [7] (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) [8] (كلا إنها تذكرة * فمن شاء ذكره) [9] .رمزي: إن الآية الثامنة والعشرين من التكوين متممة بقوله تعالى:(وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين) [10] والتاسعة والعشرين

1 ـ سورة يونس. الآية / 35.

2 . سورة الانشقاق: الآية / 20.

3 . سورة المدثر: الآية / 49.

4 . سورة النساء: الآية / 39.

5 . سورة الكهف. الآية / 29.

6 . سوره فصلت: الآية / 40.

7 . سورة المدثر. الآية / 37.

8 . سورة النبأ: الآية / 39.

9 . سورة التكوير: الآية / 28.

10 . سورة المزمل: الآية / 19 وسورة الدهر: الآية / 29.

من الدهر متممة بقوله تعالى. (وما تشاؤن إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما * يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما) [1] والخامسة والخمسين من المدثر متممة بقوله تعالى: (وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة) [2] فهذه الآيات الثلاث لماذا لا تدل على أن الانسان ليس حر المشيئة والإرادة بل إن مشيئته مقيدة وتابعة لمشيئة الله وإن الانسان لا مشيئة له بدون مشيئة الله ولا يقدر أن يشاء.

الشيخ: وأريدك بأنه جاء في الآية الحادية عشرة بعد المائة من سورة الأنعام (ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله) [3] يا رمزي لماذا لا تلتفت إلى أن القرآن لم يقيد مشيئة الانسان للإثم بمشيئة الله. ولم يقل إلا أن يشاء الله في مقام ذكر العصيان ومشيئة الانسان له حتى إنه لم يقل ذلك بعد الثامنة والعشرين من الكهف ولا بعد الآية الأربعين من سورة فصلت ولا بعد

الأربعين من سورة المدثر. أفلا تفهم من هذا أن الله لا يشاء ضلال الانسان وعصيانه.

أفلم يستلفت هذا ذهنك إلى أن الانسان بسبب أميال النفس وشهوانيتها وتزيين الشيطان المغوي يرجح جانب شهواته وشخصياته وبسبب نعمة العقل وهداية الله وإرشاده ولطفه وتوفيقه يرجح جانب الصلاح واتباع الحق والإيمان بالحقائق والتزين بالأخلاق المتكفلة بالسعادة والاستقامة وصلاح الاجتماع.

لماذا لا تعرف أن مشيئة الله المذكورة في الآيات الأربع إنما هي كناية عن هداية الله وإرشاده وتوفيقه.

هذه الأمور التي تبصر التفكير وتمهد له سبيل الهدى وتنور الإرادة الحرة فترجح جانب الاستقامة وأخذ السبيل إلى الله والإيمان به.

---

1 ـ سورة التكوير، الآية: 29.

2 . سورة الانسان (الدهر)، الآيتان / 30 و 31.

3 . سورة المدثر / الآية: 56. (*)

رمزي: جاء في الآية الثالثة والعشرين من سورة الكهف (ولا تقولن لشئ إني فاعل ذلك غدا * إلا أن يشاء الله) فالقرآن علق فعل الانسان خيره وشره على مشيئة الله وربطه بها فلا يكون حر الإرادة والاختيار كما تقولون بل تكون أفعاله حتى الأثيمة بمشيئة الله. الشيخ: لم يقيد القرآن إرادة الانسان ولم يعلق فعله بأنواعه على مشيئة الله بل لم يعلق إلا الفعل الذي يجزم الانسان بغروره بأنه سيفعله بقدرته في المستقبل مع غفلته عن كونه عرضة للموت والمرض والعوائق وتغير الأمور فالقرآن يوبخ الانسان على اغتراره بما عنده في وقته من القوة فيتوهم بغروره بقاءها في المستقبل ويجزم بأنه يفعل غدا.

كأنه ليس له إله يغير الأمور ويقدر عليه الموت والمرض والعوائق. ويستلفته بتعليمه الواقي إلى دوام الاعتراف بعجزه وأن بقاء قدرته ومتعلقات إرادته ومواضيع فعله إنما هو بقدرة الإله العظيم المتصرف في العالم وبمشيئته. فالمقصود إلا أن يشاء الله بقاءه وبقاء قدرته على الفعل وبقاء مواضيع الفعل ومتعلقات الإرادة.

وهذا أيضا معنى مشيئة الله للفعل أن أبيت إلا تعليق المشيئة في الآية بالفعل. ولعمري إن سوق الآية وتعليمها ليوضح ما قلناه فضلا عن دلالة العقل والقرآن والدين على تقديس الله. رمزي. أليس في الآية السادسة عشرة من سورة الاسراء قوله تعالى: (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) أليست هذه الآية تدل على أن الله يأمر بالفسق.

الشيخ: من أين لك أن المراد أمرنا المترفين بالفسق ومن أين أتيت بهذا التفسير.

هل نسيت ما ذكرنا قريبا في قسم المحكم قول القرآن إن الله لا يأمر بالفحشاء.

وإن الله يأمر بالعدل والاحسان وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي.

كان ينبغي لك أن تجعل مجد الله وقدسه بين عينيك وملء ضميرك فتفهم أن المراد أمرنا المترفين بأوامر الصلاح والعدل

والاحسان فخالفوا أوامر الحق وفسقوا فكيف بك والقرآن يصرح بأن الله لا يأمر بالفحشاء وينهى عنها وعن المنكر والبغي. لو كان مجموع هذا الكلام من إنسان لكانت القرينة فيه واضحة على أنه لا يأمر بالفسق بل يأمر بالصلاح فيفسقون. كأنك وأنت مسلم لم تسمع في شأن القرآن قوله في الآية الثانية والثمانين من سورة النساء (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) تفوض بأهوائك أن الله يأمر المترفين بالفسق مع أن القرآن لم يذكر بماذا يأمر المترفين.

وتعرض عن دلالة العقل والقرآن على أن الله لا يأمر بالفحشاء والمنكر والبغي. ولا تعرف أن الذي ترعمه بغفلتك يوجب اختلافا كبيرا في القرآن وكل هذا لم يعدل فكرك لماذا؟ ولماذا لم نعرف أن المراد من الآية أن أهل القرية إذا خالفوا بديهيات عقولهم في المعارف الإلهية وأعمال الصلاح والفساد وعبدوا أهوائهم واستحقوا النكال قطعا لدابر المفسدين وأراد الله بحكمته أن ينكل بهم فلا ينكل بهم إلا بعد تأكيد الحجة عليهم بأوامره الشرعية في واجباتهم من الأفعال والتروك كما في قوله تعالى في الآية الخامسة عشرة من سورة الاسراء أيضا: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) فيأمر المترفين في عموم أهل القرية يأمرهم باتباع الهدى والصلاح والعدل والاحسان ومجانبة الأميال الشهوانية والفلتات الغضبية فيكون المترفون عبيد الشهوات المألوفة لهم أسرع إلى الفسق بمخالفة أوامر الله فيعدي فسقهم وفجورهم غيرهم كما قيل (الناس على دين ملوكهم) ويتساهل الباقون في واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيفسقون بذلك أيضا فتتم الحجة على الجميع ويحق عليهم العذاب.

رمزي: قد جاء في الآية الثامنة والسبعين من سورة النساء (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولون هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا) فالقرآن يصرح بأن الحسنات والسيئات وأعمال الإثم من عند الله. فماذا تصنع بهذه الصراحة. الشيخ: لماذا لا تفقه أن المراد من الحسنة ما يحسن عند الناس من نعم الدنيا كالنصر والفتح والغنائم.

والمراد من السيئة ما يسوء الناس من بلايا الدنيا.

ألم تنظر إلى الآية التي قبل هذه الآية فتعرف أنهما في سياق واحد في حال المتثاقلين عن الجهاد والجازعين من أسباب السعادة وواجب الدفاع عن التوحيد ودين الصلاح لأجل انهماكهم بحب الدنيا والراحة وارتباكهم بالجهل وضعف الغرائم والتطير برسول الله كما قال الله في الآية الحادية والثلاثين بعد المائة من سورة الأعراف عن قوم فرعون (فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة) من العذاب الذي ابتلاهم الله به وأنذرهم به موسى (يطيروا بموسى ومن معه) فأمر الله رسوله أن يقول لهؤلاء المتثاقلين عن الجهاد الذين لا يفقهون حديثا إن جميع النعم التي تحسن عندكم والبلايا التي تسوءكم هذه كلها من عند الله بعطائه أو قضائه في قطع نعمه.

لماذا لا تعرف معاني الألفاظ العربية وما يراد منها، فإنه يكون معنى السيئة هو ما يسوء الناس من البلايا كما تقدم في الآيتين ويكون من معانيها عمل الإثم وقد جاءت المجاهرة التي تزيل الأوهام وتجلو الحقيقة بجمالها الوضاح كما في الآية التاسعة والسبعين من سورة النساء أيضا (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) فيا للعجب ممن يرى

هذه الآية ويشتبه الحال عليه في الآية الأولى. أليست هذه الآية تفصل القضاء وتوضح المتشابه ببيانها.

رمزي: ماذا تقول في الآية الخامسة والثلاثين من سورة الأنبياء (كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون) فالقرآن يصوح بأن الله يبتلي بالخير والشر لأجل أن يفتن الناس. الشيخ: ألم تعرف من صدر الآية أن المراد من الشر هو ما يكرهه الناس ويسمونه شرا وهو ما جرى عليه نظام العالم من انقطاع النعم وقد جرى الله الناس في تسميته شرا وإن تقدير النعم وانقطاعها حسب كرم الله وحكمته تظهر فيه حالات الانسان من الشكر والبطر والاحسان والطغيان والصبر والتسليم لله والكفر والاعتراض على الله. وبحسب ما يقرن الخير والشر من ظهور أحوال الناس يكونان ثانيا وبالعرض ابتلاء وامتحانا للانسان.

وقوله فتنة أما بمعنى الابتلاء فيكون المعنى ابتلاء وامتحانا أي تترتب عليهما هذه الغاية وإن كانت علتهما الأولية غير هذا كما في قوله تعالى: (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) [1] أو تكون حالا من الخير والشر كقوله تعالى: (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) [2].

رمزي: قد جاء في القرآن إن الله خالق كل شئ كما ذكر في صفحة 16 عن سور الأنعام والرعد والزمر والمؤمن. وهذا يقتضي أن أفعال البشر حتى في الإثم مخلوقة الله وبقدرته لا مخلوقة للبشر ولا بقدرتهم.

الشيخ: ها هو القرآن يصوح بنسبة الخلق للبشر كقوله تعالى في الآية العاشرة بعد المائة من سورة المائدة في خطاب الله للمسيح الذي يعتوه القرآن بشرا (وإذا تخلق من الطين كهيئة الطير) وعن قول المسيح الرسول في الآية التاسعة والأربعين من سورة آل عمران (إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير) فصوح القرآن بأن فعل المسيح وعمله لصورة

1 ـ سورة القصص / الآية: 8.

2 . سورة التغابن / الآية: 15 (*)

الطير خلق منه. ويقول القرآن في الآية السابعة عشرة من سورة العنكبوت عن قول إبراهيم الرسول لقومه في الأصنام التي يعملونها ويعبدونها (إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا) فصوح بنسبة خلق الإفك إليهم. فماذا تصنع بهذه الصراحة. هب أنك تغافلت عن قضاء البديهة بأن الانسان مختار في فعله لكي تعرف من قول القرآن إن الله خالق كل شئ هو أن الله خالق كل شئ يكون خلقه من الأعمال الإلهية في تكوين العالم.

فإنه يكفي في استلفاتك إلى هذه الحقيقة من مراد القرآن ما تكرر من تصريح القرآن بنسبة الخلق إلى البشر. ويكفي في استلفاتك أيضا ما كثر في القرآن من نسبة الفعل والعمل وأصناف الأفعال إلى البشر في مقام الأخبار والأمر والنهي والمدح والذم والتوبيخ والانكار والوعد والبشرى والترغيب والوعيد والزجر والتهديد..

ويكفي في استلفاتك أيضا ما كثر في القرآن من تهديد الآثمين ووعيدهم بالعذاب. فهل أنت لا تقدس الله ولا تنزهه عن

العبث والظلم..

لو كان الله هو الخالق للأفعال الأثيمة أو أنها واقعة بقدرته لا بقدرة الانسان أو أنه يلجئ الانسان عليها الجاء لا محيد عنه. إذن لكان من العبث واللغو نهيه للخاطئ الأثيم. وأيضا يكون من الظلم الفاحش توبيخ الانسان وذمه وعقابه على صدور فعل الإثم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

رمزي: قد جاء في الآية السابعة عشر من سورة الأنفال في خطاب الرسول وأصحابه من أهل بدر (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) فهذا يبين أن الأفعال البشرية في أفعال الله في الحقيقة وإن نسبت في الظاهر إلى البشر.

الشيخ: من نظر فيما اتفق عليه التاريخ في حرب بدر يعرف أن المسلمين كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا على أضعف عدة. نوع سلاحهم جريد النخل ولم يكن معهم إلا أسياف قليلة ولم يخرجوا بعزم حرب ولا استعداد لها بل خرجوا لتهديد قافلة قريش بما يعده المهدد الضعيف الذي يطلب دفع الشر بشئ من التهديد.

وكانت قريش نحو ألف رجل منتخبين على أكمل عدة من السيوف والرماح والدروع والخيل والمؤنة فكان انتصار المسلمين عليهم بذلك الانتصار الباهر في الموقف القصير مما هو على خلاف العادة وعلى غير فنون الحرب وقوته ولم يكن فيه قطع لخط الرجعة على قريش ولا استيلاء على مائهم ولا إعمال حيلة حربية ولا خلل في مركز قريش الحربي بل كان على نحو المصادفة التي يسود فيها جانب القوة والكثرة والعدة. ولقد بين القرآن في الآية السابعة وما بعدها من سورة الأنفال وأوضح إعانة الله للمسلمين بإجابة استغاثتهم يوم بدر وربطه على قلوبهم وإمدادهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوب المشركين كما ذكر القرآن المسلمين بنعمة الله عليهم إذ قال لهم في الآية الثالثة والعشرين بعد المائة من سورة آل عمران (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) فكان استيلاء المسلمين في تلك الواقعة بذلك المجد الباهر العجيب هو أولى بالاستناد إلى الله المعين الناصر والمسبب بإعانته الخصوصة وعنايته لذلك الانتصار الخارج عن حدود العادات.

فالقرآن يقول: (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا) في المستقبل حربا و (زحفا فلا تولوهم الادبار) فرارا واحتقارا لقوتكم الحربية فإن الله ناصركم ومعينكم ولكم العبرة بانتصاركم على قريش في واقعة بدر فإنكم بحسب العادة لم تقتلوا المشركين ولم تأسروهم بقوتكم وكفاءتكم ورجحانكم في الاستعداد الحربي بل الله هو الذي سبب بنصره وإعانته قتلهم فكانت نسبة قتلهم إلى الله أولى – يا أيها النبي (وما رميت)

أنت بقوتك البشرية تلك الرمية التي أثرت ذلك الأثر الكبير حينما حميت الحرب وأخذت كفا من حصباء ورميت به المشركين فأصابتهم الرمية وصار كل واحد من صدمتها مشغولا بنفسه. هل يكون هذا الأثر من قوة بشرية وتأثير بشري بل الله هو الذي جعل من هذه الرمية ذلك الأثر الكبير.

فالله المسبب لذلك التأثير الكبير هو أولى بأن تنسب إليه تلك الرمية ومجدها. ما أكثر ما يجري هذا التعبير المليح في المحاورات بكل لسان وخصوص اللسان العربي حينما يراد التنويه بمجد السبب أو المعين وكونه هو الدخيل في الأثر الكبير. وإن أسلوب القرآن الكريم في هذا المقام ينادي بوجه هذا الكلام في نفيه وإثباته إذ نفى الرمي عن الرسول من وجه حينما أثبته له حيث قال: (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى). (سورة الأنفال، الآية: 17) هذا كله فضلا عما ذكرناه من دلالة القرآن في محكمه وبديهة العقل والوجدان على حرية الانسان في إرادته وفعله وأنه غير مجبور عليه ولا ملجأ إليه..

وسيأتي إن شاء الله لهذا تتمة في بيان مسؤولية النفس في بحث المعاد.

في الحسن والقبيح العقليين

الشيخ: غير خفي أن لأفراد الانسان أميلا شخصية في الأفعال والتروك تحبذ جهة شخصيته ونفسيته ما يوافق تلك الأميال وتذم ما ينافرها تلك أميال تخص شخصه ونفسيته في قضاء أوطاره الشخصية في هذه الحياة وإن نفر منها غيره شخصيا أو نوعيا. ومهما خفي على الانسان من شئ فإنه لا يحسن بإنسانيته أن تخفى عليها الحقيقة المتجلية لشعوره بأوضح المظاهر وأسناها وهي أن له مبدأ إدراك يشترك به نوعه وتسمو به إنسانيته ويمتاز به فيها. ألا وهو العقل الذي تنكشف له الحقائق على ما هي عليه من الصفات فينادي الادراك الانساني بصفاتها تحسينا أو تقبيحا ويؤثر تأثيره في النفوس من وجهتها النوعية في الانسانية سواء وافقته الأميال الشخصية أم خالفته.

هل يخفى أن للانسان نفسية تراعي شخصياته وله عقلية تراعي الحقائق التي لا تستميلها الأهواء.

هذا الظالم الذي يريد بأهوائه ونفسيته أن يتوصل إلى ظلمه بالتزوير ورشوة الذي يحكم له يجئ إلى مرجع محاكمته فيبذل له الرشوة ويوفيه صورة الاحترام ويخضع له في الكلام والاستعطاف ويعده شكر الاحسان فإذا زاغ المرتشي عن العدل والحق فحكم للظالم بالجور الذي يلائم ميله ويحبذه بظالميته وشهوانيته فإن هذا الظالم يدرك بعقله وإدراكه الانساني قبح حكم الحاكم وانقياده إلى الجور ويراه منافيا لعقليته والشعور العقلائي والوجدان الانساني وإن لائم نفسيته ووافق مطلوبه الشخصي ويرى نقصان الحاكم بالجور واستحقاقه للمذمة وأنه ليذمه وينتقصه وإن وافق هواه.

وإذا أبى ذلك الحاكم إلا أن يحكم بالعدل والحق مهما تضاعفت الرشوة وزاد التملق ولم يرض لشرفه ودينه إلا الحكم بالحق والعدل فإن حكمه بالعدل ينافر ميل الظالم ويغضبه في نفسيته وأهوائه ولكن ذلك الظالم بذاته يقدر بعقله ووجدانه الانساني حسن عدل الحاكم واستحقاقه لكرامة المدح والثناء.

وهكذا الحال فيما إذا طلب الظالم من شخص أن يساعده على ظلمه بشهادة الزور فإن شهادة الشاهد زورا تلائم ميل الظالم ويحبذها بشهوانيته ولكنه يدرك بعقله وإدراكه الانساني قبح الشهادة من المزور وقبح انقياده إلى الزور ويرى ذلك منافيا لعقليته وشعوره العقلائي وإن لائم نفسيته ويرى نقصان شاهد الزور واستحقاقه للمذمة.

وأما إذا أبى المدعو لشهادة الزور إلا أن يجري على الحق فإن الظالم نفسه يقدر بعقليته حسن امتناع المدعو عن شهادة

الزور وبراه مستحقا بهذه الفضيلة للمدح والثناء.

الصفحة 374

تجد الناس الذين لا علاقة لهم لا بالظالم ولا بالمظلوم ولا بالحاكم ولا بالمدعو لشهادة الزور ولا بما تعلقت به الخصومة وليس لهم ميل إلى جانب أصلا تراهم يقتبحون في الصورة الأولى فعل الحاكم وجوره ويرونه ناقصا أهلا للمذمة والانتقاص. وكذا شاهد الزور ويستحسنون عدل الحاكم في الصورة الثانية ويرونه بذلك مستحق الثناء من العموم وكذا من امتنع عن شهادة الزور. لا يختلف الناس في ذلك سواء كانوا إلهيين أم ماديين على شريعة إلهية أو شريعة زمنية.

هذا كله وأمثاله في أعمال الناس مكشوف لكل أحد وعليه استمرار طريقة الناس في الأعمال طريقة فطرية لا يعتريها شك ولا يشوشها تشكيك شبهة. هذا كله يوضح للبداهة أن حسن الفعل غير منحصر بملاءمته للنفسية والميل النفسي ولا بموافقته للشوع. وإن قبح الفعل غير منحصر بمنافرته للنفسية والميل النفسي ولا بمخالفته للشوع.

بل إن الحسن والقبح صفتان ثابتتان للفعل بحسب العقلية المشتركة بين البشر يدركهما العقل مهما اختلفت النفسيات واضطربت الأميال الأهوائية.

ولا نمنعك أن تقول إن حسن الفعل عقلا هو ملاءمته للعقل المشترك بين البشر وإن قبحه عقلا هو منافرته للعقل المشترك بين البشر.

لكنا نقول لك إن هذه الملاءمة إنما هي أثر للحسن العقلي الذي هو الصفة الأصلية للفعل وكذا نقول في المنافرة وبحسب ما ذكرناه من طريقة الناس الفطرية المستمرة الجارية على البداهة والوجدان العام يتضح أن الانسان غير مجبور في أعماله لكي يبطل تحسينها وتقبيحها عند العقلاء.

الصفحة 375

تلك الطريقة الفطرية تشهد أيضا بوجدانها وبداهتها على أن الانسان مختار في أعماله فيحسنها العقلاء بعقولهم الفطرية ويقبحونها وسيأتي إن شاء الله إيضاح اختيار الانسان في أعماله كما تقدم الكلام عليه.

التشكيكات في الحسن والقبح العقليين

رمزي: قد وجد في بعض الكتب بعض التشكيكات في هذه الحقيقة وها أنا أحب أن أذكرها.

قد قيل إن الفعل لا يمكن أن يتصف بالحسن والقبح وذلك لأن الفعل عرض والحسن والقبح من قسم العرض أيضا.

والعرض لا يعرض عليه عرض ولا يتصف بالعرض، فالفعل الذي هو عرض لا يمكن أن يتصف بالحسن والقبح اللذين هما عرض أيضا ولا يمكن أن يعرضا عليه.

الصفحة 376

عمانوئيل: إن الذين يشككون بهذا التشكيك يقولون بحسن الفعل وقبحه باعتبار ملاءمته أو منافرته للنفسية الشخصية وكذا

باعتبار موافقته أو مخالفته للشرع فكيف جاز هنا أن يعرض العرض على العرض ويتصف العرض بالعرض. وأيضا لا يخفى أن الألوان أعراض كالسواد والبياض والحمرة وأمثالها ولا يخفى أن الشدة والضعف والحسن والقبح أعراض. ولا يخفى أن الشدة والضعف والحسن والقبيح تعرض على الألوان وتتصف الألوان بها.

هذا اللون شديد وهذا اللون ضعيف وهذا اللون حسن وهذا اللون قبيح فكيف جاز هنا أيضا عروض العرض على العرض واتصاف العرض بالعرض.

ما هذه التشكيكات التي تذكرها إلا شبهة في مقابلة البداهة ومغالطة لا تخدش في شرف الحقيقة المتجلية للوجدان. تشكيكات لا يقدر المشكك بها أن يتخلص من تراكم النقوض عليه تراكم يوبخه على هذا التشكيك

رمزي: إن النقوض التي تذكرها معلومة ووجدانية بديهية وكافية في دفع التشكيكات المذكورة ولكني أطلب دفع هذه التشكيكات بالحل العلمي الكاشف للحجاب.

الشيخ: قد اشتبه الحال بين العرض الوجودي والعرض الانتزاعي. والذي وقع الكلام من الفلاسفة في عروضه على العرض إنما هو العرض الوجودي كالبياض والسواد. وأما العرضي الانتزاعي كالحسن والقبح والشدة والضعف فلا يمكن للفيلسوف بفلسفته ولا لصاحب الحس والوجدان أن ينكروا عروضه للعرض واتصاف العرض به.

إذن فأين المفر عن الأمثلة البديهية الوجدانية التي ذكرها عمانوئيل وأمثالها.

رمزي: وقيل أيضا ما معناه إنا إن سلمنا بثبوت الحسن والقبح العقليين في أفعال البشر فإنه لا يمكن أن نسلم بإمكان تحكم البشر والعقل على جلال الله مالك الملك فيقال هذا الفعل حسن بحيث يقبح من الله تركه فيجب أن يفعله. هذا الفعل قبيح فيجب أن يتركه.

من ذا الذي يكون له الحكم على الله مالك الملك الفعال لما يريد. أم يكون ذلك بقياسه على المخلوق المملوك المحكوم عليه بالأمر والنهي كيف يصح هذا القياس مع هذا الفارق العظيم.

الشيخ: إن الحسن والقبح لا يكونان بتحكم العقل بل هما صفتان حقيقيتان لازمتان للأفعال والتروك يدركهما العقل بنورانيته إدراكا ويدرك أن ارتكاب الفعل القبيح أو الترك القبيح صفة نقص تنافر الكمال أن يتلوث بصفة النقص والسقوط. لم يقبح فعل الانسان أو تركه ولم يقبح صدور القبيح منه لمحض كونه إنسانا مخلوقا مملوكا بل يقبح صدور ذلك منه لأنه نقص ومنافر للكمال وقد أنعم الله على الانسان بأن جعله مستعدا للكمال.

والجهة التي يدور العقل مدارها في التحسين والتقبيح هي صفة الفعل وكمال الفاعل ولذا لا يحكم على البهائم كما يحكم على الانسان بالنقص واستحقاق الذم بارتكاب بعض الأفعال والتروك. إذن فجلال الله وقدسه وكماله أولى بالتنزه من نقائص بعض الأعمال والتروك. وهل يعمى العقل فلا ينزه جلال الله وكماله من منقصة الكذب والخداع. وعن الغضب على مطيعه فاعل الحسن وتقبح فعله وعقابه عليه.

وعن الرضا عن عاصيه المتمرد الناقص فاعل القبائح وتحسين فعله للقبيح وإثابته عليه كلا ثم كلا.

فالعقل بهذا الميزان ينزه جلال الله وقدسه وكماله عن بعض الأفعال والتروك فيقول هو والعقلاء هذا الفعل حسن وتركه قبيح فلا يتركه الله القدوس الكامل وهذا الترك قبيح فلا يصدر من الله القدوس الكامل. لا يحكم العقل ولا يتحكم على الله بل يفتخر بأنه يعرف جلال الله وقدسه فيعرف أنه جل شأنه منزه عن صدور مثل الفعل الفلاني ومثل الترك الفلاني. لا يلوث العقل نورانيته بالقياس بل لا يحكم إلا حيث تتجلى الحقيقة لنورانيته بأثبت من رأي العين ولمس اليد.

ها هو العقل والادراك يميز الأفعال والتروك بذواتها وصفاتها وإضافاتها ويصف حقائقها في صفوفها ويفصل بينها بحدودها وعوارضها وجهات صفاتها لا يتوقف في الحسن والقبيح على ملاءمة نفسية شخصية أو منافرتها. ينادي ببيانه ويوضح بتنسيق صفوفه أن العدل والانصاف حسن مطلقا. الظلم والجور قبيح مطلقا.

ترك العدل ممن هو قادر عليه قبيح مطلقا. ترك الظلم حسن لازم مطلقا. إذا رأيت يتيما من عائلة شريفة عاملة في حسن السياسة ومساعدة العمران ونظم الاجتماع وهو المرشح لأن يكون خلفا لعائلته في ذلك العمل الصالح ووجدته بعد أن كان هادئا جميل الأخلاق ملازما للتعلم قد مال لأهل الفساد الباطلين ذوي الأخلاق الفاسدة والأعمال الشريرة وعرفت أن ضربك له للتأديب يرده إلى الصلاح والهدو والانكباب على العلم واللياقة لأن يقوم بأعمال آبائه الصالحة فكم ترى في ضربك له للتأديب من الحسن الكبير واللزوم. وإذا رأيت ظالما شريرا يهاجم على قتل النفوس البريئة الزكية وعلى هتك الأعراض وإفساد العمران وعرفت أنك تقدر على دفاعه ودفع شره بالضرب أو القتل فكم ترى من الحسن الكبير اللازم في ضربك له أو قتله في سبيل دفاعه.. وكم ترى من القبح الهائل في أفعال هذا الظالم وقتله الناس وإفساده..

وكم ترى من القبح المزعج في ضرب اليتيم الضعيف الهادئ أو قتله ظلما. لا ينقلب الضرب القبيح أو القتل القبيح في هذه الأمثلة حسنا.

ولا ينقلب الحسن قبيحا. بل إن نوع الضرب أو القتل ينقسم باعتبار أصنافه وصفاته المقسمة له والممزة لأصنافه إلى صنف هو حسن باعتبار صفته وعنوانه بجميع أفراده وأحواله وإلى صنف هو قبيح باعتبار صفته وعنوانه بجميع أفراده وأحواله.

في النبوة العامة وإرسال الله للرسل

إذا قيل لك إن الملك الفلاني الكبير الكامل العلامة الوحيد في فلسفة الاجتماع والعمران والأخلاق والبراع المتقدم في قوانين الحقوق والقادر على إعلان تعاليمه الصالحة في المملكة وتنفيذها بسيطرة عادلة وتعليم حكيم رؤوف عادل.

هذا الملك قد ترك رعيته الكبيرة ومملكته الواسعة المؤسسة على المدنية والمترشح أهلها بموهبة العقل للتعلم والرقي في

مراتب الكمال الحقيقي تركها مهملة جاهلة وحشية فوضوية لم يهذبها بالتعليم الصالح الضامن لكمالها وحسن اجتماعها وعمرانها وحفظ مستقبلها.

بل تركها تعوم في غمرات الجهل وتخبط في ظلمات الوحشية وتتجاذبهم تشريعات الفوضوية المتلونة والتعاليم الشهوانية والأخلاق الاستبدادية.

فهل تقول: إن هذا الملك لا يقبح منه هذا الترك لرعيته وهذا الاهمال لإصلاح مملكته؟ وهل تراه كاملا؟

وهل تليق هذه الحال بالكامل؟ أم تقول: إن هذا قبيح لا يجتمع مع الكمال ولا يكون من كامل صالح. هل تقول هذا لأجل مخالفته لنفسيتك وأميالك الشخصية؟

أم تقول به لأجل مخالفته لوجدانك العقلائي الذي تشترك به مع نوع البشر. لا أظنك تقول. إن الملك المتسلط على الرعية بالاستحقاق والمالك لهم على الإطلاق لا يقبح منه أن يهمل أمر الرعية وإصلاح المملكة هذا الاهمال. بأن تقول: إنه له أن يفعل ما يشاء حسب تسلطه وقدرته. ألا ترى أن الشعور الحر يرى هذا الاهمال مضادا للكمال والاستقامة وكلما تقدم الملك في الكمال ازداد هذا الاهمال قبحا وبعدا عن مقام كماله المقدس.

لم يكن حكم العقل بلزوم إصلاح الملك لرعيته ومملكته من ضعفه وتصور سلطته لكي يقف هذا الحكم عند قدرته ونفوذه بل هو من أجل كمال الملك وشرف ملكه وحسن الإدارة والمقدرة عليها.

في الشريعة

أيها الدكتور فهذا الإله الكامل على الإطلاق العالم بالخفيات والمحيط بحقائق المصالح والمفاسد وأسرارها إله الرحمة والرأفة والصلاح والاصلاح هل يليق بجلاله وكماله وقدسه ورحمته أن يهمل الانسان المدني الطبع ويتركه بلا تعليم يكمله ولا شريعة تنظم اجتماعه وتهذب مدنيته وتحفظ الحقوق وتقوم بالاصلاح جارية على حقيقة الحكمة في مصلحة النوع والفرد تكافح فلتات الجهل بحقائق المصلحة النوعية وتقاوم الشهوانيات الشخصية والعصبيات القومية والعوائد الاستبدادية؟

أم هل يليق بجلاله وقدسه وكماله ورحمته أن يهمل الانسان من تعليمه بالأخلاق الفاضلة لكي يتجمل بفضيلتها وينتظم بها أمر الاجتماع وتشابك المدنية.

وينبهه على الأخلاق الردية لكي يصد بذلك مخادعة الأهواء ومخالسة الشهوانيات ومغالطة العوائد فيصون العمران والمدنية والاجتماع وشرف الانسانية وسعادة مستقبلها من وباء الأخلاق الردية وعواصفها المدمرة. ذلك الوباء وتلك العواصف التي نراها في أرقى العصور ونرعم الراعمين قد تركت الانسانية في جميع العالم تزرح وتئن تحت أثقالها الباهضة ونير العناء وتلاعب الأيدي الممرقعة. أم هل يليق بجلاله وقدسه ورحمته وكماله أن يترك نوع الانسان ألعوبة لجهله وأهوائه في جهات

العبادة لإلهه وأسباب شكوه والتقرب له وطلب الوسيلة إليه ومعرفة المستقبل وكشف الغطاء عن الحقيقة وأسباب نيل السعادة فيه.

فيترك الانسان يخبط في هذه الشؤون في أدواره وأجياله ذلك الخبط المدهش. قد لعبت بالانسان أيدي الجهل والأهواء ما شاءت. تارة يعبد الأوثان من الأخشاب والمعادن والأحجار يجهد نفسه بالمشقات الكبرى والرياضات الشاقة في عبادتها. وتارة يعبد باللهو واللعب والرقص والمعازف. وتارة ينذر نفسه للزنا واللواط به في سبيل عبادة الأصنام ويسمي نفسه إذ ذاك (قديس) وتارة يذبح لها بنيه وبناته ويحرقهم بالنار. وتارة يقدم مئاتا وألوفا من الذبائح البشرية في أوهام الخرات للموتى.

هل يليق هذا كله بإله الرحمة والقدس والكمال مع قدرته على تمهيد أسباب الصلاح الخير للانسان بتعاليمه الصالحة وإعلامه بشريعة مدنية وتهذيب الأخلاق وبيان المعارف والعبادات. يعمل أعمال رحمته ولطفه وحكمته وقدس في هذا كله بإرسال الرسول بشري يمده من فيض علمه وحكمته ويوسطه في تبليغ البشر عنه ما يحتاجون إليه في نظام اجتماعهم ومدنيتهم وأخلاقهم وكمالاتهم ومعارفهم وعباداتهم وسعادة مستقبلهم. يختاره بشرا كاملا في الأخلاق الفاضلة عاملا رؤوفا جاريا على الحكمة والسداد والحنان. يعضده بحجة على رسالته بحيث تقطع معاذير العقول في شكوكها وتعلمهم أنه رسول الله المبلغ رسالته والصادق الأمين كما سنذكر وجه ذلك إن شاء الله تعالى.

لا يرضى العقل والشعور لجلال الله وكماله وقدسه إلا أن يرحم عباده ويعمل أعمال رحمته وكماله وقدسه بإرسال الرسول لسعادة البشر فيما ذكرناه وإنقاذهم من تيار الجهل والأهواء وبواعث الفساد. يصلح أمرهم في ذلك مع حرية إراداتهم التي يرتقون بها إلى أوج الكمال والسعادة على ناموس الحكمة والرحمة.

التشريع البشري

الدكتور: لماذا لا تقول بأنه يكفي في التشريع ما يقوم به البشر من تشريعاتهم العدلية المدنية ونظامهم الحقوقي والسياسي الاجتماعي فالإله الذي يعلم أن البشر يسدون هذا الخلل لا يقبح منه تركهم إلى تشريعاتهم ونظاماتهم. الشيخ. إنك تعلم وكل أحد يعلم حتى نفس المشرعين وحتى الواضعين لقوانين الانتخاب والتشريع أن علم البشر مهما كان وكانوا فهو محدود يغيب عنه أكثر الحقائق ولا يحيط بحقيقة المصالح.

وربما تدس عليه كثير من المفاسد فيحييها بتشريفات المصالح. إن أرقى ما تتصوره من التشريع البشري هو تشريع الحكومات النيابية الدستورية في العصور الحاضرة.

مع أن نفس مبادئ التشريع والاهتمام في أمره واحتياطات الحكومات والأمم في سبيله تستلفتك إلى معرفتهم بما في طريقه من أخطار الخطأ والجهل وغير ذلك.

فانظر إلى الانتخاب للتشريع في أحسن سوه القانوني كم يتخطى من الرجال الراقين في التقدم والصلاح ودرس الحقائق ونتائج التجارب.

وكم يتخطى من الأدمغة المنكوة والقلوب المتيقظة والأذهان المتوقدة ويعبر عنهم إلى ذوي الوجاهة والشهرة والنوغ. الشهرة التي تعرف أنت وغيرك أنها لم تجعل يدها بيد الحقيقة بل طالما تخالفتا في السير والوصول. ومع هذا فإنك ترى هؤلاء المنتخبين يكثر بينهم الاختلاف في مواد التشريع وموافقتها لمصلحة الأمة فيسود من المواد بالنفوذ ما يرجح بالأكثرية ولو باثنين. وهل يخفى أنه يكثر أن يكون في الجانب الأقل من هو أحسن وصولا للحقائق.

ومهما كان فإن تشريع الأمة يؤيد مصلحة الأمة ووطنها وقوميتها ومنافعها الخصوصية. ويندر أن يعدل ذلك بمصلحة نوع البشر وخدمة الانسانية المطلقة ومصلحة المشتبكين مع الأمة المشرعة في جهات المنافع. وبعد ذلك تبقى تلك التشريعات معرضا للتعديل.

ومهما أخذت الأمم في احتياطاتها في أمر التشريع فإنهم يعلمون أن الانسان كثيرا ما لا يعرف جهله ولا يعترف به. كثيرا ما يتورط في الخطأ وهو يفتخر بالصواب.

ومع ذلك ترى الأمم وزعماءها وساستها يجدون باحتياطاتهم في شأن التشريع الذي يريدونه لصلاح الأمة. إذن فكيف يهمله الإله القدوس الرحيم إله العلم المحيط.

كيف يهمل ما يعلمه من حقيقة التشريع الذي يضمن لعموم البشر وجامعة الانسانية حقيقة الصلاح والعدل في مدنيتهم واجتماعهم. يجد البشر بظنونهم المحدودة شريعة هي أقرب إلى الصلاح فيستقبحون لشرف إنسانيتهم أن يهملوا تشريعها كل ذلك حياطة لمصلحة الأمة فما ظنك بإله العلم والرحمة المنزه عن كل قبيح. وماذا تقول في تعليم الأخلاق الفاضلة والتحذير من الأخلاق الرديئة. هل تكتفي فيها بتعليم العوائد وأثرة الوطنية والقومية تلك العوائد التي تفعل ما تفعل بالانسانية وتلك الأثرة التي أطالت أنينها.

وما ذا تقول فيما يخفى على العقول البشرية المحتجبة ببشريتها ويغيب من المعارف ومستقبل الانسان وأسباب السعادة فيه.. وماذا تقول في الإرشاد إلى النهج المستقيم في عبادة الإله والشكر له حق شكره والتقرب إليه.

الرسالة العامة في القرآن الكريم

ها هو القرآن الكريم قد تعرض لما ذكرناه بالبيان الذي يوضح الحقيقة وتقوم به الحجة فقال في الآية الخمسين من سورة المائدة (ومن أحسن من الله حكما) هل يقول أحد: إن البشر ذا العلم المحدود والجهل الطبيعي والحواجب البشرية هو أحسن وصولا للحقائق وتعديل المناسبات في جميع الأمور وأحسن حكما وتشريعا من الله إله الكمال والعلم المحيط. وقال جل اسمه

في الآية الخامسة عشرة بعد المائة من سورة التوبة (وما كان الله ليضل قوما) يتركهم يخبطون في ضلالهم ويقطع عنهم رحمة التوفيق لأجل خروجهم عن أهليته بتمردهم (بعد إذ هداهم) بدلالة العقل وبداهة الفطرة إلى أصول المعارف.

فلا يقطع رحمة التوفيق (حتى يبين لهم ما يتقون) ويتمردون عليه.

يبين ما يجتنبونه من الأفعال والتروك حياطة لمصلحتهم في نظام اجتماعهم وأخلاقهم وعرفانهم وعبادتهم وسعادة مستقبلهم ويوضح البيان في كل ما يحتاجون إليه في جميع ذلك (إن الله بكل شئ عليم) لا تخفى عليه خافية من جميع ذلك وجميع الأمور قد أحاط بكل شئ علما فالقرآن يبين أن الله يجل ويتقدس عن أن يهمل عباده ويتركهم بلا بيان لما فيه صلاحهم. وفوق ذلك إنه يجل ويتقدس عن أن يقطع رحمته بتوفيقه وتأييده عمن لم يتمرد ولم يخرج عن أهلية الاحسان وما كان الله ليتركه يخبط في الضلال بلا توفيق. وقال جل شأنه في الآيات الحادية والثانية والثالثة والستين بعد المائة من سورة النساء (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) ممن لم يقطع الطوفان تاريخهم البشري العمومي فلا يكون ذكر أسمائهم ونواتهم مستغربا يشوش استغرابه مواقع الكلام فيخرج عن مواقع الحكمة.

ثم ذكر القرآن أسماء بعض النبيين والإشارة إلى بعض الرسل الذين ذكر الوحي قصصهم للرسول. والرسل الذين لم يذكر قصصهم. وقال جل شأنه في غايات إرسال الرسل (رسلا مبشرين ومنذرين) [1] مبشرين للانسان بسعادته في الدنيا والآخرة بسبب خضوعه لما يصلحه في فرديته ونوعه واجتماعه من بيان الشريعة والأخلاق والمعارف. ومنذرين ومحذرين له من الشقاء والخطر المحدق به في دنياه ومستقبله من مخالفته لما بلغوه فيما يصلحه عن الله بالبيان الكافي.

أرسل الله هؤلاء الرسل الكرام لأجل واجب لطفه ورحمته وحكمته وقدسه وإصلاحه لعباده وأشار إلى ذلك ببيان غاية شريفة مطلوبة تترتب عليه وتشير إليه بقوله جل اسمه: (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) لئلا يقولوا يا إلهنا القدوس إله الرحمة والكمال والحكمة لماذا لم تشرع ولم تبين لنا بواجب لطفك ورحمتك ما يصلح نفوسنا ومدنيتنا وأخلاقنا ومعارفنا وعبادتنا وأسباب السعادة في مستقبلنا.

هذه الغاية المذكورة إحدى الغايات وهي غاية ثانوية تشير إلى العلة الأولية وهي رحمة الله ولطفه في إصلاح عباده وتعليمهم (وكان الله عزيزا) في قدسه وكماله لا يمكن أن ينسب إلا جلاله نقص الاخلال بواجب الكمال والقدس والرحمة (حكيما) في أعماله على واجب حكمته وإحاطة علمه بمواقع المصالح والمفاسد ومواقع الحكمة في إرسال الرسول.

1 ـ سورة النساء / الآية: 164. (*)

الرسالة في أقطار الأرض

عمانوئيل: يا شيخ إن الغفلة قد تثير من غبار شكوكها ما يكدر الابتهاج بالنظر إلى جمال الحقائق.

فهل تسمح لي بأن أبدي بعض الشبهات لكي تزيل معاؤها بالبيان الكافي. فإني وإن كنت واثقا بأن الذي تذكره من واجب اللطف وإقامة الحجة بإرسال الرسل هو الحق المعقول والمناسب لجلال الله. لكن قد تختلج الشكوك في ذلك عند النظر إلى أطواف الدنيا مما لم يذكر التاريخ إرسال الرسل فيها وذلك ما عدا مصر وسوريا والحجاز لأن تعدينا إلى إرسالية بطرس وبولس فنضم إلى هذه الأقطار الثلاثة رومية وما يحيط بالأرخبيل من البحر المتوسط كآسيا الصغرى. وأوروبا الشرقية الشمالية.

إذن فلا يعرف ماذا يقال في الشرق من بلاد فارس إلى منتهى آسيا شرقا وشمالا وماذا يقال في أقاصي أوربا وأفريقيا.

وماذا يقال في أميركا ماذا يقال في هذه البلاد الواسعة الشاسعة التي لم يعرف إرسال رسول فيها حسب لطف الله وإقامته للحجة..

وأيضا إذا عطف النظر إلى البلاد التي عرفنا فيها إرسال الرسل فماذا يقال فيما جرى فيها من الفترات الطويلة بين الرسل. تلك الفترات التي يستفحل فيها الضلال على أجيال كثيرة من البشر في قرون عديدة. الشيخ: كأنك تقول: إن التوراة قد اعتنت بالتاريخ المستوفى منذ بدء العالم إلى موت موسى فلم تذكر إلا أنه في أيام شيث ابتدأ أن يدعى باسم الرب وأن أخنوخ (حنوك بالعبرانية. وإدريس بالعربية) سار مع الله، وإن نوحا سار مع الله وخاطبه وكانت له شرايع.

وأن الله خاطب إبراهيم في حران وسوريا وجعل له شريعة الختان. وخاطب الله إسحاق ويعقوب. ثم أرسل الله موسى بالدعوة والشريعة. فلم تذكر التوراة إلى آخر أيام موسى نبوة ورسالة في الهند والصين واليابان ولا شمالي هذه البلاد ولا في أوربا ولا في أقاصي إفريقيا. وجرت كتب العهد القديم على ذلك فحصرت ذكر النبوة والرسالة ووجود الأنبياء بسوريا وبابل وجاءت كتب العهد الجديد فحصرت ذكر النبوة والرسالة وتاريخها بسوريا وآسيا الصغرى وأوربا الشرقية الشمالية ورومية.

فنقول حينئذ يا عمانوئيل لو كان غير ذلك من أقطار الدنيا نبوة ورسالة لذكرتها كتب العهدين.

يا عمانوئيل أين مضت نتيجة بحثكم في خلل كتب العهدين كما مر في الجزء الأول. أفلا يكفيك من ذلك ما ذكره القس في صحيفة 430 و 431 من أن التوراة أهملت شيئا كثيرا من تاريخ النبوات والرسالة ومن ذلك ما استركه عليها العهد الجديد، لنقتصر على هذا المقدار من الكلام على كتب العهدين.

يا عمانوئيل لا ينبغي في شرف العلم أن يقال: إنه ليس في أقطار الدنيا نبوة ولا رسالة ولا دعوة رسالة غير ما ذكره العهدان. أليس من الجائز أن يكون في جميع أقطار الدنيا أنبياء ورسل ودعوة رسولية بأضعاف ما ذكره العهدان ولكن التاريخ المعول بالأهواء لم يذكر من ذلك شيئا على وجهه الحقيقي لأنه لا يلائم خطته.

بل يجوز أن يكون من الأنبياء والرسل غالب هؤلاء الذين جعلهم الناس آلهة متجسدة وأركان الثالوث والأقانيم وجرى عليهم الصلب والاضطهاد من أجل دعوتهم الصالحة ولكن الأيام وأحوالها بدلت صورة دعوتهم ومسخت شرايعهم كما أشير إليه في

كتاب العقائد الوثنية في صحيفة 5 و 6 كما أنكم يا عمانوئيل قد حققتم في بحثكم في أواخر الجزء الأول أن هذا الحال بعينه جرى مع المسيح ودعوته الصالحة وحفظه للشريعة فلماذا لا يكون من نحو ذلك. وهما، وبوذا، وكوشنا وأندر، وبالى، وكونفوشيوس وغيرهم في الهند والصين واليابان وما والاها. ومترا وزورستر وغيرهما من الفرس. وباكو، وبوشيكا، وأناس كثيرون يذكرون في أقطار أميركا.

وكالذين يذكرون في أسوج ونروج وغيرها من بلاد الاسكندنافيين. مضافا إلى أنه يوجد عند الأمريكيين في اقطار أميركا وعند الهنود والصينيين ومن والاهم والإفريقيين والأوربيين اسم التوحيد مع القول بالأقانيم ورسوم العبادات للإله والصيام والعمودية والاعتماد على المخلص والتخليص من الجحيم وإغواء الشيطان وبقاء النفس بعد الموت وسعادتها وشقائها والاعتماد على الغفران فانظر أقلا إلى كتاب العقائد الوثنية إن لم يتيسر لك النظر إلى مصادر نقله وغيرها.

وهذا كله يشير إلى أنه أنقاض دعوات رسولية قد تمت بها الحجة واللطف ولكن الأهواء والضلال مدت إليها أيديها الأثيمة فهدمت صروحها وشوهت توحيدها وتعاليمها وشرايعها. عادة جارية في ضلال الانسان وابتلاء الأديان فإن التاريخ يعيد نفسه، وجديده يمثل قديمه. وما يدريك بالحال فلعل الفترات بين الرسالات القديمة هي بنحو الفترة بين المسيح ورسولنا عليهما الصلاة والسلام. ولعلك تنظر في كلامك إلى القرآن الكريم. بغير خفي إن وحي القرآن الكريم لا يهمه التاريخ وإنما يذكر منه ما يدخل في أغراضه الحميدة ولا يستنكره الجهل ولقد قال في الآية الثامنة والسبعين من سورة

---

1 ـ هو كتاب مصور جيد التبويب واسع الاطلاع يشير إلى مصادر نقله. طبع في بيروت سنة 1330 في 167 صحيفة بقطع هذا الكتاب مع تسع صحائف ممحضة للصور المهمة تأليف الفاضل محمد طاهر التنير وفقه الله. قدمه إلى صليبيي القرن العشرين المبشرين. وهو كتاب فائق في بابه. (*)

المؤمن المكية: (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك " وفي الآية الرابعة والستين بعد المائة من سورة النساء المدنية (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك) فالقرآن ينادي بأن هناك من الرسل من لم يقصصهم الله على رسوله.

وهذا كله مما يصد عن التسرع بالقول بأن أقطار الدنيا لم يرسل فيها رسول ولا بلغتها دعوة رسول على مقتضى اللطف وإقامة الحجة. يا للعجب بأي علم محيط ينفي ذلك.

تنبيهات

يا عمانوئيل، نذكر بعض التنبيهات في المقام لكي تستعين بها على دفع الشبهات.

1 – قد أشرنا في صحيفة 429 و 430 . إلى أن الحكمة اقتضت خلق الانسان مختارا في إيمانه وأعماله بحيث لا يدخل في ذلك إلجاء. وهذه الحكمة بعينها تقتضي أن يكون أمر النبوات في سريها ونفوذها وقبولها غير مبني على إلجاء الله للبشر في ذلك بل تجري في ذلك على نهج الأمور البشرية العادية، يسير أمرها ويمضي نفوذها بحسب العاديات والأحوال من الاقبال

والاقتناع والسعي والدفاع والغزة والمنعة.

2 – إن الاعتبار بحال النبوات التي ظهر لها صوت من بين مصادمات الضلال يفهمنا أنه يجوز في كثير من الأزمان والأقطار أن يكون الضلال المستفحل فيها مستعدا لأن يخنق الدعوة الرسولية عند أول ولادتها ولا يمهلها بأن تتنفس. فلا تدخل الرسالة ودعوتها حينئذ في اللطف والحكمة.

أنظر إلى أن موسى كان ينتظره وينتظر دعوته الرسولية مئات الألوف من قومه بني إسرائيل لكي ينصر أيمانهم الموروث من إبراهيم وينقذهم من شوك المصريين واستعبادهم القاسي وقد أجابوا بأجمعهم دعوته بابتهاج وآمنوا بها برغبة وإذعان. ولكن هل يخفى عليك ما جرى على دعوته من التهديد مع اعتزاله بمئات الألوف من قومه وهل يخفى عليك ما وقع في سيرها ونشر موسى (ع) لها من المعاثر والعراقيل حتى من خصوص قومه بني إسرائيل وهل تنسى واقعة العجل وعبادتهم له.

وانظر إلى حال المسيح مع بني إسرائيل في دعوته وما جرى معه فإن بني إسرائيل كانوا ينتظرون دعوة رسولية تنظم جامعتهم وترد لهم استقلالهم السياسي ولم يجئهم المسيح بما يخالف دينهم الذي استقروا عليه بعد سبي بابل ولا شريعتهم بل كان كالواعظ الزاجر عن الرياء وأكل الدنيا باسم الدين ومع ذلك قامت عليه قيامة بعض الناس حتى أغروا السياسة الرومانية به بزعم أنه يريد أن يدحر سياستها عن بلاده وجرى ما جرى.

وإنك قد ذكرت في الجزء الأول من الصحيفة المائة والثلاث والتسعين إلى آخره ما هو الوجه في رواج التعاليم الدخيلة في النصرانية على خلاف ما كان عليه المسيح. وكذا تلاميذه من بعده إلى نحو عشرين سنة كما تذكره الأناجيل وكتاب أعمال الرسل وهذه طريقة جارية في رواج الدعوة الرسولية بعد تشويه تعاليمها.

وانظر إلى رسول الله وكونه من أعز طائفة في العرب وأجب الرجال وأوثقهم وأكملهم عند قومه وقد نهض أقرباؤه لحمايته وحماية دعوته وأقبل عليها ذوو الوجاهة والحماية فاضطرت الأحوال إلى أن يهاجر جملة من المؤمنين إلى الحبشة ويحاصر هو وذووه في الشعب ويتحمل الأذى ويهاجر إلى المدينة ويبتلى بالحروب الدفاعية مدة حياته المقدسة في المدينة. فالله العالم بالأمور يجري رسالاته بحسب الأصقاع والأزمان في مقام يعلم بأنه يكون لدعوتها صوت يقوم به اللطف وتتأكد به الحجة.

ولعلما يشير إلى هذا المعنى قوله تعالى في الآية الرابعة والعشرين بعد المائة من سورة الأنعام: (الله أعلم حيث يجعل رسالته).

وهل يخفى عليك أن الله قد أقام حجته على جميع الناس في المعارف الإلهية بما وهبه لهم من العقل تتجلى في بديهياته حقائق المعارف الإلهية وبطلان المادية والشرك والثالوث وتجسد الإله وحديث الفداء وكيف ترى إصرار الأمم على ذلك وإصرار البشر نوعا على الظلم والجور وفساد الأخلاق مع أنهم يعرفون قبح ذلك ببداهة عقولهم مضافا إلى أن الناس قد بلغتهم دعوة رسولية توبخهم على الضلال وتحتج عليهم ببديهيات عقولهم ولم تقترن بشئ من الموانع العقلية ولا بتعليم غير معقول

ومع ذلك فإنك ترى الأهواء كيف تلعب ما تلعب بإصرارها. فالحجة العقلية البديهية قائمة على جميع البشر في الشؤون الإلهية ومواقع العدل والانصاف ومحاسن الأخلاق وأنت ترى حال الناس مع ذلك وهل يخفى أن الرسالة مؤكدة لهذه الحجة بتكرار بيانها والنداء بها.

نعم هي مؤسسة في الشرايع التي لا يدرك العقل تعديلها والعبادات التي لا يدرك العقل وجوهها والناس مصرون على تمردهم وحرمان أنفسهم من كرامة دلالة العقل فمن الجدير لأجل ذلك أن يكون الكثير منهم في شعوبهم وأقطارهم وأجيالهم قد أخرج نفسه عن لياقته للطف المختص بالرسالة ولا يدع لحكمتها محلا.

إذن فاعرف أن الحكمة الإلهية في الرسالة تنظر إلى هذه الشؤون من أحوال البشر وتجعلها حيث يمكن بحسب حال الناس أن يظهر لها صوت بدون إلجاء يسلبهم الاختيار ولله الحجة البالغة وهو العليم الحكيم. يا عمانوئيل إذا قامت الحجج العقلية على أمر من الأمور فلا يصح لك أن تشكك فيها لأجل احتمالات موهومة يثيرها الجهل بالحقائق بل ينبغي أن تجعل الحجج العقلية دليلا إجماليا على الحقائق المجهولة التفصيل.

صفات الرسول في القرآن الكريم

قد ذكرنا في صحيفة 53 و 54 قوله تعالى: (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما) [1] فهذه الآية الكريمة في مضمونها المتقدم وقطعها للحجة تستلفتك إلى أحكام العقل والبداهة في صفات الرسول التي يجمعها لا يكون للناس بحسب معقولاتهم وتنواتهم حجة تصدهم عن الركون إلى الرسول والاذعان بتصديقه والانقياد إلى تعاليمه والتسليم لتأديبه.

وذلك بأن لا يكون من جهة الرسول نقص ينفر الناس عنه ويكون سببا للريب العادي في صدقة وللاستنكاف عن اتباعه.. كيف تكون الرسالة مع النقص الذي يستتبع بحسب كمالات البشر بطلان فائدتها وانحطاط دعوتها وتكون للناس الحجة العقلائية على الله في عدم إيمانهم بالرسول وانقيادهم إليه.

وقد أيد الله هذا المعنى بقوله في الآية الرابعة والعشرين بعد المائة من سورة الأنعام (وإذا جاءتهم) يعني المشركين (آية قالوا لن نؤمن) بالحقائق التي يعلم بها الرسول (حتى نؤتى) من الوحي والرسالة (مثل ما أوتي رسل الله) فوبخهم الله على تشامخهم مع نقصهم وقال لهم (الله أعلم حيث يجعل رسالته) ويختار لها بعلمه وحكمته من هو الصالح الكامل من البشر والذي ليس لقائل في صلاحه وكماله مغمز وليس من جانبه نقص ينفر البشر منه.

كيف يضيع الله رسالته مع قدسه وكماله وحكمته وعلمه يجعلها فيمن ليس أهلا لما ولا يليق لفائدتها المطلوبة. فالآية وإن كانت بادئ بدء إخبارا إلا أنها بسوقها واستنادها إلى علم الله القدوس تشير إلى وجه الحجة والشروط المطلوبة في الرسول لا

1 ـ سورة النساء / الآية: 164. (*)

يجعل الله رسالته في الآثمين والذين يكذبون أو يظلمون أو نتناقض أقوالهم وأفعالهم أو يكابرون الحق ويتمردون عليه أو يخالفون الحقائق المعقولة أو يأتون بما ليس بمعقول وقد أوضح الله الحال في شأن الرسالة بالقانون الكلي المعقول في قوله تعالى في الآية الرابعة والعشرين بعد المائة من سورة البقرة (وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما) ومقدما في تبليغ الأحكام الإلهية وسيطرة الشريعة وتنفيذها وتعليم الدين وتهذيبه وتأديبه (قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين) عهدي هذا الذي قلته لك وطلبت أنت أن أجعله في بعض من ذريتك لا ينال الظالمين لأنفسهم بالكفر والفسق والخروج عن الاستقامة وتعدي الحدود المشروعة والمعقولة. والظالمين لغيرهم بالعدوان وفساد الأخلاق. كيف ينال الظالمون عهد الله القدوس العادل الحكيم بهذا المقام الكبير والمقصود منه أشرف الغايات.

ألست ترى أن الظلم ينادي بنقص الظالم وأنه ليس له كمال يردعه عن ظلمه ويوجب الوثوق بصدقه في أخباره وتبليغه واستقامته في تهذيبه وتعليمه وسيطرته فلا يثق العقلاء به ولا ينقادون إليه. فكيف يجعل الله الإمامة الدينية فيه وكيف ينقض الله غرضه ويجعل الحجة للعباد عليه مع أنه الإله القدوس الكامل العليم الحكيم.

دعوى النبوة والرسالة حيث ترد بدلائل كذبها

هل يخفى من العقل والشرع والقانون الفطري الأولي في كل قضاء أن كل دعوى وراد إقامة الحجة عليها لا بد من أن تكون غير ساقطة في نفسها ولا مقرونة بالموانع الشاهدة على سقوطها. وقد أشرنا لك في الكلام السابق من دلالة العقل وبيان القرآن الكريم وحجته وأومأنا إلى ما لا يناسب مقام النبوة بل يمنع منها بحيث أن التلوث بشئ من تلك الأمور لا تسمع منه دعوى النبوة والرسالة ولئن زعم أن عنده شيئا من الحجة على دعواه صاح به الحق والحقيقة أأقف وأسكت يا هذا المدعي باطلا فإن تلوثك المحسوس والعلوم بموانع النبوة أوضح حجة وأصدق شاهد على سقوط دعواك وبطلانها وعلى أنك إن أتيت بشئ تحاول به الاحتجاج لدعواك الساقطة فإنما هو خرافة مشوهة أو صورة مموهة لا مساس لها بشئ من الصواب.

عمانوئيل: يا شيخ ما هي موانع النبوة التي تشير إليها بحيث تسقط بالتلوث بها دعوى المدعي للنبوة والرسالة. الشيخ: هي النقائص التي تنقض الغرض من الرسالة وتبطل غايتها الكبرى الكريمة ومنها ما ذكرنا في صفات النبي والرسول أنه يجب أن يكون مبرءا منها كما توجبه الحجة المعقولة. فمنها: ظهور الكذب على المدعي وإن كان في الأمور العادية. فإن الذي يظهر عليه الكذب لا يوثق بمنقولاته التي يمكن لهم التجسس على صدقها فكيف يثقون به في الأمور النبوية الغيبية.

وحاشا الله القدوس أن ينقض الغرض الكبير من النبوة ويضيع أمرها الجليل في رجل لا يتماسك عن الكذب ولا يثق الناس به بل يعدونه من الرجال الناقصين.

لأن كل من عرف الإله وقدسه وحكمته وعرف النبوة وشأنها الجليل وغاياتها الكبرى ليعرف بحسب فطرته الأصلية

وبديهته الأولية أن الله لا يضيع أمر النبوة وفائدتها في الرجل الكاذب. نعم ربما يعترض في بعض الخيالات توهم أن اللازم هو أن لا يكون كاذبا في التبليغ عن الله.

ولكن هي لصاحب هذا الخيال رجلا كاذبا يدعي النبوة ويدعوه إلى تصديقه واتباعه فإن صاحب هذا الخيال أول ما يقوله لذلك المدعي ألم يجد الله أكذب فإن صاحب الخيال يقول له من لا أثق به في شأن نبوة كيف أثق به في شأن نبوة، من لم يكن أمينا في القليل كيف يأتمنه الله في الجليل الخطير ويضيع هذا الأمر الجليل ويسقط فائدته لو سمح هذا المدعي أن يصدق فيه ولا تغلبه نفسيته وأهوائه ومن الكذب الفظيع أن يتقلب مدعي النبوة في دعاويه المتناقضة التي يكذب بعضها بعضا وينقض بعضها بعضا.

عمانوئيل: وهل لها مثال فيما سمعنا به من الحوادث.

الصفحة 396

الشيخ: مثاله على محمد الشيرازي فإنه ادعى في أول أمره أنه نائب المهدي المنتظر عند المسلمين وخصوص الشيعة وإنه داع للمهدي ثم ادعى أنه نفس المهدي المذكور ثم ادعى أنه نبي الله ورسوله ثم ادعى أنه الله تعالى الله عما يقولون وكل هذه الدعاوى مسطورة في كتبه. فانظر إلى ما نقله في نصائح الهدى [1] صحيفة 7 – 10 و 14 – 17 و 77 و 99 و 100

(ومن موانع النبوة) أن يخبر عن الله بأمر ويلزم من ذلك الأخبار كذبه على الله بأحد وجوه:

الأول: أن يكون المدعي للنبوة يخبر بنبوة شخص وصدقه في دعواها ودعوتها ويكون ذلك الشخص يصرح بتكذيب هذا المدعي للنبوة في ادعائه لها فهذا المدعي إن كان صادقا اتفاقا بإخباره بنبوة ذلك الشخص إذن فنبي الحق يكذب هذا المدعي في ادعائه النبوة لنفسه فتسقط دعواه وإن كان كاذبا بإخباره بنبوة ذلك الشخص كفى بكذبه في هذا الأمر الكبير حجة على سقوط دعواه.

عمانوئيل: هل لهذا الوجه مثل في حوادث الدنيا؟

الشيخ: مثال مسيلمة المتنبي في عهد رسول الله محمد (ص) فإن مسيلمة اعترف وأخبر بأن محمدا رسول الله مع أن رسول الله محمد (ص) يكذب مسيلمة في تنبيه ويسميه مسيلمة الكذاب فتسقط دعوى مسيلمة إذ يلزم مما ذكرناه كذبها.

الثاني: أن يعترف المدعي للنبوة والوحي ويشهد بنبوة شخص

---

1 ـ المطبوع في بغداد سنة 1339. (*)

الصفحة 397

ورسالته وأن كتابه ودينه من الله ويكون كتابه المعروف ودينه المعلوم وكلامه المتواتر يكذب ذلك المدعي بنحو العموم.

عمانوئيل: وهل لهذا الوجه مثال فيما نعرفه من الحوادث. الشيخ: مثاله. على محمد الشيرازي الملقب بالباب ويحيي الملقب صبح الأزل، وأخوه حسين على الملقب بهاء، وغلام أحمد القادياني. فإن كل واحد من هؤلاء الأربعة قد اعترف وشهد في كتبه مرارا يعسر إحصائها لكثرتها وأخبر بأن رسول الله محمد (ص) هو رسول الله. وأن كتابه القرآن الذي جاء به كلام الله وأن

دينه دين الحق الذي لاريب فيه مع أن المعلوم من دين رسول الله (ص) أنه لا نبي ولا رسول بعد رسول الله وقد تواتر عنه (ص) قوله: لا نبي بعدي وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى: (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) [1] وإذا انتفت النبوة بعد رسول الله (ص) انتفت الرسالة وانتفى الوحي لأن النبوة أول مرتبة من ذلك. مع أن كل واحد من هؤلاء الأربعة يدعي لنفسه النبوة والرسالة والوحي ونزول الكتاب من الله عليه. إذن فكل واحد منهم إذا صدق في شهادته واعترافه برسالة رسول الله محمد (ص) وأن قرآنه ودينه من الله فرسول الله وقرآنه ينفيان عنه النبوة والرسالة والوحي وإنزال الكتاب عليه من الله ويكذبانه في ادعائه لذلك. ولو كذب فيما ذكرناه من شهادته واعترافه لكفى كذبه في هذه الأمور حجة في تكذيب دعواه للنبوة والرسالة والوحي.

الثالث: أن يعترف المدعي للنبوة ويشهد بنبوة شخص ورسالته وأن كتابه ودينه من الله جل اسمه ومع ذلك يجحد أكبر الأساسيات من دين

---

1 ـ سورة الأحزاب / الآية: 40. (*)

ذلك الشخص الرسول وكتابه. ويجاهر بجحود تلك الحقيقة المهمة في معارف تلك الرسالة والمتقدمة في طليعة التبليغ وعناوين الكتاب ورؤوس المعلومات من الرسالة والدين.

عمانوئيل: هذا أمر كبير فهل له مثال فيما نعرفه الحوادث. الشيخ. مثاله: علي محمد، ويحيى، وأخوه حسين علي، فإنهم يعترفون ويشهدون بأن محمدا رسول الله (ص) وأن كتابه القرآن ودينه من الله لاريب فيهما ومع ذلك يجحدون المعاد الجسماني في الآخرة [1] مع أن القرآن الكريم لا زال يجاهر بالمعاد الجسماني بأوضح صراحة ويحتج عليه بالحجج المقنعة المعقولة ويصف جاحديه بالكفر والضلال.

ومن نحو ذلك أن علي محمد قد ادعى في تقلباته بدعاويه أنه المهدي المنتظر الموعود به في دين الاسلام هذا وهو يعترف في كتبه بأن الأئمة الأحد عشر من أهل البيت أئمة معصومين هم أمناء الله على وحيه لرسوله ومع هذا فقد جاء عن رسول الله وعن الأئمة الأحد عشر ما يفوق التواتر بأن المهدي المنتظر الموعود به هو ابن الإمام الحادي عشر الحسن العسكري فرسول الله والأئمة الأحد عشر يكذبون علي محمد في دعواه أنه المهدي المنتظر وقد ذكر جميع ذلك في كتاب نصائح الهدى صحيفة 15 – 60 . الرابع: أن يبني مدعي النبوة دعواه على أساس دعوى قد قضت الأدلة القيمة والحجج بكذبها وخرافيتها ويجعل دعواه ودعوته فرعا على تلك الدعوى وتلك الدعوة.

وهل يمكن أن تصدق دعوى مؤسسة ومبنية ومتفرعة على دعوى تنادي الحجج بكذبها وخرافيتها. الخامس: أن يجئ مدعي النبوة في دعوته بتصديق دعوى نبوة خرافية ورسالة خرافية وكتاب طويل عريض خرافي ودعوة طويلة عريضة خرافية.

خرافات تخجل منها الانسانية والأدب والمعقول.

خرافات عرف أتباع صاحبها شناعتها فأخفوها حسب جهدهم أشد الاخفاء ولكن الأيام لم

1 ـ قد ذكر بعض كلامهم في هذا في كتاب نصائح الهدى صحيفة 78 و 85. (*)

الصفحة 399

تساعدهم على ستوها كما يريدون.

عمانوئيل: هل لهذين الوجهين العجيبين مثال فيما تعرفه من الحوادث.

الشيخ: مثالها يحيى وأخوه حسين علي فإن كل واحد منهما بنى دعواه ودعوته ومباديه الجديدة على دعوى علي محمد ودعوته ومباديه.

الصفحة 400

وكل واحد منهما يقول إن مقامه في دعواه ودعوته إنما هو من تابعيته لعلي محمد وبشارة علي محمد به. ويعرف مثال الوجه الخامس من تصديقهما وإيمانهما بكل ما جاء به علي محمد في دعوته. مع أن دعوى علي محمد ودعوته وكتابه هي التي ذكرنا أنها خرافات تخجل منها الانسانية والأدب والمعقول وأن اتباع صاحبها عرفوا شناعتها فأخفوها وإن لم يتيسر لك شئ منها فانظر إلى كتاب مفتاح باب الأبواب [1] وكتاب نصائح الهدى.

وسل أتباع صاحبها لماذا أخفوها بأشد الاخفاء مع أن صاحبها قد أكد الأوامر عليهم بأن يكتبوا كتبه ويديموا قراءتها في كل يوم ولا يخلو واحد منهم من شئ منها.

فلماذا عصوا أوامره المؤكدة وخالفوه بهذه المخالفة الشديدة؟! (ومن موانع النبوة) أن يجئ مدعيها في دعواه ودعوته بما يخالف المعقول ويعده العقل والعقلاء من ضلال الأباطيل ومن ذلك أنه بشر ناقص رهين الحاجة البشرية وضعفها ونقصها ومقهوريتها ومع ذلك يدعي مقام الإلهية وأنه الإله.

ينادي بذلك بألحان مختلفة ويقول ما لم يجترئ عليه الوثنيون.

عمانوئيل: وهل لهذا الأمر الشنيع مثال في هذه القرون.

1 ـ المطبوع بمطبعة مجلة المنار بمصر سنة 1321 في 440 صحيفة في تاريخ البابية والبهائية من بدء أمرهم. وذكر جملة مما في كتبهم وخصوص البيان. وهو كتاب فائق شريف المسلك نقي الأسلوب كبير الفائدة تأليف الفاضل الدكتور المرزا محمد مهدي خان التبريزي نزيل مصر وقد كان جده وأبوه قد اجتمعا مع علي محمد في تبريز وباحثاه وعرفا أحواله. (*)

الصفحة 401

الشيخ: مثاله علي محمد، ويحيى، وأخوه حسين علي، والقادياني. وها هي كلمات على محمد وحسين علي ودعاة يحيى قد ذكر بعضها في كتاب نصائح الهدى في صحيفة 99 – 103 .. وأما القادياني فإنه في كتابه العربي المطبوع ومعه ترجمته بالفارسية والهندية يقول في صحيفة 9 ما يرجع إلى أنه يصبغ بصبغ صفات الألوهية وفي صحيفة 21 يقول لوى بي ربي من بعض صفاته الجلالية والجمالية.

وفي كتابه العربي الصغير المسمى (استفتاء) و (حقيقة وحي) يذكر صحيفة 80 في ضمن ما يدعيه من خطاب الله له جل

شأنه بقوله (يا قمويا شمس أنت مني وأنا منك) يا للعجب هل سمعت مثل هذا الكلام وجرأته من الوثنيين. كيف يكون الله من القادياني؟!

وحسين علي أيضا في كتابه المسمى (ألواح) المشتمل على ثلاثمائة وستين صحيفة والمؤرخ طبعه سنة 1308 هج وسنة 48 من تاريخهم قال في صحيفة 21 بأنه لا يرى في هيكله إلا هيكل الله ولا في كينونته إلا كينونة الله ولا في ذاته إلا ذات الله ولا في حركته إلا حركة الله ولا في سكونه إلا سكون الله.

وقال أيضا وإن الربوبية اسمي والألوهية اسمي ولم أزل ناطقا في جبروت البقاء إني أنا الله لا إله إلا أنا المهيمن القيوم ولا أزال أنطق أني أنا الله لا إله إلا أنا العزيز المحبوب. وقال في صحيفة 78 لا يرى في إلا الله. وقال في صحيفة 286 حينما كان في سجن عكا: لا إله إلا أنا المسجون الفريد.

وقال في صحيفة 320 كذلك يأمرك الرحمن إذا كان بأيدي الظالمين مسجونا فانظر وأسمع واعجب. الدكتور:

إنا نجد بين الإلهيين كتبا ينسبونها إلى الوحي الإلهي ويحامون عن نسبتها إلى الوحي أشد المحاماة.

ونرى هذه الكتب أو كما يقولون ذلك الوحي الإلهي قد كثر فيه أنه ينسب الشرك والقول بتعدد الآلهة والأرباب وكبائر الفسق والفجور والظلم والكذب في التبليغ ينسب هذه الأمور إلى من يقول ذلك الوحي أنهم رسل الله أو أنبيائه الصالحون الذي يوحي الله إليهم ويجعل لهم الإمامة في الدين والمقام الكبير في هداية البشر وتهذيبهم.

فكيف يجتمع هذا كله في المعقول وكيف يجتمع مع ما تقوله في صفات النبي والرسول من الحجة وتذكره عن قرآنكم من البيان المشير إلى وجه الحجة. وقد دلنا على ذلك تحريرات الكاتبين منكم في هذا القرن وراجعنا مصادر ذلك من كتب وحي الإلهيين فرأينا شيئا مدهشا فماذا تقول أنت يا شيخ في ذلك؟

الشيخ: إن الذي تذكره قد جرت فيه المباحثات الدينية وفصلت فيه التحقيقات اللازمة قضاءها. وإن من الكلام ما يتوسع فيه بالعبارة حسبما تحتمله لغته من عموم الموضوع له أو السعة في دائرة استعمال الألفاظ فيها والتفنن في التعبير بمحاسن المجاز والاستعارة.

وهذا مما يندحر به بعض الاعتراضات المبتنية على التحكم بالتضييق على التعبير رغما على سعة الألفاظ في مداليلها بحسب أوضاعها أو جريها على محاسن التفنن في الكلام.. ومن الكلام ما لا يمكن إصلاحه حتى بليت ولعل بل هو مخالف للمعقول على خط مستقيم.

وهذا القسم إذا صدر في الكتب المنسوبة إلى الوحي الإلهي فإنه ينادي بأنه أجنبي عن الوحي وإن الكتاب المشتمل عليه معتد بانتسابه إلى الوحي فليطلب ميلاده البشري وينتسب إلى أبيه الحقيقي ولا يخدش في شرف النبي الذي ينتسب إليه تدليسا بمساعدة الأيام واستغفالها.

ألا وإن الحقائق المعقولة لا تقف أمامها الأسماء المستعارة والانتساب الموهوم بل الحقائق هي التي يكون لها الحكم في ذلك رغما على مكابرة الشهوة الحادثة وتصفيقها وضجة التصويت المتواطئ عليه وقد كتب الباحثون في ذلك. وأن شئت فانظر في الجزء الأول من كتاب الهدى من صحيفة 42 – 335 وإلى مكالمة عمانوئيل وأبيه في الجزء الأول من هذا الكتاب حتى لا تعود تقول (اجعنا مصادر ذلك من كتب وحي الإلهيين) بل تقول راجعنا مصادر ذلك من الكتب التي يرفض شوف الوحي منها ذلك. وقد أغنتنا عن الاطالة في ذلك تحقيقات العلماء الكاتبين.

دعوى النبوة والرسالة المسموعة وحجتها

عمانوئيل: يا شيخ خذ في شأن مدعي النبوة وحجته. الشيخ: فإذا كان مدعي النبوة ودعوته سالمان مما ذكرناه وما يجري مجراه من الموانع.

وكان مدعي النبوة والرسالة ظاهر الصلاح ممتازا في نوعه بجمعه لفضائل الصدق والثقة والأمانة وشرف النفس والعفاف وكرم الأخلاق.

مرضي الطريقة محمود السيرة مستقيم الدعوة المعقولة تألف إلى كماله النفوس وتركن إلى فضيلته المستقيمة في أحواله وأطواره. ولم يكن في أحواله وأطواره وأقواله ودعوته ما يكذبها أو يوجب الريب العقلائي الذي يطردها عن ساحة القبول فلا ريب في أن النفوس السالمة من داء العصبية والعناد والأهواء لا تتسرع إلى دعوته بالجحود ولا تبادر أمانته بفلتات سوء الظن بل تركن إلى الوثوق بقوله والاقبال على دعواه وتتوسم بباطنه الخير وموافقته لظاهره وكلما ازدادوا خبرة بصلاح ظاهره في أحواله ازدادوا وثوقا بصلاح باطنه أيضا وتفوقه على سائر الناس بكماله البشري.

ولكن مهما يكن من ذلك فإن هذا الوثوق وهذا الاعتماد لا يتعديان مرتبة الظن المبني على الظاهر فإن سرائر الانسان مستورة ودعوى النبوة والرسالة من الله دعوى غيبية كبيرة لها آثار عظيمة فلا يكفي فيها الركون الظني والوثوق المبني على ظاهر الصلاح بل لا بد فيها من اليقين الدافع لاحتمال الريب واعتراض الشكوك ليكون الإذعان بها والالتزام بآثارها والانقياد إليها ثابتا على أساس رصين. ولأجل ذلك يظهر الله المعجز على يده ليكون حجة قاطعة على صدقه في دعوى النبوة والرسالة عن الله وما يلحق بذلك من التبليغ عن الله في دعوته.

في المعجز حجة النبوة والرسالة

عمانوئيل: ما هو المعجز المذكور. الشيخ: هو ما كان بحسب ذاته وممتازاته خارقا للعادة ممتنعا على البشر وإرادتهم يعجزون عنه بحسب قدرتهم المحدودة.

خارجا عن حدود قدرتهم المجعولة والأسباب العامة ونواميس الطبيعيات وقوانين العلوم وعن نتائج التدريس والتعليم وتجاريب المعامل والتناول بالاتباع بعد الاختراع بحسب سير العلم والصناعة فيما ينكشف من أسرار الموجودات.

عمانوئيل: هذا الأمر الذي تصفه والخارق للعادة والذي يعجز عنه البشر بقواهم البشرية المجعولة ليس له لسان ناطق يقول به ويشهد أن المدعي هو رسول من الله أو نبيه. فكيف يكون حجة وشاهدا على النبوة والرسالة ودليلا قطعيا على ذلك؟

الشيخ: إذا كان مدعي النبوة والرسالة على، ما ذكرناه من السلامة من الموانع عن صدق دعوته وكان على ما وصفناه من ظهور الصلاح وكل ما يقتضي الوثوق بقوله والاقبال على دعواه بالوثوق والاقبال المبنيين على الظاهر فإنه عند ظهور كرامته بظهور المعجز على يده يحصل العلم اليقين بصدقه للنفوس السليمة الجارية على مرتكزات الفطرة ودلائل العقل القيمة فتطمئن النفوس الحرة ويثبت اليقين بصدق دعوته وعصمته.

فإن دلائل الفطرة والعقل ترشدهم إلى أن إظهار المعجز على يده إنما هو لأجل كرامته على الله والعناية الخاصة من الله به من حيث سلامة ضميره وموافقة باطنه لظاهره في الصدق والصلاح. وإنه لو كان فاسد الباطن يكذب على الله بدعوى النبوة والرسالة ويريد أن يخدع الناس بهذه الدعوة الكبيرة لكان من أشد المزورين الذين يظهرون الصلاح والصدق ويضمرون الغدر والافتراء ولو كان على هذه الحال لما أظهر الله عنايته الخاصة به وأظهر المعجز على يده فإن إظهار المعجز على يده يكون من أقبح أنواع الاغراء بالجهل وإلقاء العباد الطالبين للرشد بهلكة الضلال ومن أقبح الاشتراك مع المدلس في تدليسه وذلك ممتنع ومستحيل على جلال الله القدوس.

وتتأكد جهة الامتناع والاستحالة في ذلك بأن الذين نعرفهم من الأنبياء والرسل قد احتجوا بأن معجزاتهم إنما هي من الله عناية بهم وتصديقا لدعواهم ودعوتهم ودلالة على استقامتهم في هداهم إذن فكيف يشركهم الله القدوس على عمل الضلال والتدليس لو كانوا كاذبين.

فهذا هو الوجه في شهادة المعجز على صدق النبي والرسول في دعواه ودعوته وعلى استقامته في هداه وعصمته.

عمانوئيل: نفرض أن مدعي النبوة والرسالة الظاهر الصلاح والأمانة والصيانة على التفصيل المذكور ربما لا يكون متعمدا للكذب في دعواه ولا مفتريا ولكنه يكون متوهما مخطئا في دعواه لأجل خيالات تلفقها له بعض الأمور والأحوال والأمراض العصبية فهل يجوز إظهار المعجز على يد مثل هذا المدعي؟

الشيخ: كيف يجوز وفيه من الاغراء بالجهل ما يقصم ظهر الحقائق والعلم ويضطهد الانسانية والهدى والاستقامة فإن هذه الصورة كالصورة السابقة في لزوم الاغراء بالجهل وقبحه الشديد وامتناعه على جلال الله القدوس.

عمانوئيل: نفرض أن مدعي النبوة والرسالة يكون في أول أمره وأوائل دعوته على الصفات المذكورة من الصلاح والصدق والصيانة ويكون أيضا متوافق الظاهر والباطن في الصلاح والأمانة وصادقا في دعوى النبوة والرسالة والتبليغ عن الله ويستمر على ذلك زمانا ثم ينقلب حاله في الباطن والخفاء على الناس إلى التخفي في الفسق أو الفجور أو الظلم أو الكذب في التبليغ عن الله فهل يجوز إظهار المعجز على يد هذا في أول أمره وحال صلاحه وصدقه في الباطن وقبل انقلابه.

الشيخ: لا يجوز إظهار المعجز على يده لأنه إغواء بالجهل كما في الصور السابقة مضافا إلى أن مثل هذا المدلس الذي ليس له رادع ثابت من الورع الذي يلزم به التقوى لا يصلح لمقام النبوة من أول أمره. وأيضا فإن النبوة والرسالة هي أكبر الألطاف الإصلاحية المكملة والله العليم قادر على أن يجعلها في محل لا يجد العقل فيه مجالا للريب العقلائي إذن فلا يخل الله بالحكمة واللطف ولا ينقض الغرض في جعلها في محل يجوز انقلابه من الصلاح والأمانة إلى الفساد والتدليس والخيانة فيكون الريب العام مستمرا في كل نبي وكل رسول فلا يصدق في تبليغ ولا يعتمد عليه في شئ ولا ننتظم له شؤون الاصلاح ومهمة الطاعة والانقياد حذرا من انقلابه وتدليسه فالعقل لا يجوز أن تكون في لطف الرسالة وحكمها وإصلاحها مثل هذه المفسدة الكبرة.

عمانوئيل: هذا الفرض المتقدم نفرض فيه أن مدعي النبوة أو الرسالة انقلب من الصرح الحقيقي على الصفات المتقدمة إلى التجاهر بالفسق أو الفجور أو الظلم أو الشرك أو مخالفة المعقول فهل يجوز إظهار المعجز على يده في أول أمره وحال صلاحه الحقيقي؟

ولماذا لا يجوز فإنه ليس فيه إغواء بالجهل فإن الناس ينصرفون عنه ويعرفون انسلاخه عن النبوة والرسالة عند ما يعرف انقلاب حاله.

الشيخ: وهذا الفرض أيضا مما يبطل فائدة النبوة والرسالة وينقض الغرض منهما وينافي حكمتهما فإن كل من يطلع على عمله القبيح يقول ليس هذا أول قبيح تجاهر به فإن العادة تقتضي بأنه لا يطلع عموم الناس على العمل القبيح في حال عمله فيثور الريب الشديد في تبليغاته السابقة ويحمل أكثرها وأكثر إجراآته على الشقاوة بل إرادته تسخير البشر لأهوائه واستعبادهم لأوامر رياسته الكاذبة بل إن العادة تقتضي أنه لا يطلع الناس على الأعمال القبيحة إلا بعد أن يجري أمثالها في الخفاء وتكون النفس مريضة بداء الشقاوة منذ زمان قديم فيجئ الاغواء بالجهل ولو جاز هذا الفرض لجرى الريب الشديد في كل نبوة وكل رسالة وكل معجز من أول الأمر فيذهب أمر النبوة والرسالة والمعجز ضياعا.. والحاصل أن العقل وفطرة العقلاء يرى أن موقع الحكمة واللطف والرحمة في أمر النبوة والرسالة والمعجز إنما هو حيث يكون النبي أو الرسول معصوما من الزلل إلى آخر عمره فيكون هذا هو مقتضى لطف الله ورحمته وحكمته في الرسالة وإجرائها لحصول غايتها المطلوبة من دون تشويش في اللطف والرحمة ولا إخلال في الحكمة.

عمانوئيل: هل يجوز أن يتكرر الفرع الواحد من المعجز لرسل متعددين.

الشيخ: لا مانع من ذلك فإنه لا يخرج بالتكرار عن كونه خرقا للعادة البشرية وخارجا عن القوة المجعولة للبشر فإن إحياء الميت الذي جرى على يد المسيح قد جرى مثله لغيره ومنه ما يحكيه العهد القديم في شؤون أيليا واليشع وما يذكر من إشباع المسيح للخلق الكثير من الطعام القليل قد وقع مثله لرسول الله مرارا عديدة. فإن المعجز لا يخرج بتكرره من الله عن كونه معجزا.

عمانوئيل: المعجز أمر ممكن في قدرة الله فكيف يستحيل صدوره على يد الكاذب في دعوى النبوة.

الشيخ: يستحيل لكونه في هذا المقام من الاغواء بالجهل.ولأجل قبحه يستحيل ويمتنع على جلال الله القدوس فالمعجز وإن كان في ذاته ممكن الوقوع من الله لكنه باعتبار عنوانه القبيح يكون ممتنعا على جلال الله.

عمانوئيل: إذن يجوز صدوره على يد غير النبي إذا لم يستلزم الاغواء بالجهل ومن ذا الذي يمنع على الله إعمال قدرته في خليقته وإظهاره خوارق العادات حيث يشاء.

الشيخ: نعم يجوز إظهاره على يد من يعلم الله أنه لا يدعي النبوة الكاذبةولا يدعي دعوى دينية كبيرة يدعو إلى ضلالها البشر.

عمانوئيل: من الناس من يدعو إلى الضلال وتكون دعواه ودعوته مقرونتين بالموانع العقلية والشرعية من صدقهما محفوفتين بالشواهد القيمة على كذبهما وامتناعهما كما في الأمثلة الذي ذكرتها في موانع النبوة فهل يجوز على جلال الله إظهار خارق العادة على يد مثل هذا فإنه ليس فيه إغواء بالجهل لكافة البشر ولا مصادمة لأدلة الهدىولا إعانة على الضلال. الشيخ: إن لله توفيقات وعنايات وتسديدات خصوصية يراعي بها غير المتمردين عليه من عبادة الذين هم ضعفاء في المدارك وقاصرون في مجال التحقيق فإنه يرحمهم ولا يجعل للريب والفتنة مجالا في قصورهم وإن أوضح لهم الحق بأكمل إيضاح فلا يظهر خارق العادة على يد هذا الذي تذكره. اللهم إلا إذا تمرد الناس على الحق وأعرضوا عن الحجج الواضحة وعاندوا الأدلة الكافية واتبعوا لأجل ترويج أهوائهم كل ناعق فإنهم يخرجون عن أهليتهم للعناية والتوفيق والتسديد فتبقي الحكم الخصوصية في أعمال الله بلا جهة تعارضها.

عمانوئيل: نجد أن معجزات الأنبياء لم تؤثر بالرسول والتصديق به ولم تنفع في كل الناس وخصوص المشاهدين لها والعالمين بها من أهل قطرها وعصرها بل رأى كثيرا منهم من جحد النبوة والرسالة ولم يبال بالمعجز. الشيخ: ليس المعجز تكوين يلجئ الناس إلى الإيمان والتصديق إلجاء بل هو حجة ودليل يهدي إلى الإيمان من لم يتلوث بالموانع وسفسطات التشكيك وعناد الأهواء، فلا يلزم فيه رفع الموانع التي احتجبوا بها عن نور عقولهم وشرف إنسانيتهم بسوء اختيارهم للعصبية والحسد واتباع الهوى والتقليد في أمر الدين مما لم يحتجبوا به في القليل والكثير من أمور معاملاتهم وأموالهم ومنازعاتهم وحججهم بل ترى لهم في أمورهم رشدا وتمييزا لما هو دون المعجز ودونه في الدلالة والحجة وترى لهم صحة استدلال واعتماد على العقل فيما هو أخفى من دلالة المعجز.

تنوع المعجز بحسب الحكمة

عمانوئيل: لماذا اختلفت معجزات الرسل فكان لموسى نوع من المعجز وللمسيح نوع من المعجز ولنبي الاسلام نوع من المعجز؟

الشيخ: اللازم في حكمة تحصيل الغرض من المعجز أن يكون كافيا من جهة ذاته في الحجة والدلالة والاقناع للذين يدعوهم

النبي أو الرسول إلى الإيمان. ويكون بعيدا عن وساوس جهلهم ومثار شكوكهم.ولا شك في أن لكل أمة معارفا وفنونا يتقدمون فيها ويعرفون نتائجها التي تنالها قوة البشر المحدودة ويميزون ما هو خارج عن قوة البشر مما هو من نحو نتائجها فمقتضى الحكمة أن يكون المعجز بحسب كل قوم مما يعرفون خرقه للعادة وخروجه عن قوة البشر بحسب موازينهم من العلم الذي تقدموا فيه وعرفوا حدود نتائجه العادية. ولما كان أهل مصر في عصر موسى (ع) متقدمين وراقين في فن السحر وظواهر الأعمال العجيبة كان الأنسب في الحكمة أن تكون معجزة موسى في دعوتهم من الأعمال العجيبة ما يعرفون أنها ليست من نتائج الفنون ولا مرتبطة بنواميس العلم بل هي خارجة عن حد القوة البشرية.

ولما كان أهل سوريا ونزلاؤها والقويبون منها والمرتبطون بها في عصر المسيح راقين في علم الطب ومتقدمين فيه بحيث يميزون المقدور الداخل في شؤون الطب وما هو خارج عن حدوده وحدود القوة البشرية فلأجل ذلك جاءت معجزات المسيح بإبراء الأعمى والأبرص وإحياء الميت في الحال بقول وعمل خارج عن قانون الأسباب العادية والأعمال البشرية. وغير خفي أن العرب في عصر رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله) وما قبله قد كانت معارفهم نوعا منحصرة بفنون لغتهم وشؤون كلامهم في الفصاحة والبلاغة وجودة البيان.

وقد برعوا بذلك ولعا لم تتمح رسومه على مرور القرون وقد زاد ولعهم بذلك وتقدموا فيه في ذلك العصر تقدما باهرا حتى صار ذلك عنوان فخرهم ومعارفهم ومفاخرتهم يعقدون له المواسم والمحافل وميادين المسابقة فيه وحتى صار لهجتهم في البدو والحضر حتى رقت بينهم هذه الصناعة إلى أرج نجدها وزهت بأجمل مظاهرها وأحاطوا بأطرافها ومقدورها ولم يكن لهم في غير ذلك من معارف الدنيا تقدم ولا معرفة بحدودها ولا ما يرتبط بنواميس علمها فكان أنسب شئ لهم من المعجز وأوفق بحكمته هو القرآن الكريم كما سيأتي بيانه إن شاء الله في محله ولو كان المعجز العام لهم غير القرآن من الأعمال العجيبة لخيل لهم جهلهم النوعي بالعلوم والصنايع وخلو بلادهم وجنسهم منها أن ذلك من نتائج علوم الرومانيين واليونان والفرس وصنايعهم البديعة أو من أسرار سحر المصريين والكهان لا من الله ولا خارجا عن حدود قوة البشر. وسيأتي إن شاء الله في محله بيان الألطاف العظيمة والحكم الكبرى في كون الاعجاز العام لرسول الله بالقرآن الكريم الجامع لوجوه كثيرة من الاعجاز.

عمانوئيل: بقيت كلمة. هل يمكن أن يكون المعجز بحسب حال الشخص الذي يظهر على يده خارقا للعادة وخارجا عن حدود القوة البشرية ولكنه يمكن أن يكون بعد ذلك عاديا أو يحصل مثله بإتقان العلوم وبذل الجهد في الزمان الطويل في التعلم والرقي في الاكتشافات.

الشيخ: نعم كما إذا تكلم الصبي ابن شهر أو شهرين بكلام فصيح ذي فائدة وحكمة وبيان معقول. وكما إذا أمر رجل يده على عين إنسان فصار موقتا يرى بواطن الجسم كما تعمله أشعة رونتجين. إلى غير ذلك من الأمثال فإن المعجز ما يعرف أنه بذاته وخصوصياته خارج عن النواميس العلمية وأسباب الصناعة وحدود القوة البشرية ومجاري العادة فيعرف أنه من الله لحكمة خصوصية وفائدة تختص به. رمزي: أرى الشيخ وعمانوئيل يتكلمان على حريتهما من دون أن يعارضهما الدكتور في مجرى البحث. الدكتور: بعد البناء على أمر الإلهية يكون هذا الكلام كله جاريا على جادة التحقيق وإيضاح الحقيقة.

في ماهية النفس وإمكان بقائها بعد الموت

رمزي: إن الأديان المعروفة قد اتفقت على بقاء النفس بعد الموت والماديون بحسب آرائهم في ماهية النفس يرون بقاءها بعد الموت من الممتنعات.

ومن آراء الماديين ينتج وهن النبوات بسبب اتفاق دعواتها على أمر غير معقول. الشيخ: ما تقول أنت يا دكتور في هذا الموضوع فهل توافق الماديين على آرائهم على أهل الأديان ونبواتها باعتراضهم. الدكتور: يا شيخ أما بقاء النفس بعد الموت فإني طالما أجلت فكري في ميداني ونقدت الآراء المتشعبة فيه فوجدت اللائق بمن لا يعترف بالنبوات والأديان أن يقف على قوله: (لا أدري) لا أدري ما هي حقيقة النفس وما هي هذه الفتاة المحتجبة عن فكر البشر هذه الغادة التي لا تكاد أن ترفع حجابها للفلسفة الطبيعة وربما كان المشهور عن تجارب أهل المذهب الروحاني المنتشر كما أسمع منه ضجة ودويا بأن النفس تثبت وجودها بعد الموت ولكني لم أحصل من مجرد ذلك على مقنع لي في الاعتقاد. ومهما أتفلسف في ماهية النفس فإنه لا يغيب عن وجداني وشعوري قصور مداركي عن الوصول إلى حقيقة النفس وماهيتها. وكما تقصر المدارك عن الوصول إلى كثير من الحقائق هل يغيب عن شعوري اضطراب المدارك والأفكار ووقوفها عن الوصول إلى حقيقة الكهربائية والنور.

هاتان الحقيقتان اللتان أضاء العالم ببهجة أفعالهما وهما محتجبان في ستر الخفاء. لا أدري هل الكهربائية مرتبطة في المبدأ بالمادة وتحدث من انحلالها؟

أم هي مباينة للمادة وعبارة عن سيالين متكافئين في المادة تهيج بخروجها عن التكافؤ وتتوغ بعودهما إليه أم هي سيال واحد يتوازن في المادة وباختلاف الموازنة تهيج وبعود الموازنة تتوغ. كيف يختل التوازن والتكافؤ؟ وأين يذهب ما يختلان بنقصه وأين تذهب القوة عند التوغ؟ هل تنعدم أن تبقى؟ وكيف تنتقل من مادة إلى مادة وأين محلها فيما تنتقل إليه؟ أم هي أمر وراء هذه الآراء والتخمينات ووراء معرفتها أم ليس لنا سبيل إلى معرفة حقيقتها أم يضمن لنا المستقبل إيضاحها..

وهل النور مادة أو ذرات تنتشر من الجسم المنير أم هو حاسة يحدثها نقر تموج الأثير على عصب البصر وما هو شأن الحل الطيفي مع هذين؟ ولماذا ينفذ نور رونتجين من بعض الأجسام الكثيفة ولماذا لا ينكسر. ولماذا ينكسر غيره ولا ينفذ إلا من الجسم الشفاف؟

لا يغيب عن شعوري ووجداني أن الحواس المجردة لا تصل إلى رؤية المكروبات وأمثالها ولا إلى رؤية نبطون وبعض الأقمار ولا إلى سماع صوت الانسان المتكلم من مسافة عشرة أميال وأكثر أليس الوصول إلى ذلك من كرامة النظارات المكبرة والمقربة والتلفون اللاسلكي...

يا شيخ لا يصح في شرف العلم والانسانية أن أحكم في النفس بأنها تبقى بعد الموت أو لا تبقى. ماذا عرف من حقيقتها لكي يحكم عليها بحكم طبيعياتها.

لكن يا شيخ إن صح أمر الإلهية والنبوات أمكن أن يكون إخبارها بمنزلة النظارات المكبرة والمقربة لمداركنا ما يخفى عليها. إلا أنه لا يقبل منها ما يبتني على أمر غير معقول. رمزي: هل تسمحون بأن أذكر الكلمات التي جمعتها نزعة واحدة

من الغرب والشرق في كتاب والمقولة في ماهية النفس وشأن بقائها بعد الموت وعدمه. لكي يتجلى الأمر فيها باحتكاك الآراء في هذا المجمع السعيد. أقولها كأنها كلماتي ولا مساس لها بما في ضميري. الحاضرون: قل كلماتك يا رمزي بكل حرية.

الماديات والحقائق الروحية والتعليل

رمزي: إن الماديات مع كونها محسوسة لم تضمن لنا ماديتها عصمة العقول عن الخطأ في تعليلها وتفسيرها فقد مضت أجيال والناس مجموعون على أن الشمس تدور حول الأرض مع أن الأيام أوضحت فساد هذا الاعتقاد فما حال قولنا في الحقائق الروحية التي لا سبيل لنا لإدراكها سوى الحدس والافتراض فالحقائق الروحية التي اكتشفها البشر إلى يومنا هذا ليس سوى بنات التعليل التي لم يقم على إثباتها دليل حسي ولم تكتسب صفة الحقائق الراهنة إلا لإحجام العقول وعجزها عن تعليل ينافيه فلان كان الأمر كذلك فمن ذا الذي يضمن لنا أننا لا نخبط فيها خبط عشواء في ليلة ظلماء. عمانوئيل. أراك أخذت هذا الكلام من زمزمة جديدة قد أباحت

1 ـ في كتاب ماهية النفس المطبوع في بغداد سنة 1922 م. (*)

بتلويحاتها الصدور وأظنك لا تدري بغرضها ومرماها. هل تدري بأن أول غرض يرمونه بهذا الكلام هي مسألة الإلهية. دع هذا ولكن لنخض معك في كلامك. لماذا لا تدري أن الصواب والخطأ، والعلم والجهل المركب والاستقامة والخبط لا تأتي من ناحية الحقيقة وكونها مادية كبرة أو صغرة أو حقيقة روحية وإنما تأتي تلك الأمور من ناحية الادراك وجهات الاستعداد وقصوره ومعرفة موازنيته والجهل بها ومعرفة حدوده والجهل بها وتدخل الأحوال المقارنة في إثارة غبار الأوهام دون الحقائق حسبما يسنح لها. وقد أشير إلى شئ من ذلك وأمثاله في كتاب أنوار الهدى [1] وتريدك ههنا شيئا من الأمثال يشمخ الجبل العالي في مكانه وضعيف البصر لا يراه من قرب. وبعض صحاح العيون يحسبونه من البعد غمامة أو دخانا. تراه يخفى إذا حال دونه الغبار والبخار ويظهر إذا صفا الجو وتتجلى مظاهره إذا اكتنفه النور وإن كان البعد في هذه الأحوال واحدا وميزان البصر متحدا..

لا تترك المكروبات بالنظر المجرد ولا بالنظارات المكبرة التي تقصر موازنيتها عن تمثيلها للعيون ولكنك إذا حققت موازنية المكبرة وصلاحيتها لتمثيل هذه الحقيقة واستعملتها حسب ناموسها ترى المكروبات بصفاتها وأوضاعها عالما كبيرا فتعرف وجودها.. لا تترك القوة الكهربائية المحركة بحس أصلا وإنما تترك أعمالها وتعرف مقاديرها بمعرفة موازنية الموصلات كالفضة والنحاس الأحمر والحديد والزيبق ونحوها.

1 ـ المطبوع في النجف الأشرف سنة 1340 هجرية أنظر صحيفة 32 - 34 و 39 و 40. (*)

ماذا تقول فيمن ينكر وجود المكروبات وأمثالها لأن العين المجردة لا تراها وكثير من المكونات لا توصل إلى رؤيتها..

وماذا تقول فيمن ينكر وجود القوة الكهربائية المحركة لأنها بنفسها لا تقع تحت الحواس ويقول في مكابرته إن القوة الكهربائية ليست إلا بنت التعليل من بعض الآثار التي أقول وأقول إنها من أعمال الصدفة ليس هناك قوة! ألا تنوي بأن التعليل هو روح العلوم وأساس قواعدها وأن أمهات العلوم وقوانينها ليست إلا بنات العليل. يحس الانسان بشئ طفيف من المحسوسات المماثلة في جهة فيهديه تعليل العقل الفطري المنزه إلى العلة الكلية المعقولة فيجعلها دعامة من دعائم العلم وقانونا من قوانين الفن..

يرى الانسان يسيرا من الخطوط المتوازية لا تتلاقى فيما يصل إليه من الابعاد فيحكم حكما قطعيا بأن كل متوازيين لا يلتقيان وإن خرجا إلى غير النهاية.

متى أحس جميع الناس بهذا الناموس لكل المتوازيات مع أنهم لم يحصوا من المتوازيات إلا بنسبة واحد إلى ما يتعذر عده منها ومتى وصل حسهم باختبار المتوازيات إلى مائة ألف فرسخ فمن أي حس حكموا عليها بأنها لا تتلاقى حتى لو خرجت إلى غير النهاية.

هب أن الانسان يحس بألف ألف من العدسيات المزدوجة التحديب ومثلها من المزدوجة التقعير ويرى لكل صنف منها آثارا متماثلة من انكسار النور أو جمعه أو انفراجه أو تصغير الشبح أو قلبه ويرى الجمع بين الصنفين يوجب كبر الشبح وقربه فلماذا يحصل من هذا قوانين كلية علمية لكل ما تفرض في العالم من نحو ما ذكرنا من العدسيات؟ أليس ذلك من تنبه العقل الفطري إلى التعليل الطبيعي. هذا هو الناموس السائد والجاري في العلم التجريبي وقوانين العلوم البصريات والسمعيات وسائر الطبيعيات بل كل قوانين العلوم فإنها بأجمعها ليست إلا بنات التعليل. لا تتوهم أنها من بنات الاستقراء والتتبع الحسي! فإن بنات الاستقراء لو جرى التتبع لأكثر الأفراد لا تكون إلا عموما ظنيا مرتعشا. ومن ذلك حكمهم الاستقرائي الظني الواهي بأن كل حيوان ذي أذن فإنه يتناسل بالولادة.

وكل حيوان ذي صماخ فإنه يتناسل بالبيض. وقفوا بذلك على الظن المتزلزل لأن العقل لم يجد فيه للتعليل سبيلا. ومهما بلغ التتبع والاستقراء باكثرة لم تصلح نتيجته لأن تدرج في قوانين العلوم ولا لأن يبنى عليها علم لكونها معرضا لظهور الخلاف كما ظهر خلاف ذلك في بعض الحيوانات الثديية في استراليا فإنها تلد وتبيض.

هذه بنات الاستقراء والحس المجرد. أما بنات التعليل أعني العلميات المحكمة القيمة فإنها تكفي فيها مشاهدة أفراد يسيرة تنبه العقل إلى التعليل الطبيعي والملازمة البينة فيجري الحكم القطعي العام لكل فرد يفرض وجوده في العالم. يروى أن رجلا فلمنكيا جمع اتفاقا بين عدسية مزدوجة التحديب وبين أخرى مزدوجة التقعير فنظر فيهما فرأى الشيخ كبيرا قريبا فحبب والده ذلك مرارا يسيرة فاهتدى بعقله الفطري إلى التعليل الطبيعي إجمالا فاخترع النظارة المكبرة والمقربة (التلسكوب) وصار قانونها علميا فليست قوانين (التلسكوب) إلا بنات التعليل. ليست الكرامة في هذه الأمور للحس وإنما الكرامة للتعليل الذي يثبته

العقل الفطري ولو من إثارة الحس وتنبيهه أحيانا. وقد أشير إلى شئ من ذلك أيضا في كتاب أنوار الهدى صحيفة 3.

الآراء المادية في النفس ونقدها

رمزي. النفس روح لا حس لها ولا تأثير إلا إذا اتحدت بالمادة فكيانها بالمادة وللمادة وجدت فكيف يمكن بقاؤها بعد انفصالها من البدن.

عمانوئيل. هل أنت باحث يا رمزي أو جالس على كرسي الافتاء؟ من أين لك أن النفس لا حس لها ولا تأثير إلا إذا اتحدت بالمادة؟

ومن أين لك أن كيانها إنما هو بالمادة. ومن أين لك أنها للمادة وجدت لا لأجل غاية أخرى أيضا؟ فهل يخضع البحث والحقيقة لهذه الفتاوى المجردة من كل روح علمي؟

أما ترى أن الذي يدل عليه الحس والوجدان هو أنه لا حس للمادي ولا تأثر إرادي إلا إذا اتحد بالنفس.

وأما حس النفس وتأثرها إذا فارقت المادة فهو محل البحث واختلاف الآراء ولا سبيل إلى نفيه بالفتوى المجردة التي تقدسها الأهواء. لا يقول (إن كيان النفس بالمادة) إلا من تجلت له حقيقة النفس بأجلى ظهور يعرف منه أنه لا يمكن لها الكيان إلا بالمادة ومع ذلك فإنه لا يصح أن يقابل خصومه في ذلك إلا مع إقامة الأدلة الكافية المقنعة.

ولا يقول إنها للمادة وجدت لا لغاية أخرى إلا من بيده أمر وجودها وإيجادها وعايته. أو له الإشراف التام على ذلك. فكيف تقبل في ذلك الفتاوى التي يشمئز ويخجل منها العلم وشرف الانسانية.

رمزي: لم يشعر بوجود النفس قبل اتحادها بالمادة وبعد مفارقتها. ما من نفس شعرت بكيانها قبل أن تلبس المادة وما من نفس أثبتت وجودها وشعورها بعد أن خلعت عنها ثوب المادة. فليس لنا برهان حسبي على أزليتك يا نفس.

عمانوئيل: ليس في الدين الصحيح تعليم بأزلية النفس ولا يبتني بقاؤها بعد الموت على أزليتها.

ليس الأولي الأبدي إلا واجب الوجود خالق النفس والعالم. إنما تعليم الدين ببقاء النفس بمشيئة خالقها.

من ذا وماذا أوجب على الحقيقة أن تثبت وجودها في جميع أحوالها لكل أحد. أو تثبت وجودها بنحو مخصوص بحسب الاقتراح كم من حقيقة لم تثبت وجودها لعامة الناس إلا بنقل الخواص بحسب استعدادهم للوصول إليها فلماذا لا يكفي في إثبات وجود النفس بعد الموت إخبار النبوات بذلك.

النبوات التي هي الاخصائية والمرجع في إثبات ما وراء الحس بسبب اختصاصها برصد الوحي الإلهي. أي هوى وبئ لوى العقول عن هذه الحقيقة حتى قوبلت بالجحود المفرط ولم يسمح لها من أنباء الوحي بها أن تكون من مطارح الشك أقلا.

كم من افتراض ليس عليه دليل لا حسي ولا عقلي قد صفق العالم المتمدن في قبوله قبول الحقائق المحسوسة أو التي ينادي

بها الدليل العلمي الجلي.

متى أثبت الأثير وجوده وزوابعه وبأي شئ أثبته؟ متى أثبتت الجواهر الفردة وجودها وزوابعها؟ ومتى تخلص فوضها من قيد الامتناع.

مناجاة الأرواح

ها هو مذهب الروحاني قد ملأ دويه العالم وجرت تجاربه بالكثرة المدهشة وخدمته الجرائد والمجلات وصنفت فيه الكتب. وإنه وإن جرت فيه الشكوك باستعمال الحيل والتمويه في بعض الموارد لكن المشككين قد ألجأتهم التجارب الكثيرة إلى الاعتراف بحقيقته حتى صاروا من المدافعين في حماية حقيقته رغما على مبادئهم.

قد أثبتوا بالحس والتجارب مناجاة الأرواح ومشاهداتها ومشاهدات أعمالها وعجائبها بما يعرفك أن وراء هذه المادة موجود من العالم الروحي قد شاء أن يثبت وجوده وشعوره بوجوده المجرد من هذه المادة. نعم إن بعض حوادثه ومشاهداته قد لا تضمن لك صدق الأرواح المستحضرة في كونها أرواحا بشرية.

بل ربما يحتمل البعض أنها صنف آخر من الأرواح وهو المسمى بالجن. ولكنه مع ذلك يحقق واحدا من أمرين يشتركان في ثبوت الروح العلوية من لباس هذه المادة التي تعنيها في كلامك.

رمزي: يمكن الاتفاق مع النفسيين على وجود النفس على شرط أن تكون اسما لمسمى هو الأفعال الروحية الحاصلة من قيام الجسد بوظائفه.

أما كونها جوهرا خاصا هو علة تلك الأفعال فيستحيل ما لم يكن لهم على ذلك دليل محسوس.

عمانوئيل: ليتك تلتفت وتشعر بمعنى قولك: (الأفعال الروحية) وليتك تلتفت إلى أنه لماذا لا تصدر هذه الأفعال من الحجر والحديد ولماذا لا يقومان بمثل ما يقوم به جسد الحيوان والانسان من الوظائف. هل أنت لا تعرف أنه لا بد من أن تكون لهذه الأفعال علة مختصة بجسد الانسان تنسب إليها هذه الأفعال دون الحجر والحديد؟

هل كل شئ لا يقوم عليه دليل محسوس يوافق أهواءك واقتراحك يكون مستحيلا؟ لماذا يستحيل أن تكون النفس جوهرا خاصا هو علة أفعال الجسد الحيواني.

هل يستحيل ذلك لمجرد قول القائل في ماهية النفس (أيي رأيي رأينا رأينا) وإذا كان مستحيلا فكيف خضع لقبوله إذا قام عليه دليل محسوس. ومن ذا الذي حصر الدلالة على الحقائق بالدليل المحسوس. هذا الدليل المحسوس هل يجب أن يكون محسوسا لك في وقت صفاء خيالك من افتراضات آرائك ونزعاتك؟

من أين لنا صفاء خيالك وهدو أهوائك؟ وستذكر إن شاء الله شيئا من دلائل الوجدان والمشاهدات على أن النفس جوهر خاص هو علة تلك الأفعال.

رمزي: وظيفة النفس إنما هي إعطاء الحياة وأعني بالحياة الشعور بالوجود والحركة ولما كانت ماهيتها في الجسد من الأمور المعنوية التي لا يعبر عنها بالكلام فيمكننا أن نعبر عنها بظواهر فعلها وتأثيرها ولذا يصح لنا أن نقول إن ماهية النفس في الجسد إنما هي الحرارة المنتشرة فيه تلك الحرارة التي تدفع كل عضو من الأعضاء إلى مباشرة الوظيفة التي خصصتها لها القوة المكونة. جعلت الحرارة من فعل النفس مستندا إلى ما يحل بالجسم من البرودة والإثلاج عند مغادرتها إياه.

هذا لو صح أن تكون برودة الجسم ناشئة من مغادرة النفس ولكن هلا يمكن أن تكون مغادرة النفس حاصلة من وقوف حركة الدم وبرودة الجسم أي أن تكون برودة الجسم سببا لمغادرة النفس لا نتيجتها.

عمانوئيل: من الجدير أن لا أورد على السامع ضحوا بتكرار هذا الكلام لبيان ما فيه لولا أنه مطوع بمساعدة جمعية ومؤلف من تفلسفات متنوعة.

ماذا تقول إذا قال أحد رصفائك في أدبك. ليس كما قلت بل الذي ينبغي أن يعني بالحياة هو الشعور بالمعقولات والأميال والإرادات. أو قال آخر لا ينبغي أن يعني بالحياة إلا شعور الجسد بلذاته وآلامه. أو قال آخر إن الذي يعني بالحياة هو تبادل التغذية والتحليل على الجسد. أو قال آخر إنما هو أعمال الأجهزة الباطنة في تنمية الجسد وحفظه من الفساد العام. فيسيل على فتواك من نحو ذلك سيل الفتاوى الجارف.

وماذا تقول إذا قال لك العلم إن الذي ذكرته أنت ورصفاؤك إنما هو بعض من آثار الحياة ومظاهرها وليتك تستطيع أن تفسر لي بالاستقامة قولك (إن ماهية النفس في الجسد من الأمور المعنوية التي لا يعبر عنها بالكلام). ماذا تريد بقولك (معنوية) هل تريد أنها لا وجود لها بل هي معنى افتراضي؟

من ذا يتفق معك على هذا الوهم. أم تريد أنها ليست من الأمور الظاهرة بحقيقتها للحس لأنها ليست من عالم هذه الماديات ولأجل احتجاب حقيقتها عن الحس لا يمكن لنوع الانسان أن يعبر عنها ويبين حقيقتها بالكلام؟ إذن قد نطقت بالصواب من حيث لا تدري ولا تريد. ولكن لماذا تناقض كلامك وتقذف نفسك في لجة البحث عن ماهيتها فيذهب بك تيارها إلى مهلكة التناقض والتمحلات. إذا كانت ماهية النفس لا يعبر عنها بالكلام والذي يمكن هو التعبير عنها بظواهر فعلها وتأثيرها.

فبأي شعور وبأي طريقة رتبت على ذلك نتيجتك المناقضة وقلت (ولذا يصح أن نقول إن ماهية النفس في الجسد إنما هي الحرارة المنتشرة فيه) إذا كانت الحرارة هي ماهية النفس فكيف تناقض ذلك بقولك (جعلت الحرارة من فعل النفس إلى آخره) وإن كانت الحرارة من فعل النفس وآثارها فكيف تقول إن ماهية النفس هي الحرارة وكيف يصح لك ذلك؟ وليتك تدري ماذا تريد بقولك (هذا لو صح أن تكون برودة الجسم إلى آخره) ويا للأسف كيف يخاض في أمر ماهية النفس بمثل هذا الكلام المتناقض.

تشبيه النفس ومعارضته

رمزي: وتقريبا للأذهان يمكننا أن نشبه ماهية النفس في الجسم بالبخار فإن هيئة الماكينة بمجموعها لا تفترق بشئ عن الأجسام الحيوانية فالبخار نفس للماكينة إذا حصرته فيها وتضحى جسما مائتا إذا انفصلت عنه فالبخار حياة في الماكينة وهو عدم لا قائمة له بذاته إذا انفصل عنها.

عمانوئيل: لماذا تسافل أمر البحث في ماهية النفس إلى مثل هذه التشبيهات؟ تجلي فكرك وننبهك على أن حياة الماكينة بالبخار إنما هي بتحريك المدك من تبادل حركته في الاسطوانة ومن ذلك تسوي الحياة والتحريك إلى باقي الأجزاء ويغادر الاسطوانة معمل الحياة ويجري في مجاريه وهو بخار على كيانه يعمل أعمال البخار إلى أن يصل إلى الفضاء ثم يتحلل بتأثره بالعوامل فلتكن النفس كذلك تغادر الجسد وهي باقية على كيانها ومن أين لك أنها بعد ذلك ينحل كيانها بتأثير العوامل ولو قلت ذلك من فتاويك المجردة لكان غير ما تتفلسف به. لماذا لا تشبه النفس بمدير الماكينة الذي يضرم نارها ويزن بخارها وينظم أعمالها ويصلح أجزاءها ويستخدمها بشعوره لأمياله وأغراضه وبمدير السيارة ومدير السفينة الشراعية. ومدير المركب البخاري. وبالحائك بآلة الحياكة اليدوية.

فإن كان واحد من هؤلاء يستخدم بإرادته وش –؟ آلة أعماله الآلية من هذه المذكورات ثم إذا فسدت أجزاؤها بفساد لم يكن إصلاحه من وظائفه فإنه يغادرها وهو باق على كيانه وإدراكه وأعماله التي لا ترتبط بهذه الآلة. وإنك تجد هؤلاء المديرين المذكورين مع اتحادهم بالنوع الانساني يختلفون في الشعور والعلم والمدارك ويكفي بعضهم من الادراك والعلم ما لا يكفي الآخر ولكل منهم بحسب آلته عمل لا يقدر عليه الآخر ولا يصدر منه. فهذا الاختلاف في أعمال هؤلاء المديرين بحسب أغراضهم واستعدادهم وآلاتهم هل يدل أن الأعمال المذكورة إنما هي من خصائص الآلات المذكورة لا غيرها؟

وأنه ليس للمديرين كيان يبقى بعد مفارقتهم لهذه الآلات ولا صلاحية في ذاتهم للادراك والشعور؟ فالنفوس في أدنى الحيوان وأرقاه وإن كانت واحدة بالجنس أو بالنوع تكون مختلفة بالشعور والادراك والأخلاق والأعمال بحسب اختلافها في النوع أو في الصنف أو الخصائص للشخصية وبحسب استعدادها وآلاتها كما في اختلاف المديرين المذكورين. فلماذا يلزم أن تكون واحدة في جميع الصفات والخصائص كما جرى توهم ذلك في مصادر كلماتك. ترى المديرين المذكورين على أتم وفاق مع آلاتهم المذكورة في استخدامها في أعمالهم ما دامت سلامتها الطبيعية. يحفظون بقاء سلامتها بالمسح والدهن وإماطة الأذى ونحو ذلك مما تحتاج في حفظ بقائها على صحتها حسبما يدخل تحت قدرتهم فإذا خرجت عن نظامها الطبيعي وصلاحيتها للعمل ولم يكن إصلاحها من وظيفتهم ومقدورهم فارقوها وهم على كيانهم وإدراكهم وأعمالهم اللائقة بذاتهم ولا يقال إن كيان هؤلاء وشعورهم وبقاء ذواتهم تابع لسلامة آلاتهم.

فلماذا لا يكون مثال النفس مع الجسد مثال المدير مع آلته. ولماذا يتوهم خلافه ويجعل هذا الوهم الخرافي دليلا في المكاتبات ويتقلب بهذا الوهم والتحكم الفارغ في عدة صحائف. لا تخفى الرابطة في الاستعمال بين المديرين المذكورين وآلاتهم ما دامت على نظامها الطبيعي. إذن فمن هو الذي يبدأ بالانفصال عند فسادها. وكلما تقول ههنا على الاستقامة في

الشعور نقوله في انفصال النفس عن الجسد عند الموت.

رمزي:رأينا فيما سبق أن وظيفة النفس قائمة من جهة بإعطاء الحياة والحركة وتلك الحركة موجودتان في جسد الحيوان وجسد الانسان على السواء فأين الفرق بين نفسيهما.

عمانوئيل: ووظيفة المديرين للآلات المذكورة قائمة من جهة بإعطاء الحياة العملية والحركة وتلك الحياة وتلك الحركة موجودتان في السفينة البسيطة بيد المدير الذي لا يحسن ولا يعرف إلا إدارة السكان وجذب الشراع وإرخائه.

وموجودتان أيضا في المركب البخاري البحري المجهز بآلة الضياء الكهربائي والتلغراف اللاسلكي والآلات المعرفة للأوقات والجهات ومديره عالم طبيعي جغرافي فلكي يستعمل جميع أجهزة المركب بعلم وسمو إدراك. فالفرق بين نفس الحيوان ونفس الانسان هو الفرق بين المديرين المذكورين. والمشاهدة والوجدان شاهدان على أن قول القائل (فأين الفرق بين نفسيهما) من الكلام الساقط. كما يحتاج الحيوان إلى الغذاء الأكل والشرب ترى المركب البخاري يحتاج إلى دهن يحفظ أجزاءه الجديدية من صدمة الاحتكاك بالحركة ويحتاج إلى ماء ونار لقوة التحريك. فهل يتوهم ذو رشد بأن مدير المركب يستفيد في كيانه وغذائه بتغذي المركب بالدهن والماء والنار بواسطة ارتباطه مع المركب بالمديرية والاستعمال؟ فمن الشطط أن ينسب إلى القائلين ببقاء النفس إنها تستفيد من الأكل والشرب في كيانها وينتقل ذلك إليها بواسطة الرابطة بينها وبين الجسد ثم يعترض عليهم ويقال: (إما أنه يستحيل وجود رابطة بين عنصرين متضادين متنافرين نقيضين كالروح والمادة).

ولماذا يتعب القلم والطابع في الوهم بتسويد عدة صحائف يا رمزي من أين جئت بهذه الاستحالة التي تدعيها هذه القوى المجردة التي لهج بها مصدر كلماتك. ما هو التضاد. وما هو تضاد الروح والمادة. ومن أية جهة يتضادان. وكيف يستحيل وجود رابطة بينهما. وما هي الرابطة المستحيلة.

وما هو التنافر بينهما بحيث يستحيل وجود رابطة بينهما بوجه من الوجوه. وما هو التناقض وكيف تتناقض الروح والمادة ومن أي جهة يتناقضان؟ هل أنت جسد بغير نفس وروح ترتبط به أم أنت روح ونفس بغير جسد يرتبط بها؟ لماذا نسيت قولك صحيفة 493 سطر 20 و 21 إن ماهية النفس من الأمور المعنوية التي لا يعبر عنها بالكلام ولماذا نسيت قولك في أول كلامك في النفس إن الحقائق الروحية لا سبيل إلى إدراكها وليس لك من يضمن أن لا تخبط فيها خبط عشواء. إذن فلماذا ناقضت كلامك وتقحمت في لجة البحث عن حقيقة النفس والروح تقحما ليس فيه إلا الخبط والفتوى المجردة والتحكم.

رمزي: لو كان من مزايا النفس إعطاء الحياة لبقيت المخلوقات الحية تتمتع بفعل الحياة ولو بغير أكل وشرب وإذا كان ذلك من المستحيلات فقد وصلنا قسرا إلى نتيجة غريبة وهي أن الحياة ودوامها من بواعث المادة لا من بواعث النفس.

ما هذا التناقض

عمانوئيل: يا للعجب من عدم المبالاة بالتقلب في التناقض إنك قلت فيما تقدم إن وظيفة النفس إنما هي إعطاء الحياة. وإن وظيفة النفس قائمة من جهة بإعطاء الحياة. فكيف الآن تنكر كون إعطاء الحياة من مزايا النفس أم تريد أن تشير إلى التناقض الذي في مصدر كلماتك [1] أما أن التناقض مثل الفتاوى الفارغة والتشبثات السخيفة.

فكم ذا تشير. ولماذا لم ينقدح في فكرك عند كلامك هذا أنه قد قدرت حياة المخلوقات بصلاحيتها للتغذي في حركة النمو والتحليل بتدبير النفس فإذا اقتضى التقدير سقوطها عن هذه الصلاحية فارقتها النفس والحياة التي هي من أعمالها. فمن أين يلزم أن تكون الحياة من مبعوثات المادة لا من مبعوثات النفس وهل يوصل إلى نتيجتك إلا بالطفرة في تقهقر الشعور والأدب.

كلام العلماء النفسيين – وغرضهم منه

رمزي: إذا سألنا العلماء النفسيين عن ماهية النفس قالوا بالحرف الواحد: (إنها قوة أودعها الله في الانسان ليكون بها وجدانه وتفكره وإرادته) أما قولهم إن النفس هي قوة الاحساس والتفكير والإرادة فلست أعلم أنهم يقصدون كون هذه القوة هي مزية خاصة بالنفس أم أنها مشتركة بينها وبين الجسد. أما كونها مزية خاصة بالنفس وحدها فهذا محضر خلط وهذيان وذلك لأننا نشاهد أن مفعول هذه القوة يبطل عند حصول خلل في الأجزاء الجسمية، وأما كونها مشتركة بين النفس والجسد فهذا كلام مجمل يحتاج إلى الايضاح. عمانوئيل. لتفهم أولا أن غرضهم في كتب علم النفس هو البحث عما يخص الانسان ولأجل ذلك اختصت إشارتهم في مقام التعريف الرسمي بنفس الانسان وأشاروا إليها ببعض خواصها مما يدخل في

---

1 ـ كل ما هو مذكور في مكالمات رمزي في النفس مأخذه الكتاب الطبوع في بغداد سنة 1922 م إلا قليلا مما بعد. (*)

غرضهم معرضين عن خطر التقحم في لجة البحث عن حقيقتها بحدودها تمسكا بفضيلة معرفتهم بحدود إدراك النوع البشري وصدا لجماح الجهل المركب من أن يتقحم في هذا الغمر الهائل. كالطبيعي الذي يعرف القوة الكهربائية ببعض أعمالها حيادا عن التقحم في البحث عن حقيقتها التي اعترتك فيها الآراء. ولأجل سهولة التعبير قالوا في تعريفها ما ذكرته. قالوا ذلك إشعارا بمحل بحثهم في أثرها وأعمالها في الهيكل الانساني متغاضين عما يعترضهم من النزاع عن دعوى أن النفس لا يستقل وجودها عن المادة ولا يكون لها عمل وأثر بغير المادة. وإن أردت بيان مقصودهم في خصائص النفس فإنهم يقولون إنا إذا نظرنا إلى النوع الانساني نظر بصيرة وتحقيق وجدنا لنفسه من الخصائص قسمين ممتازين. أما القسم الأول: فهي خصائص وأعمال آلية تستخدم بها الجسد التي هي مرتبطة به هذا الارتباط الأكيد المشاهد.

وليكن منها الاحساس والتفكير والوجدان فهذه الخصائص من حيث المصدر هي خصائص النفس لأنها تدور حول النفس وارتباطها بالجسد ويقف ظهورها نحوا ما باحتجابها بالنوم أو الإغماء فضلا عن الموت. نعم بما أن هذه الخصائص آلية فإن ظهور آثارها للوجود يتوقف على استعمال الآلة وصلاحيتها كتوقف عمل النجار على آلاته الصالحة. أنظر إذا بطلت أعمال النجار عند حصول الخلل في الله وانقطاع رابطته بها فهل يقول مستقيم إن صناعة النجارة ومزيتها وإرادتها هي للآلة وليس للنجار مزية ولا خاصة أو يقول هي مشتركة بينها وبين النجار بحيث يقول: إن النجار يفقد مزية الصناعة وملكتها إذا لم يظهر مفعولها عند اختلال الآلة! لا تحسب أنا نريد الاقناع فيما مضى وههنا بالتمثيل بل إنا يكفينا من الأدلة ما يأتي.

النفس تثبت مزيتها واستقلالها في بعض أعمالها

وأما القسم الثاني: فهي خصائص نجدها لا تدور حول آلية الجسد وكثيرا ما لا يكون لها أدنى مساس. نجد في الانسان مدركا جازما حاكما بالقطع واليقين بأن الفعل لا بد له من فاعل والأثر لا بد له من مؤثر والحادث لا بد له من علة والنقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان والضدين لا يجتمعان وكل زوج ينقسم بمتساويين وكل فرد لا ينقسم بمتساويين إلى غير ذلك من القوانين الحسابية والهندسية. يعلل الموجودات الحادثة ويسير في تعليله ويميز العلة عن اللازم المقارن.

يدرك القوة التي لا تحس إلا آثارها ويحكم بوجودها ويعلل بها تلك الآثار. يحكم بهذه الأحكام اليقينية الكلية الجارية بتيار عمومها إلى حيث لا يحد مجراها في المصاديق. يدرك القوانين الكلية والقواعد العامة التي بها أسس العلوم وبنيت صروحها وأقيمت دعائمها تلك القوانين والقواعد المشرق يقينها والمطرد تيار عمومها والتي تعرفك هي والشعور المستقيم أنها ليست بنات الحس والحواس وليست إلا بنات النفس والواسطة بنات التعليل العام الذي هو من خصائص النفس. رمزي: إن كثيرا من هذه القوانين العامة تحتاج إلى التجربة والحس فليست من خصائص النفس.

عمانوئيل: نذكرك أولا بأنا قد بينا لك على أول كلامك في النفس أن أتقن قضية استقرائية جرى فيها التتبع لغالب الأفراد لا

تحظى إلا بالظن الذي كثيرا ما ينكشف فيه الخلاف كما في بعض حيوانات استراليا فلا يفوز عموم في قانون باليقين إلا باستقلال النفس وامتيازها بادراكه وإدراك تعليله.

ولما كانت النفس محجوبة عن مزيتها بكثافة المادة بقدر ارتباطها وعلاقها بماديتها صارت تستطيع إلى ما يحجب عنها (وهي القوانين التي تشير إليها) من خلال ذلك الحجاب من ناحية الحواس التي هي آلة لأعمال مزيتها فيكون الاحساس والتجربة بقليل من الأفراد بمنزلة التجسس على المطلوب من خلال الحجاب وتكون الحواس بمنزلة النوافذ من الحجاب تعبر النفس منها بالتحسس إلى إدراكاتها وتعليلها وعموماتها ويقينها ومزاياها الخاصة بها. فليست الحواس هي الآلة لتلك الادراكات والقوانين اليقينية بل إنما هي معبر للنفس إليها. وننبهك ثانيا أنه يكفيك في إثبات النفس لمزيتها واستقلالها قانون واحد تستقل بإدراكه من دون مداخلة لحس أو تجربة فكيف ولها من ذلك قوانين وإدراكات وأحكام يقينية كثيرة. وأيضا ترى النفس في حال ارتباطها بالبدن واتحادها به وإدارة شؤونه في حياته ونموه وحواسه وحاجياته يكون لها جهتان تتغالب آثارهما. جهة جسمانية وشهوانية وغضبية ينبعث منها حجاب الجهل والنزوع إلى الشخصيات.

وجهة روحانية عقلية تشع بالشعور والادراك وترى النوعيات والحقائق الصالحة. فترى من نتائج ذلك التغالب لأعمالها أقساما: (منها) ما يقوم بآلية الجسد أي بالحواس الظاهرة والباطنة فتراه يقوى بقوة الآلة الجسدية ويضعف بضعفها ويأخذ بالضعف نوعا بعد سن الوقوف وذلك كالإحساسات الجزئية والحفظ والتذكير. (ومنها) ما تستقل به النفس وتدافع به الحجاب فهو يقوى بعد سن الوقوف وتخلخل الحجاب المادي ويكون حينئذ أدق وأتقن وأكمل وأوصل إلى الحقائق وذلك كالتعليل وإدراك القوانين العامة أمهات العلم وأساس التعليم والتعلم. (ومنها) ما يحتاج في مدافعة الحجاب إلى التجربة والتفكير فإنه من حيث الاحساس والتجربة يتبع الآلة وضعفها كالقسم المذكور أولا ومن حيث التعليل والوصول إلى الحقائق يجري على ناموس القسم المذكور ثانيا.

إرادة النفس ونزعاتها

وإما الإرادة فمنشأها هو توجه النفس إلى مطلوباتها أما من حيث نزعتها الروحية وأما من حيث نزعتها المتولدة من اتحادها بالجسد وبالحري أن نسميها النزعة الجسمانية ثم ينمو ذلك التوجه بحسب الدواعي والاستحسانات والمدافعات من النزعتين الجسمانية والروحانية إلى أن يبلغ الإرادة الفعالة فتحرك النفس آلاتها وتعمل أعمالها.

ولأجل صرف النفس بالاختيار عن نزعتها الجسمانية وما ينشأ من التمادي على ذلك من الألفة وسهولة الانقياد للشهوات والأهواء المردية والملكات الردية نهض الرسل وأمناء الوحي عن أمر الله ووحيه بالتبليغ والدعوة إلى الصلاح والكمال والسعادة بالتعليم والبيان والنصح والوعد والوعيد والتبشير والانذار والتوبية الروحية وتعليم الأخلاق الفاضلة والترغيب إلى الملكات الراقية ونيل السعادة العظمى.

واتبعهم على ذلك العلماء العالمون كل ذلك ليستلفتوا النفس إلى الحقائق الروحية لتكون هي الناهضة بالأعمال والمتقدمة

على الزعة الجسمانية.ولأجل تنشيطها على مدافعة الحجاب الجسماني الجهلي وكسر عادية غلبه والتنبيه من عطلة جهله دونت العلوم وأسس التعليم ونظمت بعض قوانينه نجي كتب علم النفس. قد شرحنا لك بعض ذلك لنصدك عما تقوله اتباعا لمصادر كلماتك. هل يحسن منك أن تقول: إن مقطوع الرجلين أو مشلولهما من الحقوين ليس فيه نفس تدرك المشي وخصائصه ومداخلته في حاجياتها الجسمانية. هل يسعك إلا أن تقول: إن النفس التي كانت تريد المشي وتحرك له الأعضاء هي موجودة ولكن فساد الآلة أوقف أعمالها الآلية.

الرجل العالم المهذب تمر عليه وهو ساكت فلا تدري ما لنفسه الكريمة من العلوم والإدراكات والملكات الراقية فهل يسوغ لك أن تقول ليس له علم ولا ملكة؟ ألست تدري بأن خصائص النفس لا تظهر للحس إلا إذا ظهرت مظاهرها على الجسد وكان الجسد صالحا لأن تظهر عليه ولم يعرض عليه ما يحجبه عن النفس وتأثراتها فإذا خرج الجسد عن هذه الصلاحية لم يصح لذي شعور أن يقول: إن جميع خصائص النفس إنما هي خصائص جسدية وإن النفس بنت المادة.

رمزي: لو كانت النفس عنصرا مستقلا هو علة الاحساس والحياة لأخلد الانسان ولم يمت وماذا يهمها صلاح الجسد وفساده لو كانت مستقلة بمزيتها.

عمانوئيل: لو كان أمر النفس بيدها وهي حرة في اختيارها لما كان لك عليها السؤال فيما يهمها ولا يهمها. هي وما تشاء في اختيار من تقترن به في الارتباط ومن ذا الذي يمنعها من أن تشترط في تعليلها للحياة سلامة الجسد وأهليته أم هل كنت ضامنا أن لا تغلبها علة الموت فتطردها عن قرينها وتبطل تعليلها لحياته؟.

وأما إذا كانت مخلوقة قد قدر تعليلها لحياة بتقدير إلهي فما أنت وهذا السؤال. بل ما أنت وهذا السؤال. لو كان تعليلها للحياة محدودا بحد طبيعي. وماذا يمنع من أن تكون لها مزية تستقل بها ومزية آلية تدور حول صلاح الجسد.

أعمال النفس تثبت وجودها المستقل ومزيتها الخاصة

1 – من ذلك زيادة على ما تقدم أن النفس تدرك ذاتها ومن الواضح أنها لا تقع تحت الحواس والآلات الجسمانية مطلقا.

2 – تدرك إدراكها الآلي والاستقلالي ومن الواضح أن ذات الادراك لا يقع تحت الحواس والآلات الجسمانية.

إدراكها ما ينقسم وما لا ينقسم

3 – نجد أن مبدأ الادراك وفاعله يدرك ما يقبل الانقسام وما لا يقبله. وعليه فلا يكون المدرك فاعل الادراك جزءا من الجسد قابلا للانقسام ولا جواهر فردة متعددة لو أمكن وجود الجوهر الفرد. ولا هباءات ونرات من القوة المتحللة من المادة أو التي تتألف الأجسام من اجتماعها حسب الآراء الحديثة.

ولا جوهرا فردا واحدا من الجسد. ولا هباءة واحدة من قوته. فيتعين أن لا يكون المدرك جسمانيا ولا قوة يتألف منها

الجسم أو ينحل إليه بل لا بد من أن يكون روحيا منزها عن هذه الجسمانية ولوازمها. أما أنه لا يعقل أن يكون المدرك عل الاطلاق جزءا من الجسد يقبل الانقسام فلانا نجد أن المدرك يدرك الحقائق البسيطة التي لا تقبل الانقسام كالواحدة وذات الاطلاق والمعقولات الوحدانية وفي مقدمتها العلة الأولى واجب الوجود بماله من الوحدة من كل جهة جل شأنه.

ويفترض في تصوره الجوهر الفرد وهباءة القوة والنقطة التي لا تنقسم. ومن البديهي أن ما لا ينقسم لا يمكن أن يرتبط بالارتسام ونحوه بمجموع ما ينقسم. فإن افتراض هذا الارتباط يستلزم أن ما لا ينقسم يكون منقسما على أجزاء ما ينقسم وهذا خلف بديهي البطلان. ولا يرتبط بكل واحد من الأجزاء التي لا تتجزأ من الجسد وذلك لما مر مبينا من أنه لا يمكن وجود الجزء الذي لا يتجزأ من الجسم وإنما هو افتراض موهوم. وزيادة على ذلك إن هذا الفرض يستلزم تعدد الادراكات بتعدد الأجزاء المفروضة وتعدد الارتباطات بها فيكون المعلوم الواحد معلومات متعددة وهو باطل بالبداهة والوجدان.

لا يمكن أن تدعي أن هذه الادراكات من الأجزاء تتوحد بمدرك واحد يجمعها ويوحدها وهو وراء الدماغ وخلاياه وتلافيفه كما يفعل ذلك مجمع العصب البصري: فإنا نقول لك إن هذا الموحد للإدراكات إن كان روحيا فقد ثبت مطلوبنا وإن كان جسمانيا سألناك أيضا هل يقبل القسمة أو لا يقبلها فإن قلت يقبل القسمة عاد كلامنا بأن ما لا ينقسم لا يمكن أن يرتبط بالارتسام ونحوه بمجموع ما ينقسم إلى آخر ما قلناه وتتبعك بذلك مهما كررت في كلامك وافتراضاتك.

وأما أنها لا يمكن أن يكون المدرك فاعل الادراك جزءا واحدا جسمانيا لا يقبل القسمة ولا يتجزأ أو هباءة واحدة لو أمكن وجود الجزء الذي لا يتجزأ. فلانا نجد أنا ندرك المركبات المقدارية بطولها وعرضها وعمقها ندركها شيئا واحدا دفعة واحدة بإدراك واحد. ومن البديهي أن المركب المقداري والقابل للانقسام إلى أجزاء كثيرة لا يمكن أن يرتبط جميع أجزائه بالارتسام ونحوه دفعة واحدة بجزء لا ينقسم لو أمكن فرضه.

دود الحرير وأعمال النفس فيه

4 – هذه المشاهدات في الأدوار المستورة لدود القز والحرير في نشأته وأطواره ومواليده تعرفنا كيف تغادر نفسه جسده وتتركه فاقد الحياة قد استولت على عامة أعضائه آثار الموت وتغيرات الفناء كالجمود والتقلص والذبول المشوه والمعدم للصورة فيظهر عليه ذلك بأجلى مظاهر الموت زمانا ثم تعود النفس إليه ليعود حيوانا حيا طويا قويا ذا هيئة جميلة يفعل الأفعال العجيبة ويخلف نسلا تجري به نفسه على نواميسه السالفة يكون حبا أصفر ثم يسود ثم يكون في أول آذار دودا كالنمل يتغذى بغذاء أسلافه وينمو نمو أسلافه بخلقتهم وأعمالهم ونواميس تطوراتهم ونشأتهم. أما أن مظاهر الذبول والتقلص والتغير وانعدام الصورة تدافع الشك في موته وفي مغادرة النفس له وتجعل الشك في ذلك سفسطة فارغة. وإن جريانه في حياته الثانية على نواميس أسلافه ينادي بأن النفس التي أكسبته الحياة ثانيا هي تلك النفس التي غادرته.

قد استقلت بذاتها ومزاياها زمانا ثم عادت إليه عودة الأم الحنون. رمزي: إن كثيرا من الحيوانات الوحوة كالذباب وأمثاله ربما تعرض عليه العوارض كالبرد ونحوه فيستولي عليها السكون أياما ثم تفيق من دون أن تفارقها نفوسها فلماذا لا تكون

الحالة في دود القز مثل ذلك من دون أن نحكم بمفارقة النفس.

عمانوئيل: من أين علمت أن هذه الحيوانات لم تفارقها نفوسها في الأحوال المذكورة.

رمزي: أستدل على ذلك بأنها لا تعوض عليها في تلك الحال تغيرات الموت.

عمانوئيل: إذن فإن تغيرات الموت تظهر على أجساد دود القز المظاهر الجلية فكيف تقيسه على غيره. وأيضا فإن الذباب وأمثاله تبطل فيه أعمال النفس كالحركة والنمو ونحوها ويجوز أن يكون استعداد جسده بدافع التغيرات زمانا فيجوز أن تكون نفوسها تفارقها زمانا ثم تعود إليها.

استدلال المتكلمين في النفس

رمزي: يستدل المتكلمون على وجود النفس بأن الأجسام متشاركة في الجسمية مع امتياز بعضها بالحياة والادراك والإرادة ولا بد من أن يكون ما به الامتياز غير ما به الاشتراك فلا يكون ما به الامتياز جسمانيا. وهذا الاستدلال لا يغني شيئا لأن الامتياز حصل من التركيب الخاص لجسم الحيوان والانسان كما امتاز الحجر بتركيبه الخاص عن بقية الأجسام.

عمانوئيل: ألا تلتفت يا رمزي ولا إلى أن الحجر لا يفقد حجريته التي يمتاز بها ما دامت صورته وتركيبه الخاص باقيين. وها هو الحيوان ترى صورته وتركيبه على حالهما الأول ولكنه قد عوض مع ذلك عليه فقدانه للحياة والشعور والإرادة. تراه يعوض عليه فقدانه للحياة والشعور والإرادة في حين لم تتغير صورته وتركيبه المختصين به فلو كانت النفس والحياة والشعور والإرادة هي نفس التركيب الخاص أو ملحولة له لما زالت حينما هو باق بحاله. وإلى هذا يرجع كلام المتكلمين.

وثانيا: إنك تشاهد دائما أن الحيوان عندما تفارقه النفس والحياة يأخذ تركيبه بالفساد إلى أن يتلاشى. فلماذا لا تنبهك هذه المشاهدات إلى أن تركيب الحيوان الخاص به إنما هو المعلول للحياة والنفس في نشأته وبقائه وأن النفس والحياة لتركيب الجسد فلا تكون هي ذات الجسد ولا ذات تركيبه ولا ذات مادته ولا ذات صورته.

فتتنبه إلى أن هذه العلة هي المائز بين الحيوان وبين الجماد الذي ليس فيه إلا مادته وصورته. وثالثا: إنا نجد للحيوان تركيبين تركيبا يقارن الحياة والنفس ويناسبها. وتركيبا ثانيا فساديا ينافر الحياة وتدبير النفس إذ ينشأ من فقدهما ويكون هذا التركيب مما يرجع به إلى الجمادية ويشارك به الجماد ويمتاز به عن الأحياء فلا يزال هذا التركيب يتمشى به الفساد إلى ناحية الفناء والتلاشي. فماذا تقول إذا حدثت الحياة وعادة النفس فجأة لهذا التركيب بعينه. فماذا يمتاز ذلك الحي عن الجماد؟ فإن قلت بتركيبه الخاص قلنا هذا التركيب الجسماني الخاص بعينه كان يشارك به الجماد ويمتاز به عن الأحياء فكيف تعكس الأمر وتتناقض.

وإن قلت يمتاز بشئ جديد غير الجسم وتركيبه فقد أبطلت وهمك ورجعت إلى صواب المتكلمين. ألا وإن من مثال ما ذكرنا

ومصداقه هو دود القز، تراه حيوانا يأكل وينسج ثم يخنقه نسيجه فتفارقه مظاهر الحياة وتقترن به مظاهر الموت ومنها فساد التركيب وتمشيه إلى الفناء ويزداد هذا الفساد وعند ذلك فجأة يعود حيوانا يمتاز عن الجماد بمائز لم يكن قبل ثم يأخذ بالنشاط في نموه وصلاح تركيبه ورجوعه إلى غضارة الأحياء وقوة الحياة وأعمال النفس.

رمزي: إذا كانت الروح شيئا سوى تركيب هذا الجسد فلماذا يختل إدراكها وتعقلها باختلال الجسد كما يشاهد في مرض الحمى ومرض الدماغ وكون الجسد آلة لها في جميع الأحوال أمر غير مفهوم فلا يحسن الجواب بمثله.

عمانوئيل: ها هي النفس وأعمالها تثبت مزيتها وأنها شئ سوى الجسد وسوى تركيبه كما أشرنا إليه. والذي يختل باختلال الجسد إنما هي أعمالها الآلية. نعم لا تظهر: أعمالها الاستقلالية إلا إذا ظهرت آثارها على الجسد لأن المعقولات لا تدركها الحواس وإنما تدرك آثارها ومظاهرها على الأجسام فإنك لا تشعر بمعقولات غيرك إلا أن تتجلى مظاهرها على الجسمانيات المحسوسة.

أما أنك إن تكن لا تفهم كون الجسد آلة للنفس فلا يكون في ذلك نقص على الحقائق ولا ينسب إليها من ذلك قصور أو تقصير وماذا يكون إذا ناديت في أيامك بأعلى صوتك. ليس مدير السيارة إلا تركيبها ها هو السير على حسب المقاصد يختل باختلال السيارة. كون السيارة آلة للمدير أمر غير مفهوم.

ناد بذلك فإنك قد تنال تصفيق الاستحسان من بعض الناس لأسباب مختلفة. وأما حسن الجواب فله حقيقة لا سيادة لآرائك عليها. رمزي: إذا أفاق الانسان من نومه يرى يقضته بعد نومه كوجود بعد عدم إذ كان لا يعلم ولا يشعر بشئ فأخبرني ماذا يفعل بروحه الكريمة إن كان له روح سوى تركيب هذا الجسد.

نعم قد يرى رؤيا ولكنه كثيرا لا يرى.

عمانوئيل: نسامحك من الدلائل المتقدمة وغيرها على مغايرة النفس للجسد وتركيبه ولكن قل إذا كنا لا نعرف حقيقة النفس وأحوالها وأطوارها ولا ندري ما يفعل بها في كثير من أحوالها. فهل يلزم من ذلك أن تكون النفس هي تركيب الجسد؟ أو هل يلزم من مغايرتها للجسد وتركيبه أن نعرف حقيقتها وجميع أحوالها وأطوارها؟ وهل تكون مغايرتها للجسد وتركيبه أو كونها ذات الجسد وتركيبه خاضعة لسيادة علمنا وجهلنا وتابعة لهما.

لا تدري ما هي حقيقة الكهربائية ولا يحيط الناس بجميع نواميسها فهل يلزم من ذلك أن تقول: إن الكهربائية ليست قوة مغايرة للمادة والجسم وليس للأجسام قوة كهربائية سوى تركيب الجسم؟ إليك مثالا طفيفا مما ذكر في كتب الطبيعات هذه الإبرة التي تستعلم بها جهتا الشمال والجنوب في الآلة التي تسمى (الحك) و (القطب) لم تعرف حقيقة القوة التي يختلف بها توجه الابرة ففي بعض البقاع لا يكون لها ميل عن الجنوب والشمال وفي بعضها يكون لها ميل غربي ويتفاوت باختلافها حتى يبلغ العشر درجات والعشرين وهكذا إلى التسعين وفي بعضها يكون الميل شرقيا متفاوتا بحسب اختلافها إلى التسعين درجة أيضا. ومع ذلك يتغير هذا الميل واللا ميل في البقاع بحسب الأزمنة. فهل لأجل أنا نجهل حقيقة القوة المتصرفة بالإبرة ومنشأ

اختلافها يحسن بنا أن نقول ما هذه القوة إلا نفس تركيب الاوة الجسماني. أو نقول ذلك لأجل أن هذه القوة تختل أعمالها أو تبطل إذا اختل وضع الإوة وآليتها؟؟

لماذا نجهل ونضطهد بجهلنا دلالة معلوماتنا وبديهياتنا ووجدانياتنا. الدكتور: غوة على الحقائق والانسانية أتمنى لكل إنسان أن يميز حدود إواكه ويعوف مواقع جهله فلا يشوه العلم ويضطهد الحقائق وشوق الانسانية بالجهل المركب (وهو جهل الشخص وجهله بأنه جاهل) فما أجمل علم الانسان بحدود إواكه ومواقع جهله.

الصفحة 434

وهذا هو الذي يسميه العلماء (الجهل العلمي) قالوا: إنه هو الذي تصل إليه النفوس الكبوة. وهو بالحقيقة العلم القائم بمعوفة الانسان نفسه وهو نادر الوجود بين الناس. يحفظ صاحبه من الوساوس والزيغ والضلال. وإن الجهل المركب يكون عند أناس هم بين بين.

وهم الذين خوجوا قليلا من بساطة العوام وتقحموا في الهولان في ميدان العلم بأقدام مرتعشة حتى في مباديه. فهم يقلقون العالم ويشوهون العلم تارة بالتقليد الأعمى في المسموعات الموافقة للأهواء وتارة بالوسوسة والتشكيك في كل شئ[1]. هذه الأدلة التي أوردها عمانوئيل لإثبات النفس لوجودها الروحاني ومزيتها الخاصة مما لا ينبغي لذي الشعور أن يحيد عنها. ولا يخدش فيها أقل خدشة ما ذكوه رمزي تبعا للمكتوبات كما أوضح ذلك عمانوئيل. يطول تعجبي من الاصوار على جحود بقاء النفس بمثل هذه

1 ـ ذكر ما يقارب هذا في دايرة المعارف للبستاني في مادة (جهل). (*)

الصفحة 435

التشبثات المتلاشية التي سمعت بعضها من رمزي ورأيت بعضها في المكتوبات. لماذا كان ذلك؟ فإن العلم لا يمنع وجود موجود ليس بذي مادة ولا من بقائه كما تشهد به التجارب في القوة زيادة على افتراض الأثير. مع أن النفس تثبت وجودها الروحاني ومزيتها الخاصة بالأدلة الكافية. أم كيف يقتحم المتدين في جحود بقاء النفس مع أنه ممكن ومن أهم أساسيات الأديان. هل يريد أن يشير بذلك إلى انسلاخه من الدين. ليس لغير المتدين إلا أن يقف في بقاء النفس موقف الشك. أو يجيل نظوه وتحقيقه في أمر المذهب الروحاني الذي علا دويه في هذا العصر. الشيخ: يجد الانسان جهله بالكثير من الحقائق ولا يغيب عنه أن حقيقة النفس لا تحوم حولها مشاعوه ولا تدخل بجميع أحوالها وأطوارها في حدود إواكه. ويجد أنها في بعض أحوالها تثبت للبديهة وجودها الروحاني ومزيتها وبعض مزاياها الاستقلالية.

ومع ذلك يزعجها بعض الناس ويقلق العلم في أمرها. فتارة يجحد ما هو ثابت بالبداهة وتارة يتقحم ما يقصر عنه إواكه البشوي. لا يستوشد بالبديهيات ولا بنصيحة جهله العلمي ولا بهدى الهادي العليم في قوله جل شأنه في الآية السابعة والثمانين من سورة الاسواء المكية: (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) لا من خلقكم لكي تحيطوا خوا بحقيقتها ومزاياها. ماذا عوفتم من حقيقة القوة وماهيتها. بل ماذا عوفتم من حقائق الجسمانيات وماهياتها حق المعوفة. لا يصل إواككم

أحيانا بعد الجهد الجهيد إلا إلى بعض آثار الحقائق وكم لكم أيها البشر في ذلك من خبط عشواء أفلا تعتبرون بأنكم محجوبون بحجاب الجسمانية (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) مما يمكن أن يدخل

في حدود إدراككم البشري فيناله بالتعلم الصحيح من خلال الحجاب الجسماني.

أعمال النفس تثبت وجودها المستقل ومزيتها الخاصة

5 – ينام الانسان فيستولي السكون على جوارحه وينقطع إحساسه وتفكيره وإراداته العاديات ثم يكون لنفسه من وراء ذلك أمور: الأول: إنه يكون في حلمه يحس ويفكر ويريد ويتحرك ويتكلم ويسمع ويرى ويرتاح ويتألم ويضحك ويبكي ويخاف ويرضى ويغضب ويأمر وينهى مع أنه ليس لجوارح حسه عمل في ذلك ولا لتفكيراته ومعلوماته وأمياله العاديات. أفلا ينبغي أن أسترشد من ذلك إلى أن المبدأ العامل لهذه الأعمال هو جوهر مغاير للجسد وتركيبه يستعمل الجسد آلة لهذه الأعمال في حال اليقضة ويستغني في حال النوم في أعماله عن تلك الآلات. الثاني: إنه يرى في منامه أمورا غيبية ليست مما يناله الحس أو أسباب العلم في اليقضة ويظهر مصداق ذلك بعد أيام كما وقعت عليه التجارب الكثيرة. فمن ذلك ما يكون برمز مطرد عرف مرموزه بتكرار التجارب كما يرمز قلع الأسنان في الحلم إلى موت الأقارب.

والتلوث بالنجاسات إلى الحصول على المال. إلى غير ذلك من الكثير المطرد ومن ذلك ما يكون بالصراحة في الأخبار عن أمر مستقبل أو واقع في مكان بعيد كوقوع السفر أو الاياب أو الموت أو الصحة. دع القائل يقول في الأمر الأول أن الصور المرتسمة في الحافظة تؤلفها المخيلة حسبما يتفق تأليفا جديدا مشوش النظام مختلف الترتيب فتبرز للادراك بهذا التأليف حلما كما يفعل مرتب المطبعة بحروفها فتبرز للقارئ كل آونة بشكل. لكن قل له إن جرينا معك فيما ذكرت في الحافظة والمخيلة وكونهما عوامل جسمانية فلا بد أن نسألك. ما هو المدرك لهذا التأليف؟ ومن هو القارئ لحروفه وكلماته؟ ومن ذا الذي يريد ويتحرك ويتكلم ويسمع ويرتاح ويتألم ويخاف ويغضب ويرضى ويضحك ويبكي ويأمر وينهى؟ من هذا الذي ينفعل بما في هذه من الانفعالات ويفعل ما في هذه من الأفعال؟ ليس للجسد في ذلك مداخلة في تجدد الفعل والانفعال إنك ترى الجسد حينئذ في قيد السكون. نجد أنا نحلم وندرك في الحلم أنه حلم فكيف يكون هذا من أعمال الجسد المحض وتركيبه.. نرى الانسان تارة ينسى حلمه وتارة يبقى في حفظه فهل يقول: إن الحافظة ترتسم بها أغلاط المخيلة في صور الحافظة؟ أم كيف ذلك؟ سامحناه في هذا الذي يعود إلى الأمر الأول وإن كانت الحقيقة لا تسامحه فماذا يقول في الأمر الثاني والادراك لما هو في صحيفة الواقع المحجوب. عن كل حس وكل شعور وحافظة ومخيلة.

في المعاد الجسماني

الشيخ: هناك حقيقة أخرى يقابلها الماديون ومن مشى وراءهم بالجحود وخيالات الامتناع. ألا وهي المعاد الجسماني وإحياء الأجسام بأنفسها للجزاء في يوم المعاد وقد أخبر القرآن الكريم وبشر وأنذر به وكافح الأوهام في خيالات امتناعه واحتج على

إمكانه بالحجة الكافية التي تستلفت العقول إلى مبدأ الانسان ومبدعه في وجوده العجيب فيهون عليها التصديق بوقوع المعاد بالتوج في النظر في حكمة الخالق ورحمته وقدرته ففي سورة يس المكية الآية 77 (أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين) 78 (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم) 79 (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) وفي سورة المؤمنون المكية الآيتان، 115 و 116 : (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون * فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم). أول شئ له اسم وعنوان يعرفه نوع الانسان مبدأ لنشء أفراده وتصورها هو النطفة التي يتعاقب عليها التصوير في الرحم حتى تكون إنسانا مولودا وناشئا ورشيدا. والنطفة هو المقدار من السائل سواء كان مراد القرآن منها هو مني الذكر كما هو المعهود أم سائل بيضة الأنثى أو سائل حويصلتها الجرثومية على الرأي الجديد.

أفلم ير الانسان كيف بلغ به الخلق والتصوير من هذه النطفة إلى حالته التي يشعر فيها بما في هيكله من عجائب التراكيب التي تهتف بخالقها القادر وقصده لغاياتها الشريفة. يكفي في ذلك التراكيب الظاهرة لكل أحد وغاياتها الكبرى المعلومة. فضلا عما أشرنا إلى بعضه في الجزء الثاني في صحيفة 335 إلى 342 بل إلى 358 من العجائب التي تبهر العقول في بدايع القدرة وبواهر الحكم والغايات. كيف لا تكفي الانسان رؤيته لذلك في إذعانه بأن الذي بلغ به في التصوير والخلق من النطفة إلى حال شعوره ورشده وهو خالق قادر حكيم عالم بالغايات. ترى الانسان تضطره الفطرة في أمر طفيف بالنسبة إلى ما ذكرناه وهو صنع الآلات الصوانية فيذعن بلا شك بأنها صنعت بصنع قادر عالم بغاياتها صنعها لأجل غاياتها فانظر في الجزء الثاني في صحيفة 283 و 285 و 330 في مثال المدينة و 128 في مثال الغار الصخري فكيف يعقل شعوره ويكابر وجدانه فيتجاهل ويجحد قدرة خالقه وعلمه وحكمته ويكون من أجل ذلك خصما يبين خصومته في أمر المعاد ويتمثل بالعظام التي تبلي وتصير رميما بجهالته. هذا المثل السخيف لجحود المعاد ويقول: إن العظام التي صارت رميما كيف تحيا ومن هو الذي يقدر على جمع أجزائها التي تشتتت وعلى إحيائها ومن هو الذي يحييها. قل يجمعها وينشئها على صورتها الأولى ويحيوها بالحياة ذلك الخالق القادر العليم الذي أنشأها أول مرة وقدر أوضاعها وأشكالها ومقاديرها وصلابتها ولينها ومفاصلها على مقتضى الحكمة وحاجة الغاية ووصلها بالأربطة وأكمل نظامها بآلات البدن العجيبة فأجرى فيها أعمال الحياة وحفظ الكيان.

أيها الجاحد للمعاد هذا الخالق العليم الذي ينشئ العظام في الأدوار المتعددة والمواليد المتعاقبة بكثرة لا تقدر أن تحصيها وقدر نشؤ متماثلاتها على ناموس واحد وتماثل باهر ليست هي وحدها بل جميع مواليد العالم في أدوارها. هذا الخالق الذي تعرفك أنواع مخلوقاته التي لا تحصى وأطوارها بأدوارها وتشهد بأنه لا يعييه خلق ولا يغيب عن علمه خلق وأنه بكل خلق عليم وبكل مخلوق عليم. فهل يغيب عن علمه جمع رميم العظام وخلقها على صورتها الأولى وإحيائها؟ ماذا يكبر إحياء العظام الرميمة على إنشاء العظام من النطفة وإحيائها في دور من أدوار النشأة الأولى. وفي سورة الاسراء المكية 48 (انظر كيف ضربوا لك الأمثال) في جحود المعاد (فضلوا) في غيهم وأصروا على خيالات الأهواء وانهمكوا في أوهامهم فلا يعتبرون بمبدأهم ولا يفكرون في خلقهم ونشئهم وأبعدوا أفكارهم عن جادة الرشد والسير في نهج الاعتبار ودلالة الهدى إذن (فلا

يستطيعون سبيلا) إلى معرفة الحق ما داموا معطين قياد أفكارهم بيد الأهواء والاصوار عليها حتى استدبرت بهم الطريق وورطتهم في خبط العشواء 49 (وقالوا) في غوايتهم في ضرب الأمثال لجحود المعاد وحسبوا أنهم جاءوا بالحجة والقول الفصل والبرهان الكبير. مع أن جهد ما خيلت لهم أوهامهم هو أن يقولوا (أإذا) تقطعت أوصالنا و (كنا عظاما) مجردة (ورفاتا) عظاما متحطمة بالية بعد ذلك (أإنا لمبعوثون خلقا جديدا) في الصورة من تلك المواد البالية 50 و 51 (قل) لا تقتصروا في المثل على العظام والرفات بل لتتقلب بعد ذلك بأجزائكم الصور وتلعب بها عوامل التغيير المقدر في نظام العالم لتبعد أوصالكم عن صورة الانسان كيفما أبعدتها عوامل التغيير وجهد ما تتصورون من البعد (وكونوا حجارة) من أي أنواع الحجارة (أو حديدا * أو خلقا مما يكبر في صدوركم) في مقام الترقي في ضرب المثل وبعده عن صورة أجزاء الانسان. فإنكم تبعثون بحسب الصورة خلقا جديدا ترد به أجزاءكم إلى صورتها الانسانية وتتعلق أرواحكم بها (فسيقولون من يعيدنا قل) يعيدكم القادر على ذلك مهما تغافلتم في مقام الجحود لا أبعد لكم الإشارة إليه هو ذاك (الذي فطركم أول مرة) وبلغ بخلقه لكم إلى ما ترونه من أحوال نوعيتكم وخصائص شخصياتكم فانظروا أقلا إلى فطرتكم الانسانية من بعد ما كنتم نطفة وإلى وجودكم الانساني بعد أن لم تكونوا كذلك. وإن خادعتكم أوهام الأهواء ونظرتكم إلى ما قبل ذلك فمهما تجاهلتم وافترضت أوهامكم القدم لأولكم في المادة فإنكم لا بد لكم من أن تذعنوا بأن مادتكم التي تقلبت بها تغيرات الصور وتصرف بتغييرها عامل التكوين لا بد من أن تكون محدثة مفطورة. هذه المادة الخاضعة للتغيرات الصور وعوامل التصرف والمقترنة بفقر الامكان لا تكون واجبة الوجود.

إذن فانظروا إلى ما يصل إليه إدراككم من أول فطرتكم وانظروا إلى تصرف القدرة بإبداعه وأعمالها الباهرة في تصويراته فهذا القادر الذي فطركم أول مرة وأراكم من أعمال قدرته في نشؤكم ونشأتكم ما ترونه من العجائب هذا هو الذي يعيدكم... وقال في الآية الخامسة من سورة الحج (يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث) لأجل تفوق أجزاء الانسان بالبلى فتستبعدون إحصائها وجمعها لإحيائها تارة أخرى (فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة) ظهرت عليها بالخلق مخائل أعضاء الانسان (وغير مخلقة) من قبل ذلك. ومن حكم هذا التقدير والتدرج في الخلق استلفاتكم إلى تصرف القدرة الإلهية في خلق الانسان بماله من الجسم وتركيبه العجيب في حكمه وغايات أجزائه وبما له من الحياة والشعور والعقل لئلا تكونوا على غفلة فتقولون خلق الانسان صدفة ولا ندري كيف صار.

بل لتلتفتوا إلى مبادئ نشأته البسيطة والفاقدة للحياة وترقيها بالخلق إلى التراكيب الباهرة بحكمها وإلى جمال الحياة وكمال العلم (ولنبين لكم) بالاستلفات مواقع القدرة في مبادئ النشؤ وأطواره. (ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى) محدود للولادة ونحوه في الرحم بعظائم النعم ومواد التغذية ولوازم الحياة على نهج مغاير لنهج عالم الولادة في طريق التغذية والإفراز ودورة الدم ونحو ذلك. (ثم نخرجكم طفلا) عاجز عن أموره نجدد له صورة غذائه ومنبعه وطريق التغذي ومخرج الإفرازات والفضلات ونغير دورة دمه ونحوه بحنان الوالدين. (ثم) تتدرج بكم الأطوار في النمو ومراتب الشعور والادراك والعلم والقوة. (لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى) حينما يبلغ أشده وقبل ذلك حسبما تقتضيه الحكمة في نظام العالم ونواميسه

المجعولة. (ومنكم من) يبقى بعد أن يبلغ أشده فيأخذ بالانحطاط على حسب التقدير والحكمة في الشخص أو النوع. (لكيلا) أي تكون عاقبته بعد العلم وجودة الادراك وصفاء الشعور لا (يعلم من بعد علم شيئا). هذا استلفاتكم وتنبيه اعتبركم في خلقكم أيها الانسان (وترى الأرض هامدة) قاحلة لا نبات فيها ولا بهجة (فإذا أنزلنا عليها الماء) بالقوة الباهرة في توليد المطر على الأنحاء التي تقرر في توليد السحاب وحمله الماء وعجائب نشأه وضغطه في توليده وسوقه وتسييره وإرساله المطر فإذا نزل على الأرض الميتة (اهتزت) بحياة الانبات (وربت) بالنمو (وأنبتت من كل زوج بهيج) تكفيكم بهجته في أطواره في الدلالة على باهر القوة وإن غاب عنكم ما في النبات من الخصائص والفوائد الكبيرة المتنوعة وما لأزواجها من خاصية التلقيح ليبقى نوعها وتوالدها على ناموس مستقيم. 6 (ذلك) الذي تلي عليكم من مبادئ نشؤ الانسان ومبالغ نشوئه وحفظ نوعه بنواميس توالديه وما في مراتب ذلك من عجائب القوة ودلائل الحكمة وقصد الغاية وفي نشؤ النبات ومبالغ نشوئه وحفظ نوعه بنواميس توالديه وما في مراتب ذلك من عجائب القوة ودلائل الحكمة وقصد الغاية هذا كله يشهد بأن موجده إله قادر حكيم عالم بغايات خلقه يوجد المخلوقات لحكمة غاياتها. قام وجود هذه الموجودات المذكورة ونشأها وخلقها وحياتها واستقام توليدها (بأن الله) الإله القادر العليم الحكيم واجب الوجود (هو الحق) لا الصدفة العمياء ولا الطبيعة ولا الحركة الحادثة المتصرمة ولا المادة المتغيرة المقرونة بدلائل الحدوث والحاجة إلى الموجد (وأنه يحيي الموتى) كل ميت. الانسان والنبات. ترى الحياة تطرأ على أصل ميت لا حياة فيه بل يحييه الله بقدرته ويتصرف بخلقه بإثار القوة الباهرة. (وأنه على كل شئ) تتصورونه في ناحية الخلق وأنواعه وأطواره ونشأته متسلط (قدير). (وأن الساعة) يوم القيامة وإحياء الناس بعد بلاهم للحشر (آتية لاريب فيها) لا محل للريب فيها فإن نبوات الحق المؤيدة بدلالة المعجز قد أخبرت عن الله جل اسمه بها وإن دلائل القوة في خلقكم وخلق النبات وغيره من الحيوان وأنواع الجماد وأطوارها وتواليدها وغاياتها تقيم الحجة الواضحة عليكم بأن الله الخالق في النشأة الأولى بقدرته وحكمته هو قادر في النشأة الأخرى على إحياء العظام والرميم (وأن الله يبعث من في القبور).

وقال في الآية الثالثة والثلاثين من سورة الأحقاف المكية: (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض) بما فيها من عجائب التقدير ومواقع الحكمة ومحاسن النظام بحيث يجلو النظر في ذلك لكل إنسان حسب استعداده ويوضح موقع القوة والحكمة وقصد الغاية بأوضح المظاهر كما أشرنا إلى بعض ذلك في الجزء الثاني صحيفة (116 إلى 127) خلق السموات أي العالم العلوي والأرض أي العالم السفلي بهذا النظام العجيب بوضعه وحكمت (ولم يعي بخلقهن) ويتعذر عليه شئ منه أليس هذا الخالق القادر العليم الحكيم (بقادر على أن يحيي الموتى) ويبعثهم ليوم الجزاء (بلى) أن أقل نظر حكر في خلق هذا العالم ومظاهر القوة يشهد (إنه على كل شئ قدير) هذا بعض ما في القرآن مما يستلفت النظر المزه وينبه العقل الحر إلى الجنة الساطعة على إمكان المعاد الجسماني وإحياء الأجسام بعد بلاها وعلى وقوعه.

الأديان والكتب والقيامة

الدكتور: نرى لأهل الأديان في هذا المقام مقالات مختلفة فمنهم من ينكر المعاد بتاتا كالصدوقيين من اليهود. ومنهم ينكر كونه جسمانيا ويجعل نعيم الآخرة وعقابها بنحو روحي عقلي. أليس هذا مما يضعضع مقامه في الأديان والحقيقة.

عمانوئيل: إن الحقيقة ودين الحق لا تضعضع مقامهما شكوك الشاكين ولا جحود الجاحدين فإن الأهواء لازالت تضل باضطرابها عن النهج المستقيم وحقائق الدين ولازال دين الحق تتلاعب بأمته الأهواء والانقلابات الضلالية حتى يكون المتداول منه بين تلك الأمة اسما مستعارا لصورة مشوهة. فالصدوقيون من الأمة اليهودية سرت إليهم مبادئ (أبيقورس) اليوناني بسبب تتلمذ لصاحب دعوتهم في فلسفة أبيقورس فأنكروا خلود النفس وبقائها بعد الموت كما أنكروا القيامة بل وأنكروا وجود الأرواح من ملائكة وشياطين. ويقال إن مبدأ دعوتهم كان من نحو المائتين وثمانين سنة قبل المسيح. وقد ساعدهم على هذا الابتداع في اليهودية أن التوراة الرائجة في عهد بدعتهم وانشقاقهم من عموم الأمة لم تبق فيها التقلبات ذكرا لقيامه الأموات ويوم القيامة لا في مقام الوعيد والانذار ولا في مقام البشرى بالجزاء ولا في مقام التعليم بالحقائق الدينية. نعم يوجد ذكر القيامة في باقي كتب العهد القديم. ولكن الصدوقيين أنكروا انتساب هذه الكتب إلى النبوات.

العهد الجديد والقيامة

اليعازر: تذكر الأناجيل أن هؤلاء الصدوقيين جاءوا إلى المسيح وسألوه في أمر القيامة من الأموات فاحتج عليهم في أمرها كما في العدد الحادي والثلاثين والثاني والثلاثين من الفصل الثاني والعشرين من إنجيل متى والعدد السادس والعشرين والسابع والعشرين من الفصل الثاني عشر من إنجيل مرقس والعدد السابع والثلاثين والثامن والثلاثين من الفصل العشرين من إنجيل لوقا حيث قال لهم المسيح (وأما من جهة الأموات أنهم يقومون أفما قرأتم في كتاب موسى في أمر العليقة كيف كلمه الله قائلا أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب ليس هو إله أموات بل إله. أحياء) وزاد في إنجيل لوقا قول المسيح في إكمال الحجة (لأن الجميع عنده أحياء).

عمانوئيل: وددت أنه لم ينسب هذا الاحتجاج لقدس المسيح يا والدي ألا تذكر ما ذكرناه في وهن هذا الاحتجاج في الجزء الأول صحيفة 138 و 139 فإن قلت هنا إن الله قال ذلك باعتبار حياتهم المستقبلة في القيامة فإن الجاحد يقول لماذا لا تقول: إن الله قال ذلك باعتبار حياتهم الماضية.. فإن قلت. إن المقصود من الاحتجاج هو أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب منذ انتقلوا من هذا العالم كانوا أحياء بأرواحهم وأجسادهم على خلاف عادة الموتى قلنا ماذا تقول إذا قال الجاحد من أين لنا العلم بأن هؤلاء كانوا كذلك بعد انتقالهم من هذا العالم ولو سلمناه فإن سؤالنا عن قيامة البشر من الأموات بعد البلى ليس عن شأن إبراهيم وإسحاق ويعقوب. يا والدي كيف ترضى مثل هذا من احتجاج المسيح على هذه الحقيقة الكبرى حقيقة قيامة البشر من الموت بعد البلى.

اليعازر: في الفصل الخامس عشر من رسالة كورنتوش الأولى من العدد الثاني عشر إلى الثاني والعشرين يوجد احتجاج على القيامة من الأموات فكيف تراه.

عمانوئيل: حاصل ما أشرت إليه ومضمونه هو أنه كان في الكنيسة الأولى قوم يؤمنون بقيام المسيح من الموت وينكرون قيامة الأموات وحاصل الاحتجاج عليهم هو أنه إذا لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام من الموت وإذا لم يكن قام من

الموت فإيمانكم بقيامه من الموت باطل والتبشير بذلك باطل. يا والدي وأنت ترى أن هذا لا يصلح إلا أن يكون جدلا لقوم مخصوصين وهم الذين يؤمنون بما سمعوه أفواهيا من أن المسيح مات وقام من الأموات وماذا يجدي هذا الجدل مع من لا يؤمن بقيام المسيح من الموت ويراه كسائر البشر.

اليعازر: هل يذكر الانجيل حال الانسان فيما بعد الموت فيما يعود لجسمانيته.

الإنجيل والبرزخ

عمانوئيل: يذكر إنجيل لوقا في الفصل السادس عشر عن كلام المسيح لتلاميذه إنه كان غني متنعم وكان مسكين أسمه اليعازر وهو مبتلى مطروح على باب الغني فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم ومات الغني أيضا فدفن فرفع عينيه في الهاوية وهو في العذاب ورأى إبراهيم من بعيد واليعازر في حضنه فنادى يا أبي يا إبراهيم ارحمني وأرسل اليعازر ليبل طرف أصبعه بماء ويبرد لساني لأني معذب في هذا اللهيب فقال إبراهيم: إنك استوفيت خيراتك في حياتك واستوفى اليعازر البلايا فهو يتنعم وأنت تتعذب وزيادة على هذا إن بيننا وبينكم هوة لا يقدر أحد أن يجتازها فقال الغني إذن أسألك أن ترسل اليعازر إلى بيت أبي ليشهد لهم وينذرهم لكيلا يبتلوا بهذا العذاب فقال إبراهيم عندهم كتب موسى والأنبياء تكفيهم واعظا ومنذرا فقال الغني إذا مضى إليهم واحد من الأموات يتوبون فقال إبراهيم إن كانوا لا يسمعون من كتب الأنبياء فلا يصدقون إن قام واحد من الأموات. اليعازر هذا بيان كبير لعالم جسماني يذكر فيه إصبع. ماء. لسان. عذاب. لهيب. قيام من الأموات ولكن يا للعجب مثل هذا البيان الكبير المفيد ما هو السبب في أن أغفلته الأناجيل الثلاثة ولم يتعرض له إلا لوقا.

عمانوئيل: يا سيدي الوالد سألت عن السبب في أن الأناجيل الثلاثة لم تذكر هذا البيان المفيد فهو السبب الذي شوه هذا البيان وجعل السبب في عذاب الغني هو كونه استوفى خيراته في الدنيا والسبب في نعيم اليعازر أنه كان مبتلى في الدنيا. أو ليس الصحيح المعقول اللائق بتعليم النبي المرشد هو أن يبين أن السبب في العذاب هو التمرد على الله بفعل الخطايا والسبب في النعيم هو الصلاح وعمل الصالحات. وكم من فقير مبتلى قضى حياته بالمآثم والكفر والظلم والأخلاق الردية وأعمال الفساد وسوء الأثر. لقد كان حق التعليم النبوي الصحيح أن يعلل سعادة اليعازر بأعماله الصالحة وأخلاقه الفاضلة ويعلل عذاب الغني بشقائه في الدنيا وأخلاقه الرذيلة وتمرده على الله.

اليعازر: قد جاء في الأناجيل عن قول المسيح إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله [1].

عمانوئيل: يا سيدي الوالد هل ترى هذا من التعليم المعقول الصحيح، وهل يكون هذا من تعليم المسيح. أليس العيان شاهدا على خلافه. القس: يا عمانوئيل إن في القرآن مثل هذه العبارة فهل هي واردة في مثل هذا التعليم المردود.

عمانوئيل: يا سيدي الآية الأربعون من سورة الأعراف المكية هكذا (إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء. ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين) وهذا هو الصحيح المعقول في هذا الكلام. وهذا المورد من القرآن من جملة ما كان يذكره لنا الشيخ وتنبهنا إليه في الجزء الأول من أن القرآن كثيرا ما يشير

بالإشارة الجميلة إلى أغلاط العهدين وتصحيحهما. فإنك ترى القرآن في هذا المقام جرى على رسله في تعليمه الفائق وأورد هذه العبارة في مثله الجمل وسم الخياط فيما يناسبها ولكنه نبه بذلك على أن المعقول الصحيح هو هذا التعليم لا تعليم الأناجيل في الغني. الدكتور: يا عمانوئيل قد ذكر يوم القيامة في العهدين متكررا. فماذا تحصل لك من بيانهما؟

---

1 ـ مت 19: 23 و 24 ومر 10: 24 و 25 ولو 18: 24 و 25. (*)

المعاد الجسماني في العهدين

عمانوئيل: في العدد التاسع عشر من الفصل السادس والعشرين من كتاب أشعيا (تحيي أمواتك تقوم الجثث تزنموا يا سكان التراب) وفي العدد الثاني من الفصل الثاني عشر من كتاب دانيال (وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يقومون هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى الازدراء الأبدي) وفي الفصل الخامس من إنجيل يوحنا (28 لا تتعجبوا من هذا فإنه تأتي ساعة يسمع جميع الذين في القبور صوته 29 فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة). وذكرت الأناجيل في مقام الموعظة والانذار أن الجسد كله يلقى في جهنم النار الأبدية [1] وجهنم النار التي لا تطفى حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفى [2] ويجمع الملائكة بني المعاثر وفاعلي الإثم ويطرحونهم في أتون النار هناك يكون البكاء وصرير الأسنان [3] وأما من حيث نعيم الأبرار ففي الفصل الثاني والعشرين من لوقا في البشرى للتلاميذ (29 وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتا 30 لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي وتجلسوا على كراسي تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر). لكن في أناجيل متى ومرقس ولوقا أن الصدوقيين المنكرين للقيامة جاؤا إلى المسيح لكي يمتحنوه ويغالطوه فسألوه عن المرأة إذا تزوجها سبعة أخوة واحدا بعد موت الآخر لمن تكون زوجة في القيامة؟ فأجاب المسيح على ما في إنجيل متى [4] ومرقس [5] تضلون إذ لا تعرفون الكتب

---

1 ـ مت 5: 29 و 30. و 18: 8 و 9.

2 . مر 9: 43 – 49.

3 . مت 13: 41 و 42.

4 . مت 22: 29 و 30.

5 . مر 2: 24 و 25.(*)

وقوة الله. لأنهم متى قاموا من الأموات لا يزوجون ولا يزوجون بلى يكونوا كملائكة في السموات. وصورة الجواب في إنجيل لوقا هكذا [1] (أبناء هذا الدهر يزوجون ويزوجون ولكن الذين حسبوا أهلا للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الأموات لا يزوجون ولا يزوجون إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضا لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله إذ هم أبناء القيامة).

اليعازر: أين يوجد في الكتب أن القائمين من الأموات لا يزوجون ولا يزوجون بل يكونوا كملائكة السموات في أي كتاب يوجد هذا لكي يصح توبيخ المسيح للصدوقيين على جهلهم به أين ذلك؟؟ نعم كان ينبغي في تجهيلهم وتوبيخهم بموت الزوج ويصح للمرأة أن تتزوج بالآخر فلا صورة لسؤالكم وإنما هو سؤال جاهل بالتوراة والشريعة ولو قال هذا لكان جوابا بحجة وتوبيخا بمستند محكم. دع هذا ولكن العارف الذي يحتج على سائل ممتحن يلزمه في الأدب والعلم أن يجيبه بحجة واضحة

قاطعة. إما برهان علمي يرجع إلى البداهة إما بجدل بما يذعن ويعترف به السائل. إذن فما هو معنى قول إنجيل لوقا إن أهل القيامة لا يزوجون ولا يزوجون إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضا وما هو وجه الحجة فيه على السائل. أية مداخلة للزواج بالقوة على الموت في المستقبل وما معنى قوله إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضا. متى كان موت البشر باستطاعتهم. وما هو وجه التعليل لكونهم أبناء الله وكالملائكة بأنهم أبناء القيامة إن العهد القديم وتعليم المسيح في الأناجيل كلها تصرح بأن الأشرار وعاملي السيئات يكونون من أبناء القيامة أيضا. فهل هؤلاء أيضا أبناء الله وكالملائكة؟؟ عمانوئيل: يا سيدي تبهجني كثرة عنايتك بمثل هذا النقد وهذا التحقيق وإن كان قد مر بعضه في الجزء الأول صحيفة 137 و 138 ولكن

---

1 ـ لو 20: 34 - 36. (*)

لنستطرد الكلام في شؤون القيامة في العهدين ففي الفصل الخامس عشر من كورنتوش الأولى 42 هكذا قيامة الأموات يزرع في فساد ويقام في عدم فساد 43 يزرع في هوان ويقام في مجد يزرع في ضعف ويقام في قوة 44 يزرع جسما حيوانيا (وفي نسخة نفسيا) ويقام جسما روحانيا. لكن يا والدي ليس من الممكن أن نجعل لهذا الكلام قيامة وشأنا في بيان هذه الحقائق فإنه يقول بعد هذا الكلام من هذا الفصل بسبعة أعداد (هو ذا سر أقوله لكم لا نرقد) (أي لا نموت) كلنا ولكننا كلنا نتغير 52 في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير فإنه سيبوق فيقام الأموات عديمي فساد ونحن نتغير) أين يكون قوله في هذا السر الموهوم وقد مات ورقد هو وكل من خاطبه منذ قرون عديدة. ولئن كان كاتب رسالة كورنتوش هو كاتب رسالة غلاطية فبالحري أن لا يجعل له مقام مع الصادقين ولا مع المؤمنين فكيف نتبع أقواله في هذه الحقائق الغيبية أليس هو القائل في رسالة غلاطية في الفصل الثالث (13 المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون ملعون كل من علق على خشبة). ألا تذكر يا والدي ما مر في الجزء الأول صحيفة 84 و 85 من نفوتك من هذا الكلام وما بيناه من الجرأة على قدس المسيح ومن الكذب على التوراة وتحريفها والجهل بمفادها الظاهر: وأما ما ذكر في إنجيل متى وإنجيل لوقا أنهم في القيامة لا يزوجون ولا يزوجون بل يكونون كملائكة في السماء أو كملائكة في السموات وكذا ما في إنجيل لوقا فإنه يكفي في عدم الالتفات إليه زيادة على ما ذكرته أنت أن نفس الفصول الذي تضمنت هذا الكلام من الأناجيل الثلاثة قد نسبت إلى قدس المسيح تعليمه وحاشاه بشرك تعدد الأرباب مع تحريف الزوامير والوقوع في التناقض كما ذكرناه في الجزء الأول صحيفة 73 . وأنظر إلى الجزء الأول من كتاب الهدى صحيفة 197 و 198 ودع عنك ما ذكرنا بعضه في الجزء الأول والثاني وما ذكر في كتاب الهدى مما يدل على وهن العهد الجديد وواءة ساحة النبوة والحقيقة من الكثير من مضامينه. الشيخ: كثير من الحقائق ما يكثر فيه اللغط وتدخل الجهل والأهواء ولكن جاء في فلسفة القرآن الأدبية وتعليمه الراقي قوله في الآية السابعة عشرة والثامنة عشرة من سورة الزمر المكية (فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) يعلم مضمون الآية وفحواه بأن الانسان العاقل المهدي هو الذي يستمع ما يقال فينظر فيه من ناحية العقل الحر وحال العاقل فيأخذ بالصحيح وأحسنه وله البشرى في ذلك بالكمال والهدى والفوز بالفوائد الكبرة. يا حبذا لو تلمذ

الناس على هذا التعليم وبنوا دينهم وأدبهم على هذا الأساس المحكم الضامن للهدى والكمال والبشرى.

لماذا كان المعاد جسمانيا لا روحانيا فقط

الدكتور: لماذا كان المعاد جسمانيا يقوم في جزائه بالنعيم الجسماني والآلام الجسمانية أفلا يكفي فيه أن يكون روحيا يقوم ببقاء النفس ونعيمها العقلي أو آلامها العقلية. الشيخ: إن من يصل به النظر إلى مثل هذا السؤال ينقطع عليه طريق هذا السؤال وأمثاله. لا وقت لهذا السؤال إلا بعد الانتهاء بالنظر إلى الإذعان بالإله واجب الوجود الغني الذي يستلزم غناه المطلق أن يجري أعماله على حقيقة الحكمة، ومن حكمته أرسال الرسل الصادقين الذين بشروا وأنذروا بما في المعاد الجسماني للمحسنين والمسيئين وإذا كان اعتمادنا في سيرنا على حقيقة المعاد متقوما بالاذعان. بحكمة الله لأجل غناه ووجوه وجوده فإن هذا الاعتماد يوبخنا على هذا السؤال إذا جهلنا وجه الحكمة الخصوصية وينادي بنا ويعلمنا أن نذعن بالحكمة على الاجمال ونقف في وجهها التفصيلي على الجهل العلمي كأكثر الحقائق المحدقة بنا وقد حجبنا عنها جهلنا البشري ولنا الفخر والشرف إذا عرفنا جهلنا بها ولم نخبط العشواء في ظلام الجهل المركب.

بعض وجوه الحكمة في كون المعاد جسمانيا

مهما خفي من شئ فلا يخفي شدة ارتباط النفس بالجسم حال الحياة واتحادهما في الائتلاف والأنانية يقول الانسان: (أنا) مشيرا إلى هيكله الحي بروحه وجسمه بإشارة وحدانية بلا نظر إلى مائز في جهته الجسمانية أو الروحانية. ولشدة هذا الارتباط والاتحاد ترى الانسان إذا أراد التعبير عن أحد هذين الأليفين المتحدين يعبر عن أنانيته بالآخر فتارة يقول جسمي وتارة يقول نفسي. يجد أن ملاذه الروحانية ينتعش بها الجسم والروح وكذا الملاذ الجسمانية ويرى الآلام الجسمانية يتأثر بها الجسم والروح وكذا الآلام الروحانية. يعلم نوع الانسان أن جسمه سوف تفارقه الحياة وتنفصل عنه الروح فيعود جمادا يتلاعب به البلى. وإنك ترى نوع الانسان بحسب طبعه الأولي ومنهم من لا يذعن بخلود النفس كيف يحاذر في حياته على حال جسمه فيما بعد الموت مهما أمكنه ويغار عليه مما يمس كرامته ولا يهون عليه أن يكون معرضا للاستهانة والاهانة والاستهزاء وتناهب الوحوش له ولا يستسلم إلا لما استسلم إليه نوع الانسان كرها بل يود تحسين قبره وقربه من أهله وهذا هو الذي دفع المصريين وكثيرا من القدماء وبعض من هو بعدهم إلى تعاطي التحنيط وإيداع الجثث في المحافظ المتينة والمواقع التي تدافع بسوء إسواء البلى. ولئن سمعت ببعض من يوصي بحرق جثته أو يرضى به فإنما ذلك من مباد خيلت له أن في ذلك حفظا لكرامتها ودفاعا عن ابتلائها بالمحاذير الكبيرة كمن يرضى بالعملية الجراحية دفعا لما هو أعظم منها من المحاذير المهددة لحياته. إذا فالمرجو والأحرى في غاية معاد الانسان وآثاره أن ترتبط بما تقوم به أنانية الانسان.

تلك الأنانية التي تكون آثار المعاد عاقبة لأعمالها. وأيضا فإن الغاية الكريمة من المعاد تلك الغاية التي تقوم بخلق الانسان مختارا في أعماله لينال الغاية الحميدة في المعاد بابتهاج الأهلية وكرامة الاستحقاق والكمال والطهارة العملية الاختيارية هذه

الغاية اقتضت أن يعان نوع الانسان على تحصيلها بترغيب البشرى وزاجر التهديد على أكمل الوجوه التي لا تسلب الاختيار وهل يخفى أن أكمل الترغيب والزجر وأقربه إلى حصولي الغاية هو البشرى والتهديد بما يراه نوع الانسان راجعا إلى ما تقوم به أنانيته التي يعرفها ويرغب في كرامتها ويكره مهانتها وإنك ترى نوع الانسان يرى أنانيته التي يحافظ عليها وعلى كرامتها تقوم بهيكله الحي الذي يفوض تحليله بالتفهم العميق إلى جسم ونفس. فالأحرى بالحكمة واللطف وكمال الصدق أن يرجع صدق الترغيب والزجر ومصداقهما إلى ما تقوم به الأنانية التي يعرفها نوع الانسان.

وأيضا فإن كمال الكرامة (كمال الابتهاج بها إنما يحصلان باجتماع الكرامة المادية الجسمانية والكرامة الروحية ولا ريب أن الاحرى بالرحمة والغاية لخلق الانسان أن تجتمع له سعادة الكرامتين وابتهاجه بهما. رمزي: إذ قد وصل الكلام إلى ههنا وأن معاد الانسان يكون بهيكله المادي الحي الحاصل من اتحاد الروح بالجسم فبالضرورة تكون احتياجاتنا في المعاد مادية أكل وشرب نحفظ به كياننا وقوام مادي تستقر عليه أجسامنا. وقد قال بعض [1] إنا نضطر إلى أن نحكم بل نجزم بأن جزاء الآخرة لا يمكن أن يكون ماديا وأن الانسان لا يمكن أن يلج باب

1 ـ في كتاب ماهية النفس صحيفة 48. (*)

السعادة الأبدية بالنفس والجسد وإليك البرهان: إن جزاء الصالحين الأبرار كما تشهد به الكتب الإلهية وكما يقر به جميع أرباب الأديان المعروفة بلا استثناء إنما يكون في نعيم الملكوت حيث يقاسمون الله وملائكته وقديسيه سعادتهم الأبدية وتشهد تلك الكتب بأن الله روح لا تضمها مادة فليس هذه لله وملائكته محلا معينا ترتكز عليه المادة.

عمانوئيل: يا رمزي أنت تعرف وستسمع في صحيفة 533 و 534 ما وقع فيه في هذا المقام من تعتمد في كلامك على مكتوبه وما لقحم فيه من مخالفة الحقيقة الواضحة ومن التناقض الصريح عجبا للانسان المتقحم! ويا رحمة لانحطاط البرهان المسكين يا رمزي أي كتاب إلهي يقول بلفظه أو مأل معناه أن نعيم الصالحين يكون في الآخرة بنحو تقدس الله عن المادة وبنحو كماله الذاتي وغناه وأبديته ومعنى وجوب وجوده وأنهم يشركون الله ويقاسمونه في قدسه ووجوب وجوده وكماله الإلهي.

أليس من الممكن أن ينالوا من مواهب الله وأعمال قدرته سعادة أبدية تناسب جسمانيتهم بدون أن يستلبوا مقام جلال الله وقدسه ووجوب وجوده ويقاسموه في ذلك؟ يا للعجب هذه المادة المقرونة بفقر الامكان وتقلب الصور يسمح لها بعض الناس أن تكون أزلية أبدية من دون اعتماد على واجب الوجود القادر ولا يسمحون لها بالخلود بقدرة الإله الأبدي القادر واجب الوجود. كيف ينسب إلى الكتب الإلهية وأرباب الأديان ما نسبه؟ أو ليس هذا قرآن المسلمين يقول في الآية الخامسة والعشرين من سورة البقرة (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم أزواج مطهرة وهم فيها خالدون) ويقول في سورة الواقعة المكية 12 (في جنات النعيم) والآيات، 15 – 26 (على سرر موضونة * متكئين عليها متقابلين * يطوف عليهم ولدان مخلدون * بأكواب وأباريق

وكأس من معين * لا يصدعون عنها ولا ينزفون * وفاكهة مما يتخيرون * ولحم طير مما يشتهون * وحور عين * كأمثال اللؤلؤ. المكنون * جزاء بما كانوا يعملون * لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما * إلا قليلا سلاما سلاما) ويقول في سورة المرسلات 41 – 43 (إن المتقين في ظلال وعيون * وفواكه مما يشتهون * كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون). وانظر في سورة الصافات من الآية الأربعين إلى الثامنة والأربعين. وسورة الزخرف من الآية السبعين إلى الثالثة والسبعين. وسورة الطور من الآية السابعة عشر إلى الخامسة والعشرين وسورة الحاقة في الآيتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين إلى غير ذلك مما في القرآن من ذكر نعيم المعاد الجسماني. رمزي: ها هم المسلمون الذين لا يخفى مقامهم الكبير في أرباب الأديان المعروفة تراهم بأجمعهم يقولون في أمر القيامة بما يقول به قرآنهم من النعيم الجسماني (لا تعد منهم البابيين والبهائيين فإنهم ينكرون القيامة بتاتا على طبق المذهب المادي الإلحادي كما تصرح بذلك كتب الباب والبهاء).

يا رمزي ويقول هذا القائل [1] وكذا العقاب فإنه لا بد وأن يكون من نوع المكافآت (أي لا بد من أن يكون جسمانيا لأنه مكافأة للانسان الجسماني الذي عمل الشر) ولا يمكن أن يكون جسمانيا لأن سكان جهنم وأزيد بهم الأبالسة والشياطين الذين هم الأشرار وأساس الغواية على عمل الشر كما تدل عليه الكتب المذكورة هؤلاء ليسوا سوى ملائكة وأرواحا حكم الله عليها بالعذاب فليس لهذه الأرواح محلا مخصوصا ولا يمكن أن تحل على مادة فالعقاب الذي ينالهم لا يكون إلا روحيا. وهذا

1 ـ كتاب ماهية النفس صحيفة 49. (*)

العقاب الروحي وجهنم التي ليس محلا ماديا كيف يرتبط بالجسم المادي ويعاقب به.

عمانوئيل: لقد أصلحت عبارة صاحبك في ظاهرها. ولكن هل سمحت بالالتفات إلى معناها واستدلالها؟ لم تنصف نفسك ولا أدبك إذا لم تلتفت إليها يا رمزي، الأديان تقول: إن جهنم نار مادية في محل مادي وإن عقاب الانسان الأثيم في جهنم هو مادي وها هي الكتب بمرأى من الناس وبذلك يقول أهل الأديان ولئن كان هذا العقاب ينال الأبالسة والشياطين فلأنها ليست أرواحا مجردة عن المادة والصورة بحيث لا تحل محلا مخصوصا ولا يمكن أن تحل على مادة بل هي مادية وإن كانت بنحو يخالف مادية البشر ولتكن مثل الغازات بل قل مثل القوة بل قل مثل الأثير ها هي كتب الأديان المعروفة تتثبت للشياطين والأبالسة أعمالا من نحو الأعمال المادية كالدخول والخروج والهبوط والهلاك ولهم مسكن ومستقر مادي تحل عليه ويطرحون في جهنم فمن أين لهذا الكاتب أن الأبالسة أرواح مجردة عن المادة والصورة ليس لها محل مخصوص ولا يمكن أن تحل على المادة؟ إن كان هذا الكاتب وأصحابه يرجعون في هذا الشأن إلى الكتب الدينية فهذه صراحة الكتب الدينية. وإن كان يعتمد على مبادئ الماديين فإن الماديين ينكرون وجود الأرواح المجردة سواء كانت أبالسة وشياطين أم ملائكة أخيار أو أشرار. فعلى أي مبدأ يفتي هذا الكاتب ويستنتج من فتواه ويجادل؟ يا للعجب لو تعذر على هذا الرجل أن يفهم أنه يمكن أن تعذب الشياطين بنار مادية وعذاب مادي في محل مخصوص لما كان له أن يضطهد صراحة الكتب الدينية بأن الانسان الأثيم يعاقب في الآخرة بنار مادية في محل مخصوص.

اليعازر: يارمزي كم ينبغي أن أقول يا للأسف على الأدب! ترى الرجل يريد أن يجادل أهل الأديان بكتبهم الدينية لكي يجحد القيامة والمعاد في الآخرة وحاصل مغالطته أن يقول [1] تارة إن الدلائل الموجودة في كتب الأديان على كون الانسان يلاقي جزاء أعماله في حالة مشتركة بين الروح والمادة والتي تؤيد أن جزاء الآخرة ماديا أزيد منه روحيا أكثر من أن تحصى). وتارة أخرى ينسب إلى الكتب الإلهية وأصحاب الأديان المعروفة بلا استثناء [2] شيئا لا يمكن معه المعاد الجسماني مع أن صراحة الكتب الإلهية وتعاليم الأديان المعروفة تدحر هذه النسبة خاسئة. رجل تبعثه نزعته إلى أمر فيتستر بأنه يقوم [3] بأن يمثل دور واحد من الفلاسفة فيتكلم بلسانهم وما عندهم من الشكوك إلى آخره – أفلا يشعر بأن الفلاسفة الذين يشير إليهم لا موقف لهم من الإلهيين في شأن المعاد فإن موقف الإلهيين في حقيقة المعاد إنما هو في مقام بعد الخطوة الأولى أعني الخطوة الأساسية أساس المعارف الدينية والنور الذي يوقف على الحقايق بأجلى مظاهرها ويدعم بنيانها بدعائم راهينه وحججه تلك خطوة العقل بدلائله الفطرية الأولية واعتباراته الحسية والوجدانية إلى اليقين بوجود الإله الخالق القادر واجب الوجود الغني العليم الحكيم وإنه بقدرته وحكمته وعلمه يرسل الرسل الصادقين العارفين بوحيه لكي يهدوا البشر إلى مناهج الصلاح ومواقف الحقائق ويكونوا لعقول البشر بمنزلة النظارات المكبرة والمقربة يجلون الحقائق بمجاليها. تجد الممثل لأحد الفلاسفة يتكلم في أمر المعاد بإحدى نزعتين: النزعة الأولى: وهي النزعة التي تغمز وترمز إلى جحود الإلهية والنبوة. النزعة التي يقول من جرائها أنه لا وسيلة لإدراك الحقائق

---

1 ـ كتاب ماهية النفس صحيفة 45.

2 . صحيفة 48.

3 . صحيفة 46. (*)

الروحية سوى الحدس والافتراض وأنها ليست سوى بنات التعليل التي لم يقم على إثباتها دليل حسي ولم تكتسب صفة الحقائق الراهنة إلا لإحجام العقول وعجزها عن تعليل ينافيه انتهى تلك النزعة التي يقول من جرائها في أمر المعاد الجسماني [1] . إن جمع تراب الانسان بعد موته لي إعادته إلى حاله قبل الموت وإصعاده إلى أعالي السموات ويبنى له مسكن في الفضاء كل واحد من هذه يحتاج افتراضه إلى افتراض أعجوبة سماوية ولكن الفيلسوف الذي يطلب الحقائق الملموسة لا يكتفي عن الأدلة بالأعاجيب. يارمزي هل ترى رجلا لا يعرف أن الإلهي لا يقابل الفيلسوف في حجة المعاد بالأعاجيب وإنما يحتج عليه بدلالة الكتب الإلهية والأدلة النبوية بعد ما يمهد دلالتها بالحجة على الإلهية والنبوة. فإن شاء الفيلسوف أن يروغ إلى الاستبعاد والاستهزاء الذي يضطهد الأدب والشرف ويضرب المثل بالعظام والرميم وجمع تراب الانسان وإعادته وإصعاده إلى أعالي السموات وبناء مسكن له في السموات فإن الإلهي حينئذ يدراي استهزائه ويوبخ مغالطته ويروض من جحوده باستلفاته إلى أن ذلك كله ليس بعجيب ولا مستصعب ممن خلق الانسان والحيوان من نطفة وخلق السموات والأرض وما فيهما بهذا النظام الباهر ولم نتشوع إلى الاذعان به لمجرد إمكانه وعدم صعوبته على خالق البشر والسموات والأرض وما فيهما بل دلنا على

ذلك كشف النوات التي وهن الحس والعقل على صدقها في تعليمها. والنوعة الثانية. هي التي من جرائها يقتحم التناقض والتقول على الكتب الإلهية وأهل الأديان المعروفة مع أن الأمر مكشوف لكل راء وسامع.

1 ـ كتاب ماهية النفس صحيفة 49. (*)

النعيمان الجسماني والروحاني

الشيخ: لبيان الحقيقة بقية كاد طول الكلام أن يحجبها بستار الاغفال وهذه البقية هي التي تنبه على مزة الحقيقة بحسنها الجامع وبهجتها المعشوقة: نرى الانسان في هذه الحياة له لذتان ونعيمان، نعيم جسماني قائم بمرغوبات الجسم وشهواته ومروحاته، ونعيم روحي تبتهج به النفس وترتاح إليه وهو إدراكها للحقائق والمعقولات الكريمة والمعارف العالية وابتهاجها بكمالاتها وملكاتها الراقية وكريم مقامها في رفعة العز والاحترام وسلامتها من انحطاط النقائض ومهانة الانتقاص والتوبيخ. فالصالح المستحق لنعيم الآخرة قد أعد له الفوز بالنعيمين وبشر بهما. النعيم الجسماني والنعيم الروحاني الذي تشتاق إليه النفس وترغب فيه ذلك اليوم. وإنك ترى نوع البشر في دار الدنيا يكون نظرهم إلى النعيم الجسماني ورغبتهم فيه أكثر من الروحاني ولأجل ذلك جرت حكمة القرآن الكريم على كثرة بيانه لمجد النعيم الجسماني في الآخرة أداء لحق الاستصلاح والترغيب في الصلاح بنحو يشوق الفكرة النوعية البشرية. ومع ذلك قد أعطي النعيم الروحي في الآخرة حقه من البشري والترغيب به وبيان مجده الكبير بوجهته الحقيقية المطلوبة في ذلك اليوم. ورغب الانسان في حفظ مقامه ومرتبه شرفه وأن يوفى حقه من التكريم والاجلال فبشر بذلك في الآية السابعة والأربعين من سورة الحجر المكية بقوله تعالى: (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين) كل من أهل النعيم يوفي صاحبه حقه من الاحترام ويرضى كل منهم بمقدار حقه. وفي الآية الثالثة والأربعين من سورة الأعراف: (ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها) بفضيلة صلاحكم واستحقاق كمالكم بأعمالكم واجتنابكم الرذائل فكانت كرامة تكريم ودلالة كمال وجزاء (بما كنتم تعملون).

وفي الآية الثالثة والسبعين من سورة الزمر المكية (قال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) بشرى بعناية خزنة الجنة أمناء تشريفاتها وتكريماتها. ومثلها البشرى بما في الآيتين الثالثة والرابعة بعد العشرين من سورة الرعد المكية (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب * سلام عليكم بما صبرتهم فنعم عقبى الدار). وأرقى من هذه البشرى قوله تعالى في الآية الثامنة والخمسين من سورة يس (سلام قولا من رب رحيم) قولا بتحية وتكريم من الرب الرحيم وفي السادسة والأربعين من سورة الحجر (ادخلوها بسلام آمنين) من كل مخوف يمس الكرامة في نعيم الجسم والنفس. وقوله تعالى في الآية الثانية والسبعين من سورة التوبة (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن و) أعلى من ذلك هو النعيم الروحي الكبير وهو إدراك الكمال البهيج والتكريم المنوه به وأحسن نتائج الكمال ودلائله وهو (رضوان من الله أكبر) ما يتصور من النعيم الروحي لدى العارف (ذلك الفوز العظيم) إذا أحس الانسان برضوان الله فقد

عوف ما هو عليه في الكمان ولياقته لأن يرضى الله عنه وذلك أقصى آمال العارفين في الابتهاج والنعيم الروحي والسعادة العظمى. والبشرى الجامعة في ذلك قوله تعالى في الآية الثالثة عشر من سورة الانفطار والثانية والعشرين من سورة المطففين (إن الأبرار لفي نعيم) من دون تخصيص بالنعيم الجسماني. وفي الآية الخامسة والثلاثين من سورة (ق) في ذكر الجنة (لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد) لم يعط القرآن حقه من الفهم والانصاف من يقول. إن بشرى القرآن للأبرار في جزاء الآخرة إنما هي الملاذ الجسمانية.

المغالطات في المعاد الجسماني وجهنم

رمزي: قد بقيت عندي من تلك الأناشيد بقية فهل تسمحون بإنشادها تمحيصا للشبهات؟ قد قيل إنه لو كان لجهنم محل مادي معلوم وفيه الملايين من الأجساد فلا بد أن يكون هذا المحل العظيم عرضة للاكتشاف.

عمانوئيل: هل قال لك أصحاب الأديان إن جهنم وجهنم النار التي لا تطفى هي في إحدى القارات من أرضنا أوفي أحد الجزائر لكي تقول قولك هذا؟؟ لعلك تقدر في أمانيك أنا إذا قلنا لك إن جهنم هي في غير أرضنا هذه إنك تستفحل وتقول عجبا ومن هو الذي يوصل البشر الخاطئين من أرضنا هذه إلى جهنم حتى كأنك تؤمل أنه لا يقدر أحد أن يقول لك اسمح بذلك لزوابع الأثير أو زوابع الجواهر الفردة أو للقوة التي أدارت السيارات والمذنبات على شموسها كما يقال في الهيئة الجديدة. ولولا أن أصحاب الشجاعة الأدبية يغتاظون؟؟ لقلت لهم اسمحوا بذلك للإله الخالق للعالم وما فيه من النظام الباهر.

رمزي: ولو قيل إن هذا المحل تحت الأرض أو فوقها لكنا نرى الأجساد تغلغل تحت الأرض أو تحلق إلى العلاء مع إنا نرى الأجساد يعتريها الفساد والبوار بعد الموت فتتلاشى وتباد.

عمانوئيل: لماذا نسيت يا رمزي أن كلامنا إنما هو في يوم المعاد يوم تعاد الأجسام بعد البلى. أذكر، وافهم أنه لم يقل أحد إن الأموات الخطاة ينقلون من حين موتهم إلى جهنم القيامة ولا يدخلون القبر ولا يعتري أجسادهم الفساد. أراك تؤكد في قولك (تعتريها الفساد والبوار فتتلاشى وتباد) إن كان لك في ذلك غرض فإن القرآن يقول لك (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) [1] هل بقيت بقية من أناشيدك يا رمزي.

المغالطات في المعاد ومسؤولية النفس

رمزي: قد تكلمنا فيما مضى من الوجهة الدينية ونتكلم فيما يأتي من الوجهة الفلسفية فنقول لا يمكن مسؤولية النفس وحدها فإن النفس لا تأتي بعمل صالح أو قبيح قبل أن تلبس المادة. فلماذا تنسب إليها الأعمال التي فعلتها مشتركة مع الجسد هذا لو كان لها مزية الاشتراك مع الجسد في إبراز الأعمال ولكن ليس للنفس دخل في الأعمال فإن رأينا فيما سبق أن فعل النفس لا يفرق بشئ عن فعل البخار أي أنه مقصور على فعل الحركة لا غير وأن أعمال النفس تابعة لتركيب المادة فما فخر النفس وما ذنبها.

عمانوئيل: هل تكلمتم فيما مضى من الوجهة الدينية إلا بأن نسبتم إلى الكتب الإلهية ما تصوح بخلافه وإلى أهل الأديان ما يتوأون منه. وإن النظر في مصادر كلماتك يعوفنا أن الحقائق الفلسفية قد لقيت منكم مثل ما لقيته الحقائق الدينية ويا للأسف.

ومهما يكن من ذلك فإنا من حيث المعاد في يوم القيامة لا تهمنا هذه التونيمة البلردة من أناشيدك فإن الكتب الإلهية دلت بصواحتها الواضحة المتكررة على أن المسؤولية في يوم القيامة تتعلق بالانسان، الخاطئ بجسده وروحه. كما عليه العموم من أهل الأديان المعروفة. ولا علينا من تأويل المؤلين الذين يمزجون الدين بتعاليم أجنبية. قد سبق في صحيفة 83 – 107 ما يدل حر النفس والشعور على أن النفس جوهر قائم بذاته له مزة الاوراك والشعور والإرادة وتدبير حياة الجسد وتسخوه في أعماله الآلية.

---

1 ـ سورة يس / الآيتان: 78 و 79. (*)

وإن لها جهة تراعي بها شؤون الجسد المتحدة به. ولها جهة أخرى عقلية تراعي بها الحقائق الصالحة والصلاح الشخصي والنوعي وكثيرا ما ترجح الحقائق الصالحة على شؤون الجسد واحتياجاته الماسة والتي ترجع بسبب الاتحاد إلى كونها احتياجات النفس ومقاصد أهوائها. بل كثيرا ما تفدي شؤون الجسد بل وحياته لأجل تلك الحقائق مع الحقائق مع الافتخار بالفضيلة وإحراز الموفقية لذلك الفداء وترجيحه واختياره. وكثيرا ما تنال بذلك فضيلة الاستحسان والمديح.

في النفس والعقل

لا ينبغي للمناقشات في الحيثيات أن تقف أمام الحقائق الملموسة بيد الاوراك الأولي والمنظورة بعين البصورة. بل اللازم في فلسفة الحقائق أن نمشي مع واجبها العلمي لتحصيل النتائج المطلوبة جنبا لجنب. إذن فلا يهمنا في مقامنا هذا أن نوسع نطاق البحث لكي نقول إن العقل هو جوهر قائم بذاته ملازم في مرافقته للنفس لتستهدي به إلى الحقائق الصالحة ويكون دليلا مرشدا لها في سبيل هداها. أو لكي تقول: إن ذات النفس تسمى نفسا باعتبار تمايلها إلى شخصيات الجسد وتحرك إرادتها بأهوائه من دون اعتناء لها بما تتركه من الحقائق الصالحة. وتسمى عقلا باعتبار إدراكها للحقائق وجريان إرادتها وأعمالها على مقتضى تلك الحقائق وإدراكها. لا مساس لهذا البحث المتشعب ونتائجه في تشويش ما نريد بيانه أو في تنويع ما نتطلبه من النتائج.

في تعليل الأعمال والأفعال

يتوهم المتوهم أو يغالط المغالط بأن أعمال الانسان وتروكه معللة بأمور جسدية. أما طبيعية للجسد كالمزاج والسحنة وأما كسبية كالأخلاق المكتسبة من العادة أو مقتضى البيئة والمحل أو المحيط كالقرين والخليط والأحوال ونحو ذلك. ولكن صدق الاعتبار والاشراف على الحقائق الراهنة يجلو غبار الأوهام ويضمحل به سراب المغالطات. وإليك بعض ما ينبهك من الغفلات.

المزاج وأعوانه

ترى ما لا يحصى من الشبان والكهول ذوي المزاج الدموي الحاد القوي والراحة والقوة والعيش الرغيد وهم غير متزوجين وفي شدة الشوق والحاجة إلى مقاربة النساء وفي موقع وحرفة يكثر فيها ابتلائهم بالنساء الجميلات المتبرجات والداعيات إلى أنفسهن بمغوى الكلام السحار ومغازلة الإشارات ومخادعة الجمال الفتان وتراهم مع ذلك على جانب كبير من العفة والتقوى. تمثل له عفته وتقواه المرأة الأجنبية مثال الحجارة وتجعل سحر كلامها ومخادعة إشاراتها كالرقم على الماء يقضون على ذلك السنين والأزمان وترى الكثير من المتقدمين بالسن ذوي المزاج البلغمي والقوة الساقطة وهم في غنى عن الزنا بوجود نسائهم ومع ذلك يتطلبون ويقتحمون في شناعته وخسارته ومتاعب تحصيله ورذالة تطلبه ومضار عاقبته. يتسارعون إليه سواء حصلت لهم امرأة جميلة أو قبيحة. وكم ترى بين الفريقين المذكورين من ذوي الدرجات المختلفة في العفة والزنا. أما إن الالتفات إلى ذلك يعرف الحر أن العفة والتقوى، والفساد و الزنا ليست معلولة للمزاج ولا من لوازمه الطبيعية. كم وكم ترى من ذوي المزاج العصبي من لا تستفزه الحدة والغضب ولا التجبر والكبرياء ولا نخوة الغيرة ولا تبعثه على ما يمنع عنه الشرف والفضيلة والعقل والشرع. بل تراه يكون في جنب ذلك ألين ما يكون جانبا وأحسن ما يكون حلما وهدوا وصلاحا. وكم ترى من لا يكون مزاجه عصبانيا وهو منغمس بالأعمال التي يضطهد بها النواميس العقلية والشرعية وتشمئز منها الانسانية والصلاح والفضيلة. وكم ترى بين الفريقين من ذوي الدرجات المختلفة في الأحوال والأعمال. وكم ترى صاحب المزاج الخاص ينقلب في أعماله وأخلاقه إلى ضدها من دون تغير في مزاجه وطبيعياته.

السحنة ودلالتها الطبيعية

أنظر إلى صنف من الأصناف التي نعدها كما ذكروها. أنظر إلى قصار القامة. وإلى ذوي الأنوف الطويلة والعيون الزرق. وإلى ذوي العيون السود اللامعة مع الاستدارة والرطوبة، والأنوف والشفاه السمكية والأفواه الواسعة. وإلى ذوي الوجوه المنقبضة والعيون المجوفة والحواجب السمكية المتناوة والشفاه الرقيقة والأصوات الخشنة. وإلى ذوي الأجسام السمينة الضخمة.. وإلى طوال القامة ونحاف الأبدان ومتوسطيها. وإلى الذين تخالف سحنتهم هذه الأوصاف المذكورة أنظر إلى هذه الأصناف وتتبعها فإنك تجد في كل صنف منها بكثرة من هو خداع فتان أو ماكر أو فاسق أو ردي قاس أو صالح ممتاز بالأخلاق الفاضلة أو متوسط في أعماله وأحواله. وتجد في كل صنف كثيرا ممن هو ليس بخداع ولا فتان ولا ماكر ولا فاسق ولا ردي قاس ولا صالح حليم. لا تجد لما يزعمونه من آثار السحنة أثرا مطردا ولو في الغالب بل الكل منقوض بالشطر الوافر والأوفر بحيث يتضح لك أن أعمال الناس وأخلاقهم وملكاتهم ليست معلولة لأحوال أو أوضاع جسدية وأمور طبيعية في الجسد، لا تعتمد على ذلك في شخص إلا وتراه منقوضا في شخص آخر بل إنك كثيرا ما ترى الشخص الواحد يكون على أعماله وأخلاقه مدة ثم ينقلب إلى غيرها أو ضدها من غير تغيير في سحنته.

أوهام التعليل بالحاجة والبيئة

كم ترى الكثير من الفقراء الأقوياء القادرين على السرقة والاختلاس تمسهم الحاجة الشديدة إلى الشئ وهم قادرون على اختلاسه ومع ذلك تراهم يتورعون ولا يأخذون المال إلا من حله ومتاعب الاكتساب والأعمال. كم من فقير محتاج وجد لقطة من ذهب أو فضة مسكوك وغير مسكوك أو غير ذلك فلا يأخذ منه لحاجته شيئا، بل يتحمل فوق ذلك كلفة التعريف به والطلب لصاحبه بأنواع الوسائل.

وكم ترى من غني يقطع الطريق أو يقتحم بيوت الناس ومخازنهم ويقدم على قتل النفوس لأجل استلاب أموال الناس وسرقتها.

وكم تجد من غني مثر يغالط العمال الفقراء بالحساب ويختلس من أجورهم الفلس وأشباهه يقطع ذلك من أجور متاعبهم وأقوات عيالهم وأطفالهم.

أوهام التعليل بالبيئة أو المحيط

أنظر إلى المدن الصالحة نوعا والقرى الصالحة نوعا والأحياء الصالحة نوعا والبيوت الصالحة نوعا فكم ترى فيها من المختلين للفساد وكم ترى تفاوتهم في درجاته إلى أن يبلغ بعضهم أقبح الانغماس بالفساد ثم أنظر إلى المدن والقرى والأحياء والبيوت التي يغلب فيها الفساد فكم ترى فيها من المختلين للصلاح وكم ترى تفاوتهم في درجاته إلى أن يبلغ بعضهم درجات الكمال العالية، وأنعم نظرك في الشعوب، ومن تجمعهم إلفة المصانع والحرف ونحو ذلك فكم ترى فيهم من الاختلاف والصلاح والفساد.

من تجتمع فيه التعليلات الموهومة

وانظر إلى كل صنف متساو بالمزاج والسحنة والمحيط والبيئة مما تتساوى فيه أفراده تمام المساواة ثم انظر كيف تختلف أفراده في الأعمال الصالحة والردية بدرجات مختلفة يصل اختلافها إلى البعد الشاسع. كم وكم ترى الشخص الواحد يمضي له زمان وهو على مزاج واحد وسحنة واحدة ومحيط واحد وحال واحد وبيئة واحدة ويكون في شطر من ذلك الزمان ذا أعمال صالحة وفي شطر منه ذا أعمال ردية يتغير من شأن إلى ضده. وكم تراهم يتفاوتون في هذا التغير بدرجات مختلفة. ترى من ذوي القامات الطويلة والأجسام السمينة الضخمة والأمزجة الليمفاوية (البلغمية) والسحنة التي ينسبون إليها الصلاح وممن لا يقدر لذاته رفعة شرف ولا كرامة محل. تراه إذا مست شخصيته أدنى معاملة من الحق يتقحم الجرائم القبيحة في الانتصار لباطله ويتهور في الانتقام ويتجاوز الحدود. وكم ترى من ذوي عصباني شاب مقتدر رفيع الشرف عزيز المقام يعتدي عليه

ظلما من هو دونه وهو قادر على الانتقام يأمن من يكثر الموانع ولكنه يصفح عن الانتصار لشخصيته وخصوصية مظلوميته ويتمسك بفضيلة العفو وشرف الهدو وكرامة الصلاح وكثير من هؤلاء من تبعثه عاطفة الاصلاح إلى استصلاح ظالمه بالموعظة والارشاد بلين الكلام وأمارات النصح والحنان إن ظن فيه خيرا وتأثرا بالموعظة. وكم وكم بين كل فريق وقرينه ممن ذكرنا وبين الأشخاص بحسب أزمانهم من درجات متفاوتة لا تراها ترتبط بمزاج ولا سحنة ولا حاجة ولا بيئة ولا محيط ولا حال ولا مقدار من الغضب ولا مقدار من الشهوة، لا تقدر أن تربط تعليلها بشئ من ذلك وستسمع لذلك بعون الله بقية إيضاح. ليس ما ذكرناه وفصلنا الإشارة إليه محجوبا بالستار، ولا مما يحتاج إلى رصد فلكي، أو تجول رحالة، كله مكشوف للعيان تجد مصاديقه بكثرة حتى في أهل المدينة والقرية. لماذا يكون ذلك؟ وكيف يكون ذلك؟ وكيف يكون معللا للجسديات، إذن فلماذا يتخلف التعليل هذا التخلف الذي لا يحد، كيف تتخلف المعللات عن عللها الطبيعية.

رمزي: بقيت كلمة أقولها كما قالوها أقولها تمحيصا للحقيقة: خذ رجلا زانيا من عاشقي سادوم وعمورة (أي مدينتي قوم لوط) ثم اخصه أو اسقه دواء يميت شهوته ثم أطلقه فإن عاد إلى فسقه وفجوره كان دليلا على أن الميل الزنائي هو هوى من أهواء النفس أما إذا رأيناه يكون أعف من يوسف أفلا يكون ذلك برهانا على أن المزاج الجسدي هو الحاكم على أعمال الانسان.

عمانوئيل: لماذا غاب عنك أن الزنا من أعمال النفس الآلية وأن إرادة النفس له إذا اقتضتها وجهة التصور إنما تكون من وجدان النفس للشهوة بواسطة اتحاد النفس بالبدن وارتباطها به. تتحرك قوة الجسد فتشتهي النفس فتريد فتحرك الأعضاء على عمل الزنا، وكيف تشتهي النفس إذا بطلت قوة الجسد وكيف تريد ما لم يمكن إعماله ولا تجد له أدنى ميل ولا آلة. إذا لم يكن لك ولد فإنك لا تريد أن تسرق له مزمارا يزمر به لكي تستريح من هياجه ومطالبته بالمزمار.

وأما إذا كان لك ولد يطالبك بالمزمار فليس من اللازم الطبيعي أن تكون سارق مزامير لأجل تسكيته بل إنك بحسب وجهة تصورك إما أن تكون سارق مزامير سواء كنت متمكنا من الشراء أم لا وإما أن تشتري له بالحلال ما يسكن هياجه وإما أن تعوض عنه وهو يهدأ أخيرا. هذا مثال الزاني الذي ذكرته في حال إخصائه وفحولته. أما قول القائل إنه يكون عند إخصائه أعف من يوسف فهو كلام من لا يعرف للعفة معنى. ليست العفة عدم الفعل عند عدم القوة وإنما العفة هي ترفع النفس الشريفة بتصوراتها الراقية عن العمل القبيح مع القوة عليه ووجدان شهوته.

الأخلاق والتفكير

رمزي: إن الانسان يكتسب أخلاقا تبعثه على ما يلائمها من الأعمال فما هو القول في هذا الموضوع وهل يبقى مع بعث الأخلاق مسؤولية على النفس وهل الأخلاق نفسية أو جسدية؟ عمانوئيل: كأنك سمعت من بعض الكاتبين قولهم: إن الخلق لا يتغير فحسبت إنه يلجأ على الأعمال فتقول إذن لا محل للمسؤولية العادلة المعقولة مع الالجاء. نعم لا مسؤولية مع الالجاء ولكن من أين تقدر أن تكابر العيان والخبرة الشاهدين على أن الخلق لا يلجأ ولا يضطر على مناسباته من الأعمال بل نجده

كثرا ما يبطل أثره بحسب الدواعي المزاحمة له في التصور والاختيار وكثرا ما يتعدل أو يتغير إلى ضده دفعة أو تدريجا بسرعة أو ببطء بحسب ما لأسباب التغيير من القوة أو الضعف.

الشيخ: إذا حررت فكرك وأمعنت النظر لم تجد الخلق إلا نتيجة من أمور.

(منها) حسن التفكير والاسترشاد بالعقل وتعاليم الهدى بحيث يكون وقوف التصور على العمل الصالح والترك الصالح بسبب الاذعان بحسنه واستجابة للترجيح بالإرادة.

وبالنظر إلى غلبة ذلك في نوع من الأفعال والتروك يسمى خلقا خاصا كالسخاء والحلم والرحمة والعفة.

وبالنظر إلى نوع الصالحات من الأفعال والتروك يكون كمالا وتقوى. (ومنها) التساهل في التفكير وذلك بأن يترك وجهة تصوره منصرفة نحو فعل أو ترك فيه ملائمة للحالة الجسدية ولا يعطي التصور حقه في التوجه إلى ما في ذلك الفعل أو الترك من المضار العقلية الجسدية ولا إلى ما هو الصالح الأهم من المصالح العقلية أو من المصالح الجسدية.

بل يستوسل بوجهة تفكره للنزعة الجسدية الحمقاء أو لقوين السوء أو لغير ذلك من الجهات ويقف عند ذلك ويعوض بوجهة تفكره وتصوره عن حقيقة تمثلها الفطرة لتصوره في كل حين.

ألا وهي الموازنة بين المصالح والمفاسد لأخذ النتيجة للعمل. وبالنظر إلى غلبة ذلك في نوع من الأفعال أو التروك يسمى خلقا خاصا كالبخل والحدة الحمقاء والقسوة والفجور ونحو ذلك وبالنظر إلى نوع الأعمال السيئة يكون تمردا وسقوطا.

لكن مهما يكن من ذلك فإنك تجد أن تفكير الانسان وإرادته واختياره لم يسيطر عليها مسيطر طبيعي أو عادي لازم.

فكم ترى من الأفعال أو التروك ما يقع بالاختيار ونتيجة نوع من التفكير على خلاف مقتضى الأخلاق. أنظر في حال كل ذي خلق من الأخلاق فكم ترى من أعماله ما هو على مضادة خلقه. كم ترى من بخيل يسمح بالكثير من ماله على رغبة منه حينما يستحكم في تصوره رجحان الانفاق إما رغبة في الخير أو حبا للجاه أو انقيادا إلى الشهوة وغير ذلك. يكثر منه ذلك ويقل. وقد يبلغ أن يكون سمحا في فعل الخير. أو في الانقياد إلى الشهوة. أو في حب الجاه والسمعة وهو بخيل فيما عدا ذلك وقد يتبدل بخله بالسماحة في أكثر الأمور ويتفق له الشح في بعضها. وكم ترى من سخي يبخل بالقليل في كثير من الموارد. ترى بعضا يبخل في فعل الخير. وترى بعضا يبخل في فعل الفسوق. وترى بعضا يبخل في موارد مختلفة بحسب الجهات المتشتتة. وكم ترى من حليم يثور به الغضب ثورة شديدة بحسب النواعي المختلفة. فمنهم من يشتد غضبه على الأفعال المنكرة. ومنهم من يشتد غضبه على مخالفة أمياله وشهواته أو كبريائه. وكم من حاد غضوب لا ترى لخلقه أثرا في الأمور المشروعة ولا مع امرأته ولا مع ولده ولا مع الأكابر ولا عند دواعي

التملق ومصانعة الأغراض. وكم من جبان يكون شجاعا في كثير من الموارد. وكم شجاع مقدام تراه يجبن ويحجم في كثير من الموارد. وكم ترى ذا خلق تغير خلقه إلى ضده. كم ترى من بخيل صار سخيا وكم ترى من سخي صار بخيلا. أو حليم زال عن حلمه، أو غضوب صار حليما أو متكبر صار متواضعا أو متواضع تشامخ بالكبرياء.. ترى الانسان إذا توفق للتقوى والورع أخذت تقواه وورعه وأفكارهما بمخانق أخلاقه المضادة لهما في الآثار. وإذا انقلب والعياذ بالله إلى الشرارة والدعارة تلاعبت أفكار شرارته ودعارته بما عنده من الأخلاق الجميلة. كم وكم ترى الأخلاق محكومة لسوانح التفكير المختلفة.. لا لا ترى في الأخلاق ما هو سالب للاختيار وملجئ للعمل على طبقه بل ترى الخلق مهما بلغ محكوما لسلطان التفكير..

أي سلطان هو سلطان التفكير؟

تأثير التفكير في الوجدان

أنظر إلى تفكير النفس ونظرها في وجوه الأمور الماثلة لديها كيف يتصرف بالوجدان والعواطف؟ ترى الانسان قد يجوع هو وأولاده وتضعف قواهم ويتألم من أجل ذلك فيحرر فكره للنظر في أحوال بني نوعه فيفكر في أنه يقدر على رفع جوعه

وجوع أطفاله ببذل المال وإن كان كثيرا وليس بينه وبين الشبع إلا السعي في ذلك. ولكن الكثير من بني نوعه من الأطفال والأيتام والأرامل والعاجزين من لا يقدر على القوت لا من حيث المال ولا من حيث السعي ولا أمل لهم بالقوت والشبع. فترى هذا التفكر الحميد يرفع عنه وجدان جوعه وألمه وعاطفته على أولاده ويبدل ذلك بعاطفة الحنان والرحمة فيقوى وينشط لأعمال كبيرة في سبيل هذه العاطفة الحميدة على بني نوعه. وهكذا ترى كثيرا ممن يمسهم العطش. يرى الانسان داره لا تقوم بحاجته التي يزع إليها بحسب اختلاف الفصول والحر والبرد والاعتدال والعائلة والضيف ونظام رفاهيته فيجد من ذلك ألما دائما وسخطا لحالة داره وربما يبعثه ذلك على نية الإقدام على الحرام والظلم لأجل توسعة داره. ولكنه إذا فكر في أمر الكثيرين الذين رآهم أو سمع بهم من الفقراء القاطنين في البر وليس لهم بيوت إلا من أسمال خلقة لا تقيهم من حر ولا برد ولا مطر وهم عرضة لرياح السموم المحرقة ورياح البرد القارس. تتغير ألوانهم في الحر والبرد. فإن هذا التفكير يبدل وجدانه الأول بوجدان الرضا والأنس بداره والاقلاع عما كان ينويه. ويجمع له مع هذا الوجدان وجدان الحنان والرحمة للفقراء. يموت بعض أولاد الانسان فيجد الحزن الشديد المؤلم ويستولي عليه الجزع والقلق وكثير ممن يبتلي بمثل ذلك يفكر في أن وجود ولده وحياته وموته وعافيته حياته ليست بيده مع أنه قوي له رجاء بولادة الأولاد وعنده أولاد متعددون. ولكن هلم المصيبة في فلان وفلانة الشيخين الفانيين الفقيرين العاجزين بالعمى أو الاقعاد لم يكن لهم إلا ولد وحيد شاب حسن الشمائل والأخلاق بار بوالديه يسعى في قوتهما وخدمتهما وحوائجهما وأنسهما ورضاهما وقد فقدا ذلك الشاب الصالح البار العامل وفوق ذلك أنهما صبرا صبر الأحرار على مصيبتهما الكبيرة من كل وجهة. فترى هذا المفكر ينقلب وجدانه الأول إلى الصبر والسلو والسكون مع الحنان والرحمة لذينك المسكينين ما أكثر الأمثلة لذلك في الوقوع بكثرة عظيمة.

إحداث التفكير للوجدان

ألا ترى أن التفكير كيف يحدث الوجدان. ترى ذلك بكثرة مدهشة كثيرا ما يكون الانسان لا يجد شهوة وشوقا لمقاربة النساء ولكنه يمثل في تصوره امرأة جميلة بادية المحاسن ثم يتصور أنواع الملاطفة والملاعبة معها فيهيج فيه وجدان الشهوة ثم يترقى في تصور أنواع الملاعبة ويؤكد في تمثيلها للنفس حتى يجد من نفسه ميلا هائجا إلى أن تهيج تلك التصورات أعصابه إلى الانتصاب ومادة التناسل إلى الخروج والأمناء. كثيرا ما يكون الانسان هادئا آمنا فيلتفت بتصور الله إلى بعض الأحوال فيجد الخوف وكثيرا ما ينعكس الأمر ويجري مثل ذلك في المحبة والكراهية والابتهاج والحزن والرجاء واليأس. وكثيرا ما تشتغل النفس بتصوراتها عن وجدان الألم واللذة وكم وكم يحصل لها الابتهاج والتألم بمحض التصورات.

قدرة الانسان على تغيير أفكاره وتعديلها وصرف النفس عن نزعاتها الجسدية

كثيرا ما تعرض لنا الأمور المزعجة التي كلما دام عليها التصور زاد الازعاج الذي قد يبعث على أعمال مذمومة فنقصد بنزعتنا العقلية أن نتخلص من الازعاج وعاقبته الذميمة فنصرف الفكر إلى تصور ما يسكن الازعاج حتى يضمحل، أو نشغل

الفكر بتوجيهه إلى أمور أخر حتى ننسى الانزعاج أو نتشاغل بأعمال تلهينا عن الانزعاج أو نبتعد عن أسباب الانزعاج فننساه ومن هذا النحو إرشاد أئمة الدين الاسلامي في تسكين الغضب والتخلص من آثاره وأعماله وتعليمهم بأن الغضبان يغير حالته وأقل ذلك أن يقوم إذا كان قاعدا ويقعد إذا كان قائما.. وكذا عند عروض الشهوانيات وإقبال النفسية عليها. نعم قد يسهل ما ذكرناه في عوان الكلام وقد يحتاج إلى إعمال المقدمات والاستعانة والاعانة بحسب ما يحصل من إلفة النفس لوقوفها على التصورات النفسية الجسدية ومجانبتها لتوجيه تصورها إلى الحقائق الصالحة العقلية أو من عكس في ألفة النفس وتصوراتها للاستضاءة بنور الحقائق العقلية والتنور بالوقوف عليها كما هو حقها فترى كثيرا من الناس من يحتاج في صلاحه إلى مرشد يعدل أفكاره وقرين صالح يروض فكره بنصائح أقواله وقدوة أعماله مع ترويض النفس على إمالة وجهها إلى النزعة العقلية وصرف خيالاتها عن النزعة الجسدية أو مع الابتعاد عن موارد الغواية وعداها. وترى كثيرا من الناس من تحتاج غوايته والعياذ بالله إلى مقدمات هي على العكس مما تقدم. وللناس بحسب أحوالهم في ذلك مراتب مختلفة ترى ما ذكرناه جليا في أحوال البشر وعليه عملهم. طالما نستعمله في تفكيرنا وتعديله وصرف أميالنا وأفكارنا عن وجهها ويشترك جميع الناس في عملهم على ذلك في أميالهم الجسدية وتعديلها فيما بينها فضلا عن صرف الفكر إلى العقليات الصالحة. مهما ثار غبار الشبهات والمغالطات فإن الالتفات إلى ما ذكرناه يجلو للانسان جو الحقائق فيراها ماثلة للعيان ملموسة بيد البداهية.. يعرف الانسان منها أن المصدر لاختيار الأفعال والتروك إنما هو ذلك الجوهر المدرك المشرف بإدراكه على الأمور الشخصية والنوعية الجسدية والعقلية صالحها وفاسدها وجهات منافعها ومضارها وإليه ترجعون موازنتها وتصريف الأفكار فيها وتعديلها وأنه أي تصور يقبل إليه ويقف عليه تنشأ عنه الإرادة للفعل فتحرك العضلات والأعضاء أو الإرادة للترك فتمسكها عن الحركة.

ومن أجل احتجاب هذا الجوهر عن آثار نورانيته بحجاب الجسمانية وظلمتها وكثافتها كان محتاجا في جودة إدراكه إلى مدافعة الحجاب بالتعلم والتفكير والتجول في ميدان الحقائق لاستجلائها لبصيرته. كما أنه من ارتباطه بالجسد ووحدتهما في الأنانية يحصل له الوجدان بجميع العوارض الجسدية. يحصل له الجوع والعطش والألم واللذة والشهوة والغضب والاحتياج والميل والحب والبغض والعاطفة والابتهاج والحزن والرجاء واليأس. فيحصل له مات ذلك نزعات جسدية تقف له صفا في مقابلة النزعات العقلية الصالحة فيرجع الأمر إلى اختياره لحسن التفكير والموازنة أو اختياره للإقبال على النزعات الجسدية والاعراض عن النظر في وجوه الصالحات. إذن فكلما يكون من آثار الجسد وسحنته ومن آثار الوجدان لا أثر له في الأعمال والتروك إلا بتمثله أمام تصور النفس كتمثل الحقائق العقلية الصالحة. وأما تعليل العمل والترك فهو راجع إلى إرادة النفس بحسب ما يقف عليه تصورها بحسب اختيارها لإجادة التفكير أو تقصيرها فيه مع مقدرتها على إجادته وسحق المعاثر في سبيله ولو بالتوسل بمعونة الأسباب والمقدمات التي أشرنا إليها قريبا. فلا توجه للمسؤولية إلا على النفس التي هي العلة الفاعلة. وأي توجه للمسؤولية على الجسد الذي هو جماد لولا ارتباط النفس. إذا وقف الظالم المبطل والمظلوم المحق أمام القاضي الذي بيده إجراء قضائه وتنفيذه. فقضى جورا وأجرى جور قضائه فعلى من تكون مسؤولية الجور في القضاء..

هل تقول بأنها تكون على الظالم الذي لم يصدر منه إلا الوقوف أمام القاضي. وهب أن رواهم الظالم لأجل الرشوة وقفت معه أيضا. أم تقول أنت وكل أحد أن مسؤولية الجور في القضاء إنما هي على القاضي الجائر المجوي لجوره. لكنا ذكرنا في صحيفة 120 إلى 123 بعض وجوه الحكمة في كون المعاد جسمانيا وكون المسؤولية والعقاب والنعيم تتعلق بهيكل الانسان نفسه وبدنه فراجعه.

تعليم القرآن الكريم

بما شرحناه في فلسفة الأعمال والتروك

ورجوعها إلى اختيار النفس في التفكير وذلك كما في قوله جل اسمه في الآية السابعة والثلاثين إلى الثانية والأربعين من سورة النازعات المكية (فأما من طغى * وآثر الحياة الدنيا * فإن الجحيم هي المأوى * وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنة هي المأوى). ما من حقيقة صالحة من فعل أو ترك إلا وأرشد الله إليها بكتبه الكريمة وتبليغ أنبيائه الكرام وأخبر بأنها وسيلة رضاه ورغب إليها ووعد عليها بالجزاء الحميد. وما من أمر فاسد إلا ونبه الله عليه وحذر من فساده وأخبر بأنه موجب لسخطه وزجر عنه بالوعيد بالعذاب الأليم. وقد أشار الله جل اسمه في هذه الآيات إلى منشأ أعمال الانسان من حيث تفكره واختياره وإلى وجه الحجة على المسئ واستحقاقه المسؤولية والعقاب وإلى وجه مدح المحسن واستحقاقه للكرامة. فأبان جل اسمه أن المسئ يعمل السوء بطغيان بجسديته الأهوائية فيختار أن يتبع في تفكره أهواءه الفاسدة ويعرض عن النظر بتصوره في وجه الصالحات رغبة عنها مع مثولها لتصوره بل يقبل بوجهة فكره وتصوره على الأعمال السيئة إيثارا لمحض الحياة الدنيا وأميالها الضالة ولم يوازن بينها وبين العمل الصالح الذي يجمع له كرامة الدنيا والآخرة، ولا يختار صرف أمياله بتفكره إلى الملاذ المباحة، كما أبان جل ذكره أن المحسن هو الذي يستعين في تفكره على منازعة الأميال الجسدية بالنظر في تصوره إلى مقام الله ربه العظيم مولاه في جميع الأمور وولي أمر الدنيا والآخرة، العليم بكل شئ، مهيب السخط شديد النكال، فيوجه تصوره إلى خوف مقام الله ويدحر بذاك أمياله الفاسدة فيخاف ربه وينهى نفسه عن هواها فيستقيم بتفكره في طريق الهدى والكمال والأعمال الصالحة.

رمزي: قد جاء في القرآن الكريم في الآية الثالثة والخمسين من سورة يوسف ما نصه (إن النفس لأمارة بالسوء) أفلا يدل ذلك على أن عمل السوء لازم طبيعي للنفس فكيف تكون مختارة فيه وكيف تحمل المسؤولية عنه. الشيخ: جاء هذا في القرآن حكاية عن قول النبي يوسف. وقد قال باعتبار اتحاد النفس بالبدن في الأنانية وأت شعورها بنواقص الجسد يؤثر فيها وجدانا شهوانيا أو غضبيا فتكثر فيه النزعة والميل إلى ذلك. ولكن النبي يوسف أشار في كلامه هذا إلى أن للنفس أيضا نزعة عقلية موهوبة لها من رحمة الله يستهدي بها الانسان ويقدر بها على تمحيص فكره وتعديل أمياله. تلك النزعة الراقية بنشأتها الكريمة من خلق الله ورحمته للنفس عقلية تقدر أن تسير بها وتشرف على الحقائق والموازنة في الفكر فتتباعد عن السوء وتختار الخير.

فقد قال النبي يوسف (إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي).

من المغالطات في المعاد

عمانوئيل: يا رمزي قد بقيت في مصادر كلامك كلمات تنادي بفواعثها ولا تتستر بمراميها قد تجاوزت عن حد البحث إلى فلتات الاستهزاء بالإلهية والأديان (الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون) [1] تلك الكلمات التي يتحاشى الغرب عن التجاهر بها فنقلها التجول وألقى مسؤوليتها على عاتق الشرق. فلماذا لم تذكر شيئا منها. رمزي: إن الشرف وحرمة الأديان وأهلها يأبيان لي أن أذكرها بما فيها فكيف أذكرها وأنا متدين. عمانوئيل. من الممكن أن تجردها من خلاف الأدب وتوردها أسئلة بسيطة افتراضية لكي يعرف ما فيها.

1 ـ سورة البقرة / الآية: 15. (*)

رمزي: قد افترضوا أن النفس تقول يا إلهي إني لا دخل لي فما عمله هذا الجسد الخاطئ.

اليعازر: ما كل نفس تقول ذلك إلا نفس أثيمة اختارت رذيلة. الكذب. هل الجسد بلا نفس إلا، كسائر الجمادات لا حس له ولا شعور ولا وجدان ولا إدراك ولا ميل ولا إرادة ولا حركة ولا عمل انظر إلى حال الجسد الذي فارقته النفس فهل ترى فيه من ذلك شيئا. يا أيتها النفس الخاطئة إن الله أنعم عليك بأن هيأك للكرامة الكبرى بالاستحقاق وللتنعم بالملاذ الحسية والعقلية. ولأجل ذلك جعلك متحدة بالجسد ووحدكما بالأنانية وسخر الجسد بذلك لإرادتك. منك الميل ومنك الاختيار ومنك الإرادة ومنك تحريك الجسد ومنك الأعمال. جعل الله لك إدراكا تميزين به الصالح من الفاسد وأيدك بالقوة العقلية والتعاليم الصالحة وتتابع العبر والمواعظ وجعل لك عن كل عمل فاسد سلوة وشاغلا بالأعمال المباحة. لا يغيب عن شعورك ما يحصل لك عاجلا في المجتمع الانساني بسبب الأعمال الصالحة من لذة الرفعة والمحبوبية والقوة. يكون لك هذا المقام المحمود حتى عند الفسدة والأعداء كما لا يغيب عن شعورك ما يلزمك في العاجل أيضا بسبب الأعمال الفاسدة من رذيلة النقص والانتقاص والضعة والنفرة حتى عند أهلك وقومك. ألا ترين مجد الأبرار الصالحين ومهانة الأشرار عند الناس. ومع هذا كله تختارين الشر وتسخرين الجسد في أعماله بإرادتك. ومن قبائحك أنك تتبرأين من أعمالك وتنسبينها إلى الجسد المسخر لإرادتك إفكا وزورا.

رمزي: وافترضوا أن النفس تقول يا إلهي ألست أنا نسمتك التي نفختها في هذا الهيكل الدنس.

اليعازر: يا للعجب من هذا الافتراض السخيف. النفس مخلوق من مخلوقات الله والجسد مخلوق من مخلوقات الله فهما من حيث الذات والمخلوقية سواء. ولكن النفس خلقت مستعدة لنيل الكمال والرفعة بالاختيار لتنال بذلك النعيم وأكبر الملاذ. ولكن منها ما يختار الانحطاط إلى حضيض التدنس والرذالة. ومن ذلك استعلائها الكاذب بدعوى الطهارة وبهتانها على الجسد بنسبة الدنس له.

رمزي: وافترضوا أن النفس. تقول إلهي ألم تجعلني على صورتك ومثالك فما ذنبي حتى آخذ بجريرة هذا الجسد الفاسد.

اليعازر: قبحا لضلال هذه النفس الأثيمة التي تقول هذا. ما أشنع كبريائها وجرأتها من أين لها أن جعلها على صورته ومثاله؟ من أين جاءت بهذا الزور؟ كيف تكون لله صورة؟ تعالى الله عما يصفون. هذا العهد القديم ينزه الله جل شأنه عن المثل والمثال والصورة. ففي الفصل الرابع من التثنية في مقام النهي عن التماثيل الأوثانية تبين التوراة في العدد الخامس عشر أنه لا صورة لله ولم يروا صورة لكي يفتروا بالتمثيل الأوثاني. وفي العدد الثامن عشر من الفصل الأربعين من أشعيا في مقام الانكار (فيمن تشبهون وأي شبه تعادلون به) وفي العدد الخامس والعشرين (فيمن تشبهوني فأساويه يقول القدوس) وفي العدد الخامس من الفصل السادس والأربعين (لمن تشبهوني وتساووا وتمثلونني ونتشابه) والقرآن يقول في الآية الحادية عشرة من سورة الشورى (ليس كمثله شئ.

عمانوئيل: يا والدي يوجد في العهدين شئ يتشبث بعض الناس بموهومه فقد جاء في الفصل الأول من سفر التكوين 27 فخلق الله الانسان على صورته على صورة الله خلقه وفي أول الفصل الخامس يوم خلق الله الانسان على شبه الله عمله وفي الفصل التاسع 6 لأن الله على صورته عمل الانسان. وفي الفصل الحادي عشر من كورنتوش الأولى 7 فإن الرجل لا ينبغي أن يغطي رأسه لكونه صورة الله ومجده. وفي الفصل الثالث من كولوسي 9 خلعتم الانسان العتيق مع أعماله ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه. وفي الفصل الثالث من رسالة يعقوب 9 به نبارك الله الأب وبه نلعن الناس الذين تكونوا على شبه الله!!

اليعازر: اسمعا يا رمزي ويا عمانوئيل إن تقدس الله عن المثال والصورة هو الحقيقة الساطعة في أول صف المعارف الإلهية. وهذه الحقيقة هي الميزان لاستقامة العهدين وغيرهما فكيف نقبل من العهدين الرائجين أو غيرهما أوهام القول بأن الله صورة ومثالا؟؟ ألم يمض في درسنا في الجزء الأول ما يعرفنا حال العهدين. وهذا أيضا مما يزيد في معرفتنا لحالهما. وأيضا إن كانت هذه النفس الأثيمة تشبثت بشهادة العهدين فإن العهدين لا يشهدان لها بل يؤخذ من كلامهما المتقدم أن الذي هو على صورة الله هو الهيكل الانساني والرجل لا النفس.

فهل تريد هذه النفس أن تستهزئ بالأديان بواسطة العهدين؟ وما أقبح ظلم النفس الأثيمة هي التي تريد الفساد وتسخر الجسد لإرادتها في أعمالها الفاسدة ومع ذلك تتزكى وتصف الجسد بالفساد ظلما وزورا. رمزي: وافترضوا أن الانسان يقول إلهي إني لست سوى خليقة مخلوقة وإذا كانت طبيعتي فاسدة فذلك لم يكن باختياري ولا عمل يدي خلقت ميالا للذنوب فأذنبت وإلى ارتكاب الشرور فارتكبت و و و. نعم جعلت في عقلا لأميز به النافع والضار والخير والشر ينير لي ظلمات الحياة ويهديني إلى الصراط المستقيم لكن ما حيلتي إذا خلقت وإرادتي ضعيفة لا طاقة لها على مقاومة التجاريب.

اليعازر: هل يخفى أن الانسان الأثيم والانسان الصالح لا يختلفان من حيث الطبيعة البشرية، ويوضح ذلك ما ذكره

عمانوئيل والشيخ من الصحيفة 541 إلى هنا فكيف يقال: (إن طبيعة الانسان فاسدة ولم يكن ذلك باختياره ولا عمل يده) ألسنا نعرف كثيرا كل من نوع الانسان من يختار فضيلة الصلاح ويترقى باختياره إلى الدرجات الرفيعة. ألسنا نعرف كثيرا من الناس نشأوا على الصلاح وقضوا أيامهم عليه، ألسنا نشاهد الأثيم من الناس إذا أحسن تفكره أقلع عن أمياله واختار ما هو الصالح المعقول؟ نرى كثيرا من نوع الانسان في زمان واحد يخلط في أعماله بين الفاسد والصالح حسبما يختار من تحسين الفكر والتساهل فيه. ونرى الكثير منهم من إذا اختار أن يحل بين الصالحين للقوة بهم رغب في الأعمال الصالحة ونشط لها وأقلع عن الأعمال السيئة واشمأز منها. وإذا حل بين الفساق هوى في اختيار الفسوق وابتعد عن اختيار الصلاح. كم من إنسان فاسد الأعمال يلفته إلى الصلاح يسير من الموعظة والتنبيه. وكم من إنسان قضى كثيرا من عمره على الفسوق والفساد ثم اهتدى إلى خير حال الصلاح والأعمال الصالحة.

ضعف الإرادة وقوتها

من الأغلاط الكبيرة أن يقال إن الانسان خلق وإرادته ضعيفة؟؟ لم تخلق إرادة الانسان حين خلقه. وإنما تتكون الإرادات على طول حياة الانسان متدرجة بحسب التواعي المتجددة ونتائج التفكير. خلق الانسان قادرا على التفكير مختارا في توجيهه وتعديله ولو بالوسائل العملية الاختيارية. وبحسب وجوه التفكير قد تكون له إرادة قوية لا تتزعزع سواء كانت في الخير أو الشر وقد تكون له إرادة ضعيفة قد ينصرف عنها حتى بعد أعمال شطر من مقدمات الشئ الذي يريده سواء كانت أيضا في الخير أو الشر وقد تكون له إرادات متوسطة مختلفة في مراتب القوة والضعف تحتاج في الانصراف عنها إلى ما يرجح على دواعيها في التفكير. ترى الانسان الواحد في نوع العمل الواحد يكون في زمان قوي الإرادة فيه ويكون في الزمان الآخر ضعيف الإرادة أو متوسطها كل ذلك بحسب أحوال التفكير واختيار التساهل فيه أو عدم التساهل والاقبال بالتصور أو الاعراض.

مقاومة التجاريب والاغواء

ومن الأغلاط الكبيرة أن يقال (إن الانسان خلق لا طاقة له على مقاومة التجاريب أي الإغواءات)! كم ترى من الناس من يقاوم التجاريب والاغواء ويطردها خاسئة. كم ترى من الفساق من تحدق به التجاريب وأسباب الغواية القوية في كثير من الأحوال فيقاومها بأمور يقبل عليها بتصوره ووجهة تفكره وهي طفيفة بالنسبة إلى غيرها. يسمع فلان. أخجل من فلان. أراعي جانب فلان. معشوقتي تغار من ذلك. تعرض عني. امرأتي تتكدر. تغضب علي. أحتشم فلان. التاجر الفلاني لا يأتمنني. الحاكم لا يستخدمني. هذا العمل يخل بمقصدي الفلاني. ونحو ذلك. وكم ترى هذا الانسان ينقاد للضعيف من التجاريب ولا يقاومها بأقوى الروادع. ولا تجد السبب في ذلك إلا أنه يوجه تصوره تارة إلى الروادع فيرغم التجاريب مهما كانت من القوة أو يوجه تصوره إلى تسويلات التجاريب ويعرض عن الروادع ويغالط فيها فيسقطها عن التأثير. كثيرا ما ترى الانسان الواحد يقاوم التجاريب في الغواية بنوع من الروادع وينقاد لتلك التجاريب وما دونها في مقام آخر على رغم ذلك النوع من

الروادع وعلى رغم ما هو أقوى منه لا تجد منزانا في ذلك إلا حالة تفكير الانسان وإقباله بتصوره أو إعراضه وتغاضيه بحسب اختياره. الشيخ: نعم ربما ينبعث الانسان من المداومة على العمل القبيح ومتابعة نفسانيته الأهوائية والإعراض من هدى عقله وإرشاد المرشدين ويحصل له من ذلك نوع ألفة وانهماك بالأعمال الردية وانتقال؟ عادة الصلاح فيتوهم حينئذ أنه يعسر عليه أن يتوب من أعماله الردية ويتزين بالصلاح. ولكنه توهم فاسد فإنه متى قابل ما ذكر من الألفة والانهماك وعارضه بحسن النظر والتفكير في قبح تلك الأعمال وقبح عاقبتها وأحسن الاقبال بفكره على ذلك فإن تلك الألفة وذلك الانهماك يضمحلان ويبطل أثرهما.

بل تزداد قوته على المعارضة إذا داوم على تفكره في قبح الأعمال وعلى إرادة ترك القبيح فإنه يسهل عليه الأمر جدا كما هو واضح للمشاهدات والوجدان وأن المداومة تؤثر حتى في الطبيعيات وتحدث في أعضاء الجسم قوة. ترى الانسان إذا تعلقت إرادته بالركض الشديد فاشتد ركضه فإنه لا يقدر حينئذ بحسب طبيعية الجسم على الوقوف بأول فكرة فيه وأول إرادة له وذلك لما يحصل له من قوة الحركة (وهي الحالة التي تسمى عطلة الحركة) ولكنه إذا أقبل على تفكره في الوقوف وإرادته له فإنه يأخذ بتخفيف الركض إلى أن تزول تلك العطلة فيقف. على أن ألفة العمل القبيح ليست طبيعية مثل عطلة الحركة التي تسلب الأعضاء والعضلات قدرتها على ضد الحركة ما دامت العطلة. ألا ترى أن أشد الناس انهماكا بالأعمال الفاسدة وألفة لها يجعل إلفته وانهماكه بها تحت قدمه دفعة واحدة إذا حصل له بعض الدواعي التي يمعن فيها بالتفكير وذلك مثل حكم معشوقته أو حضور من يحتشمه أو يخاف منه أو يرجوه أو غير ذلك كما ذكر قريبا. ولكن يا للأسف إن فكرة الصلاح والكمال يتساهل فيها.

مخادعات الأهواء

عمانوئيل: ما أدري ما هذه التشكيكات في أمر المعاد والحساب. وما هي إلا من مغالطات الأهواء للفكر. وكثيرا ما يغالط المتمرد المتهور بهواه في الأخطار فيدعي أنه آمن وليس وراءه خطر بل ربما يغالط عقله بذلك ومن نحو ذلك ما ينقل عن (أبيقورس) من قوله (إن راحة البال التي تقوم بها سعادة الانسان هي في اضطراب دائم من جري الريب الواقع من نسبة الانسان إلى الخليقة وإلى الله) يا للعجب ما هي سعادة الانسان التي تقوم براحة البال المضطربة من الله.

هل هي سعادة الأخلاق الفاضلة والعلم والأعمال الصالحة، والمعارف المستقيمة. والعدل والاستقامة وترك الفساد، والتنزه عن الأعمال الشريرة. يا للعجب كيف تضطرب راحة البال في هذه السعادة من الله. بل إن صاحبها وباله وأمله في ابتهاج عظيم ببشرى سعادة أكبر منها عند الله وبشري قبول وكرامة وفضل عند الناس. أم زعم وراد من سعادة الانسان تقلبه في رجاسات الدعارة والفساد والشهوانية والخلاعة ورذالة الأخلاق هذه الرذائل التي ينبغي لصاحبها أن يكون دائم الاضطراب من الله ومن الناس إن كان له عقل وحياء. فهب أن هذا الزاعم يأمل أن تقام له حفلة التتويج بهذه السعادة التي يستهزئ بها الشعور ولكن كيف يرتفع الاضطراب بمغالطة الجحود لله لأجل تأمين هذه التي يسميها سعادة. وليأسف هذا المغالط فإن راحة باله التي

تقوم بها سعادة أهوائه لا تزال مهددة بالسياسة وتأديبها حتى السياسة الاشتراكية فإنها تهددراحة باله في سعادته بدعلزته وأهوائه التي يسلب بها حرية غيره.

اليعازر: هؤلاء الذين يغالطون وتغالطهم أهواؤهم بجحود الله ويوم القيامة مثلهم كمثل مديون ضايقه الدائن بالمطالبة فجلس في بيته مفكرا مهموما لا يكلم امرأته ولا أولاده ثم رفع رأسه مبتهجا فقالت له ماذا صنعت في أمر الدين والدائن فقال قد وجدت لي من ذلك مخرجا حسنا. أجحد على الدائن ثلث الدين وأدعي عليه أني وفيته مقدار ثلث وحينئذ لا بد أن يستحي ويسامحني من الباقي إذا طلبت منه المسامحة.

هذا الرجل يريد أن يرجع إلى إسرافه وتمرده على الدائن وعلى شرف الذمة فصارت أهواؤه تسخر به وتبعثه على أن يتصامم عن توبيخ عقله ويغالط بهذه المغالطة التي يستهزئ فيها إلا بنفسه.. ومن العجب أن بعض من ينتسب إلى بعض الأديان لا يرضى أن يقال إنه مادي ومع ذلك يحتج لأهوائه ومضادة الأديان بهذه الشبهات الواهية.

وكأنه لا يدري أن هذه الأحوال تنادي بأنه مادي ومنافق ومخدوع مخادع.

العقاب في المعاد

الشيخ: قد تقدم مكررا أن الحكمة والنعمة اقتضتا أن يخلق الانسان مختارا في أفعاله وإرادته لكي يبتهج بذلك وبكماله الاختياري وينال سعادة الجزاء بابتهاج الاستحقاق والكرامة ومجد الأهلية والفضيلة فجعل الله له برحمته ولطفه قوة واختيارا لأجل صلاحه الاختياري وبعثه على الكمال والسعي إلى كرامة الفضيلة ومجد الجزاء بالاستحقاق. ووهبه عقلا يهديه ببديهاته إلى ما يصلحه في شؤون شخصه ونوعه. وأيد ذلك بنعمة إرسال الرسل وإرشاد الأنبياء والأئمة والصالحين وأكمل ذلك وأتم النعمة بزواجر الوعيد بالعقاب الأخروي المجعول لغاية إصلاح الانسان بالتهديد به وتحذير الانسان من وبال الإثم الذي يرذله ويجعله من الساقطين المستحقين لذلك العقاب. ولأجل تحقيق التهديد والتحذير وغايتهما الحميدة في إصلاح الشخص وتكميله وصلاح النوع والاجتماع جعل الله العقاب حتميا في الجملة وأنذر بذلك وأكد الانذار لكيلا تغالطنا أهواؤنا فتسقط غاية التحذير والتهديد. وإن شئت الاعتبار لذلك لكي تذعن بحكمته ونعمه أسلاحه فانظر إلى الحكومات المعتنية بإصلاح المملكة وتكميل أفراد الرعية كيف تجعل قوانين العقاب وتجعل لكل جرم عقابا وتنذر بذلك. وبحسب استطاعتها لا تجعل لأهواء الرعية مجالا للمغالطة بتأمين المجرم من عقابه الذي يستحقه لئلا يستفحل التمرد. وإن الحكومات يلزمها تعجيل العقاب حذرا من أن يفوتها إجراؤه فتمحى صورة العقاب من المملكة ويبطل التهديد وفائدته في مهمة الاصلاح وتكميل الرعية. لكن الله الإله القادر الذي لا يفوته شئ قد أجل العقاب نوعا إلى الآخرة إمهالا لعباده لأجل استصلاحهم بالتوبة التي دعا إليها ورغب فيها ووعد التائب بالغفران والرحمة والجزاء ولأجل أن يعطيهم مجالا للتوبة والرجوع إلى الصلاح والاستقامة في سلوهم في نهج الكمال.. ألا وإن الاعتبار الصحيح والنظر الحر والفهم المستقيم المنزه تعرف الانسان أن العقاب والتهديد به وتأجيله نوعا والإمهال لأجل إصلاح التوبة قد أحاطت بها الحكمة والنعمة في إصلاح الانسان وتكميله باختياره من جميع الجهات.

ولأجل أن نظام المدنية وصلاح الاجتماع وقطع انتشار الغواية والفساد تحتاج إلى نوع من التأديب المعجل شرع الله في شريعته المدنية الاصلاحية نوعا من العقاب التأديبي وقرنه بجهات من الحكمة من حيث التوبة والعفو. لكن الانسان الأثيم تغالطه أهواؤه للتمرد في فساده بالشبهات التي لا يخفى فسادها كما ضرب اليعازر لذلك المثل المطابق.

في المعاد

عمانوئيل: ربما يسأل السائل ويقول: إن الانسان يذنب وهو صغير الجسم أو نحيفه ثم يكبر ويسمن ويموت فهل ينال العقاب هذا الزائد؟ بل إن بدن الانسان لا يزال في نمو وتحليل حتى إنه يمكن أن يقال. إن بدنه بواسطة التحليل والنمو الدائمين قد يتبدل في حياته مرارا فأي هذه يعود وأي هذه يعذب وينعم. الشيخ: يولد لك الولد طفلا صغيرا ثم يكبر وتتبادل هيئاته وصفاته ومقاديره ويتغير بتلك التغيرات التي يعسر إحصائها من حال طفوليته إلى زمان شيخوخته. وأنت تقول أيضا إن بدنه بواسطة النمو والتحليل يتبدل مرارا كثيرة. فهل تقول يا عمانوئيل: إن الذي هو ولدك حينما ولد قد تغير وتبدل مرارا فمن هو ولدك إذن من هذه الموجودات المتبادلة.

عمانوئيل: للانسان أنانية جسمانية مستقرة لا تتبادل وذلك لأنها تقوم بأجزاء أصلية لا تتبدل بل هي ثابتة من أول نشأته إلى آخر عمره. فكل زيادة بالنمو إنما هي إضافة محسنة وخادمة لها والذي يذهب بالتحليل إنما هي الأجزاء التي تنضاف إليه بالنمو فهذه الأجزاء التي تنضاف بالنمو وتذهب بالتحليل لا مداخلة لها في الحقيقة بالأنانية الانسانية الجسمية بل هي كأليف يتحد بالانسان زمانا ويفارقه. إن الانسان إذا سمن جدا ثم هزل جدا لا يقول نقصت ذاتي وأنانيتي الجسمانية. ومما يستأنس به لهذا البيان أن بعض الأجزاء إذا قطعت من الانسان لا تعود بالنمو وهذه هي التي يسميها الأطباء بالأجزاء المنوية فيستدل من ذلك أن النمو والتحليل لا مداخلة لها في ذات الأجزاء الأصلية التي تقوم بها أنانية الانسان الجسمانية. الشيخ: إذن فالذي يقوم به المعاد الجسماني هي تلك الأجزاء التي تقوم بها أنانية الانسان والثابتة من أول نشأته إلى آخر عمره لا تزول بالتحليل ولم يكن نشأها من النمو بواسطة الغذاء وهي محفوظة لأنانية صاحبها حيثما ذهبت. هذه يجمعها الله في المعاد من أين ما كانت (يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) فيعود الانسان بما قامت به أنانيته الجسمانية في الحياة الدنيا. تلك الأجزاء التي أن أكل الانسان شيئا لا تزيد بذاتها وأن أكله غيره لا تكون جزءا أصليا تقوم به أنانية الأكل.

في المعراج وصعود البشر إلى السماء

رمزي: بقي شئ أريد أفهمه فإن جملة من أهل الأديان يقولون بصعود البشر إلى السماء وجملة من الأديان تصرح بذلك. فها هو العهد القديم يصرح بصعود (إيليا) إلى السماء كما في العدد الحادي عشر من الفصل الثاني من سفر الملوك الثاني. وها هي الأناجيل تصرح بصعود المسيح إلى السماء كما في العدد التاسع عشر من الفصل السادس عشر من إنجيل مرقس. والعدد الحادي والخمسين من الفصل الرابع والعشرين من إنجيل لوقا. ومثلها العدد التاسع والحادي عشر من الفصل الأول من أعمال

الرسل. وها هو القرآن يشير إلى ما يقوله المسلمون في معراج رسول الله إلى السماء كما في سورة النجم [1] كما تواترت به أحاديثهم واعتقدوه. أفلا يعترض الشك في ذلك. هذا الجسم البشري الأرضي كيف يصعد إلى السماء. أليس ذلك الصعود من الممتنع. الشيخ: إنك لترى الماديين لا يقولون بامتناع ذلك في الطبيعة ويرجون أن يكشف العلم في المستقبل عما يسهل صعوباته ويرفع من طريقه الأخطار. إذن فكيف يمتنع ذلك على قوة الإله خالق الانسان والأرض والسموات وأسرارها الغامضة وطبيعياتها المحجوبة والتي لا يزال العلم يكشف منها ما كان للناس ضجة فارغة بدعوى امتناعه. إذن فكيف يمتنع على الله القادر إصعاد البشر إلى السماء. قد صعد الانسان في المنطاد ثمانية وثلاثين ألفا من الأقدام الانكليزية بحيث صار أعلى من جميع جبال الدنيا بألوف من الأقدام. أفلا يقدر الله أن يرفع عنه الصعوبات فيما فوق ذلك ويهيئ له ما يناسب طبيعيات جسمه. رمزي: إن بعض المسلمين وهم الشيخية أتباع الشيخ أحمد الاحسائي ينكرون المعراج بالنحو الذي يقول به غيرهم من المسلمين. لأن الشيخ أحمد المذكور يقول في شرح الرسالة القطيفية إن رسول الله (ص) لما عرج إلى السماء تحلل جسمه الشريف قبل الوصول إلى فلك القمر وألقى كل عنصر من عناصره الأربعة في كرته. عنصر التراب في كرة الأرض وعنصر الماء في كرة الماء وعنصر الهواء في كرة الهواء وعنصر النار في كرة النار. ولما رجع من العروج أخذ مما تحت فلك القمر عناصر جسمه أخذ كل عنصر من كرته فعاد له جسمه الشريف.

---

1 ـ من الآية السابعة إلى الثامنة عشرة. (*)

فهذا الشيخ الاحسائي يذكر معراجا غير ما يذكره المسلمون ويشير إلى امتناع ما يذكره المسلمون.

عمانوئيل: لا يخفى أن هذا الحلم والخيالات في الدين لا منشأ لها إلا بخارات التخمة والامتلاء من تقليد الفلسفة القديمة في فلكياتها بلا تأمل في أطراف تلك الفلسفة. حلم وخيالات لم تعدمها يقظة الدين ويقظة الاعتبار ويقظة العلم. لماذا لا يلتفت المقلدون لذلك؟ إن أصحاب تلك الفلسفة يقولون: إن الانسان والحيوان على الأرض وفي أعماق البحار فيه جزء من النار وجزء من الهواء وأن كثيرا من النار ما يصير في بطن الأرض ويتخلل في طبقاتها فكيف غارت النار كرتها العالية وعبرت الهواء وكرة الماء وصارت تتجول في كرة التراب. يا أيها المتفلسف إن الإله القادر الذي ركب المخلوق من العناصر وألجأ العنصر في هذه الأمثلة إلى مفارقة كرته وحفظ تركيب المركب في الأرض وفي كرة الهواء لماذا لا يمكن أن يحفظ تركيب المركب بقدرته فيما فوق كرة النار وفوق السماء؟! ويقول لك المادي الطبيعي هب أنك تغافلت عن قوة الإله الذي تعترف به أو فعالية العقل الفعال كما تزعمون ولكن لماذا لا تدلك أعمال الطبيعة في الأمثلة المذكورة على أن فعالية الطبيعة وتأثيراتها يمكن لها أن تتجاوز بالمركبات إلى أي محل يكون. رمزي: من أقوال الفلسفة القديمة إن العالم منضد من أكر أفلاك كطبقات البصل يمس محدب السافل مقعر العالي وهكذا حتى تنتهي الحدود والجهات في ملكوت الله بمحدب ما سموه (فلك الأفلاك) والمدير والأطلس ومحدد الجهات. ومن أقوالها إنه يمتنع الخرق والالتئام في الأفلاك بحسب طبعها ولأن الخرق يستلزم اتساع

المنخرق في الجهة وذلك يستلزم اتساع ما فوقه وهكذا إلى أن يستلزم اتساع محدد الجهات لكن محدد الجهات يمتنع اتساعه في الجهة لأنه لا جهة فيما فوقه.

إذن فيمتنع الخرق لأنه يستلزم أمرا ممتنعا مستحيلا وكل ما يستلزم الممتنع المستحيل. هو ممتنع مستحيل. إذن فيمنع صعود البشر بجسمه البشري إلى السماء. وقد ذكر التشبث بامتناع الخرق والالتئام في شرح الرسالة القطيفية.

عمانوئيل: يا عجبا!! لو تساهلنا مع الهيئة القديمة والمغرورين بها في وضع الأفلاك وتحديد الجهات لقلنا لهم لماذا لا يكون جرم الفلك مما يقبل الانضغاط والتمدد والمرونة فينضغط عند الانخراق ويرجع بالمرونة والتمدد عند الالتئام. وقد دلت التجارب على أن أكثر الأجسام ومنها الماء والهواء وجملة من المعادن تقبل الانضغاط والتمدد. من ذا الذي أعلمهم أن الفلك ليس كذلك؟! فقالوا يمتنع ويستحيل.

دع ذلك لكن من أين علموا أن الجهات تنتهي بمحدب الفلك الأطلس. من ذا الذي استعلم الجهات والفضاء الذي يكون ظرفا للكائنات وأخذ المساحة شبرا شبرا فوجد الجهات تنتهي بما يفترضونه ويسمونه الفلك الأطلس ومحدد الجهات. أليس الله الذي خلق العالم قادرا على أن يتصرف بأفلاك الهيئة القديمة ما يشاء؟!! إن المدققين من أصحاب الهيئة يعترفون بأن أفلاكهم ووضعها المذكور إنما هي افتراضية. لأنه لما رأى أهل الفن لبعض الكواكب سيرا منظوما حركات متناسقة في أدوارها أرادوا أن يفترضوا لها وضعا مناسبا لها ينظمون به مسائل الفن فصاروا يفترضون أوضاعا بمناسبة الحركات حسبما يصل إليه استعدادهم بالافتراض. ويعترفون بأنه يجوز أن يكون الوضع الحقيقي هو غير ما يفترضونه..

ولكن هلم العجب من الإلهي المتدين إذ يراغم دينه بالتقليد لموهومات الهيئة القديمة المنتقضة في افتراضاتها من أطرافها. وأعجب من ذلك أنه يبني معرفة دينه وأصوله على افتراضاتها الموهومة الموهونة. فيقول بافتراض العقول العشر بمناسبة الأفلاك التسع الذي افترضها وحصر العالم وقدرة الله بها ويتصرف في جملة من أصول دينه بناء على افتراضات الهيئة القديمة الموهومة بلا هدى ولا كتاب منير (ألم تعلم بأن الله على كل شئ قدير) [1]

الاسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى

الشيخ: والقرآن الكريم ذكر هذه الحقيقة وذكر حجتها التي ترغم مغالطات الجاحدين فقال في أول سورة الاسراء (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله) فنسب الاسراء بالنبي إلى الله قطعا لمن يغالط ببعد المسافة بين المسجدين فأشار إلى أن قدرة الله لا يمتنع عليها مثل ذلك. هذا احتجاج على من يتشبث بالطبيعيات الموهومة قبل أن تعرف الطيارات التي يسير بها الانسان هذه المسافة في سويعات فما ظنك إذا شاء ذلك خالق العالم والطبيعيات والعاديات. وهذا الاحتجاج المشار إليه يشير أيضا إلى الاحتجاج على إمكان المعراج بقدرة الله فمن الغلط أن تؤول هذه الأمور على مقتضى الأوهام. أو يجحد وقوعها لأجل امتناعها على قدرة البشر عادة أو لأجل الشك في صدق الأخبار بها. فماذا عسى أن تفعل إذا ثبتت نبوة المخبر بها على وجه لا يمتنع على قدرة الله الذي يجريها تكريما لأنبيائه على خلاف العادة

المألوفة.

1 ـ سورة البقرة / الآية: 106. (*)

في الحج في دين الاسلام

رمزي: قد يعترض المعترض على الحج في دين الاسلام لما يرى فيه من المشقات وصرف الأموال الكثيرة. ولما يرى فيه من الأحوال الغريبة وتقييد الانسان بقيود الاحرام ومنعه عن كثير من الملاذ وتكليفه بأعمال تخل بشرفه ككشف رأسه والطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة. والهرولة في السعي. فما هو الوجه في هذه الأعمال. بل يقال في أول السؤال ما وجه تخصيص (مكة) وما يتبعها والكعبة بالحج وفرضه وهذه الأعمال.

مكة وتاريخها وحجة القرآن له

الشيخ: أما السؤال عن تخصيص مكة والكعبة بالحج فلأن الكعبة أول بيت وضع بعد الطوفان لعبادة الله والاخلاص بتوحيده حينما كانت الأرض قد استولت عليها العبادة الأوثانية والشرك فكانت الكعبة باكورة مشاعر التوحيد وعبادة الله الخالصة وقد بناه أول ناهض في دعوة التوحيد ومعارضة الشرك والوثنية وهو إبراهيم خليل الله ومعه ولده إسماعيل مبارك الله. فكانت الكعبة هي المكان الجدير بأن يبقى تذكاره في عبادة الله وتعظيم شعائره مدى الأيام. والقرآن الكريم يشير إلى هذا الوجه في قوله تعالى في الآيتين السادسة والتسعين والتسعين من سورة آل عمران (إن أول بيت وضع للناس) ليكون لهم مشعرا عاما لعبادة الله والاخلاص في توحيده (للذي ببكة) إسم مكة وقد أكد الله الأخبار بأوليته علما منه بما يقع من حسد الحاسدين وجحود الجاحدين (مباركا هدى للعالمين) إذ يتوجهون إلى عبادة الله واتباع رسله دعاة الهدى والتوحيد لا يختص بقوم دون قوم ولا بعصر دون عصر بل هو للعالمين (فيه آيات بينات) تهدي إلى كرامته بكرامة بانيه وغاية بنائه وحفظ تاريخه وشرف انتسابه ومباديه فقد كثرت بتعددها القرون بنحو خمسة وعشرين قرنا واختلفت بتداولها الأيدي وتقلبت بشؤونها الأحوال وتشعبت بنحلها الأديان وتوفرت دواعي الحسد لإسماعيل ومجده واستفحل ضلال الوثنية وغواية الأصنام في محو آثار الرسالة ودين رسل الله والتوحيد ومع هذا كله بقي تذكار إبراهيم رسول الله ومجد إسماعيل ومشعر التوحيد وتاريخ بناء البيت تذكارا خالدا في كل زمان وقرن بين ملايين من البشر متسلسل التاريخ المجيد بين الأمم يدا بيد ونسلا بعد نسل لم يخف أنوار تاريخه المجيد المسلسل غبار الجحود من الإسرائيليين ولا قومية القحطانيين ولا أهواء الوثنيين ولا جبروت الأمم ولا سطوة الحبشة بل كان في القرون والأجيال في جزيرة العرب على رغم مرور الدهور واختلاف البواعث والنزعات وتداول الأيدي ودام في خصوصيات مجده نزرا على علم محفوفا بمجد النسبة إلى إبراهيم وإسماعيل وشعار الجلال والاحترام وشرف المنسكية والمشعرية والمسجدية العامة. وتلك آيات بينات من عناية الله بهذا البيت وحفظه لمجد تاريخه وشرفه بأحسن ما يحفظ به

التاريخ.

ويمثل تلك الآيات (مقام إبراهيم) وهو صخرة كان يقف عليها إبراهيم لبناء البيت [1] وعليها أثر قدميه غائصا في تلك الصخرة الصماء إلى الكعبين وفي ذلك يقول أبو طالب في لاميته المشهورة:

وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل

فإن غوص قدميه في الصخرة آية وبقاء الصخرة والأثر على مرور الأحقاب على رغم المشركين والملحدين آية. وكذا بأنه حفظ فيه اسم إبراهيم وقيامه بنفسه الكريمة في بناء البيت

1 ـ كان المقام عند حائط الكعبة إلى ما بعد حياة النبي (ص) بسنين على أصح الروايات ثم نقل إلى محله المعروف في هذه الأيام وجعلت عليه قبة وستر فلا يراه عامة الناس ويقال: إن المقام مدفون في القبة. (*)

بأتقن تاريخ رغم مرور القرون بظهور مجده وخصوصيات شرفه. تاريخ تسالم عليه عالم كبير من أهل الدنيا في أجيال عديدة مع قوميات متباينة وأديان مختلفة ووثنية وحشية مستمرة بتلونها في قرون عديدة. ومما ينبهك إلى معرفة عناية الله بالكعبة وحفظ كرامتها وتاريخها المجيد وأثرها الخالد بآيات مشيئته على رغم عادات الضلال هو أن بني إسرائيل وخصوص سبط يهوذا يعرفون أن جامعتهم السياسية وقوتهم القومية لها ارتباط شديد ببيت المقدس وشعار مجده. ولكنهم بمجرد انحراف غالبهم إلى الضلال والوثنية تكون ضربتهم على بيت المقدس. ومن أجل ذلك قد خربوه مرارا منها أن بني (عثليا) الخبيثة (والظاهر أنهم أولاد يهورام ملك يهوذا) هدموا بيت المقدس إلى أن أمر (يواش) ملك يهوذا ببنائه فأقيم على رسمه. كما تعرف ذلك من العدد السابع إلى الرابع عشر من الفصل الرابع والعشرين من أخبار الأيام الثاني وكذا من العدد الرابع إلى الثالث عشر من الفصل الثاني عشر من سفر الملوك الثاني. ولما ارتد إلى الوثنية (أحاز) ملك يهوذا وتبعه بعض رعيته أغلقوا أبواب بيت المقدس وملأوا القدس نجاسة حتى إن جماعة كثيرة حينما ملك (حزقيا) المؤمن أشتغلوا ثمانية أيام في إخراج النجاسة من القدس أي قدس الأقداس. وهو أهم موضع في بيت المقدس وأشدها احتراما انظر إلى الفصل الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من أخبار الأيام الثاني. حتى إنه لما ملك يوشيا المؤمن احتاج إلى جمع أموال من بني إسرائيل لشراء حجارة وخشب لأجل ترميم الهيكل وعمارة بيوته التي أخربها ملوك يهوذا. أنظر من العدد الرابع إلى الثامن من الفصل الثاني والعشرين من سفر الملوك الثاني ومن العدد الثامن إلى الثاني عشر من الفصل الرابع والثلاثين من أخبار الأيام الثاني.

ودع عنك ما نال بيت المقدس من تخريب (بخت نصر) و (طيطوس) الذي أخربه بالخراب الكلي. هذا ولم يمض على بيت المقدس ألف وخمسمائة سنة. ومن ذلك ترى أن بقاء احترام الكعبة ومجد تاريخها وآثار إبراهيم الخالدة وتذكار اسمه الشريف وبنائه للبيت نحو ألفين وخمسمائة سنة مع استيلاء الوثنية عليه إنما هو من آيات الله الخارقة لنواميس العادة. ولا تنس واقعة الفيل و (أبرهة) ملك الحبشة وجيشه العظيم وهلاكهم. هذه الواقعة التي كان عامها مبدأ للتاريخ عند العرب وعنوانا. ومما يمثل تلك الآيات دوام حرمة البيت واحترامه بين عموم العرب ذوي النخوة والجبروت والتخريب والانتقام والغارات والعدوان فلا يكون هذا الاحترام الدائم بين تلك الأمم المتضادة المتوحشة إلا بعناية من الله لتخليد ذكر إبراهيم خليله. فهو محترم (ومن دخله كان آمنا) نوعا بين العرب لا يؤاخذ فيه بجرم ولا يعتدى عليه مع ما يعرف من حال الأعراب وهذا من الآيات البينات. فالقرآن الكريم بهاتين الآيتين يشير إلى تاريخ الكعبة ودلائله بحيث لا يتفق لقديم مثله مثل إتقان هذا التاريخ وظهوره والتسالم عليه بين ملايين من البشر في أجيال متعددة كل واحد منهم يعنيه أمره ويخضع لاحترامه مع أن الدواعي المتكاثرة تقتضي أن ينطمس تاريخه وينسى اسم إبراهيم وإسماعيل أو يثور بين العرب في ذلك الجدال وخصومة الجحود والانكار ولو كان في هذا التاريخ المجيد أدنى شك لما أذعن به القحطانيون هذا الاذعان الكلي وتركوا الإسماعيليين يتقدمون ويفتخرون به على جميع العرب. ولا يخفى أن مثل هذه المفاخرات عند العرب كانت من أهم الأمور.

نعم أذعن به القحطانيون وخضعوا له لأنهم لا يجدون سبيلا إلى إنكاره مهما ثار الحسد بنخوة القوة. ولا يخفى في فلسفة التاريخ أن مثل تاريخ الكعبة وبنائها بالنحو الذي ذكرناه يكون أولى بالاذعان من كل تاريخ في العالم. فإن التاريخ الذي في

الكتب غاية ما فيه أنه ينتهي سواد كتابته إلى واحد من الناس. وإن شئت سميته المؤرخ الكبير والرحالة الباحث المحقق فإنه لا تكون لمشاهداته قيمة علمية إلا إذا تأيدت بشهادة قوم أو أمة. إذن فما حال ما يكتبه بالسماع عن فلان عن فلان. وبعد أن أظهر الله مجد البيت الحرام وشرف بدئه وكرامة تاريخه وحججه بما لم يحظ به تاريخ في العالم أظهر ما تقتضيه كرامته وأولويته بالاحتفال وإقامة التشريفات تذكارا له وتخليدا للعبادة التوحيدية وإكراما لأوليائه حماة التوحيد وتذكار أعمالهم فقال (ولله على الناس حج البيت) لا على جميع الناس حتى فقيرهم وعاجزهم ومن يخاف على أهله ونفسه بل على (من استطاع إليه سبيلا) بالاستطاعة العرفية الدائرة بين الناس في أسفارهم وقال الله جل اسمه في الآية الخامسة والعشرين بعد المائة من سورة البقرة (وإذا جعلنا البيت مثابة للناس) مشرعا لعبادتهم الله وسببا لثوابهم بامتثال أوامر الله وخضوعهم له في الحج وأعماله (وأمنا) كما أجراه الله بلطفه نوعا فيما بين العرب فكان من يلجأ إليه يكسب الأمن ومن جاوره يحظى بالاحترام. وخاطب الله عباده تشريفا لإبراهيم بقوله تعالى: (واتخذوا من مقام إبراهيم) هذا الذي تعرفونه بتاريخه القطعي المتسلسل في الأمم والأجيال يدا بيد وتعرفون أن إبراهيم قام عليه لعمارة بيت عبادة الله وتوحيده اتخذوا من ناحيته (مصلى) لله تذكارا لإبراهيم ومساعيه في سبيل الله. ثم أظهر الله أن شعار العبادة هناك كانت شريعته وشريعة الطواف بالبيت عهدا من الله لإبراهيم فقال جل اسمه (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود). ثم ذكر الله بناء إبراهيم وإسماعيل للبيت وأن بنيانهما له كان لوجه الله فقال: (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل) حال كونهما يقولان (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع) لدعائنا (العليم) بنياتنا وإخلاصنا في عملنا وتوحيدنا لك. هذا وإن التوراة الرائجة على ما فيها تشير إلى مثل هذا التاريخ لمكة المعظمة فقد ذكر في العدد الثلاثين من الفصل العاشر من سفر التكوين في تحديدها لمنازل بني يقطان وقالت: (وكان مسكنهم من (مسا) لمجيئك سفار جبل المشرق) و (مسا) اسم لمكة كما يعترف به الكاتبون من النصارى حتى إنهم في رسومهم للبلاد المذكورة في العهدين يرسمون (مسا) في موضع مكة وهو ما فوق الدرجة الحادية والعشرين من العرض الشمالي وفوق الدرجة الأربعين من الطول الشرقي والتوراة في العدد الثلاثين من الفصل العاشر من التكوين وكذا في العدد الرابع عشر من الفصل الخامس والعشرين تذكر آن أحد أولاد إسماعيل الاثني عشر اسمه (مسا) فيؤخذ من ذلك أن مسا بن إسماعيل هو الذي مصرها وبني فيها دور السكنى فسميت باسمه كما سميت (تيما) (ودومة) باسمي تيما ودومة من أولاد إسماعيل الاثني عشر وكما سميت جملة من بلاد اليمن بأسماء أولاد يقطان (قحطان) كحضرموت. وأزال. واوفير.

وحويلة لكن تراجم التوراة جرت على عاداتها فذكرت (مسا) ابن إسماعيل كما هو مذكور في الأصل العبراني وتقلبت في ذكر (مسا) اسم مكة فبعضها تذكره (ميشا) وبعضها (ماسا) لماذا؟ مع أن الاسمين في الأصل العبراني بنحو واحد ليس فيهما إلا ميم في الأول وحرف مردد بين السين والشين في الوسط وألف في الآخر نعم يوجد فرق في علامات الفتح والكسر للميم ولكن علامات الحركات حادثة لم توضع إلا فيما بين القرن الثاني والثالث قبل المسيح وضعها

أحد الأحبار في طبرية ومع هذا فالتوراة التي يقدسها اليهود في معابدهم خالية من هذه الحركات وهذا الفرق المذكور.

عمانوئيل: هل يسمح لي سيدي الشيخ بأن أذكر ما قيل من الكلمات في هذا المقام أذكرها وأظن أن حضرته يبرئ ساحتي من الاعتقاد بها. أذكرها لكي أسمع ما تقوله فيها من التحقيقات اللازمة. قد وجدت جملة من الكتاب يذكرون أن مكة توطنها إسماعيل ابن إبراهيم ومن جملة هؤلاء المستشرق جورجي سايل في مقالته في الاسلام وهي التي عربها وذيلها هاشم العربي قال في أولها قي ذكر تهامة (وهي الناحية التي فيها مكة) (إن إسماعيل بن إبراهيم توطنها) ولكني رأيت بعض كتابنا ينكرون مجئ إبراهيم إلى مكة وكذا إسماعيل ابنه. ومن هؤلاء المنكرين هاشم العربي في تذييله في الصحيفة السابعة من المقالة المذكورة وكذا في الصحيفة العاشرة والحادية عشر من تذييله المستقل.

وكذا النصراني المتمسلم المتسمي بالغريب ابن العجيب في الصحيفة السابعة والتسعين والحادية عشرة بعد المائة من كتابة الذي أشرنا إليه في الصحيفة 51 و 52 من الجزء الأول. الشيخ: كيف يجحدون ذلك مع أنه قد اتفقت عليه العرب في أجيالهم كما شرحناه بحيث لا يتيسر لحقيقة مثل هذا التاريخ في الاتقان. (1)

عمانوئيل: يتشبثون لذلك بخلو التوراة من ذلك مع عنايتها بالتاريخ وخصوص تاريخ إبراهيم وإسماعيل وقد ذكرت رحلات إبراهيم والمواطن التي سافر إليها ولم تذكر منها مكة ولا تهامة ولا الكعبة. الشيخ: يا عمانوئيل إنكم في الجزء الأول قد درستم حال هذه التوراة الرائجة وحققتم أمرها.

1 ـ كتاب في 497 صحيفة بعنوان رحلة إلى الحجاز للحج سماه الرحلة الحجازية لم يذكر اسم مطبعته. (*)

فهل تراها بعد ذلك تصلح للاعتماد عليها في شئ؟ خصوصا مع ما ذكرته أنت في الصحيفة 32 و 33 من الجزء الأول وأن التوراة أهملت أهم أمور إبراهيم بالذكر وهو حياة إبراهيم وإيمانه ونبوته في وطنه فيما بين النهرين. وذكرت أنها بمقتضى العهد الجديد قد خالفت الحقيقة حيث إن ظهور الله لإبراهيم وهو فيما بين النهرين قبل أن سكن في حران وقبل أمر الله له بالهجرة من أرضه ومن عشيرته قد حولته التوراة إلى حران فغيرت وبدلت.

يا عمانوئيل إن توراة حلقيا أو غيره هذه التي ذكر في الجزء الأول ما فيها من التواهي والمنافيات لجلال الله وقدسه هل يعترض بها على الحقيقة لو صرحت بخلافها؟ فكيف وغاية ما يتشبث به منها أنها لم تذكر مكة ولا مسير إبراهيم وإسماعيل إليها. يا عمانوئيل كيف يسمح آباء هذه التوراة أن يذكروا فيها فضل مكة وإسماعيل؟!

عمانوئيل: ويقول هؤلاء: إن التوراة التي لا نعلم بوجود إسماعيل إلا منها قد ذكرت أن إسماعيل لما طرد من بيت أبيه سكن في برية حران وهي ببرية سينا بين مصر وبلاد ثمود. الشيخ: ألم تذكروا في الصحيفة 51 و 52 من الجزء الأول أن هاشم العربي والغريب ابن العجيب قد كذبا على التوراة في شأن إسماعيل زادا فيها لفظه (أتى) لأجل أن يمنعا بالتمويه سكنى إسماعيل في مكة مع أن هذه اللفظة لو كانت موجودة في توراتهم لما كان لها أثر في المنع. إذن فكيف يأمل هاشم أن يصدقه أحد فيما يدعيه في برية فاران. يا عمانوئيل إن الجزء الثاني من كتاب الهدى من الصحيفة 95 إلى 104 قد أوضح أن قول التوراة بأن إسماعيل سكن في برية فاران لا ينافي سكناه في مكة فراجعه فإن هاشم قد موه الكلام ههنا لو أن هذه التوراة

الرائجة تصوح بأن إسماعيل سكن في برية سينا لما كان لها أدنى تأثير في معارضة الحقيقة المعلومة فإنه لو لم نعرف من خلل هذه التوراة الرائجة ما ذكرتموه أنتم في الجزء الأول وما ذكره كتاب إظهار الحق وكتاب الهدى في جزئية لكفانا في ردها ما نجده فيها من عدم التحفظ عن الخبط والتناقض في أمر الأسماء ومواقع البلدان. ألا ترى أنها لما ذكرت الذين اشتروا يوسف وباعوه في مصر لفوطيفار رئيس شرطة فرعون تقلبت في أسمائهم ما شاءت فتارة سميهم مديانيين نسبة إلى مديان بن إبراهيم وتارة تسميهم كما في الأصل العبراني مدانيين نسبة إلى مدان بن إبراهيم أيضا وتارة تسميهم إسماعيليين نسبة إلى إسماعيل بن إبراهيم فانظر إلى العدد الثامن والعشرين والسادس والثلاثين من الفصل السابع والثلاثين والعدد الأول من التاسع والثلاثين من سفر التكوين..

وأيضا ذكرت في أول سفر التثنية عبر الأردن الذي كلم فيه موسى بني إسرائيل بسفر التثنية فذكرت أنه قبالة سوف بين فاران وتوفل ولابان وحضيروت وذي ذهب وأنت إذا عرفت مواقع بحر سوف وحضيروت من الفصل الثالث والثلاثين من سفر العدد وعرفت موقع عبر الأردن والعربة تعرف أن هذا الكلام مما لا يمكن أن يستقيم.

عمانوئيل: إن جماعة علمائنا والروحانيين في النصرانية يصرحون بأن برية فاران هي جزء من برية سينا أفلا يكون قولهم حجة.

اليعازر: أسفا على حرية ضميرك يا عمانوئيل كيف تجادل في العلم وتضطهد الحقائق بشئ أنت تعلم أنه موهون. ألا تعرف أن الروحانيين الناهضين للتبشير وإصلاح الأخلاق والتعليم بالتقوى والصلاح والصدق وللمباحثة في الأديان هم أولى الناس بأن يكونوا محل الثقة والاعتماد على علمهم وصدقهم وقد اتضح لنا في الصحيفة 5 و 6 في الجزء الأول أن جمعية كتاب الهداية مع المرسلين الأمريكان قد أنكروا قول التوراة (وبارك الله اليوم السابع وقدسه) وأيضا هذه الجمعية مع هؤلاء المرسلين ادعوا أن القرآن يراعي السجع دون الحقائق ولذا (قابيل) لأنه على وزن (هابيل) ومن الواضح أنه لا يوجد هذان الاسمان ولا واحد منها في القرآن كما مر ذلك في الصحيفة 30 من الجزء الأول. كما مر أن هاشم العربي والغريب ابن العجيب زاد على التوراة لفظة (أتى) وأن كتاب ثمرة الأماني المطبوع بمساعي الروحانيين وابتهاجهم به قد كذب على التوراة والقرآن مرارا كما مر في الجزء الأول في الصحيفة 34 إلى 36 وما عسى أن أقول في أشعار أصحابنا التاريخية في القرون الوسطى تلك الأشعار والأناشيد التي رسخت خرافاتها في الأذهان ولا يزال بعضها راسخا حتى إلى الآن إذ كانوا يصفون المسلمين فيها بأنهم مشركون وعبدة أوثان وأنهم جعلوا لهم آلهة. ماهوم. وبافوميد. وماهوميد. وأن نبيهم محمد (ص) كان يدعو الناس لعبادته في صورة وثن من ذهب.

وفي بعض القصص أن الإله محمد جاء في موكب عظيم يضرب بالطبل والمزامير والكل يرقصون ويغنون وأن صنم المسلمين (ماهوم) قد وضعوا في جوفه عفريتا جاء به السحرة وصار ينط ويعربد ثم أخذ يكلم المسلمين وهم يسمعون وأن امرأة من أعيان النصارى أرادت أن تسلم أمام صلاح الدين الأيوبي فقالت أريد أن أعبد محمدا فلما أتوها بصورته الصنمية

أسلمت وخرت ساجدة له. وما عسى أن أقول فيما يفترونه على بني المسلمين من الصفات التي كان أبعد ما يكون عنها. وإن شئت فانظر إلى الكتاب المسمى (الاسلام) وسمي في ترجمته العربية (خواطر وسوانح) [1] من الصحيفة السابعة إلى السادسة

1 ـ تأليف الكونت هنري دي كاستري الفرنساوي وترجمه بالعربية (أحمد فتحي زغلول باشا) وطبع في مصر في مطبعة السعادة في 152 ص.(*)

عشرة من المطبوع العربي. وانظر إلى الملحق الأول من هذا الكتاب من الصحيفة 113 إلى 132 وما في ذلك من الافتراء على المسلمين ونبيهم والاسلام. القس: هذا سهل يا اليعازر هذا كان في القرون الوسطى في العصور المظلمة وكان مستورا في أوربا. ولكن انظر إلى هذا العصر عصر النور والعلم عصر التمدن والفضيلة عصر الأخلاق والتحقيق. وانظر في هذا العصر إلى جمعية رسولية تبشيرية وهي لفيف من جمعية كتاب الهداية والمرسلين الأمريكان الذين كتب على أخبائه لأجل تمجيده أنه طبع في مصر بمعرفتهم فانظر إلى هذا الجمعية الدينية الرسولية حيث ذكرت في كتابها أن محمدا نبي المسلمين تزوج امرأة ابنه ولم تكتف بكتابة هذا مرة واحدة بل كتبته مرارا عديدة [1] وكتبت في هذا من الكلام ما لا يرتضيه شرف الصدق وقد توافق معهم على هذا النهج هاشم النصواني الشامي [2] وجرى ذلك من غير هؤلاء.

ولو أن هؤلاء كتبوا ما كتبوه وطبعوه في أوربا بغير اللسان العربي لربما كان مستورا. الشيخ: لو لم يكن هذا كله لكان يكفي أن تقول لعمانوئيل إن غاية الأمر فيما تنقله عن هؤلاء الروحانيين أنهم أخذوا لك بالتهجس في كلام التوراة التي عرفت حالها أو من بعض السكان في برية سينا. وكيف يكون هذا معارضا لتاريخ اتفق عليه في كل جيل ألوف الألوف من الناس. ذلك التاريخ المتسلسل في أجياله والذي يوصل بناء الكعبة باليقين إلى إبراهيم وإسماعيل ذلك التاريخ المؤيد بالآيات والدلالات

1 ـ في الصحيفة 66 و 68 من الجزء الأول الطبعة الثانية سنة 1900 م. وفي 169 من الجزء الرابع المطبوع سنة 1902 م.

2 . في الصحيفة 65 من تذييله المستقل لتعريبه لمقالة " سايل " في الاسلام الطوع سنة 1891 م. (*)

على العناية لتخليد ذكر إبراهيم وإسماعيل وآثارهم في بناء البيت ودعوتهم الدينية كما تقدم. رمزي: إن بعض الكاتبين يذكرون أن الكعبة كانت بيتا للأصنام منذ عهد قديم وهي بيت زحل ومشعر عبادة الصابئة الأوثانية. فمن أين تكون بناء إبراهيم وإسماعيل لأجل عبادة الله التوحيدية. الشيخ: نفرض أن جماعة من الرحالة المؤرخين قد مروا بأرض أورشليم في السنة الثانية والثالثة لملك سليمان قبل الشروع بعمارة بيت المقدس فكتبوا حال تلك الأرض وخلوها من هيكل ومعبد [1] ثم بعد ذلك في أوائل ملك منسي بن حزميا مر جماعة أخرى على أورشليم فرأوا هيكلا كبيرا مملوءا بالأصنام والأشباه ومذابح الأصنام ورأوا العبادة الأوثانية شايعة في أورشليم في يهوذا وملكهم والهيكل على هذا الحال بيت للأصنام والعبادة الوثنية وتردد هؤلاء المؤرخون على أورشليم والهيكل نحو عشرين سنة والحال على هذه الوثنية والأصنام في مراكزها من الهيكل وهي على زيادة [2] . وحول بيت المقدس مركز الأصنام بيوت المأبونين وهم الذين ينذرون أنفسهم للأوثان لكي يلاط بهم [3] وكتب هؤلاء

الجماعة المؤرخين حال الهيكل وأصنامه وأشباهه ومذابح الأصنام والعبادة الوثنية فيه والشائعة في مدينة أورشليم.

1 ـ أنظر العدد الثاني من الفصل الثالث من أخبار الأيام الثاني.

2 . أنظر الفصل الحادي والعشرين من سفر الملوك الثاني. والفصل الثالث والثلاثين من أخبار الأيام الثاني إلى العدد السادس عشر.

3 . أنظر في العدد الرابع والعشرين من الفصل الرابع عشر من الملوك الأول وكذا العدد الثاني عشر من الفصل الخامس عشر منه وفي العدد السابع من الفصل الثالث والعشرين من الملوك الثاني. وهؤلاء المأبونون يذكرون في هذه المواضع في الأصل العواني " قديسيم " أي قديسين لأنهم قدسوا أنفسهم لأن يلاط بهم في سبيل الأوثان. (*)

فهل يصح لأحد أن يتشبث بكتابة هاتين الجماعتين ويقول ويكتب إن هذا الهيكل الذي في أورشليم ليس بناء سليمان لأجل عبادة الله التوحيدية بل أسس بنيانه لأجل الأوثان والعبادة الوثنية وهل يصح أن يعارض بهذا تاريخ الأمة الإسرائيلية المتسلسل من الآباء للأبناء بأن هذا الهيكل هو بناء سليمان لعبادة الله وحده. هل تجد جماعة أو واحدا من المؤرخين كتب في كتابه المعلوم النسبة إليه أنه مر بأرض مكة بعد موت إبراهيم وإسماعيل بسنة أو عشر سنين أو قرن فوجد أرض مكة ليس فيها أثر الكعبة ولا مقام ولا ساكن. أو هل تجد واحدا من المؤرخين كتب أنه مر بأرض مكة قبل زمان إبراهيم فوجد فيها الكعبة مبنية على رسمها وهي محل لأصنام الصابئين، من أين يوجد ذلك وكيف يكون ذلك في وسط جزيرة العرب المنقطع ومن ذا يدعي بأمانته ذلك سوى من عرفنا حاله من أمثاله وهاشم العربي، والغريب ابن العجيب، وكامل العيتاني، والذين طبعت كتب هؤلاء بمساعيهم. لو افترضنا وجودا لواحد أو اثنين وثلاثة من مثل المؤرخين المذكورين وعلمنا بنسبة كتبهم إليهم وخصوص تاريخهم لبناء الكعبة قبل إبراهيم أو عدم وجودها إلى ما بعد موته لما كان ذلك شيئا يعارض تاريخ العرب المتسلسل بتسالم ألوف الألوف في كل جيل من أجيالهم في مبدء الكعبة وبانيها وهو إبراهيم الذي حفظت في أجيالهم آثاره الخالدة مع اختلافهم في النزعات والقوميات وتحاسدهم وتنافسهم على أسباب الشرف حتى إن كل قبيلة منهم استقلت بعبادة صنم مختص بها لئلا تخضع في شرفها للقبيلة الأخرى المتولية لإدارة الصنم الآخر. ولعلك تقول يوجد في الرحلة الحجازية الخديوية أن مؤلفها البتنوني [1] صحيفة 96 سطر 2 يقول: (كانت الكعبة قبل الاسلام

1 ـ كتاب رحلة الخديوي الأفخم حضرة الحاج عباس حلمي باشا للحج سنة 1327

=>

بنحو 27 قرنا ذات منزلة سامية) فنقول: إن هذا الكتاب بمجد انتسابه الخديوي يعترف بأن بناء الكعبة كان قبل ولادة إسماعيل بل قبل ولادة إبراهيم فإن أقصى ما يكون بين مولد إسماعيل وبدء الاسلام لا يبلغ الستة وعشرين قرنا بل إن ما بين

مولد إبراهيم وبدء الاسلام لا يتجاوز الستة وعشرين قرنا على ما هو المحصل من التواريخ المبنية على تاريخ العهدين. لكن لا يخفى عليك أن هذا الكاتب يصوح في الصحيفة 88 من هذا الكتاب أن الذي بنى الكعبة هو إبراهيم ومعه ابنه إسماعيل.

فلعله يريد من القرن في كلامه المتقدم مقدار ثمانين سنة كما ذكره اللغويون لا مائة سنة. أو أنه وقع غلط مطبعي في الرقم بأن كان صحيحه 25 فصار بالغلط 27 وعلى كل حال فإن هذه التشبثات تتلاشى في جنب ما هو المعلوم عند الأمة العربية في قرونها وأجيالها على ما ذكرناه ومهما ذكر من أن الكعبة كانت يجعل فيها الأصنام فإنما هو من النظر السطحي إلى بعض أحوال الكعبة في بعض القرون فإنك لا تجد تاريخا يذكر أنها أسس بناءها فلان وأحدثه لأجل العبادة الأصنامية بعد أن لم يكن.

أو أنها أحدثت هيكلا لعبادة الأوثان في العام الفلاني في القرن الفلاني قبل مولد إبراهيم أو بعد وفاته لا تجد أحد يجترئ على ذلك بل إن دخول العبادة الأصنامية إلى أرض الحجاز وما والاها في عهد إبراهيم (ع) وما قبله لا يعرف له نص ولا أثر في التاريخ مع ما في التاريخ من اضطراب الأوهام والخرافات كما هو شأن المتأخر الذي لا مادة له إلا نوادر المسموعات وأطرافها. ولأجل ذلك ترى المعاصرين لا يعتنون إلا بما يؤخذ من كتابة الآثار القديمة.

=>

وهي سنة تأليف الكتاب وطبعه وهو في 260 صحيفة ما عدا أوراق الرسوم للأماكن المقدسة. (*)

وغاية ما يذكر أن الكعبة كانت تجعل فيها الأصنام منذ قرون مجهولة المقدار. وليكن ذلك قبل الاسلام بعشرين قرنا وقل بثلاثة وعشرين قرنا فإنه لا يمتنع أن يكون الضلال قد شوه دين إبراهيم الحنيف وتوحيده الحقيقي بعد مائة سنة من وفاة إسماعيل بل بعد عشر سنين. وإن الاعتبار بالحوادث يجلو بصيرة الانسان فانظر إلى حال بني إسرائيل وعبادتهم للعجل في زمان موسى وانظر إلى حالهم عند انشقاق سياستهم في أيام رحبعام بن سليمان حيث إن عشرة أسباط انقلبوا إلى عبادة العجلين الذهبيين الذين صنعهما ملكهم (يربعام) واستمروا على الوثنية إلى أن بددهم السبي وانظر إلى تقلبات بني إسرائيل في وثنيتهم من زمان خروجهم من مصر إلى سبي بابل.

وانظر إلى ما يذكره العهد الجديد من أنه بعد المسيح بنحو خمسة عشر سنة اجتمع التلاميذ فأبطلوا الشريعة والختان مع أن المسيح قد استمر عليها وأوصى بحفظها [1] وإنا وإن كنا نرى ساحة تلاميذ المسيح من ذلك ومن دعوة التثليث لكنا نعلم أن هذه الأمور أدخلتها المجاورة وبعض الواعي في عهد قريب من المسيح. فلا عجب إذا حدثت العبادة الأصنامية بعد إسماعيل ووضعت الأصنام في الكعبة كما حدث إبطال الشريعة ودعوة التثليث والأقانيم والصور والأيقونات (التماثيل) واستمرت على ذلك مقرونة بمجرد اسم المسيح من دون شئ مما كان عليه من التوحيد ورسوم الشريعة. ولكن الوثنية العربية لم تمح تاريخ إبراهيم وبناء الكعبة واحترامها. ولم تمح من شريعة إبراهيم شريعة الختان وأصل الحج وإحرامه

---

1 ـ ذكر ذلك كلا من العهدين مفصلا في الجزء الأول من كتاب الهدى صحيفة 19 - 34. (*)

والطواف بالكعبة وجملة من أعمال الحج وإن تصرفت الأهواء في بعضها. حفظ كل العرب في جميع أجيالهم كل ذلك باسم إبراهيم ودعوته الرسولية وتاريخه وتذكار شرائعه وآثاره الخالدة واستمرت على ذلك بأجمعها إلى أن أشرق نور الاسلام ونهضت الحنيفية الحقيقية نهضتها الكريمة المنصورة وإن كان النفوذ الكثير في المسكونة للوثنية. بل ربما أن الذي يرى على الصور النحاسية لقدماء المصريين من صورة ثوبي الاحرام إنما كان من زي العبادة والتواضع لله وقد أخذ من شريعة إبراهيم في الحج أو من شريعة نبوية. كما أن جملة من زعماء الأديان المختلفة الذين يناسب حالهم مظاهر النسك والتواضع ترى صورهم في زي إحرام المسلمين كما في تصوير (كونفوسيوس) الصيني و (لاوتز) ومن القريب أن يكون طواف الصابئة وقدماء اليونان مأخوذا من طواف الحج الذي شرعة إبراهيم للكعبة.

فإن النظر الدقيق يدل على أن العبادات الاختراعية أفسدت العبادات الحقيقية النبوية فحولتها إلى بدعها وتصرفت بها ما شاءت أهواء دعاة البدع من التخليط فمن الحري أن يكون جملة مما هو عند المجوس والصابئة والواهمة والبوذيين وقدماء المصريين واليونان من العبادات والشرايع هو مأخوذ من دين إبراهيم وشريعته ولكنهم حولوه إلى عبادة وثنية أو تصرفوا بصورته حسبما يقتضيه الضلال والتقصير. وإن سير الختان في أمم الشرق قبل الاسلام يدلك على أن لها نحو ارتباط بشريعة إبراهيم... أقول ذلك وإن كان جماعة من النصارى يزعمون أن الله لم يرتل من قبل موسى على القدماء شريعة وإنما جروا على عادات اصطلحوا عليها في هذه الحياة. ومن هؤلاء الزاعمين جمعية كتاب الهداية والمرسلون الأمريكان الذين طبع ذلك الكتاب بمعرفتهم.

هؤلاء الروحانيون المبشرون والداعون إلى التقوى والعلم كأنهم لم يقرأوا من توراتهم العدد الخامس من الفصل السادس والعشرين من التكوين عن قول الله لإسحاق (من أجل أن إبراهيم سمع لقولي وحفظ ما يحفظ لي أوامري وفرائضي وشرائعي) ألم تذكروا هذا في الجزء الأول صحيفة 82 و 83 ألم تنظروا في الجزء الأول من كتاب الهدى صحيفة 242 و 243. ألم تنظروا في الجزء الرابع من كتاب جمعية الهداية صحيفة 167 و 168 و 169 .وهل يخفى أن الشرايع الإلهية الحقيقة لا يمتنع أن تتفق في كثير من موادها باعتبار أن اختلاف الزمان والأمة لم يؤثر تغيرا في مصالحها بل يجب أن تتفق حينئذ لكون الشارع واحدا والمصلحة واحدة. وربما يفهم من القرآن الكريم أن شرائعه ناظرة إلى شرايع إبراهيم كما في قوله تعالى في الآيتين السادسة والسبعين والسابعة والسبعين من سورة الحج: (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون * وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين) وهو ما تدينون الله به من المعارف واتباع أوامر الله ونواهيه وشرايعه لم يجعل فيه (من حرج) بشريعة حرجية تشق على النوع وتضايقه بعسرها (ملة أبيكم إبراهيم) باعتبار أن المخاطبين عند نزول الآية كانوا من ذرية إبراهيم. أو باعتبار الأبوة الروحانية النبوية (هو سماكم المسلمين) فجعل ملة إبراهيم بيانا لأوامر شريعة الاسلام ودينه الذي لم يجعل فيه حرج.

اليعازر: إن كثيرا من أصحابنا يقولون إن نبي الاسلام قد أخذ شرائعه ولفقها من الشرايع المختلفة صحيحها وفاسدها فأخذ

شيئا من اليهود وشيئا من الشرايع الأخر.

عمانوئيل. هل يسمح لي السيد الوالد ويعطيني حرية لكي أقول كلمتي في هذا المقام.

اليعازر: قل كلمتك فإني تركتك وحريتك من أول الأمر.

عمانوئيل: إن أصحابنا لم ينظروا إلى شريعة الاسلام إلا بنظر التكذيب فصاروا يتسرعون بأقوالهم السقيمة ويدعون أن نبي الاسلام أخذ شرايعه من هنا ومن هنا. فما أرى أصحابنا إلا كالماديين الذين يقولون إن موسى النبي أخذ شرايعه من المصريين ومن (حمورابي). الدكتور: لماذا تخص هذا القول على موسى بالماديين. فإني أرى كتبكم تقول على شريعة موسى أكثر من ذلك وأوحش فإنا نجد في الفصل الخامس عشر من أعمال الرسل عند إبطالهم لشريعة الختان وكثير من محرمات التوراة قالوا في علة إبطالها (21 لأن موسى منذ أجيال قديمة له في كل مدينة من يكرز به) ومعنى هذا أنه يكفي موسى مراعاة شخصيته في هذه الأجيال. وفي الفصل الرابع عشر من رسالة رومية في إبطال تحريم التوراة لبعض الحيوانات وتنجيسها هكذا (14 أني عالم ومتيقن أن ليس شئ بخسا لذاته). وفي الفصل الرابع من رسالة تيموثاوس الأولى 1 – 4 جعل تحريم بعض الحيوانات كما في التوراة من تعاليم الشياطين والأقوال الكاذبة المكتوبة. وفي الفصل الأول من رسالة تيطس (لا يصغون إلى خرافات يهودية ووصايا أناس مرتدين عن الحق كل شئ طاهر للطاهرين).

الصفحة 479

وفي الفصل الثاني من رسالة كولوسي في محرمات التوراة (16 فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت 20 تفرض عليكم فرائض 21 لا تمس لا تذق ولا تجس 22 التي هي جميعها للفناء حسب وصايا وتعليم الناس) ومن عدى هذا الداء ما وجدته في كتاب [1] الرواية النصرانية المسمى (النتيجة العصرية) في

1 ـ صدر من المطبعة الانجليزية الأمريكانية ببولاق مصر سنة 1911 م في 121

=>

الصفحة 480

صحيفة 90 قول الداعي النصراني للداعي اليهودي في مقام العيب للشريعة الموسوية حيث قال لليهودي (وأما شرعكم موسى قال عين بعين وسن بسن).

عمانوئيل: سامحني أيها الدكتور فإني لم أقل إن الماديين عابوا شريعة موسى لكي تعترضني بهذا الكلام المخجل ولنرجع إلى سياق كلامنا فإن الكاتبين في هذا القرن قد ذكروا مما وجده في كتب الذين هم قبل المسيح من البراهمة والبوذيين وأمم الغرب وأمريكا القديمة. ومما وجدوه من الآثار وأوضحوا أن كل ما هو عند المسيحيين من حكايات التثليث والأقانيم وتجسد الإله وولادته من عذراء بالروح القدس. وكل ما ذكرته الأناجيل في شأن الحبل بعيسى وولادته وكراماته وأحواله وتجربة الشيطان له ومحبوبه يوحنا وصلبه وقيامه من الموت وسر الفداء والتخليص قد أخذ حرفيا مما يذكره البراهمة والبوذيون وأمم الغرب في اللاهوت والبشر الذين يألهونهم وقد أحصى ذلك (كتاب العقائد الوثنية) لمحمد طاهر التنير ونص على مصادر نقله

من ستة وأربعين كتابا مما عثر عليه من الكتب المطبوعة وهذا التوافق الكلي في الجزئيات والخصوصيات من العجيب المدهش ومما لا تسمح به الصدفة بل إنه يستلفت الانسان إلى أمر كبير لا يمكن أن نقول فيه إن السابقين حلموا في القديم بما يحدث في المستقبل البعيد من الحقائق فجعلوها جعلا في وثنيتهم القديمة.. أما الشرايع الإلهية فلا بد أن تتوافق إذا لم يحدث في زمان الرسالة اللاحقة ما يغير وجه المصلحة في الحكم وكذا غير الإلهية من الشرايع فقد توفق الصدفة بين بعض أحكامها ولا عجب في ذلك.

_____

=>

صحيفة بالقطع الصغير. وإن شئت فانظر فيه واعرف تقحم الجهل وتحكمه في معنى الآيات القرآنية وطمع الانسان في أن يموه بتلفيقات لا يخفى سقوطها حتى على البسطاء. (*)

اليعازر: إن أصحابنا في كتبهم يعارضون العرب المنتسبين إلى إسماعيل وإبراهيم وينكرون نسبهم هذا واتصالهم بإبراهيم ويذكرون أن هؤلاء العرب أخلاط من الحبشة وغيرهم فلا يعلم حينئذ نسبة بناء الكعبة وآثارها إلى إبراهيم.

عمانوئيل: يا والدي نقول أولا يكفي في العلم بنسبة الكعبة إلى إبراهيم تسالم العرب القحطانيين في أجيالهم يدا بيد إلى زمان إبراهيم فإن القحطانيين وحدهم يبلغون في كل جيل مئات الألوف أو ألوف الألوف وهم لهم القرب والربط التام بأرض مكة وهي من قطرهم ونقول ثانيا إن من أهم الأمور عند العرب حفظ النسب والدقة فيه والتفاخر بشرفه والتنازع فيه وقد كان جميع العرب في أجيالهم يذعنون ويشهدون للعرب الإسماعيليين بأنهم من أولاد إبراهيم ويخضعون لشرف نسبهم ويجرون لهم اللازم في احترامهم من أجل هذا الشرف وقد استمرت على ذلك أجيالهم بأتقن تاريخ ولو كان في ذلك أدنى غمزة لما خضع القحطانيون لافتخار الإسماعيليين واحترام شرفهم مع ما لا يخفى من نخوة العرب وجبروتهم وتنازعهم في أسباب الشرف والتقدم لكن وضوح الحقيقة أخضعهم.

وهل يخفى ما للعرب من التقدم في علم الانسان وتاريخ قديمها وشريفها بحيث لا يوجد في سائر الأمم من يدانيهم في ذلك فإن الانسان عند العرب منشأ العز وناموس الشرف والاحترام يتنافسون فيها ويتحاسدون ولا يفوز منها بالتسليم لفضيلته إلا ما كان معلوما لا مجال لجحوده بحيث تراه كأنه مسجل ومبين في آلاف من الكتب بل وأحلى من ذلك فإن الكتاب يكتب وقد يصفق له جمهور باسم كاتبه أو أسم الالهام فيبقى على ذلك التصفيق عزة في سبيل الحقيقة وأما النسب عند العرب ففي جميع أجيالهم هو معرض للنقد والنظر في أمره فلا يثبت ويستمر في أجيالهم إلا ما كان رصينا على أقوى قواعد وأثبت أساس خصوصا إذا كان شأنه يمس جميع العرب ويخضعون بأجمعهم لشرفه وفضيلته على ناموس انقيادهم الاختياري لشرف الأصل وكرم النسب المعلوم. وبما هو دون هذا المقدار أخذت الأمم أنسابها بالقطع واليقين وماذا تنفع الكتابات بالأقلام المتحركة بأسباب مختلفة وأوقات غير موصودة ولا معلومة. أفلا يكفينا من ذلك في العرة ما وقع من الاختلاف المدهش في نسب

المسيح فيما بين الفصل الأول من إنجيل متى وبين الفصل الثالث من إنجيل لوقا. ودع عنك مخالفة الفصلين المذكورين مع سفر الأيام الأول في أنسابه ودع عنك اضطراب كتب العهد القديم واختلافها في الأنساب ودع عنك أن إنجيل لوقا والتوراة السبعينية واليونانية قدزادت على التوراة العبرانية (قينان) بين أرفكشاد وشالح [1].

أنظر إلى هذه الاختلافات الباهضة التي تحير فيها المحققون واعترفوا بخللها وإن تكلف في أمرها بعض الناس فجاء في ذلك بما يشبه أضغاث الأحلام ويزيد في الطين بلة فانظر أقلا إلى الجزء الأول من كتاب الهدى من الصحيفة 205 إلى 214وإلى الجزء الثاني من الصحيفة 23 إلى 50 وانظر أيضا إلى الفصل الثالث من الباب الأول من كتاب إظهار الحق [2] وكذا المقصد الأول والثاني والثالث من الباب الثاني منه فإنك ترى العجب من خلل العهدين في التاريخ والنسب والأسماء فيا للعجب من بعض أصحابنا ومنهم هاشم العربي والغريب ابن العجيب إذ يحاولون

---

1 ـ أنظر إلى العدد الثاني عشر من الفصل الحادي عشر من سفر التكوين في العبرانية وتراجمها وفي اليونانية والسبعينية وإلى العدد السادس والثلاثين من الفصل الثالث من إنجيل لوقا.

2 . هو كتاب جليل في بابه بكر في طريقته فائق في إتقانه واطلاع مصنفه وهو الشيخ رحمة الله الهندي وقد ذكر أنه ابتداء في تصنيفه في رجب سنة 1280 وأتمه في ذي الحجة من السنة المذكورة في مقابلة أهل الكتاب وأجاد فيه وحقق فلتغتنم رؤيته وقد تعددت طبعاته والموجود عندي ما طبع بمصر سنة 1317 في 444 صحيفة بالقطع المتوسط. (*)

بدعاويهم الموهونة أن يعارضوا أتقن تاريخ ونسب عند العرب. تاريخ ونسب جريا على أتقن طريقة وأوضح حقيقة تكون في فلسفة التاريخ وفلسفة النسب. الشيخ. الحال في بناء الكعبة ونسب الإسماعيليين أوضح من أن يحتاج إلى هذا التطويل وأجل من أن تمس حقيقته أوهام التعصب وبواعث الأغراض.. فلنرجع إلى طرد كلامنا الأول وقد ذكرنا قوله تعالى في سورة الحج: (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود) وقال بعد ذلك جل اسمه في الآية 27 (وأذن في الناس بالحج، وهو قصد البيت لأجل طاعة الله وعبادته على ما شرعه (يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق * ليشهدوا) ويحضروا (منافع لهم) وما جعل سببا مقتضيا لانتفاعهم به في الدين والدنيا فينتفعون به إذا لم يحل دون النفع حائل من جناية الانسان والوقت. ومن ذلك أن الحج يكون فيه لصلاح الانسانية مؤتمر عام متبادل في كل سنة لم يوكل أمره إلى فكر المندوب وحال انتخابه يتجرد فيه أعضاءه لمدافعة الشخصيات وأسباب الغرايات وللتوصل بالاتحاد في الهيئة والأحوال وجهاد النفس إلى تحقيق الاتحاد المعنوي الاجتماعي والسير في شؤونه على حقيقتها. في حال تذكرهم ضعف الضعيف وحاجة المحتاج وعناء القيود على من لا يجد سبيلا إلى دفعها. في حال تنزلوا فيها عن رسوم الكبرياء وامتيازات الجبروت والثروة والرياسة. في حال كونهم في قيد المحكومية والمسؤولية لقادر قاهر عادل. في حال تمثل لكل واحد من كل شأن من شؤونه وشؤون غيره وفي كل آن أبلغ خطيب وأصدق واعظ ناصح لا يخطئ ولا يتساهل بل ترى في كل آن وكل شأن من شؤون الجمع والأفراد خطيبا هاتفا وواعظا ناصحا عموميا في ذلك المؤتمر الحميد. أحسن مؤتمر يقتضي

اختيار الانسان للصالحات وتوجه فكره وعواطفه نحو صلاح الانسانية وسعادة المستقبل وحسن الاجتماع السعيد. قد هيأ الله بالحج هذه الأسباب الحميدة.

ومن المنافع اجتماع الناس من أطراف الأرض مع العباد الصالحين من أئمة الدين والعلماء العاملين أولئك الذين يتنور بهداهم فكر المستهدي ويتنبه بمشاهدة فضلهم وصلاحهم الغافل وينهج المقتدي ويرتاح بإرشادهم طالب الحق ويستضاء بنورهم في نهج الهدى ويثبت ببركتهم اليقين وتزاح ببيانهم علل الجهل والشكوك وتغتنم فوائد بركاتهم في سبيل الصلاح والاصلاح ولكن يا للأسف لازالت أفعال الإثم تكدر الموارد التي صفاها الدين والله المستعان.

ومن المنافع ما يقوم به كل واحد من أفعال الحج في جهة تأديب الانسان وتمرينه على الصلاح وكرم الأخلاق وتهذيب النفس زيادة على ما فيها من الطاعة لله وإقامة الشعار لأول بيت وضع للناس مشعرا ومنسكا في العبادة الإلهية التوحيدية وأداء لحق كرامته وإبقاء لتذكاره واستدامة لبركاته ومنافعه وتذكار أولياء الله القائمين بدعوة التوحيد والاصلاح وتكميل البشر ونسأل الله أن يوفقنا للإهلال ببيان ذلك على الحكمة في الجزء الرابع من هذا الكتاب والله ولي التوفيق وهو أرحم الراحمين